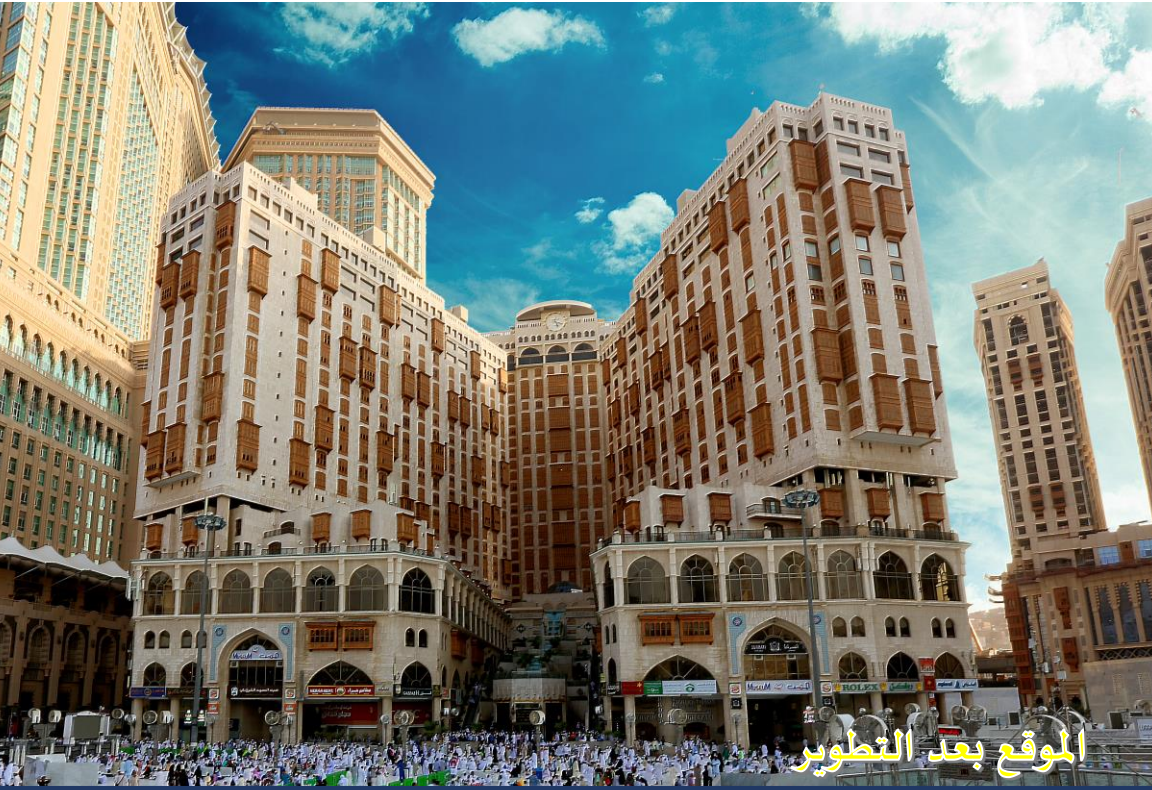




الموقع بعد التطوير

تجارب عالمية في تطوير العشوائيات

الموقع قبل التطوير



عصام بن يحيى الفيلاي

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



المسيرة الذاتية C.V

أ.د. عصام بن يحيى بن عمر الفيلالي (دكتوراه في الجيولوجيا)

أهم مجالات عمله في:

(١) مجلس منطقة مكة المكرمة

عضو مجلس منطقة مكة المكرمة من ١٤٣٨	عضو لجنة التنمية العمرانية والمشاريع
نائب رئيس لجنة تطوير العشوائيات	عضو لجنة التنمية الاقتصادية

(٢) جامعة الملك عبدالعزيز

أستاذ غير متفرغ في جامعة الملك عبدالعزيز	(٣) القطاع الخاص (المشرف على مكتب الريادة الحديث)
كما عمل سابقاً:	يهتم المكتب بتقديم الاستشارات في المجالات التالية:
✓ مشرفاً عاماً على البحث العلمي	✓ التخطيط الاستراتيجي والتطوير.
✓ عميداً لمعهد البحوث والاستشارات	✓ وضع الخطط التنفيذية وصياغة المبادرات ومتابعة مراحل تنفيذها
✓ مديراً لمركز الإنتاج الإعلامي	✓ الدراسات والبحوث وبخاصة في مجال التنمية المستدامة.
✓ مديراً لمركز الدراسات الاستراتيجية	✓ الاستشارات العلمية وتطوير الشراكات.
✓ مستشاراً لمدير الجامعة للتخطيط الاستراتيجي	✓ التفكير الاستراتيجي وبناء القيادات.

- ✓ أشرف على عشرات الخطط الاستراتيجية في المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في داخل المملكة وخارجها.
- ✓ شارك في إعداد وتأليف سلسلة مجتمع المعرفة (٥٩ إصدار)، بجامعة الملك عبدالعزيز
- ✓ بالإضافة إلى تأليف بعض الإصدارات الحديثة مثل:
- (خطة المائة يوم - المبادرة من الفكرة الى القرار- استراتيجيات الاقتصاد القائم على المعرفة)



أ.د. عصام بن يحيى الفيلالي (ealfilali@revadaoffice.com) - المشرف على مكتب الريادة الحديث (www.revadaoffice.com)

بيانات النشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

أ.د/ فؤاد بن محمد غزالي

مستشار مجلس منطقة مكة المكرمة

رئيس لجنة التنمية العمرانية والمشاريع بالمجلس

إذا كان الطموح الأسمى لبرنامج جودة الحياة ٢٠٢٠ يتمثل في إدراج ثلاث مدن سعودية على الأقل ضمن قائمة أفضل ١٠٠ مدينة للعيش في العالم مع حلول عام ٢٠٣٠؛ فإن التعامل الناجح مع العشوائيات والحد من انتشارها ومعالجتها ما هو موجود يمثل أحد العناصر الرئيسية في تحقيق متطلبات الجودة بتطوير البنى التحتية والمرافق وتأمين الخدمات الشاملة للسكان في الأحياء العشوائية وتوفير خدمات ذات جودة عالمية ومتنوعة لنمط الحياة.

فإذا كانت الأحياء العشوائية في العالم أثرت سلباً في معايير جودة الحياة في المدن الحاضنة لها؛ حيث الكثافة السكانية العالية، والخدمات المتدنية سواء الصحية أم التعليمية أم الاجتماعية في غياب شبه تام للبنية التحتية؛ الأمر الذي تسبب في زيادة معدلات الجريمة والبطالة والتفكك الأسري وانتشار الأمراض المعدية؛ فإن ذلك تطلب تدخلاً مباشراً في الدول التي انتشرت فيها تلك العشوائيات؛ للحد من انتشارها ومعالجة آثارها بشكل جذري أو مرحلي وبأنماط متنوعة، ومن ذلك على سبيل المثال:

- أ. الإزالة الشاملة لتلك الأحياء واستبدال أحياء حديثة متكاملة الخدمات والبنى التحتية بها.
 - ب. نقل التجمعات السكانية الموجودة في الأحياء العشوائية إلى تجمعات خارج المدن مع توفير الحد الضروري من الخدمات المعيشية.
 - ج. تحسين الأحياء العشوائية وإعادة تخطيطها بقدر محدود من التغيير والتكلفة، وتوفير الخدمات اللازمة مع التدرج في تفكيك التجمعات ذات الكثافة السكانية العالية، والعمل على إعادة تسكينهم في مباني أكثر تجهيزاً وملاءمة لنمط سكان تلك الأحياء.
- وقد استمعت بقراءة الكتاب الذي بين يدي (تجارب عالمية في تطوير العشوائيات) لزميلي أ.د/ عصام بن يحيى الفيلاي (عضو مجلس منطقة مكة المكرمة ونائب رئيس لجنة تطوير العشوائيات في مجلس المنطقة)، الذي خلق بي في عالم العشوائيات وفي التجارب العالمية لتطويرها.
- فتحدث عن ملامحها وأهم خصائصها، وعن أسباب نشأتها ووسائل علاجها.

واستعرض أربعة أنواع من العشوائيات المنتشرة في كثير من دول العالم، وهي:

١. المباني المخالفة لأنظمة البناء المعتمدة في الدولة.
 ٢. مدن الصفيح والتي تسمى بالأكواخ والعشش وهي عادة ما تكون في أطراف المدن.
 ٣. عشوائيات أزقة وسط المدينة، حيث البناء العشوائي في الأراضي البيضاء وحول العمائر السكنية.
 ٤. عشوائيات الأسطح، وهي المساكن غير القانونية على أسطح المباني.
- واستعرض أمثلة من تجارب عالمية امتدت من مانيلا في الفلبين شرقًا حتى البرازيل والأرجنتين غربًا مرورًا بدول آسيا وأوروبا وأفريقية والدول العربية، ولم يستثن من ذلك أهم معالم العشوائيات في محافظات منطقة مكة المكرمة ومدنها.
- وختم الكتاب بتجارب ناجحة في تطوير العشوائيات في العاصمة المقدسة، سواءً من خلال شركة مكة للإنشاء والتعمير، أم مشروع تطوير جبل عمل.
- ولعل هذا الكتاب باستعراضه للتجارب العالمية والمحلية لتطوير العشوائيات يكون مرجعًا لبيوت الخبرة وأمانات المدن والمحافظات في اختيار النموذج الأمثل للحد من انتشار العشوائيات والتعامل مع الموجود منها.
- شاكراً لأخي وزميلي أ.د/ عصام بن يحيى الفيلاي (حيث تزامننا في العمل الأكاديمي في جامعة الملك عبد العزيز أعوامًا طويلة ثم حاليًا في مجلس منطقة مكة المكرمة) إتاحة الفرصة لي لقراءة هذا الكتاب والتقديم له.

متمنيًا لأخي أ.د/ عصام بن يحيى الفيلاي دوام التوفيق والسداد

وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المحتويات

أ.....	المحتويات
ز.....	قائمة الأشكال
ي.....	قائمة الجداول
١.....	المقدمة
١٣.....	الباب الأول: ملامح العشوائيات وأهم خصائصها
١٥.....	تعريف العشوائيات
١٨.....	أنواع العشوائيات
٥٧.....	مناطق وجود العشوائيات
٥٧.....	انتشار العشوائيات
٥٩.....	مواقع العشوائيات
٦٠.....	الحياة غير الآمنة
٦٢.....	مشاكل العشوائيات
٦٢.....	مخاطر إسكان العشوائيات
٧٦.....	تداعيات الإسكان العشوائي
٧٨.....	الإيجابيات
٧٩.....	مغالطات شائعة عن العشوائيات
٨٢.....	سكان العشوائيات
٨٢.....	ماهية سكان العشوائيات
٨٣.....	الأيدي العاملة وعمال السخرة
٨٥.....	الباب الثاني: أسباب نشأة العشوائيات
٨٧.....	حواجز تكوين العشوائيات
٨٧.....	الهجرة من الأرياف إلى الحضر
٨٩.....	التحضر

٩٢.....	تدني التخطيط الإسكاني.....
٩٣.....	الاستعمار والتمييز.....
٩٨.....	بنية تحتية رديئة، والعزلة الاجتماعية.....
٩٨.....	الكساد الاقتصادي.....
٩٩.....	الاقتصاد غير الرسمي.....
١٠٠.....	الفقر.....
١٠١.....	السياسات.....
١٠٢.....	النزاعات الاجتماعية.....
١٠٢.....	الكوارث الطبيعية.....
١٠٢.....	الدوافع المادية.....
١٠٩.....	الأسباب الشائعة لنمو العشوائيات.....
١١٠.....	الأسباب المحلية.....
١١٢.....	دور الحكومات.....
١١٣.....	أراضي العشوائيات.....
١١٧.....	الباب الثالث: وسائل علاج ظاهرة العشوائيات.....
١١٩.....	إزالة العشوائيات.....
١٢٠.....	دوافع الإزالة.....
١٢١.....	عملية إزاحة القمامة، زيمبابوا.....
١٢٤.....	إزالة عشوائيات عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية.....
١٢٦.....	ستينجراي، الولايات المتحدة الأمريكية.....
١٢٨.....	هوفر فيل.....
١٣١.....	عشوائيات المدن - المملكة المتحدة.....
١٣٣.....	عشوائيات الدنمارك.....
١٣٥.....	انتقادات استراتيجية الإزالة.....
١٣٥.....	مناقب الإزالة.....
١٣٧.....	نقل العشوائيات.....
١٣٨.....	عشوائيات مانيلا.....

١٤٢.....	عشوائيات دربن
١٤٨.....	عشوائية النخيل بمراكش
١٥١.....	مناقب إعادة الاستيطان
١٥٥.....	رفع مستوى العشوائيات.....
١٥٩.....	أطروحة جون ترنر
١٦١.....	أعمال والتر سيجل
١٦٣.....	الشراكة السكانية
١٦٥.....	مراكز المساعدة الفنية للمجتمع
١٦٧.....	المساهمة
١٧١.....	تجارب تحسين العشوائيات
١٧٣.....	حلول الرقي بالعشوائيات
١٧٩.....	مناقب ترقية العشوائيات القائمة
١٨٣.....	الإحلال التدريجي.....
١٨٥.....	نماذج الإحلال
١٩٠.....	الاستطباق
١٩٢.....	مناقب الإحلال
١٩٤.....	اقتران المساكن الشعبية (العامة) والبنية التحتية.....
١٩٧.....	سكان الأزقة في عاصمة الولايات المتحدة
١٩٨.....	مناقب اقتران المساكن الشعبية والبنية التحتية.....
٢٠٢.....	العوائق
٢٠٧.....	تجربة الإحياء العمراني في إنجلترا
٢١١.....	التنشيط العمراني في الولايات المتحدة الأمريكية
٢١٥.....	جنوب غرب واشنطن دي سي
٢١٧.....	كندا
٢١٧.....	التجديد العمراني في سنغافورة.....
٢١٩.....	جمهورية التشيك
٢١٩.....	الأرجنتين

٢١٩.....	البرازيل
٢٢٠.....	مناقب التجديد العمراني
٢٢٥.....	سياحة العشوائيات
٢٢٦.....	المرحلة الحديثة في سياحة العشوائيات
٢٢٧.....	الدوافع
٢٢٩.....	مواقع سياحة العشوائيات
٢٣١.....	مناقب سياحة العشوائيات
٢٣٥.....	الباب الرابع: وسائل علاج العشوائيات ووقف انتشارها.
٢٣٧.....	وقف التريج من العشوائيات
٢٣٧.....	لوردات العشوائيات
٢٣٧.....	استغلال أهل العشوائيات
٢٤٠.....	تداعيات التريج من العشوائيات
٢٤١.....	خلاصة
٢٤٣.....	الباب الخامس: عشوائيات منطقة مكة المكرمة.
٢٤٥.....	أساليب معالجة قضية العشوائيات
٢٤٥.....	إزالة العشوائيات
٢٤٦.....	نقل العشوائيات
٢٤٦.....	الترقى بمستوى العشوائيات
٢٤٨.....	الإحلال التدريجي
٢٥٠.....	اقتراح المساكن الشعبية والبنية التحتية
٢٥٢.....	التجديد المعماري
٢٥٣.....	سياحة العشوائيات
٢٥٥.....	الحد من التريج
٢٥٦.....	الأساليب المختلفة لعلاج العشوائيات
٢٥٨.....	الارتقاء الحضري - نظام الإزالة والإحلال
٢٥٩.....	تجارب عربية وعالمية لعلاج العشوائيات

٢٧٥	أساليب علاج ظاهرة العشوائيات
٢٨٠	مدينة مكة المكرمة.....
٢٨١	حالة السكن
٢٨٢	أهم أسباب نشأة العشوائيات في مكة المكرمة ونموها
٢٨٣	خطة العلاج
٢٨٤	الأسلوب المقترح للتطوير
٢٨٦	مدينة الطائف.....
٢٨٨	أهم أسباب تكوين العشوائيات في الطائف ونموها
٢٨٨	حالة السكن
٢٨٨	نظام الملكية
٢٨٨	الحالة الاقتصادية لساكني المناطق العشوائية في الطائف
٢٨٨	خطة العلاج
٢٩٠	مدينة جدة.....
٢٩٠	عشوائيات مدينة جدة
٢٩١	حالة السكن
٢٩٢	أهم أسباب تكون عشوائيات جدة
٢٩٣	مقترحات العلاج
٢٩٥	الباب السادس: تجارب ناجحة في تطوير العشوائيات (في مكة المكرمة).....
٢٩٧	شركة مكة للإنشاء والتعمير.....
٢٩٧	وصف العشوائية وموقعها
٢٩٧	فكرة التطوير
٢٩٨	المنهجية والآلية
٢٩٨	الدعم الرسمي
٢٩٩	المعوقات والتحديات
٣٠٠	أثر فكر الشركة وأسلوبها الجديد
٣٠٠	الإزالة وإرضاء الملاك

٣٠١	احصائيات
٣٠١	العوائد
٣٠٢	كيف اقتنع المعارضون؟
٣٠٣	جوائز الشركة
٣٠٤	مشروع تطوير جبل عمر
٣٠٤	أولا تأسيس الشركة
٣٠٤	الوصف والموقع
٣٠٤	الفكرة
٣٠٥	الخيارات الثلاثة لملاك العقارات
٣٠٥	معوقات التطوير
٣٠٦	تجاوز تلك المعوقات
٣٠٦	منعطف خطير
٣٠٧	بدء التنفيذ
٣٠٧	تحديات
٣٠٧	الحلول
٣٠٧	مكونات المشروع
٣٠٩	استراتيجية التنفيذ
٣١٠	القيمة التقديرية للمشروع
٣١٠	مراحل التنفيذ
٣١١	الاتفاقيات مع البنوك
٣١١	الأثار المترتبة
٣١٢	جائزة (ميد)
٣١٣	مراجع
٣١٥	المراجع العربية
٣١٦	المراجع الاجنبية

قائمة الأشكال

- شكل (١) عمارات عشوائية "المغرب". ٢٠
- شكل (٢) سكان العشش - أكواخ من الخشب أو الصاج أو الكرتون مقامة في الشوارع. ٢١
- شكل (٣) حرائق "تشك كيب ماي"، بهونج كونج في أواخر ١٩٥٣. ٢٢
- شكل (٤) زقاق في قلب العاصمة الأمريكية. ٢٧
- شكل (٥) إحدى عشوائيات الأسطح، هونج كونج. ٢٩
- شكل (٦) عشوائيات في مدافن الموتى في مانيلا بالفلبين. ٣٢
- شكل (٧) عشوائيات المقابر في القاهرة. ٣٣
- شكل (٨) مسكن داخل مقبرة - القاهرة. ٣٣
- شكل (٩) مساكن الإيواء. ٣٤
- شكل (١٠) ساحة ميدان بايونير (العريشة أو بيرجولة الساحة على اليمين). ٣٦
- شكل (١١) طريق الانزلاق (مدخنة المصنع)، سياتل. ٣٧
- شكل (١٢) جيتو شيكاغو، (١٩٠٨). ٤٣
- شكل (١٣) لوحة لمخيم الفجر في مدينة أرس، فرنسا (فان جوخ). ٥٢
- شكل (١٤) المباني القديمة المهجورة في مدينة كامدن، ولاية نيوجيرسي. ٥٣
- شكل (١٥) حطام عشوائية في هيتي بعد زلزال (٢٠١٠). ٦٢
- شكل (١٦) مساكن عشوائية في فيتنام مقامة على أعمدة في منطقة تغمرها الفيضانات روتينيا
- بين (٣) إلى (٤) مرات سنويا. ٦٣
- شكل (١٧) مساكن عشوائية بجوار السكة الحديدية في جاكرتا، أندونيسيا. ٦٤
- شكل (١٨) معلقة بروباجندا عن العشوائيات والعنف، وزعتها الهيئة العامة للإسكان بالولايات المتحدة في أربعينيات القرن الماضي. ٦٧
- شكل (١٩) العنف في عشوائية بربودي جنيرو بالبرازيل. ٦٧
- شكل (٢٠) عشوائيات عمال السخرة في باريس. ٨٤
- شكل (٢١) عشوائية روسينها بالبرازيل إلى جانب ناطحات السحاب وأغنى أحياء المدينة، حيث يوفر الموقع فرص أعمال وسهولة مواصلات لمن يعيشون في العشوائية. ٩٠
- شكل (٢٢) الفارق الواضح بين المنطقة الغنية والعشوائيات الفقيرة في لاباز، بوليفيا. ٩١

- شكل (٢٣) عشوائية كبيراً في نيروبي بكينيا. ٩٣.....
- شكل (٢٤) عشوائية ضهارافي بالهند. ٩٥.....
- شكل (٢٥) أكشاك الصفيح في أحياء الأسكندرية الفقيرة. ٩٦.....
- شكل (٢٦) عشوائية ماكوكو، لاجوس بنيجيريا. ٩٧.....
- شكل (٢٧) مبنى مسكون بطريقة غير قانونية في جوهانسبرج، جنوب أفريقيا. ١٠٥.....
- شكل (٢٨) مشهد من تشانجويزا عقب عملية إزاحة القمامة. ١٢٢.....
- شكل (٢٩) الاستينجراي. ١٢٧.....
- شكل (٣٠) هوفر فيل في مانهاتان، (١٩٣٥). ١٢٩.....
- شكل (٣١) هوفر فيل بالقرب من بورتلاند بولاية أوريجون. ١٢٩.....
- شكل (٣٢) عائلة أمريكية معدمة تعيش في كوخ صفيح خلال الكساد الأكبر (تصوير دورثي لانج؛ ١٩٣٦). ١٣٠.....
- شكل (٣٣) سكن عشوائي خلف أحد الشوارع الرئيسة في وندزبري، إنجلترا. ١٣٢.....
- شكل (٣٤) عشوائيات بورجرجيد، الدنمارك. ١٣٤.....
- شكل (٣٥) عشوائيات توندو، مانيلا، الفلبين. ١٣٩.....
- شكل (٣٦) انزلاق الأرض في عشوائيات مانيلا خلال إعصار (٢٠٠٩). ١٤٠.....
- شكل (٣٧) عشوائيات كاتو مانور. ١٤٣.....
- شكل (٣٨) عشوائيات إيناندا. ١٤٤.....
- شكل (٣٩) عشوائيات طريق كينيدي، جنوب أفريقيا. ١٤٥.....
- شكل (٤٠) منظر من عشوائية النخيل قبل التخلص منها. ١٤٩.....
- شكل (٤١) المباني السياحية التي حلت محل عشوائية النخيل. ١٤٩.....
- شكل (٤٢) المباني التي انتقل إليها سكان العشوائية. ١٥١.....
- شكل (٤٣) مثال حديث للبناء على طراز سيجل، تصوير كاي جرين. ١٦٢.....
- شكل (٤٤) بيوت مبنية على طراز سيجل، تصوير كريست موكسي. ١٦٢.....
- شكل (٤٥) مساكن طلاب الطب في الجامعة الكاثوليكية بلوفين، بلجيكا. ١٦٨.....
- شكل (٤٦) بايكر وول، تصوير كارول مكجيوجن. ١٦٩.....
- شكل (٤٧) المستوطنات غير النظامية في مكسيكو سيتي. ١٧٤.....
- شكل (٤٨) السكن غير اللائق - في أحد أحياء سلا. ١٧٨.....
- شكل (٤٩) عملية إحلال على قناة مولين (Canale delle Moline) في بولونيا بإيطاليا. ١٨٥.....

شكل (٥٠) تجديد وتحسين في حي بدفورد-سلوفيسانت (Bedford-Stuyvesant) في مدينة نيويورك، تقليدياً أكبر حي لمجتمع أفارقة أمريكيين في الولايات المتحدة يقوم به فنانون ووجهيون.	١٩١
شكل (٥١) مشاريع الإسكان في باهيا، البرازيل.	١٩٦
شكل (٥٢) بيوت فيكتورية تقليدية متلاصقة.	٢١٠
شكل (٥٣) جنوب غرب العاصمة دي سي (١٩٣٩).	٢١٥
شكل (٥٤) منطقة جنوب غرب واشنطن دي سي في ١٩٦٥.	٢١٧
شكل (٥٥) إعلان مؤتمر "الوجهة العشوائية ٢".	٢٢٧
شكل (٥٦) مدخل بيراميد كلوب في إيست فيليج.	٢٣١
شكل (٥٧) تطوير المناطق العشوائية التركية.	٢٦١
شكل (٥٨) إنشاءات طوكي لحل مشكلة الإسكان الاقتصادي.	٢٦١
شكل (٥٩) العشوائيات في البرازيل.	٢٦٥
شكل (٦٠) عشوائيات داخل المقابر.	٢٦٨
شكل (٦١) حي باشكو في الدار البيضاء حيث يوجد (٤٣) حيًا ليسوا كلهم من صفيح لكنهم نُقِدُوا بلا تخطيط أو بنى تحتية (منير أمحمدات).	٢٧٠
شكل (٦٢) مباني جبل الشراشف بمكة.	٢٨١
شكل (٦٣) منطقة "قوز النكاسة" العشوائية.	٢٨٢
شكل (٦٤) إزالة عدد من العقارات لصالح الطريق الدائري بمكة.	٢٨٢
شكل (٦٥) مناطق مدينة الطائف ومحافظة الطائف (أمانة الطائف).	٢٨٦
شكل (٦٦) عشوائيات الطائف.	٢٨٧
شكل (٦٧) عشوائيات جدة.	٢٩١
شكل (٦٨) التوزيع السكاني لعشوائيات جدة.	٢٩٢
شكل (٦٩) صورة جوية للمنطقة قبل تطويرها.	٢٩٧
شكل (٧٠) أثناء وضع الملك فهد (يرحمه الله) لحجر الأساس لشركة مكة للإنشاء والتعمير.	٢٩٩
شكل (٧١) صورة للمباني التي تمت إزالتها في ٤٨ ساعة.	٣٠٠
شكل (٧٢) شركة مكة للإنشاء والتعمير.	٣٠٢
شكل (٧٣) أبراج مظلة على الحرم الشريف.	٣٠٢
شكل (٧٤) أبراج فندق ميلينيوم.	٣٠٣

- شكل (٧٥) صورة للمنطقة قبل التطوير ٣٠٤
- شكل (٧٦) منظر للمشروع يطل على الحرم الشريف ٣٠٨
- شكل (٧٧) مشروع جبل عمر الذي يضم ٣٨ برج بارتفاع ٢٠ الى ٤٠ طابق ٣٠٨
- شكل (٧٨) منظر عام للمشروع ٣١١

قائمة الجداول

- جدول (١) عدد سكان العشوائيات ونسبتهم في العالم، بالملايين؛ أرقام الأمم المتحدة للإسكان - ٢٠٠١ م ٢
- جدول (٢) سلبيات وإيجابيات استراتيجية الإحلال ١٩٣
- جدول (٣) عشوائيات الطائف (أمانة الطائف) ٢٨٦
- جدول (٤) مقارنة رقمية لما قبل وبعد التطوير ٣٠١

المقدمة

خلال السنوات الأخيرة الماضية، ازدادت العشوائيات مع زيادة سكان الحضر بمعدل هائل في الدول النامية؛ وكان ذلك أسرع مما يجري في الدول الأكثر رخاءً. وعمومًا فهناك ما يزيد على مليار نسمة يعيشون في العشوائيات حول العالم، ومن المتوقع أن يتضاعف ذلك العدد بحلول سنة (٢٠٣٠م)، وذلك إذا تجاهلت الحكومات والمجتمع الدولي قضية العشوائيات، واستمرت سياسة التخطيط العمراني الجارية في الحضر، والتي تركز على النواحي الجمالية للمدن وتتغاضى عن الجوانب الإنسانية من اقتصادية واجتماعية.

ومن ناحية شمولية، ترى مجموعة الموئل أو المأوي "هابيتات" التابعة للأمم المتحدة (UN-HABITAT) أن التغيير ممكن؛ فلتحقيق غاية "مدن بلا عشوائيات" تزعم الأمم المتحدة أن ذلك يتطلب من الحكومات القيام بعملية جذرية ونشطة لإعادة التخطيط العمراني للحضر، وإدارة المدن، وتطوير البنية التحتية، ورفع مستوى العشوائيات وتخفيف حدة الفقر^(١).

وتعد العشوائيات ظاهرة عالمية موجودة في العديد من الدول^(٢). ولقد كانت العشوائيات سائدة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا خلال القرن الثامن عشر إلى بدايات القرن العشرين^(٣). ومؤخرًا أصبحت العشوائيات - في غالب الأمر - غزيرة في المناطق النامية والمتخلفة حول العالم، ولكنها ما زالت موجودة بكثافة غير متوقعة في مناطق الاقتصاديات المتقدمة^(٤). وفي تقرير (٢٠٠٦م) لمنظمة الموئل "هابيتات"، أشار إلى أن هناك مليار نسمة (تقريبًا) يعيشون في مستوطنات عشوائية في معظم مدن أمريكا اللاتينية، وآسيا وأفريقيا، وعدد أقل في مدن أوروبا وشمال أمريكا^(٥).

- (1) Slum Dwellers to double by 2030 UN-HABITAT Report, April 2007. Nairobi, Kenya.
- (2) Arimah, Ben C. (2010). "The face of urban poverty: Explaining the prevalence of slums in developing countries, Working paper". *World Institute for Development Economics Research*. 30.
- (3) Lawrence Vale (2007). *From the Puritans to the Projects: Public Housing and Public Neighbors*. Harvard University Press.
- (4) J.R. Ashton (2006). Back to back housing, courts, and privies: the slums of 19th century England, *Journal Epidemiol Community Health*; Volume 60, Issue 8, pages 654.
- (5) Slums: Past, Present and Future United Nations Habitat (2007).
- (6) The challenge of slums – Global report on Human Settlements, United Nations Habitat (2003).
- (7) UN-HABITAT (2006b) (2006). *State of the World's Cities 2006/2007: The Millennium Development Goals and Urban Sustainability*. London: Earthscan.

يعرض جدول رقم (١) أعداد سكان العشوائيات ونسبتهم لمجموع السكان الكلي بالمناطق المختلفة من العالم، وذلك طبقا لتقارير الأمم المتحدة للإسكان، لعام ٢٠٠١ م.

جدول (١) عدد سكان العشوائيات ونسبتهم في العالم، بالملايين؛ أرقام الأمم المتحدة للإسكان - ٢٠٠١ م^(١).

المنطقة	مجموع السكان	سكان الحضر		سكان العشوائيات	
		مجموع	من مجموع السكان٪	مجموع (تقدير)	من سكان الحضر٪
المناطق المتطورة	١,٥٠٧	٩٠٢	٪٧٥,٥	٤٥,١	٪٦,٠
المناطق النامية	٤,٤٩٠	٢,٠٢٢	٪٤٠,٩	٨٦٩,٩	٪٤٣,٠
إفريقيا الشمالية	١٤٦	٧٦	٪٥٢,٠	٢١,٣	٪٢٨,٢
إفريقيا جنوب الصحراء	٦٦٧	٢٣١	٪٣٤,٦	١٦٦,٢	٪٧١,٩
أمريكا اللاتينية والكاريبي	٥٢٧	٣٩٩	٪٧٥,٨	١٢٧,٦	٪٣١,٩
شرق آسيا	١,٣٦٤	٥٣٣	٪٣٩,١	١٩٣,٨	٪٣٦,٤
آسيا الوسطى والجنوبية	١,٥٠٧	٤٥٢	٪٣٠,٠	٢٦٢,٣	٪٥٨,٨
جنوب شرق آسيا	٥٣٠	٢٠٣	٪٣٨,٣	٥٦,٨	٪٢٨,٠
الشرق الأوسط	١٩٢	١٢٥	٪٦٤,٩	٤١,٣	٪٣٣,١
أوقيانوسيا	٨	٢	٪٢٦,٧	٠,٥	٪٢٤,١
دول أقل تطور	٦٨٥	١٧٩	٪٢٦,٢	١٤٠,١	٪٧٨,٢
العالم	٦,١٣٤	٢٩٢٣	٪٤٧,٧	٩٢٤,٠	٪٣١,٦

ووفقا لإحصائيات (٢٠١٢)، لمنظمة "هابيتات" للأمم المتحدة، فإن^(٢):

• (٣٣٪) من سكان الحضر في الدول النامية؛ أي حوالي (٨٦٣) مليون نسمة يعيشون في عشوائيات.

(1) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9_%D8%B9%D8%B4%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9

(2) "State of the World's Cities Report 2012/2013: Prosperity of Cities". UNHABITAT.

◆ نسبة سكان العشوائيات للمجموع الكلي للسكان:

○ (٦١,٧٪) في صحراء أفريقيا الكبرى (أكبر نسبة في العالم): أي حوالي (٢١٣) مليون نسمة.

○ (٣٥٪) في جنوب آسيا؛ أي حوالي (٢٠١) مليون نسمة.

○ (٣١٪) جنوب شرق آسيا؛ أي حوالي (٨٠) مليون نسمة.

○ (٢٨,٢٪) شرق آسيا؛ أي حوالي (٢٠٧) مليون نسمة.

○ (٢٤,٦٪) غرب آسيا؛ أي حوالي (٣٦) مليون نسمة.

○ (٢٤,١٪) أوشانيا.

○ (٢٣,٥٪) أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي؛ أي حوالي (١١٣) مليون نسمة.

○ (١٣,٣٪) شمال أفريقيا؛ أي حوالي (١٣) مليون نسمة.

◆ بالنسبة للدول على حدة؛ فإن أكبر نسبة لسكان الحضر الذين يعيشون في العشوائيات للمجموع الكلي للسكان هي (سنة ٢٠٠٩):

○ (٩٥,٩٪) في جمهورية أفريقيا الوسطى.

○ (٨٩,٣٪) في تشاد.

○ (٨١,٧٪) في النيجر.

○ (٨٠,٥٪) في موزمبيق.

◆ رغم زيادة مجموع السكان في الحضر في حقبة (١٩٩٠-٢٠١٠) فإن نسبة سكان العشوائيات انخفضت في تلك الحقبة من الزمن.

◆ مكسيكو سيتي تعتبر أكبر مدينة عشوائية في العالم^{(١) (٢) (٣)}.

-
- (1) Mike Davis, Planet of Slums [« Le pire des mondes possibles : de l'explosion urbaine au bidonville global »], La Découverte, Paris, (2006).
- (2) Biggest Slums in the World, International Business Times, Daniel Tovrov, IB Times (December 9, 2011).
- (3) Craig Glenday (Editor), Guinness World Records 2013, Bantam; see page 277.

وتتكون العشوائيات وتنمو في العديد من الدول في مختلف أنحاء العالم لعدة أسباب، بعضها يتضمن الهجرة الداخلية السريعة من الريف إلى الحضر نتيجة الانتقال من الاقتصاد القائم على الزراعة إلى الاقتصاد القائم على الصناعة، والذي يزدهر في المدن الكبرى. ومع تدهور القطاع الصناعي وزيادة البطالة، يندفع الناس إلى أطراف المدينة، حيث تنشأ الاقتصاديات الجديدة التي تقوم على المعرفة، مخلفين وراءهم رتلا من العشوائيات الجديدة.

كما تتضمن الأسباب - أيضاً - الركود، والكساد الاقتصادي العام وما يترتب عليه من بطالة وفقر، ونمو الاقتصاد غير الرسمي من تجارة السوق السوداء، وتجارة الممنوعات والتهريب وتجارة المخدرات، وتجارة الأعضاء، ... الخ. يرافق ما سبق من أسباب (في كثير من الحالات) كل من: العوامل السياسية، والتخطيط العمراني العشوائي، وغياب الضوابط القانونية أو التسبب والتراخي في تطبيقها^(١).

وقد توجد دوافع خارجية تفرض نفسها على الواقع المستتب نتيجة لحدوث بعض الكوارث الطبيعية، مثل السيول أو الزلازل أو الأعاصير، ونشوب الحرائق أو انهيار المباني - سواء كان ذلك نتيجة حرائق أو قدم المبنى وعدم صلاحيته الإنشائية، وهروب الناس الذين تهدمت بيوتهم ولم يجدوا لأنفسهم مأوى؛ وكذلك الحروب المحلية والأهلية أو الدولية التي ينتج عنها تدمير لبعض المناطق الأهلة بالسكان، والاستعمار، والتمييز العنصري، وكل أنواع الصراعات الاجتماعية والطبقية^(٢).

بذلت العديد من الدول كثيراً من المحاولات لخفض حدة توغل العشوائيات، أو تحويلها إلى مناطق تتسق مع طبيعة المدن؛ وقد تكبل بعضها بالفشل، بينما نجح البعض الآخر بدرجات متفاوتة. وتتضمن تلك المحاولات مزيجاً بين إزالة العشوائية، وتغيير موقع العشوائية، ورفع مستوى العشوائية، والتخطيط العمراني مع تطوير البنية التحتية للمدينة بأسرها، وتشديد مساكن شعبية^{(٣)(٤)}.

رغم أننا في عصر يتميز بالتقدم العلمي والتقني غير المسبوق، إلا أن الواقع يكشف مدى تدهور الحياة في مدن كثيرة بأنحاء العالم، وزحف المناطق العشوائية وانتشارها بشكل كبير، لتشغل مساحات واسعة من الحيز الحضري لمعظم مدن العالم، سواء في العالم المتقدم أو النامي.

(1) *Assessing Slums in the Development Context*. United Nations Habitat Group (2011).

(2) Patton, C. (1988). *Spontaneous shelter: International perspectives and prospects*, Philadelphia: Temple University Press.

(3) *Slum Dwellers to double by 2030*. UN-HABITAT report, April 2007.

(4) Mona Serageldin, Elda Solloso, and Luis Valenzuela (March 2006). Local Government Actions to Reduce Poverty and Achieve The Millennium Development Goals. *Global Urban Development Magazine*, Vol 2, Issue 1.

ففي البلدان النامية نجد أن قاطني هذه العشوائيات يشمل عددًا من المالكين بوضع اليد على مساحات من الأراضي، التي توزع بإحدى طرق الاستغلال بالإيجار للمهمشين والفقراء، أو المستوطنين غير الشرعيين الذين يعيشون في ملاجئ مؤقتة بعيدًا عن الأمن، كما أن سرعة نمو المدن في العصر الحديث ترتب عليها إهمال كبير من المناطق الأصلية داخل المدن.

تنشأ العشوائيات الجديدة في أطراف المدن، خاصة في الدول النامية، وغالبًا ما يكون ذلك نتيجة لاختناق المدينة وامتداد نموها للخارج. وغالبًا ما تكون تلك العشوائيات مرتبطة بعوامل الهجرة الداخلية والمهاجرين، وهي غالبًا عبارة أراضٍ ملكًا للدولة أو لواضعي اليد عليها، بما يسمح بعد ذلك بتقنين وضعها أو تصبح أمرًا واقعيًا يصعب الخروج منه. تتكون بذلك حول المدن عشوائيات غير رسمية من النازحين، وتصبح ملاذًا للنازحين الجدد إلى المدينة، أو تعتبر محطة أولية لإقامة الكثير من سكان المدينة.

وتنشأ هذه التجمعات العشوائية من تجمع الفقراء، والمهاجرين من الريف، والعمالة، والهجر الوظيفي للذين يعيشون في المدينة ولا يستطيعون تحمل أسعار السكن المرتفعة بالنسبة لدخلهم المتدني، بسبب الحشد السكاني الكبير في أماكن صغيرة. ورغم اختلاف المناطق العشوائية من حيث المكان والمساحة ومستوى الخدمات، فإنها تشترك جميعًا في معاناتها من مشكلات أساسية، أهمها تدني مستوى المعيشة، والافتقار إلى المرافق والخدمات الأساسية، وانتشار الفقر والأمية، إلى جانب تدهور القيم وانتشار العادات الاجتماعية الخاطئة، وتدني المستوى الصحي، وغياب الوعي الثقافي والتعليمي.

وتؤدي هذه العشوائيات إلى التعارض مع الصورة الحضارية للمدينة الأم، فتعمل على تشويهها نظرًا لافتقارها للتنظيم بعيدًا عن أجهزة الدولة المسؤولة عن ذلك؛ وتفتقد للأمن لابتعادها عن رجال القانون، بما يؤدي إلى انتشار الجرائم وإيواء المجرمين تحت قيادات من الداخل.

وعموماً، فإن العشوائيات تمثل مشكلة خطيرة تتطلب مشاركة وتكاتف كافة مؤسسات المجتمع المدني لحل مشكلات المواطنين بتلك المناطق.

الغرض من هذه الدراسة هو الوقوف على مشكلة وظاهرة العشوائيات في المجتمعات العالمية عموماً، لما تشكله من ظاهرة للإقصاء الاجتماعي والمكاني لسكانها، فهم جزء من المجتمع، وفي الوقت ذاته هم مهمشون ومستبعدون اجتماعيًا وإيكولوجيًا واقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا، وهذا الإقصاء قد يكون فيه تهديد لاستقرار المجتمع لمحاولة تغيير واقعهم الاجتماعي والاقتصادي المتدني، والذي

يفتقدون فيه أبسط حقوق الإنسان والمواطنة، بينما تنعم مناطق الدولة الأخرى بعصر العولمة بما فيها من تحضر وحدائية. كما تمثل هذه الظاهرة الاجتماعية عائقا لعملية التنمية الحضرية، بما فيها من مشكلات اجتماعية واقتصادية وصحية يمكن أن تمتد وتستشري إلى أرجاء المدينة.

والغرض الرئيس من هذه الدراسة هو الوقوف على واقع العشوائيات في منطقة مكة المكرمة (مكة المكرمة، وجدة، والطائف)، ومشاكلها التي قد تؤثر بالسلب على مناطق أخرى؛ وإيجاد الحلول التي تغير أو تخفف من معاناة ساكنيها بسبب هذا الواقع المؤلم، وذلك من خلال أربعة محاور، هي:

١. التعرف على طبيعة كل مدينة من المدن الثلاثة: مكة المكرمة، وجدة، والطائف.
 ٢. عرض بعض نماذج مكافحة العشوائيات، سواء عربية كانت أو أجنبية، التي يمكن تطبيقها أو الاقتداء بها في المملكة، مع مراعاة خصوصيات المنطقة.
 ٣. توصيات بخصوص التعامل مع العشوائيات القائمة في منطقة مكة المكرمة.
 ٤. توصيات بخصوص العمل على الحد من تكوين جيوب عشوائية مستقبلية في المنطقة.
- وهذا الأمر يتطلب القيام بدراسات تحليلية ونقدية مستفيضة لقضية العشوائيات حول العالم، تتضمن:

- تعريف العشوائيات: أنماطها وأشكالها وتقسيماتها.
- المناطق الشائعة بوجود العشوائيات (خاصة عشوائيات المدن): أطراف المدن أم قلبها.
- ساكنو العشوائيات: المستوى المعيشي والاقتصادي، والعمالة الوافدة المؤقتة وطويلة المدى، وإيواء الخارجين على القانون من المهاجرين غير الشرعيين ومرتكبي الجرائم.
- مشاكل العشوائيات: التعليم، والصحة، والاقتصاد، والجريمة، والمشاكل الأسرية.
- أسباب نشوء العشوائيات: هل ساهمت الحكومات في نشوء العشوائيات، بغياب الخدمات واللوائح التنظيمية للإسكان وعدم مواكبة الانفجار السكاني في المنطقة؟ هل أراضي العشوائيات ملك للدولة أم ملك خاص؟ ودور المجتمعات المحلية والقطاع الخاص في تكوين العشوائيات.
- طرق معالجة العشوائيات: الإزالة أو الإحلال وإعادة الاستيطان، أو تحسين الحال، أو إنشاء شرايين طرق عريضة كمراكز لخلخلة التجمعات العشوائية، ... الخ.

• إيقاف تكوين عشوائيات جديدة.

ويجب التنويه هنا إلى أن هناك أمور تتعلق بدراسة ظاهرة العشوائيات وتداعياتها، وتوليف أساليب علاج لها، أو وضع استراتيجيات للتخلص منها، أو ترك الأوضاع على ما هي عليه مع إدخال بعض التحسينات عليها. كل تلك الأمور تتعلق بمنظور الجهة التي تهتم بقضية العشوائيات؛ أيًا كانت تلك الجهة؛ حكومة مركزية، أو حكومة محلية، أو مجلس بلدية، أو سلطات أمنية، أو متخصصون في التخطيط العمراني، أو خبراء في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، أو مهتمون بالرعاية الصحية، أو من فئات المجتمع المختلفة (محافظون، وتقدميون، وطبقة ثرية، وطبقة متوسطة، وطبقة فقيرة، والشيوخ، والشباب، ... الخ).

المنظور التنظيمي: النظر إلى العشوائيات من وجهة قانونية بحتة؛ بمعنى البناء دون ترخيص، وإضافة طابق إضافي دون تصريح، والتوغل في ملكية الغير، وعدم اتباع المواصفات العامة للمباني أو لتوصيلات الكهرباء والمياه والصرف الصحي؛ وقد تكون بعض المباني مبنية على ملكية حكومية أو ملكية خاصة بوضع اليد دون التراضي مع صاحب الملكية. والعلاج هنا هو هدم ما لم يرخص له أو دفع غرامة أو كلاهما، وفق طبيعة المخالفة؛ دون الأخذ في الاعتبار حمولة المباني وخطورة الحمل الهائل الناتج عن تكديس المباني بالسكان فوق المواصفات الإنشائية، والذي قد يؤدي إلى انهيار المباني، أما استمرارية العشوائية على ما هي عليه فهو لا يدخل في الاختصاص، ما دامت ملتزمة بلوائح وقوانين المباني واستخراج التصاريح المطلوبة.

المنظور الأمني: النظر إلى العشوائيات من وجهة أمنية، كأوكر للجريمة والتسيب وتجارة المخدرات؛ وإيواء المجرمين والهاربين من العدالة والمهاجرين غير الشرعيين. كما أنها تستعصي على الرقابة الأمنية لصعوبة توفير العدد الكافي من رجال الشرطة وصعوبة مرور الدوريات بسيارات الشرطة في أنحاء العشوائية، مع احتمال اشتباكات يمكن تفاديها بين الشرطة وأهل العشوائيات، إلى جانب استحالة وصول سيارات النجدة إلى بعض أرجاء العشوائية؛ وبعض ذلك واقعي نتيجة الفقر والبطالة في العشوائيات، ولكن غالبيته مجرد هاجس أمني، غير مستند إلى دلائل واقعية ولا إحصائيات دقيقة. والحل هنا قد يكون بهدم أوكر الجريمة في العشوائيات للقضاء عليها بأكملها لتطهيرها من أوكر الجريمة بصرف النظر عن مصير المقيمين فيها.

المنظور العمراني: العشوائية هي كل ما لا يتسق مع المخطط العمراني للمدينة، وبهذا يجب إحلال الشاذ منها بما يتناسق مع الناحية الجمالية للمدينة. ونشاز العشوائية قد يكون بسبب ضيق الشوارع وعدم تواصلها كشبكة مرور، وصعوبة حركة السيارات والحافلات والمشاة، أو الكثافة

السكانية المتزايدة، أو عدم تناسق المباني مع بعضها البعض. وقد يقتضي الحال إزالة العشوائية وإعادة بنائها بصورة توائم سائر التخطيط العمراني للمدينة.

منظور الخدمات البلدية: العشوائية تشكل تحديات لوجيستية هائلة قد تستعصي على الحل في توفير الخدمات البلدية العامة، مثل توصيل المياه، والكهرباء، والغاز، والصرف الصحي، وجمع القمامة، وصيانة تلك المرافق؛ سواء كانت هناك بعض الخدمات غير الكافية أو المتدنية في المنطقة، أو أن الخدمات غير متوفرة على الإطلاق. وفي كل الأحوال، فإن تكلفة الإنشاء والصيانة ستكون باهظة للغاية، وتتضمن الصعوبات تقدير احتياجات المنطقة العشوائية، ووضع حد أدنى وحد أقصى للطلب على الخدمات، وذلك لعدم توافر بيانات عن تعداد السكان والوحدات السكنية، وطبيعة المباني والمنشآت وعددها، إلى جانب ضيق الطرقات وصعوبة الوصول إلى بعض الوحدات السكنية، وصعوبة حماية المحولات الكهربائية من العبث والتخريب؛ ذلك بالإضافة إلى صعوبة جباية رسوم خدمات البلدية. والحل الأسهل والناجع للعشوائيات هو إزاحتها وإعادة تعميرها بصورة يمكن بها توفير كل خدمات البلدية دون عناء، وبتكلفة أقل بمراحل كثيرة. أما الحل المؤقت، فهو بإخلاء مساحة من العشوائية تستغل كمقلب للقمامة والنفايات، وأخرى لتوفير الصنابير العامة لمياه الشرب، وتوصيل الكهرباء إلى أطراف العشوائيات.

منظور الرعاية الصحية: العشوائية بؤرة للأوبئة والأمراض المعدية، وتحتاج إلى رعاية صحية مكثفة وحملات توعية صحية واسعة. ولما كانت العشوائية مكتظة بالقمامة والنفايات البشرية، والمساكن تفتقر إلى أدنى مستوى من النظافة، وقد أُلّف الناس ما يحيطهم من مفارخ الجراثيم والملوثات والفيروسات والبكتيريا، لهذا فإن كل الجهود للخروج من تلك الأزمة الصحية مآلها الفشل على أحسن تقدير. كما أن أهل العشوائيات يلجؤون، سواء لقلّة الحيلة وضيق ذات اليد، إلى وسائل العلاج الشعبية المتوارثة، وقد يقعون في حبال المشعوذين والأدعياء، واللجوء إلى المخدرات وعقارات الهلوسة، ومن الصعب على سيارات الشرطة والإسعاف الوصول إلى من يحتاجها وسط الأدغال البنائية والتكدسات البشرية. كما أنه من الصعب في العشوائيات تشخيص أو علاج المرضى بأمراض عقلية، والذين قد يشكلون خطراً على عائلاتهم، كما أنه من المستحيل مساعدة أصحاب العاهات والمسنين والمعاقين، كذلك فإن عمليات القضاء على البهائم والحشرات التي تنقل العدوى تعتبر من الأمور العسيرة التي يصعب التغلب عليها دون مشاركة أهل العشوائيات. والحل المؤقت لما سبق هو قيام الجمعيات الخيرية بافتتاح مستوصف خيري صغير في وسط العشوائيات للعلاج السريع والإسعافات الأولية والاستشارات الطبية بالمجان، بحيث يتناوب عليه أطباء وطبيبات وممرضون

وممرضات متطوعون؛ وعمل الترتيبات لنقل الحالات الخطيرة والحرجة إلى مستشفيات قريبة، والحل الدائم هو قيام الحكومة المحلية بتوفير مكان فسيح لمستشفى للعلاج بالمجان؛ وذلك الأمر قد يقتضي هدم بعض أوكار الهوام والقضاء على الأنشطة والأماكن التي تساعد على تكاثر الحشرات، مثل المياه الراكدة على الأسطح والطرق.

المنظور الإداري: العشوائيات من نواحي المدينة التي يصعب على الحكومة المحلية إدارتها أو الحصول على بيانات دقيقة عن أحوالها وما يجري فيها، إذ إن من سماتها الانغلاق على من داخل أسوارها الافتراضية، وأهلها في شك وريبة من أي تعامل إداري ورسمي معهم أو محاولة لتفقد أحوالهم، ولذلك يصعب التواصل معهم. وغالبيتهم يعزفون عن استخراج بطاقة هوية لهم، هذا باستثناء ما تقتضيه المصالح الحتمية التي تتمثل في التواصل مع مرافق الدولة أو البلدية، عندئذ يتكبدون عناء الوصول إلى المصالح الحكومية بأنفسهم؛ والحل لهذه المعضلة هو إعادة استيطان العشوائية بنقل أهلها إلى مساكن عامة تكون تحت إشراف الحكومة المحلية.

منظور تجار الأراضي والعقارات: العشوائية تعتبر بمثابة كنز ثمين مدفون، خاصة لو كانت في قلب المدينة. وكثير منهم يطمع في صدور قرار بأن المساكن فيها غير آمنة للسكنى أو مهددة بالانهيار، فيقومون بشرائهم بأبخس الأثمان، وهدم كل ما فيها وتسويتها بالتراب وإزالة ركامها. ثم اللجوء إلى البلدية لتعبيد الطرق وتزويد المنطقة بالخدمات، ثم يقومون بإعادة بنائها كم منطقة سكنية حديثة لمجتمع مسور (محاط بسيج و عليه بوابات)؛ والحل الأمثل هو تقويض مباني العشوائية وإزالة كل آثارها مع الاستعاضة عنها بمنطقة تتميز بانخفاض ثمن الأراضي، وبناء مساكن عامة تقوم شركات العقارات بتوفيرها بإيجارات مخفضة للمؤهلين من سكان العشوائية، لقاء دعم حكومي، أو بيع وحدات منها لقاء قروض مضمونة من قبل الحكومة المركزية، كما يمكن بناء المنطقة البديلة خلال إخلاء سكان العشوائية لكي يعاد استيطانهم فوراً.

منظور أصحاب العقارات في العشوائيات: العشوائيات مصدر ثراء مستدام لملاك الأراضي والعقارات في المناطق العشوائية، خاصة أولئك المقيمين في ملكياتهم بالعشوائية، وولدوا وعاشروا أهلها وألفوا حياة العشوائية. فرغم أن الإيجارات التي يتحصل عليها صاحب العقار قليلة، فإن الكثافة السكانية تضمن له دخلاً معقولاً، قد يزيد على دخل تأجير المبني لعدد صغير من العائلات، فمبذوره تأجير الوحدة السكنية بالغرفة أو التقاضي بعدد السكان في الوحدة الواحدة. ثم إن التزاماته نحو المستأجر تكاد تكون منعدمة، والزاماته نحو العقارات التي يملكها هو أن يبذل من دخله ما يكفي لأن تكون قائمة دون أن تنهار أو ينهار جزء منها، فيفقد جزءاً من دخله؛ كما أن تحصيل الإيجار بالنسبة له

أمر ميسور نتيجة قدرته على التعامل مع المقيمين في العشوائية. أما ملاك العقارات خارج العشوائية، فربما عانوا بعض المعاناة في جمع الإيجارات دون الاستعانة بأحد سكان العشوائية؛ إلا أن غالبية أولئك الملاك لديهم أكثر من عقار، فيمكنه تعويض ما يفقد من ريع في بعض الحالات. ونفس الوضع يسري على ملاك الأراضي الذين يؤجرون الأرض لمن يريد البناء عليها، سواء كان ذلك العشش من الصفيح أو الجريد أو الطوب النئ والطين. والحل الأمثل في عين أولئك هو الحفاظ على العشوائية بحالها القائم، ولكنهم لن يقفوا عقبة أمام أي جهة تريد إدخال تحسينات على العشوائية، بما في ذلك تقديم الخدمات البلدية الضرورية، بل سرحبون بأي إصلاح لمبانهم، ففي ذلك منفعة لهم. كما أن العديد من ملاك أراضي ومباني العشوائيات على استعداد للمشاركة بجهودهم لإدخال التحسينات التي قد تتطلبها السلطات.

المنظور الاستعلائي: الذين عاشوا في أحياء حديثة وسافروا في رحلات خارجية إلى دول غنية ولم تتح الفرصة لهم أن يسبحوا في الأرض ويطلعوا على أحوال العشوائيات في تلك الدول أو غيرها من الدول الفقيرة، يرون في العشوائيات قذية في مدينة حديثة، سيء بسمعتها ويخلج منها أهلها، ويرون سكان العشوائيات على أنهم عالة على المجتمع وعلى الحكومة والسلطات، ووباء يجب التخلص منه أو الإدارة عليه، لكي لا يتأذي من وجوده زوار المدينة؛ وقد يصل الأمر لبعض الحداثيين باحتقار وازدراء أهل العشوائيات والدعوة لعزلهم تمامًا عن المجتمع. والحل بالطبع هو إزالة العشوائيات وإبعاد سكانها عن الأنظار في أماكن بعيدة عن الرؤية، وطمس معالم العشوائيات ببنيات حديثة حضارية؛ بل منهم من يدعو إلى هدم كل ما هو قديم أو أثري، فنفسه تمج كل ما هو قديم يذكره بالماضي، ويعشق كل ما هو حديث يتلمس فيه مستقبلًا مشرقًا.

منظور أهل العشوائيات: الشيوخ الذين يعيشون في العشوائيات لا يريدون عنها تحولاً، وإن تمنوا لأولادهم وأحفادهم معيشة أفضل؛ وبعضهم قد لا يقبل أي بديل لحياة ألفها وأصبح له فيها عزوة من معارف وأصدقاء وأهل؛ والبعض في حلقه غصة من مصاعب وجدها، خاصة نظرات الازدراء والاشمئزاز التي يواجه بها إذا قادته قدماءه خارج العشوائية، وانسداد أبواب الرزق أمامه. أما الشباب، فمنهم من يتطلع لليوم الذي يتحرر فيه من ضيق العشوائية ويسعى دائباً نحو ذلك، ومنهم من يصيبه الإحباط ويمتلئ قلبه بالحقد والغل واليأس من المجتمع خارج أسوار العشوائية، ومنهم من يحاول التأقلم في المجتمع الذي يعيش فيه، ومن بين هؤلاء من قد يصبح فريسة لحياة منحرفة أو يكون عرضة لمن يدفعه إلى الجريمة أو البلطجة.

المنظور الإصلاحى: العشوائيات من المنظور الإصلاحى، تشكل تحديات للمثقفين وخبراء الاجتماع والنفوس والأكاديميين. وحل مشكلة العشوائيات يجب أن ينبع من داخلها، ودور المجتمع هو تمكين أهلها إما بالفكاك من مخالها أو السعى لإصلاحها وتجميلها وجعلها لائقة بعيش كريم طيب. ويبدأ المشروع الإصلاحى بتعليم الأطفال من الصغر كيف يتحدون الصعاب، والسعى إلى فتح فرص العمل للشباب مع رفع معنوياتهم، ودعوة الجمعيات الخيرية لبناء متنزه لأهالى العشوائية ومراكز رعاية صحية وتقديم خدمات اجتماعية، ودعوة المعماريين ومخططي العمران والمهندسين إلى إرشاد أهل العشوائيات لإعادة بناء وترميم مساكنهم، واستبدال العشش والأكشاك بمساكن تفي بحاجاتهم.

المنظور الحضارى: العشوائيات مشكلة حضارية طبيعية فهي نتيجة الديناميكية الاقتصادية والحراك الاجتماعى، ومن الممكن علاجها بوسائل ناجعة قبل أن تتفاقم والحرص على ألا تتوسع أو تتكرر.

وعموماً، فإن هناك خلطاً ما بين العشوائيات المخالفة للقانون التي تشكل مرتعاً للأوبئة وبؤرة للفقر وقد تنتشر فيها الجرائم وتجارة المخدرات، وبين مناطق يختلف فيها أسلوب المعيشة عن معيشة الحضر. فهناك من يعشق المباني القديمة ويدخل عليها من التحسينات ما يتيح له حياة حديثة في إطار عتيق. كما أن مخيمات البدو في الصحراء أو مساكن السكان الأصليين في الأمريكتين وأستراليا ونيوزيلاندا ليست عشوائيات، بل هي أسلوب حياة مختلف عن الحياة في المدن الحديثة. وهناك من الأحياء القديمة ما يستهوي ذوق الناس، بما فيها من مبان صدئة، ومنها ما يجذب الفنانين والbohémien. ومن الناس من يسعى للتحرر من قيود المدن فيؤثر الحياة في كهوف الجبال أو الأدغال أو يسبح في الأرض مثل الهوبو (Hobo)؛ كل تلك المظاهر التي تخالف الحياة في المدينة الحديثة ليست بأية حال عشوائية.

الباب الأول: ملامح العشوائيات وأهم خصائصها

- ◆ تعريف العشوائيات: أنماطها - أشكالها - تقسيماتها.
- ◆ مناطق وجود العشوائيات: وسط المدينة - أطراف المدينة - بعيدة عن المدن.
- ◆ ساكنو العشوائيات: المستوى المعيشي - الاقتصادي - الاجتماعي - أنماط معيشتهم.
- ◆ مشاكل العشوائيات: انتشار الجريمة - التعليم - الصحة - المرافق - الأوضاع الاقتصادية - المشاكل الأسرية.

تعريف العشوائيات

النظرة العالمية للعشوائيات

العشوائية عموماً هي مستوطنة حضرية غير رسمية (ليست على نسق سائر مباني المدينة، أو غير مرخصة)، وهي منطقة مكتظة بالسكان، الذين هم في العادة من الفقراء والمعدمين والمهمشين، ومستوى الإسكان فيها دون الحد المتعارف عليه في سائر المدينة، إذ يمكن وصفها بالقذارة والبؤس^(١). وبينما تختلف العشوائيات في الحجم والخصائص الأخرى، فإن الخاصية التي تجمعها كلها هو نقص خدمات الصرف الصحي والنظافة التي يمكن أن يعتمد عليها السكان، وعدم انتظام الإمداد بالمياه النظيفة وبالكهرباء، وعدم فرض القانون، ونقص خدمات أخرى أساسية.

كما أن بنیان المساكن العشوائية يختلف ما بين أكواخ وعشش من الصفيح والقصدير، أو القش، أو الخرق البالية، أو حتى ورق الكرتون، إلى مباني سكنية متداعية وآيلة للسقوط نتيجة الإنشاء الرديء الجودة، أو عدم توفير أية خدمات للصيانة، وبهذا تتحول المباني القديمة المتهاكة أيضاً إلى عشوائيات^(٢).

وكلمة صلام (slum) باللغة الإنجليزية التي تعني عشوائية كانت تستخدم في اللغة العامية البريطانية لتشير إلى الغرفة في الطرف الشرقي (East End) لمدينة لندن، خاصة في طريق مايل إند (Mile End Road)؛ حيث كانت المساكن في هذه المنطقة عبارة عن غرف بلا مرافق من أي نوع. وأطلقت كلمة صلام حوالي سنة (١٨٤٥) على الأزقة الخلفية وشارع فقراء الناس. وكلمة عشوائية لها مرادفات عديدة في اللغات الدارجة حول العالم؛ بعضها عام والبعض الآخر يتصل بموقع العشوائية؛ مثل الجيتو (ghetto)، ووصف الانزلاق (skid row)، ومدينة الأكواخ (shanty town)، ومدن الصفيح، وعشش (مثل عشش الترجمان الشهيرة في مصر)، والحي الواطيء (الدنيء)، والحي البلدي (كنقيض

(1) What are slums and why do they exist? UN-Habitat, Kenya (April 2007).

(2) UN-HABITAT 2007 Press Release on its report, "The Challenge of Slums: Global Report on Human Settlements 2003".

الحديث والمتمدن^(١)، وفي المغرب تُسمّى "السكن غير اللائق"، وفي الجزائر "البناء القصديري"، وفي العراق تدعى "حواسم"، وفي اليمن "بيوت عشوائية".

تعريف المناطق/المباني العشوائية

يوجد تباين كبير بين تعريفات المناطق أو المساكن والمباني العشوائية؛ والتباين في التعريفات، ناجم عن اختلاف بين معايير ونظرات أو اهتمامات الجهات أو مجموعات الأشخاص التي تطلق تلك التعريفات؛ فعلى سبيل المثال:

◆ منظور المخطط العمراني: المنطقة العشوائية هي كل منطقة شذت عن الخطة العمرانية للمدينة والتي تشكل تحديات عند تجديد العمران.

◆ منظور مجالس البلدية: المباني العشوائية هي المباني المخالفة للقانون؛ والتي يتعسر تقديم الخدمات البلدية إليها على الوجه الأمثل؛ كما يتعذر إصلاح أو تعديل البنية التحتية لها دون تكاليف باهظة.

◆ منظور الأمن: مناطق مزدحمة ومجتمع مغلق وطرق ضيقة ومداخل ومخارج متشعبة بما يضيف عليها صعوبة المراقبة وتعثر الضبط والربط فيها، والتي يجب عزلها عن باقي المدينة.

◆ منظور إدارة الرعاية الصحية: الازدحام والفقر يعرقل أي مجهود للرعاية الصحية العامة ويساعد على نشر الأوبئة والعدوى.

◆ منظور أهل الحداثة: المناطق العشوائية هي البلدة القديمة أو الحي القديم والمباني المصممة على الطراز القديم.

◆ منظور خبراء الاقتصاد: مناطق غير منتجة.

◆ منظور خبراء الاجتماع: مناطق فقيرة يرتفع فيها معدل البطالة.

◆ منظور نخب المجتمع: المنطقة العشوائية هي المنطقة ذات الحارات الضيقة التي لا تستطيع السيارات المرور فيها بسهولة، والتي تتأذى منها العيون وتتقرز منها النفوس، وتتراكم فيها القمامة.

(1) UN-Habitat (2003). Slums of the World: The Face of Urban Poverty in the New Millennium? Page 30.

ومن التعريفات الشائعة:

- المنطقة العشوائية هي منطقة سكنية غير منظمة بنيت في الغالب بدون ترخيص وقد تفتقر لأبسط مقومات الحياة الكريمة.
 - السكن العشوائي ظاهرة من مظاهر نمو الإسكان الشعبي غير الرسمي، والذي لا يتقيد بلوائح عامة، وذلك من منطلق محايد، حيث إنه نشأ بإرادة كاملة من سكان العشوائيات وينمو بدون الحاجة إلى ترخيص، وينشأ وفقاً للحاجة وطبقاً لأنماط محددة ومتكررة لا تتغير تقريباً؛ سواء بالنسبة لتخطيطها الخطي أو عرض شوارعها أو أبعاد قطع الأرضي بها.
 - العشوائيات تشكل نمو مجتمعات وإنشاء مباني ومناطق لا تتماشى مع النسيج العمراني للمجتمعات التي تنمو بداخلها أو حولها ومتعارضة مع الاتجاهات الطبيعية للنمو والامتداد، وهي مخالفة للقوانين المنظمة للعمران.
 - الإسكان العشوائي يقوم بتخطيطه وتشيدته الأهالي بأنفسهم على الأراضي الزراعية والصحراوية أو أراضي الدولة، وغالباً ما تكون هذه الأراضي على أطراف المدينة، وهي غير مخططة، وبالتالي غير خاضعة للتنظيم وغير مسموح بالبناء عليها.
 - الإسكان العشوائي هو إسكان غير مخطط له، وهو أدنى مراتب الإسكان، ويقوم على أساس اجتهادات شخصية في التخطيط والتصميم والبناء، مستخدمين الموارد المتوفرة لهم والمواد التي يمكن الحصول عليها بالمجان من فضلات المصانع أو القمامة. حيث تأخذ شكل المباني تجمعات متلاصقة من العيش المتراسة بجانب بعضها البعض في اتجاه طولي، ويلجأ الأفراد لهذا النوع من الإسكان بصفة مؤقتة أو دائمة نتيجة لظروف طارئة أو قائمة ومستدامة في المجتمع.
- وعموماً فتعاريف العشوائيات تدور حول خصائص الأحياء التي تنشأ في المدن بشكل عفوي (عشوائي) كما يلي:

- لا تخضع للمعايير العمرانية الحديثة.
- لا تستطيع التفاعل مع متطلبات الحياة العصرية.
- تعجز عن تقديم الخدمات الأساسية.

- لا تواكب الازدياد في الطلب (كمًا ونوعًا).
- تولد مشاكل مزمنة: المواصلات، والصحة العامة، والبيئة، والأمن.

في البلدان التي طبقت فيها الدولة القوانين والتخطيط المنظم لعمليات البناء للمدن بالمناطق الرسمية المنظمة، وكل ما كان خلاف ذلك التخطيط، كأن يقام أي بناء على أرض خارج هذا التنظيم، فهو يعتبر عشوائيًا^(١). ومن اللافت للنظر في هذه النظرية عند تطبيقها على البلدان العربية، نلاحظ أن أغلب البلدان العربية اتصفت بنموها الطبيعي المتناغم مع الاحتياجات والعادات والتقاليد والمبادئ الدينية والاجتماعية المتعارف عليها في كل بيئة، حسب وضعها الخاص، فلم تخضع لمخططات تنظيمية. فقد أدى النمو الحضري المتسارع خلال النصف الثاني من القرن العشرين إلى ظهور العشوائيات حول المدن وفي أطرافها، سواء كانت دولًا نامية أو ذات دخل مرتفع؛ فالنمو الذي يكون بالسرعة التي لا تستطيع الدولة من خلال اقتصادها وأجهزتها ملاحقته يؤدي إلى استفحال مشكلة العشوائيات وامتدادها ونموها.

نتيجة النمو الحضري المتسارع هذا، زاد النزوح نحو المدن والعواصم للإقامة على أطرافها دون التقيد بقوانين ملكية الأراضي، أو نظم ولوائح التخطيط العمراني، وشيدت المباني للمأوى بالجهود الفردية في مناطق تفتقد للخدمات الضرورية والأساسية، بخامات بسيطة قد تكون من الأحجار أو الأخشاب أو الخامات المتوافرة والرخيصة، بأزقة ضيقة متربة تفتقر لأبسط أساليب التنظيم.

أنواع العشوائيات

• المباني المخالفة للقانون

مفهوم المباني العشوائية، هو بالأساس المباني المخالفة للوائح المعمول بها في الدولة أو المنطقة الإدارية، والتي تشرف على تنفيذها بلدية تلك المدينة؛ أو ما قد يُسمَّى بالمباني المخالفة للقانون. تلك المباني عادة ما يجري إنشاؤها بطريقة ارتجالية دون تصميم أو مراعاة للأحمال التي على المبنى أن يتحملها، وبصورة لا تتناسب مع المباني المجاورة أو المحيطة بها. فمالك الأرض يريد أن يقيم مبنى على ملكيته كلها دون أن يترك شبرًا غير مستغل من الأرض، ودون تنسيق مع الآخرين، ودون مراعاة لكيفية دخول المبنى والخروج منه أو كيف سيتم نقل الأثاث وحركة الناس الذين سيعيشون فيه. ففي بعض المباني في العجبي بالإسكندرية، على سبيل المثال، يصعب على الأفراد الوصول إلى باب المبنى دون

(١) قانون التخطيط العمراني - مصر ١٩٨٢.

عناء، ناهيك عن مرور سيارة أمام العمارة السكنية أو بالقرب منها. ورغم أن المباني في تلك المنطقة جديدة، إلا أنها تحولت إلى منطقة عشوائية لأنها خارجة عن سبل الاستخدام البشري؛ ورغم أنها على ساحل البحر فليس من السهل التنفس داخلها. فكل المباني ملتصقة ببعضها تمامًا كالعشش والأكشاك، رغم أن كل مبنى يرتفع إلى عدة طوابق. مثال آخر، هو بناء الأبراج الضخمة حول مباني مكونة من طابق واحد أو طابقين، في شارع ضيق فتحجز ضوء الشمس عنه، وكذلك الهواء، فكل صاحب عقار يريد أن يزيد من دخله ببناء أكبر عدد من الوحدات السكنية بأقل تكلفة ممكنة، ودون استخدام مهندس إنشاء أو معماري، ودون تصريح من البلدية.

رغم أن تلك المباني غير القانونية منشأة بالطوب والأسمنت المسلح، إلا أنها تعتمد على المواد الرديئة المستخدمة في البناء، بسبب عدم وجود إمكانيات مادية تساعد على إكمال البناء بشكل مناسب، وغالبًا ما تكون هذه الأبنية بلا سقف. ونوعية المباني المستخدمة للسكن لا تختلف كثيرًا في طبيعتها وشكلها عن أكشاك الصفيح والأكوخ، التي يتم بناؤها من الخشب أو الصفيح أو الطين، وأحيانًا باستخدام الأقمشة البالية والكرتون، وليس بها خدمات عامة كالمياه والكهرباء والمجاري ... الخ.

وتتسم عمليات تصميم المباني العشوائية في أغلب الأحيان بطريقة اجتهدانية عن طريق مالك قطعة الأرض أو عن طريق صغار المقاولين الذين يسيطرون على أعمال البناء في تلك المناطق، فيقوم المقاول بأعمال التصميم والتنفيذ، وتعتبر الوحدة السكنية المكونة من ثلاث غرف هي المفضلة، وهي التي تمثل أيضًا غالبية تلك الوحدات. إذ إن هذا التصميم يتلاءم مع طبيعة الأسرة. ويقتصر دور المالك فقط على أعمال الإشراف والتوجيه، أو شراء المواد الخام وتأجير العمالة اليدوية (دون عمالة فنية ماهرة) اللازمة للبناء. وفي أغلب الأحيان يعتمد السكان في تمويل عمليات البناء على مواردهم الخاصة، فيتم في المرحلة الأولى بناء دور يصلح للسكن، وينتقل إليه هو والأسرة للمعيشة، وعند توافر الإمكانيات يتم الامتداد الرأسي، رويدًا رويدًا.

والمساكن العشوائية يقيمها الأهالي بدون تخطيط، فالشوارع ضيقة، وأغلب المباني في تلك المناطق العشوائية تكون بارتفاع دور أو اثنين فقط، وبعضها قد يصل إلى ثلاثة وأربعة أدوار، ولكن يندر أن نجد مبنى يتجاوز هذا الارتفاع، وهذا نتيجة قصور ذات اليد، وإلا انتهى الطابق الواحد إلى برج لا يقوى على التعمير طويلاً. ولا تختلف طريقة البناء في هذه المناطق عن مثيلاتها في الكتلة السكنية الرسمية، حيث تستخدم طريقة البناء بالهياكل الخرسانية أو الحوائط الحاملة، ولكن يترك أغلبها بدون طلاء خارجي، والبعض منها يستخدم مواد رخيصة في التشطيبات، ويغلب على هذه المناطق الذوق الريفي المتأثر بالعيش في مباني من الطمي أو الأجر غير المصقول بالنار. أما بالنسبة

للمرافق العامة، فإن هذه المناطق تعاني من نقص شديد في المرافق العامة التي تعتبر لدى أصحاب العقارات من الكماليات، وقد يعتمد السكان على دق ظلمبات لسحب المياه الجوفية واستعمالها في حياتهم اليومية. أما الصرف الصحي فهو يتم عن طريق عمل "الترنشات أو البيارات" للصرف الجوفي في باطن الأرض، وعند الامتلاء يتم النزح بالطريقة اليدوية أو الآلية. أما الكهرباء فيستعاض عنها باللمبات التي تضاء بالكبروسين. وكذلك يوجد ارتفاع في عدد الأفراد الموجودين بالأسرة الواحدة، وارتفاع نسبة الإعاقة، ويصل متوسط عدد أفراد الأسرة الواحدة إلى حوالي (٦) أفراد، وهو ما يسمى بالمتوسط العام، إذ قد يصل العدد في هذه الحالة إلى حوالي (١٥-١٨) فردًا للأسرة الواحدة لعدة أسباب، منها ارتفاع عدد المواليد، وزيادة عدد الأفراد القادمين للعمل في المدن من هجرة داخلية أو خارجية. وأيضًا يكون الوضع المالي للأفراد بالعشوائيات مترديًا، وغياب الخدمات الصحية والتعليمية والنظافة العامة.



شكل (١) عمارات عشوائية "المغرب".

ويبدو أن مشكلة القمامة لم تجد لها حلا بهذه المناطق العشوائية، حيث يتم إلقاؤها في الشوارع أو في الأراضي التي لم يتم البناء عليها بعد، ويساعد هذا الوضع على جعل هذه البيئة غير صحية، ومصدرًا دائمًا للناموس والحشرات الضارة والقوارض والحيوانات الضالة. وتخطيط هذه المناطق تغلب عليه سمات تكاد تكون موحدة، من حيث عرض الشوارع الذي يتراوح ما بين (٤) م للشوارع الجانبية و(٦) م للشوارع الرئيسية، وأطوالها من (٣٠٠ - ٤٠٠ م)، وقطع الأراضي تتراوح مساحتها ما بين (٤٠ - ٦٠ م)، وبالنسبة للفراغات والمساحات الخضراء فلا وجود لها، وذلك بخلاف التتابع البصري والفراغي، فهذه تعتبر رفاهية لا مكان لها في هذه المناطق، والاستخدام الأكثر شيوعًا هو الاستخدام السكني.

بينما قد تُعد المباني الرديئة الإنشاء والتصميم والتنفيذ صالحة في الأرياف، إلا أنها تدخل في عداد العشوائيات إذا ما أنشئت في المدينة، حيث إنها تشذ عن المألوف في المدن، ولا تفسح المجال لبناء المرافق الضرورية التي هي فوق قدرة السكان المالية، وبعضهم لا يرغب أساسًا في توصيل الصرف الصحي والمياه والكهرباء وجمع القمامة، نظرًا للتكاليف.

• مدن الصفيح

مدينة الصفيح أو منطقة وضع اليد، هي أماكن استيطان المساكن المرتجلة، التي تُسمى الأكواخ أو العيش المصنعة من الرقائق الخشبية، والمعادن المموجة، وألواح من البلاستيك وصناديق من الورق المقوّى. تلك المستوطنات عادة ما توجد عند أطراف المدن أو في الحدائق العامة، أو بالقرب من خطوط السكة الحديدية، أو الأنهار، أو البحيرات، أو البرك، أو مواقع مقلب قمامة المدينة. وأحيانًا ما تسمى تلك المستوطنات بمستوطنات وضع اليد، أو المستوطنات غير الرسمية، أو المستوطنات العفوية. ومدينة الصفيح التقليدية عادة ما ينقصها النظافة اللائقة، والمرافق الصحية السليمة، وإمدادات المياه المأمونة، والكهرباء، والشوارع الصحية، أو أية ضروريات بشرية أساسية. وتوجد غالبية مدن الصفيح في الدول النامية، ولكنها توجد أيضًا في بعض أجزاء من الدول المتقدمة^{(١)،(٢)،(٣)}.



شكل (٢) سكان العيش – أكواخ من الخشب أو الصاج أو الكرتون مقامة في الشوارع.

- (1) Greek immigration crisis spawns shanty towns and squats Nick Squires and Paul Anast, The Telegraph, (September 7, 2009).
- (2) What America Looked Like: Puerto Rican Slums in the Early 1970s The Atlantic (July 17, 2012).
- (3) Showdown Looms Over Europe's Largest Shantytown LAUREN FRAYER, National Public Radio (Washington DC), April 27, 2012.

لما كانت الإنشاءات غير رسمية وغير موجهة من قبل التخطيط العمراني، فليس هناك شبكة شوارع رسمية، ولا أرقام منازل ولا أسماء شوارع، كما لا يوجد تقسيم للأرض لتحديد مواقع المباني السكنية. كذلك فإن تلك المستوطنات يعوزها كل الخدمات العامة، مثل شبكات المجاري والصرف الصحي، أو الكهرباء، أو المياه الآمنة الجارية، أو تصريف مياه الأمطار، أو إزالة القمامة، أو سبل الوصول إلى وسائل النقل العام، أو خدمات التحكم في الحشرات والأوبئة. وحتى لو وجدت تلك الموارد، فإنه من المرجح أنها غير منظمة، ولا يعتمد عليها، وأنها لا تتلقى أي نوع من الصيانة. كما أن مدن الصفيح تفتقد كل الخدمات الأساسية الموجودة في المستوطنات الرسمية المنظمة، بما في ذلك الإشراف الأمني، وتوصيل البريد، والخدمات الصحية، ومكافحة الحرائق. والحرائق بالأخص تشكل خطراً على المدن الصفيحية ليس لغياب محطات إطفاء الحريق، ولا لصعوبة مرور عربات الإطفاء لغياب شبكة الشوارع التي تسهل مرورها خلال المدينة^(١)، ولكن الخطورة تكمن كذلك في كثافة المباني وحقيقة أن مواد البناء قابلة للاحتراق^(٢). على سبيل المثال النيران التي اجتاحت "تشك كيب ماي"، بهونج كونج في أواخر (١٩٥٣م) فخلفت (٥٣,٠٠٠) مشرداً من سكان المستوطنة، مما دفع حكومة الاستعمار أن تنشئ منطقة لإعادة استيطانهم.



شكل (٣) حرائق "تشك كيب ماي"، بهونج كونج في أواخر ١٩٥٣.

عقب تلك الحرائق، أعلن حاكم هونج كونج ألكسندر جرانتهام (Alexander Grantham) عن برنامج إسكان عام، بناءً على فكرة إنشاء مبان متعددة الطبقات للمهاجرين من سكان مدينة الصفيح،

- (1) Jorge Hernández. "Sólo tres unidades de bomberos atienden 2 mil barrios de Petare" (in Spanish).
- (2) See the report on shack fires in South Africa by Matt Birkinshaw as well as the wider collection of articles in fires in shanty towns at A Big Devil in the Jondolos: The Politics of Shack Fires Prepared by Matt Birkinshaw, August 2008 Abahlali baseMjondolo Movement SA.

بحيث توفر البنايات الجديدة والمنشآت المقاومة للحريق والفيضانات لسكان الأكواخ المعرضة لمخاطر الحريق والفيضانات، وتمت إزالة ما بقي من مدينة الصفيح، وأنشئت وحدات سكنية صغيرة مساحة كل منها حوالي (٢٨) م^٢، وكل وحدة تأوي خمسة أشخاص، وسعة كل مبنى (٢,٥٠٠) ساكن^(١). أما الإيجار للمتر المربع من المسكن فكان يؤجر بحوالي خمس الإيجار لمكاتب رجال الأعمال. ولقد وصف السياح الأجانب تلك المساكن بأنها أشبه بالسجون، واتهم البعض الحكومة بالمبالغة في دور الحرائق على مر تاريخ المساكن الشعبية في هونغ كونغ^(٢).

وقد تراجعت الحكومة عن مخطتها لإعادة إعمار المنطقة نتيجة معارضة كبيرة من العديد ممن رأوا أن المنطقة من رموز تاريخ هونغ كونغ. والخطة البديلة لإحيائها تضمنت بيت شباب ومتحفاً؛ يحتوي على حجر تم ترميمه، وقصصاً وصوراً لمقيمين فيها، وتاريخ الإسكان الشعبي.

تعاني مدن الصفيح من معدلات عالية من الجريمة، وتعاطي المخدرات والانتحار وتفشي الأمراض؛ غير أن جورج جرستر (Georg Gerster) الصحفي السويسري أشار إلى أن مناطق وضع اليد على النقيض من العشوائيات، رغم قبح مواد البناء قد تكون محل أمل، ومشاهد من ثقافة مضادة تشجع على إمكانية التغيير وزخماً صعودياً قوياً؛ وقد خص بالإشارة غزوات برازيليا عاصمة البرازيل^(٣).

وقد كتب ستيوارت براند (Stewart Brand) الكاتب الأمريكي المهتم بشؤون البيئة والأرض أن مدن الصفيح هي مدن خضراء (صديقة للبيئة)؛ فرغم أن كثافة السكان أعلى نسبة في مدن أخرى (مليون نسمة للميل المربع في ممباي) فهي الأقل استهلاكاً للطاقة والمواد، والناس يتنقلون سيراً على الأقدام أو الدراجات الهوائية أو الريكشا أو بالمشاركة في سيارة أجرة. ومع ذلك فليس كل شيء فعال في العشوائيات، ففي العشوائيات البرازيلية حيث يسرق السكان الكهرباء فإنهم يتركون الأضواء طول اليوم نظراً لأنها مجانية، غير أن تدوير المواد المستهلكة أسلوب حياة في العشوائيات^(٤).

- (1) Wiltshire, Trea. [First published 1987] (republished & reduced 2003). Old Hong Kong – Volume Three. Central, Hong Kong: Text Form Asia books Ltd. Page 7.
- (2) Smart, Alan. (2006). The Shek Kip Mei Myth: Squatters, Fires And Colonial Rulers in Hong Kong, 1950–1963.
- (3) Georg Gerster, *Flights of Discovery: The Earth from Above*, 1978, London: Paddington, p. 116.
- (4) Stewart Brand, "Stewart Brand on New Urbanism and squatter communities", *The New Urban Network*, reprinted from *Whole Earth Discipline*, Penguin.

أمثلة:

أولاً: الدول النامية

مدن الصفيح توجد في عدد من الدول؛ وأكبر مدينة صفيح في آسيا: أورانجي في كراتشي بباكستان^(١). وفي الدول الفرانكفونية تسمى مدن الصفيح مدن العلب الصفيح (Bidonvilles) وتوجد في دول مثل تونس وهيقي. والدول الأخرى التي فيها مدن صفيح تشمل:

- جنوب أفريقيا حيث تسمى البلاد (Townships) أو إميجوندولو (Imijondolo).
- كينيا تتضمن عشوائيات كبرى (Kibera) ومازير (Mathare).
- الفلبين حيث تسمى مناطق واضي اليد (Squatter Areas).
- فنزويلا حيث تسمى بارريو (Barrios).
- البرازيل حيث تسمى فافيلاس (Favelas).
- الأرجنتين حيث تسمى فيلات البؤس أو فيلا ميزيريا (Villas Miseria).
- جزر الهند الغربية، مثل جمايكا وترنيداد وطوبيجو، حيث تسمى بمدن الصفيح.
- بيرو حيث تسمى بمدن الصغار.
- روسيا حيث تسمى تروشوبا (Trušćóba)، وتوجد في المدن الصغيرة في تشيلوبيتيفو (Chelobityevo) خارج موسكو^(٢)،^(٣).
- كما يوجد عدد كبير من سكان مدن الصفيح في بنجلادش والصين^(٤)،^(٥)،^(٦).

(1) Daniel Tovrov, 5 biggest slums in the world , *IB Times* (December 9, 2011).

(2) For Russia's Migrants, Economic Despair Douses Flickers of Hope MICHAEL SCHWIRTZ, *New York Times* (February 9, 2009).

(3) Moscow's Muslim Slums Now Breeding Grounds for Despair *Moscow Times* (2010).

(4) "ISUH home".

(5) Demolitions limit slum villages to city outskirts.

(6) "People's Daily Online -- "Slums" sting Chinese cities, hamper building of harmonious society". Retrieved 23 July 2015.

ثانياً: الدول المتقدمة

رغم أن مدن الصفيح أقل استفحالا في الدول المتقدمة، فإنها ما زالت موجودة في بعض الدول. ورغم قلة وجود مدن الصفيح في أوروبا، فإن التدفق المتزايد من المهاجرين قد غزا مدن الصفيح في مدن تستخدم كنقاط دخول لأوروبا، بما في ذلك أثينا والباترا باليونان^(١).

وفي مدريد بأسبانيا، توجد أكبر عشوائية في أوروبا، وهي حي من الطبقة الدنيا يسمى كايذا ريال (Cañada Real) ويعتبر مدينة صفيح، ليس فيه نظام تعليم رسمي، أو مدارس أطفال مهنية، أو عيادات صحية حديثة^(٢).

وفي البرتغال، توجد مدن صفيح تعرف ببراكاس (Barracas) أو بيرروس دي لاتا (Bairros de lata) يسكنها مهاجرون من مستعمرات البرتغال السابقة في أفريقيا والعجز من شرق أوروبا، وغالبيتهم يوجدون في منطقة مدينة لشبونة.

وفي الولايات المتحدة شهدت بعض المدن مثل نيويورك وأوكلاهوا إنشاء مدن الخيام.

ومن المستوطنات التي توجد في الدول المتقدمة، والتي تضاهي مدن صفيح، الكولونياس (Colonias) على حدود المكسيك، والبيدونفيل (Bidonville) في فرنسا التي توجد على أطراف المدن.

وفي بعض الحالات، تثار مدن الصفيح على البقاء في أماكن التجديد العمراني التي لم تطورها الحكومات المحلية بعد، أو في مناطق الخلاف السياسي.

التطور

وتبدأ غالبية مدن الصفيح كمؤسسات غير مستقرة أقيمت عشوائيا معاً دون خدمات اجتماعية أو مدنية أساسية. وبمضي الوقت تتلقى المنشآت بعض التطوير، وفي العادة يقوم سكانها بأغلب الإصلاحات. وفي بعض الأحوال تقوم منظمات المجتمع بالعمل مع المنظمات غير الحكومية والشركات الخاصة والحكومة بمد خطوط توصيل مياه البلدية، ورصف الطرق، وبناء مدارس محلية. وبعض تلك الأكواخ تحولت إلى ضواحي للطبقة الوسطى. ومن الأمثلة الفريدة حي لوس أوليفوس (Los Olivos) في ليما ببيرو. ومركز التسوق ميجابلازا (Megaplaza Shopping Mall) الذي يعبر أكبر مولات

(1) Squires, Nick; Anast, Paul (September 7, 2009). "Greek immigration crisis spawns shanty towns and squats". The Daily Telegraph. London.

(2) Fotheringham, Alasdair (November 27, 2011). "In Spain's heart, a slum to shame Europe". The Independent. London.

ليما، إلى جانب المجتمعات التي تسكن في تجمعات لها أسوار وأبواب، وكازينوهات، وحتى عيادات جراحة البلاستيك (التجميل) تعتبر من بعض التحسينات الكثيرة التي تحولت إليها ما كان من أكواخ آيلة للسقوط. وعديد من أحياء الفقراء البرازيلية قد أدخلت عليها إصلاحات في السنوات الأخيرة، حتى إنها تجتذب السياح الذين يتدافعون لإلقاء نظرة على نمط الحياة الوردية على قمة المناطق المرتفعة في ريو دي جينيرو^(١). هذا الإعمار جرى على مدى حقبة طويلة من الزمن، حيث إن بعض المدن الجديدة ما زالت تفتقد إلى الخدمات الأساسية. ومع ذلك فإن هناك توجهاً إلى تحسين الأكواخ تدريجياً بدلاً من إعادة توطينها إلى أجزاء بعيدة عن المدينة الكبرى، على أن يحل محلها مجتمعات مغلقة عليها بوابات فوق حطامها^(٢). والعديد من مدن الصفيح بدأت تستخدم مراحيض التسميد^(٣) (التي تحول النفايات العضوية إلى سماد بعمليات كيميائية)، والألواح الشمسية المولدة للطاقة^(٤). والعديد من الناس الذين يعيشون في العشوائيات يكتفون في متناولهم الهواتف الخلوية وحتى الإنترنت^(٥)، ومع كل ذلك فإن عدم المساواة المقترنة بمدن الصفيح في تصاعد^(٦).

• عشوائيات أزقة وسط المدينة

كثير من المدن حول العالم تكون عامرة بالأزقة الجانبية، خاصة في قلب المدينة. ولما كانت الأزقة عادة ما تربض خلف المباني الفاخرة على مشارف الشوارع والطرق الكبرى في المدينة، فمن السهل أن تتحول رويداً رويداً إلى عشوائيات نتيجة إهمالها. وكثيراً ما تتواصل تلك الأزقة الضيقة، بحيث تتحول إلى خلية نحل تعيش في عزلة عن المجتمع حولها.

ولما كانت واشنطن دي سي مدينة مشاة، احتاج العمال مساكن على مقربة من مركز المدينة، وبهذا شيد ملاك الأراضي من الطبقة المتوسطة مساكن للعمال غير الحرفيين في قطع أرض خلفية شاغرة يمكن الوصول إليها عن طريق أزقة^(٧). وفي تلك النواحي المندمجة كان البيض يسكنون في بيوت

- (1) Clarke, Felicity (May 16, 2011). "Favela Tourism Provides Entrepreneurial Opportunities in Rio". Forbes.
- (2) "Informality: Re-Viewing Latin American Cities". Retrieved 23 July 2015.
- (3) Thomson Reuters Foundation. "Thomson Reuters Foundation". Retrieved 23 July 2015.
- (4) "Youth Bring Low-Cost Solar Panels to Kenyan Slum". Retrieved 23 July 2015.
- (5) "IT for schools, Schools, Education, Technology, UK news, Online learning e-learning (Education)". The Guardian. London. May 8, 2001.
- (6) "UN study says wealth gap in Latin America increases- A study by the United Nations suggests the gap between the rich and the poor in much of Latin America is widening.". BBC News. August 21, 2012.
- (7) James Borchert, *Alley Life in Washington: Family, Community, Religion, and Folklife in the City, 1850-1970* (Chicago: University of Illinois Press, 1980).

مطللة على الشارع، بينما عاش السود في أماكن غالبيتها أزقة جانبية. ومن يتصور أزقة الحضر، تخطر على مخيلته صورة مباشرة لمسالك ضيقة يخترقها المارة لاختصار الطريق بين صناديق القمامة الضخمة ودرجات الهروب من الحرائق خلف المباني السكنية. إلا أن الأزقة في واشنطن دي سي زادت عن الأزقة المعتادة في أنها كانت موطن مجتمعات الطبقة العاملة التي عاشت في منشآت صغيرة، كما أنها موصلة إلى طرق رئيسة في مناطق سكنية. والأزقة في عاصمة الولايات المتحدة على نقيض الجتو التي يتركز فيها الفقراء في الشمال، ومبعثرة في سائر المدينة، ومختلطة مع مساكن الطبقة العليا⁽¹⁾.

وبينما كان غياب وسائل المواصلات هو المساهم الأكبر في أسباب بناء مساكن الأزقة، فإن البحث عن الربح لعب دورًا كبيرًا في التوزيع الجديد للمساكن. وبينما كانت الأزقة بالأساس استجابة لقيود مدينة المشاة، فلقد شيدت بناءً على العديد من القرارات الفردية لملاك الأراضي، والبنائون وغيرهم، استجابة للطلب الذي بدا ملحا لمساكن منخفضة التكاليف.



شكل (٤) زقاق في قلب العاصمة الأمريكية.

الأرباح المرجوة والجهود اللازمة لتحقيقها، أثرت تأثيرًا كبيرًا على طبيعة وخصائص مجتمعات الأزقة، فغالبيتها مساكن الأزقة مزدحمة، وضيقة جدًا، وبنيت باستخدام مواد أرخص من المواد المستخدمة في الأبنية المطللة على الشوارع. ورغم ذلك استطاع الملاك أن يتقاضوا إيجارات نتيجة أزمة المساكن بعد الحرب الأهلية وفرار العبيد الأفارقة إلى العاصمة لائذين بجوار الحكومة الفدرالية؛ حيث إن العاصمة تتبع منطقة كولومبيا (District of Columbia (DC)) وغير خاضعة لسلطة أي من الولايات. وكانت النتيجة أن مجتمعات السود أصبحت مقصورة على مجتمعات الأزقة، حيث كونوا مشاعر

(1) Charles F. Weller (1909). *Neglected Neighbors*. Philadelphia.

خاصة نحو المكان. وربما سكن الناس بمقربة بعضهم من بعض، نتيجة طبيعة المدينة القائمة على السير على الأقدام؛ ولكن عدم المساواة كان ملموسًا في الانشطاريين سكان الأزقة وسكان الشوارع^(١).

• عشوائيات الأسطح

عشوائيات الأسطح، عموماً، هي المساكن غير القانونية على أسطح المباني السكنية. وهي ظاهرة منتشرة في عديد من الدول الآسيوية والأفريقية، إذ إن تصميم سقف المبنى كمساحة مسطحة ومحاطة بسور يتيح استخدامه في أغراض حيوية، خاصة وأن أرضيته من الأسمت المسلح، ويضاف تحت سطح أرضيته طبقة من القطران للحماية من الأمطار وحرارة الشمس. ففي مصر على سبيل المثال، كان أصحاب المباني الذين يعيشون فيها يضيفون غرفة على السطح كمخزن إلى جانب عشش للدواجن، كما يستخدم السطح نظراً لاتساع رقعته لنشر الملابس بعد الغسيل لتجفيفها وتهويتها، وكثيراً ما يلعب أطفال المبنى فوق الأسطح. وقد يتضمن السطح عدة غرف متناثرة كمأوى للخدم أو لسكنى بواب العمارة. وقد تستأجر تلك الغرف في بعض الأحياء الفقيرة كمسكن بصورة فردية ومؤقتة بإيجارات زهيدة. وكانت الإشارة إلى فرد على أنه من سكان السطح أو مجازاً سكان "عشش الفراخ" تشير إلى ضيق حاله وعدم وجود أهل له. وعشوائيات الأسطح منتشرة ومتلازمة مع عشوائيات المباني السكنية حول العالم.

أمثلة:

هونج كونج

هذه الظاهرة (عشوائيات الأسطح) متفشية في بعض الدول، مثل هونج كونج، حيث إن عدداً من الفقراء لا يستطيعون تأجير شقق تقليدية نتيجة ارتفاع إيجارات المساكن، إلى جانب أن الاحتياج إلى مسكن في تجمعات المساكن الشعبية يستلزم الانتظار لعدة سنوات قبل أن يأتي الدور لاستلامه. وبهذا كانوا يضطرون للبحث عن بدائل، مثل المعيشة في "عشش" على أسطح المباني. ووفقاً لإحصائيات سكان هونج كونج (٢٠٠٦)، كان هناك (٣,٩٨٢) يسكنون فوق الأسطح^(٢)، ثم ازداد هذا العدد بعشرات الآلاف بعد مرور سنوات قليلة. وقد بدأت تلك الظاهرة في التصاعد في العقد الخامس

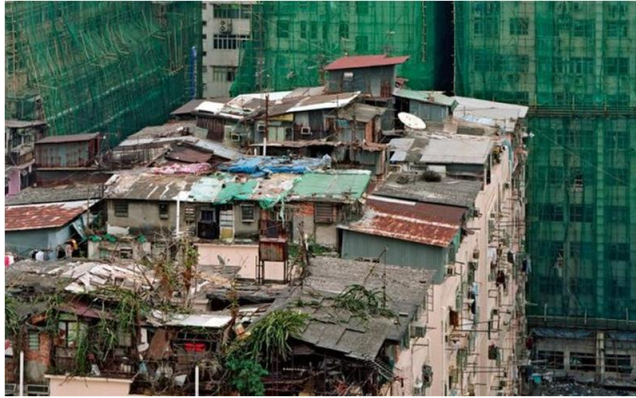
(1) Alley Dwellings in Downtown D.C. Whose Downtown? Displacement, Resistance, and the Future of the Community for Creative Non-Violence (CCNV) Shelter in Washington, DC; 2017.

(2) "2006 Population By-Census Summary results". Population By-Census Office & Census and Statistics Department. 2006.

والسادس من القرن العشرين، عندما هاجر بعض الصينيين من الأراضي الصينية فرارًا من الحكم الشيوعي إلى هونغ كونج، مما أدى إلى زيادة الطلب على مساكن في متناول المهاجرين.

وعشوائيات المعازل والأسطح، المنخفضة الإيجار، والتي توفر بيئة معيشية متدنية أصبحت أكثر شيوعًا في هونغ كونج في بدايات العقد السابع. وفي الحقبة ما بين العقدين السابع والثامن انتعش الاقتصاد في هونغ كونج بصورة محسوسة، بما زاد في تكاليف المساكن. وبغفلة الحكومة عن حاجة المواطنين إلى إسكان بأسعار معقولة، زاد الضغط على الناس للبحث عن خيارات بديلة لمأوى منخفض الإيجار، مثل عشوائيات الأسطح^(١). ومع غياب المأوى منخفض الإيجار وفترات الانتظار الطويلة للحصول على مأوى في المساكن الشعبية استمر الناس يعيشون في عشوائيات الأسطح، وكونوا مجتمعًا خاصًا بهم في دولة تستشري فيها الطبقة التي توارثوها عن المستعمر. وكثير من سكان أسطح المنازل عاشوا في أكوأخهم ما يزيد على (٣٠) سنة. وغالبية السكان الجدد جاؤوا من دول آسيوية، مثل نيبال، أو باكستان، أو من الصين الأم.

وبينما بلغ شراء المسكن القانوني أكثر من عشرين مرة ثمن مسكن السطح، فقد أقبل الناس على شراء مساكن الأسطح غير القانونية في السوق المشبوهة (الرمادية). والفارق بين المسكنين شاسع، حيث كانت تتميز هونغ كونج بأنها المدينة الفاخرة الأعلى تكلفة في العالم^(٢).



شكل (٥) إحدى عشوائيات الأسطح، هونغ كونج.

-
- (1) Aris Teon (4 May 2013). "Skyscrapers and skylums-Hong Kong's rooftop houses". My new life in Asia - Blogspot.
- (2) Saga MacFarland (23 September 2011). "World's most expensive luxury city is...". CNN.

وكانت المنشآت المكعبة فوق المباني السكنية في العقدين الخامس والسادس تتراوح مساحتها على وجه العموم ما بين (٩) إلى (٢٨) مترًا مربعًا، وقد بُني من الأسمنت المسلح والحوائط الطوبية، بينما بعضها يُبنى كأكواخ من الخشب والقصدير. ويفصل الأكواخ ممرات ضيقة للغاية. وقد يتسع السطح لتخصيص شطرمه لزراعة النباتات والخضروات. كما توجد مساحة "مشاع" لنشر الغسيل. وقد توجد أجهزة لتكييف الهواء في المباني الصلبة. وعلى سبيل المثال، كان (١٠٠) شخص يعيشون على سطح أحد المباني الكبرى قبل هدمه كجزء من مشاريع إعادة الإعمار خلال سياسة جديدة تسمح ببناء مبان سكنية جديدة ومراكز تسوق على أنقاض المباني القديمة. ولم يكن أمام أولئك ومن هم في نفس ظروفهم المعيشية بعد طردهم من الأسطح سوى اللجوء إلى مباني المصانع المهجورة، حيث يعيشون في أقفاص أو مهاجع.

إن مأساة الآلاف، وربما عشرات الآلاف، الذين يعيشون في عشوائيات الأسطح تلفت أنظار الإعلام يومًا بعد يوم، ولكنه لا توجد اختيارات أخرى آمنة ومنخفضة السعر لمواطني هونغ كونج. وبما أنه لا توجد مصادر أخرى لإسكان ملائم، فإن إخلاء سكان الأسقف من مساكنهم ليس اختياريًا عمليًا^(١). والحكومة تتغافل عن تلك العشوائيات لأنها لا ترغب في أن تشرّد أولئك السكان، لعدم وجود مساكن شعبية تستوعبهم، فيتركونهم في حالهم. فالحكومة تبني قرابة (١٥,٠٠٠) وحدة سكنية سنويًا، بينما هناك أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) على قائمة الانتظار. ثم إن المساكن المتاحة توجد على جزر متطرفة محيطة بهونغ كونج، ولو أن الحكومة خصّصت بعض الشقق العادية على تلك الجزر لسكان عشوائيات الأسطح، فإن تكاليف الانتقال إلى العمل يوميًا أو إرسال أطفالهم إلى المدارس التي خصّصتها الحكومة لتعليم الأقلية العرقية والمهاجرين الجدد "اللغة الكانتونية" قد يمنعهم من التخلي عن الحياة في العشوائيات. كما أن الكثير من سكان عشوائيات الأسطح غير الشرعية يفضلون البقاء في مساكنهم لسهولة الوصول إلى المدينة، ولجمال المنظر من قمم المباني المرتفعة^(٢).

تداعيات سكنى الأسطح

○ الصحة والنظافة

من بين تداعيات عشوائيات الأسقف، تدني مستوى النظافة نتيجة تسرب المياه؛ فالمساكن في غالبيتها مصنعة من مواد غير مقاومة للمياه، مثل الخشب، كما لا يوجد مزارب لتصريف مياه

- (1) Christopher DeWolf (27 September 2011). "Slums in the sky: Hong Kong rooftop squatters.". CNN.
- (2) Peter Shadbolt (2 November 2011). "Slums with penthouse views highlight Hong Kong's wealth divide". CNN.

المطر. ومما يعقد مسألة النظافة وجود الفئران، والصراصير، والناموس، والذباب التي تنشر الأوبئة والأمراض، وتلوث الأطعمة على أسطح المنازل القذرة والمزدحمة.

وتحولت العشوائيات إلى مفرخ للبكتيريا والفيروسات، كما أن السكان يكونون أشد عرضة للأمراض الوبائية وضيق التنفس، إذ إن درجات الحرارة مرتفعة في العشوائيات عن درجة الحرارة خارجها، نتيجة فساد التهوية ووجود المعادن ضمن مواد البناء التي تمتص الطاقة. مثال حي لتأثير الحرارة، ما حدث لسكان النوبة الذين هجروا من منازلهم أثناء إنشاء السد العالي إلى أكواخ من صفائح، ومات منهم عدد كبير من الأطفال والشيوخ نتيجة ارتفاع الحرارة في الأكواخ التي يعيشون فيها.

كما أن بعض عشوائيات الأسطح ليس فيها مرافق صحية غير صنبور لمياه الشرب على أفضل تقدير، هذا لأن تكلفة المرافق عالية بالنسبة لتكلفة المباني. ثم إن غياب المصاعد لعشوائيات الأسطح تجبر السكان على استخدام الدرج إلى مساكنهم في المباني المرتفعة، مما يشكل مخاطر على المسنين خاصة لذوي المشاكل الصحية في مفاصلهم.

○ الأمان

لما كانت مساكن الأسطح مصنعة من مواد خفيفة الوزن، فإنها غير مصممة لمواجهة عواصف قوية وأعاصير. كما أن الحرائق تشكل خطراً، خاصة في المباني التي ليس فيها سوى مخرج واحد (ليس فيها درج للهروب من الحرائق). والفرار من السطح على عجلة يعوقه الممرات الضيقة بين عشوائيات الأسطح. كما أن وزن شاغلي الأسطح وممتلكاتهم قد يؤدي إلى انهيار المباني غير المصمم لتحمل عشوائيات على سطحه. كذلك فإن المعادن المستخدمة في العشوائيات سهلة الصدأ تحت درجات حرارة ورطوبة مرتفعة، وهذا يؤثر كذلك على الجدران والمفروشات.

○ الازدحام

عشوائيات الأسطح عبارة عن مأوي لأناس مكدسة فوق الأسطح؛ إذ يحتمل وجود أكثر من مائة شخص يعيشون على سقف واحد، ربما لا يتسع لأكثر من عدة قطع من المفروشات والأدوات المنزلية. ذلك التكدس والازدحام ومحدودية المرافق يجعل بيئة المعيشة مزرية.

○ الصحة النفسية

إن سكان عشوائيات الأسطح يعانون من حياة وروح معنوية متدنية؛ ويحسون بنظرة المجتمع الدونية لهم نتيجة أحوالهم المعيشية، كما يحسون بالبؤس إذ لا خيار لهم إلا المعيشة في بيوت قديمة

ومهدمة^(١). ولما كانت عشوائيات الأسطح غير مسموح بها، فإن سكانها في خوف دائم من أن تهدم بيوتهم، وبعضهم يفضل الموت على الحياة في مكان بديل.

- عشوائيات المقابر

مثل العديد من جيران الفلبين في آسيا، كانت الفلبين موقع نمو اقتصادي سريع عبر عقدين من الزمان، بعد حقبة من الحكم العرقي والسيطرة المتشددة على المناطق الريفية، عندئذ الفلاحون والزراع ينتقلون إلى مانبلا العاصمة في ثمانينيات القرن الماضي باحثون عن حياة أفضل؛ غير أن أولئك الناس بقوا مهمشين من المجتمع والمدينة ذاتها. وبارتفاع عدد السكان، بدأت العشوائيات تظهر فجأة. ومن أبرز العشوائيات مقابر نافوتاس (Navotas Cemetery) حيث يعيش ستة آلاف رجل وأمرأة وطفل وسط المقابر المنبوذة وعظام الموتى^(٢).



شكل (٦) عشوائيات في مدافن الموتى في مانبلا بالفلبين.

وفي مصر أدى التضخم السكاني؛ خاصة في القاهرة إلى اللجوء إلى المقابر واتخاذها منطقة سكنية دائمة؛ حيث إن ضريح العائلات كان يحتوي على فناء لتلقي العزاء ويدخله النور والماء والشمس. كما أن المقابر والأحواش مبنية من الطوب. وحسب الإحصائية الصادرة عن الجهاز المركزي للمحاسبات في عام (٢٠٠٨) هناك (١,٥) مليون مصري يعيشون في مقابر السيدة نفيسة، ومقابر النصر، والبساتين، والتونسي، والإمام الشافعي، وباب الوزير، والغفير، والمجاورين، والإمام الليثي،

(1) Sybil Wendler (27 February 2012), *Public Broadcasting System (PBS) Once Upon a Rooftop*, YouTube

(2) VICE Staff (Jul 21 2015). *The Philippines' Cemetery Slums*. VICE INTL.

وجبانات عين شمس ومدينة نصر. وآخر الإحصائيات المصرية تشير إلى أن شركاء الأموات في المقابر وصل عددهم إلى مليوني مصري.



شكل (٧) عشوائيات المقابر في القاهرة.



شكل (٨) مسكن داخل مقبرة - القاهرة.

- مساكن الإيواء

مساكن الإيواء عبارة عن عمارات ذات غرف منفردة، وكل مجموعة من الغرف لها دورة مياه واحدة؛ أو ربما يتكون المسكن من حجرات مستقلة بسقف من ألواح الأسبست أو شقة مشتركة من حجرتين أو ثلاث، وبكل حجرة أسرة وحمام مشترك أو حمام واحد لكل دور.

ومساكن الإيواء تحتوي على كميات هائلة من الأسبست، نظرًا لتحمله على المدى الطويل. هذا رغم خطورته على الصحة، خاصة في أماكن المعيشة والعمل. والأسبست أو الأميانت مكون من

مجموعة معادن من زمرة التريموليت، تتألف من ألياف يتم استخراجها من مناجم خاصة، وهي مواد غير عضوية تحتوي على العديد من المعادن الطبيعية التي يدخل في تركيبها أملاح السيليكات، إلا أنها تختلف عن بعضها في التركيب الكيميائي والخواص الطبيعية لاختلاف كميات المغنسيوم والحديد والصوديوم والأكسجين والهيدروجين فيها.



شكل (٩) مساكن الإيواء.

وقد صنفت الوكالة الدولية لأبحاث السرطان التابعة لمنظمة الصحة العالمية الأسباب كـ مادة مسرطنة. وخطورة الأسباب تكمن في نوع المواد المعدنية الموجودة فيه، وتعتمد تأثيراته الصحية على عدد الألياف وطولها ومتانتها، وتبين وجود علاقة وثيقة بين المدة الزمنية للتعرض لألياف الأسباب وشدة التعرض وبين التأثيرات السلبية على صحة الإنسان. أما بالنسبة للتعرض الحاد لألياف الأسباب فمنها التعرض عن طريق الإشعاع، خاصة في أماكن المعيشة، وبناءً على المعايير التي وضعتها منظمة الصحة العالمية يجب ألا توجد ألياف الأسباب في أماكن المعيشة عن بعد (١٧) مترًا. وإلى جانب الإصابة بسرطان الدماغ، فإن داء الأسباب مرض رئوي مزمن يصيب الرئتين نتيجة استنشاق ألياف الأسباب التي تتميز بدقتها الشديدة، والتي تعمل على خفض كفاءة الرئتين والجهاز التنفسي بشكل عام، إذ يحدث اتصال مباشر بين الألياف والخلايا في الرئة، مما يؤدي إلى تحول خبيث لهذه الخلايا، وبالتالي ينتج عن ذلك سرطان الرئة، الذي تكمن خطورته في ظهور أعراضه بعد مرور (١٥) إلى (٢٠) سنة.

- الطريق المنزلق

الطريق المنزلق (Skid Road) أو الصف الزلق (Skid Row) هو اصطلاح أمريكي لمنطقة فقيرة يعيش فيها الفقير والمشرّد. وآخرون ممن لفظهم المجتمع أو نسيمهم، ومن هم أصحاب السمعة السيئة.

والطريق المنزلق قد يكون أي شيء من حي فقير في الحضر إلى حي أضواء حمراء إلى منطقة تجمع من لا مأوى لهم. وعمومًا فطريق الانزلاق هي أماكن يعيش فيها أو يتردد عليها أفراد مهمشون بفقرهم أو إدمانهم للمخدرات. وفي العادة، تعتبر مناطق الحضر من صفوف الزلق عندما يوجد فيها الحانات الرخيصة، والمباني المتداعية، وأوكار المخدرات إلى جانب الملامح الأخرى من الآفات الحضرية؛ وإذا استخدمت مجازيًا فقد تشير إلى حياة شخص فقير.

ومصطلح طريق الانزلاق يشير أصلاً إلى الطريق الذي كان الحطابون يزحلقون عليه جذوع الأشجار وفروعها الضخمة بعد قطعها، إذ كان الخشب يُغطَّى بالشحم بعد قطعه من الغابة ويوضع على طريق ترابي شديد الانحدار، فينزلق إلى أسفل، حيث ينتهي الطريق بمصنع تجهيز الخشب⁽¹⁾. ويبدو أن الاصطلاح ظهر أول ما ظهر في منطقة شمال غرب الباسفيك (Pacific Northwest) بالولايات المتحدة⁽²⁾. حيث كان من التعبيرات الشائعة الإشارة إلى الحطاب الذي يفصل من عمله أنه "أرسل إلى طريق الانزلاق"⁽³⁾. والأماكن التي يطلق عليها طريق الانزلاق حالياً تتضمن، ميدان بايونير (Pioneer Square) في مدينة سياتل بولاية واشنطن، والمدينة الصينية القديمة (Old Town Chinatown) في مدينة بورتلاند بأوريغون، وصف الانزلاق في مدينة لوس أنجليس بكاليفورنيا، ومنطقة تندرلوين (Tenderloin District) بمدينة سان فرانسيسكو بكاليفورنيا، والبويري (Bowery) في مانهاتن بنيويورك، بالإضافة إلى الجانب الشرقي من وسط البلد (Downtown Eastside) في مدينة فانكوفر بمقاطعة بريتيش كولومبيا بكندا.

ورغم أن الاصطلاح أمريكي بالأساس، إلا أن نموذج الطريق المنزلق يمكن أن يوجد في كثير من الدول والأجواء والثقافات، خاصة وأن تعداد المشردين يتزايد حول العالم.

سيااتل

بدأ استخدام طريق الانزلاق في سياتل في منتصف القرن التاسع عشر، عندما بدأت ساحة ميدان بيونير تتوسع من قلبها التجاري، حيث كان الطريق ينحدر في منتصف المنطقة إلى مصنع هنري

-
- (1) Keniston-Longrie, Joy (2009). *Seattle's Pioneer Square*. Chicago, San Francisco, & Charleston, SC: Arcadia Publishing. p. 128.
 - (2) Turner, Wallace (December 2, 1986). "A Clash Over Aid Effort on the First 'Skid Row'". *The New York Times*. p. A20.
 - (3) Rochester, Junius; Crowley, Walt (October 17, 2002). "Yesler, Henry L. (1810-1892)". History Link.

يسلر للأخشاب (Henry Yesler's Mill)^(١)، والذي كان تدار بالبخار. وكان المصنع يعمل على مدار الساعة، وكان العمال والحطابون يأتون من جميع أنحاء الولايات المتحدة. وقد اجتذبت المنطقة الواقعة في نهاية الطريق بالقرب من المصنع بيوتا لطهي الطعام وفنادق رخيصة لعمال الترحيل (حيث كانت غالبية العمال والحطابين عمالا متجولين يأتون من كل مكان) إلى جانب العديد من حوانيت البيرة والخمور.

وحتى الآن احتفظ طريق ييسلر (Yesler Way) بكنية طريق الانزلاق، حيث إنه يمثل الخط الفاصل بين أثرياء سياتل والشرط الكادح الخشن من السكان^(٢).



شكل (١٠) ساحة ميدان بايونير (العريشة أو ييرجولة الساحة على اليمين).

- (1) Morrison, Patt (1987-03-24). "Original 'Skid Road': Homeless Add a Sad Note to Gentrified Seattle Area". *Los Angeles Times*.
- (2) William C. Speidel (1997). *Sons of the Profits: There's No Business Like Grow Business; The Seattle Story 1851 to 1901*. Nettle Creek.



شكل (١١) طريق الانزلاق (مدخنة المصنع)، سياتل.

لوس أنجلوس

يقدر عدد المشردين المحليين في لوس أنجلوس، ممن لا مأوى لهم (٢,٦٦٨) - (٥,١٣١) نسمة. وفي (٢٠١١) كان عدد المشردين في طريق الانزلاق (٤,٣١٦) شخصا^(١).

يوجد في طريق الانزلاق العديد من مراكز المشردين وموفري الخدمات الاجتماعية لمن لا مأوى لهم بالمدينة، مثل جمعية مركز واينجارت (Weingart Center Association)، ومتطوعي أمريكا (Volunteers of America)، ومؤسسة فرننتاين (Frontline Foundation)، وبعثة منتصف الليل (Midnight Mission)، والمركز النسائي لوسط البلد (Downtown Women's Center)، وبعثة إغاثة الاتحاد (Union Rescue Mission). وقد اهتم قسم شرطة لوس أنجلوس في فترة (٢٠٠٥-٢٠٠٧) العديد من المستشفيات المحلية ووكالات الأمن في الأحياء ومسؤولين آخرين بنقل من هم في رعايتهم ممن لا مأوى لهم في منطقتهم إلى طريق الانزلاق.

سان فرانسيسكو

جوار تندرليون (قطعة طرية من لحم الخاصرة) هي حي صغير كثيف السكان بالقرب من وسط مدينة سان فرانسيسكو، بالإضافة لتاريخ الحي ومجتمع الفنانين فيه، فإن فيه قدرًا كبيرًا من الفقر، والتشرد، والجريمة. والحي مشهور بسكانه المهاجرين، وفنادق الغرف الفردية، والمطاعم

(1) "2011 Greater Los Angeles Homeless Count (page 38 -- Skid Row section)". Los Angeles Homeless Services Authority.

الاثنية، والنوادي والحانات، ومشاهد الفنون البديلة، والعدد الضخم ممن لا مأوى لهم، والمواصلات العامة، وقربه من منطقة الأموال والمركز المدني. وفي إحصائيات (٢٠٠٠) كان تعدادده (٢٨,٩٩١) نسمة مع كثافة سكانية وصلت إلى (١٧,١٤٦) نسمة لكل كيلومتر مربع^(١).

وخلال العقد السادس من القرن العشرين، استخدمت وكالة إعادة التعمير سلطة الحكومة في الاستيلاء على الممتلكات لصالح الأمن (لقاء تعويض مجزٍ)، وقامت بإزالة منطقة كبيرة يعيش فيها أصحاب المعاشات في جنوب منطقة السوق (كانت تسمى طريق الانزلاق). وتم بناء مركز مؤتمرات المدينة على أنقاض محل إقامة منخفضي الأجور الذي عاشوا فيه على مدى طويل^(٢).^(٣)

نيويورك

في مدينة نيويورك أطلق اسم صف الانزلاق على البواري (Bowery) خلال معظم القرن العشرين^(٤). والبواري منطقة في جنوب جزيرة مانهاتان بنيويورك، هاجر إليها الهولنديون وأطلقوا عليها هذا الاسم الهولندي الذي يعني المزرعة^(٥)، وهي تتضمن المدينة الصينية (Chinatown)، وإيطاليا الصغرى (Little Italy)، وشرق القرية أو "إيست فيليج" (East Village) البوهيمية.

شيكاغو

مناطق صف الانزلاق التقليدية في شيكاغو تتمركز بموازة شارع غرب ماديسون غرب نهر شيكاغو^(٦)، وبدرجة أقل يكون شارع نورث كلارك شمال نهر شيكاغو^(٧). ومنذ ثمانينيات القرن العشرين تم إصلاح المنطقتين وتحويلهما إلى حي يلائم الطبقة الوسطى.

- (1) American FactFinder, United States Census Bureau. "941 3-Digit ZCTA by 5-digit ZIP Code Tabulation Area – GCT-PH1. Population, Housing Units, Area, and Density: 2000". Factfinder.census.gov.
- (2) Hartman, Chester. 1984. *The Transformation of San Francisco*. Totowa, NJ: Rowman & Allanheld.
- (3) Averbach, Alvin. 1973. "San Francisco's South of Market District, 1858-1958: The Emergence of a Skid Row." *California Historical Quarterly* 52(3):196223.
- (4) Jesse McKinley (2002-10-13). "Along the Bowery, Skid Row Is on the Skids". *The New York Times*.
- (5) Jackson, Kenneth L. "Bowery" in Jackson, Kenneth T., ed. (2010), *The Encyclopedia of New York City*, New Haven: Yale University Press.
- (6) David Witter (11-8-2010). Bummed Out: How Skid Row went from "The Land of the Living Dead" to cappuccinos and condos. New City.
- (7) Charles W. Cushman Along Skid row - 505/7 North Clark Chgo. Photograph Collection Indiana University Archives / Digital Library Program Sep. 14, 1948.

فيلاديلفيا

كان في فيلاديلفيا صف انزلاق واضح للغاية مركز حول شارع فاين غرب، ووصله إلى جسر بنجامين فرانكلين؛ غير أن المنطقة كلها طمست معالمها تمامًا بإنشاء طريق سريع في سبعينيات القرن الماضي^(١).

هيوستن

كان الجناح الثالث (Third Ward) في مدينة هيوستن؛ أو ما يعتبر الجانب الغربي لوسط المدينة هو حي النخبة أو حي الجوارب السلكية والبيوت على الطراز الفيكتوري حتى نهاية القرن التاسع عشر، غير أن الحدود الشرقية للجناح كانت فيها مجموعة من المساكن المتدنية الإيجار قرب جامعة تكساس الجنوبية، والتي كان يشار إليها بشوجار هيل (Sugar Hill). ولما أنشئت محطة يونيون ستیشن (Union Station) للقطارات في (١٩١٠)، تدهورت المنطقة وفقدت ملامحها كم منطقة سكنية راقية؛ بل إنها بدأت في التدهور بما تقدمه من خدمات للمسافرين؛ وانحدرت بسرعة إلى صف انزلاقي في تسعينيات القرن الماضي، وسرعان ما تحولت الفنادق إلى مكان إقامة متدنية. وتوقف قطار الركاب عن المرور باليونيون ستیشن^(٢).

فانكوفر، كندا

البلوك المائة في شارع إيست هيستينجس (East Hastings Street) في فانكوفر بريتيش كولومبيا، كندا، هو قلب حي طريق الانزلاق في المدينة. ولقد كان طريق الانزلاق في فانكوفر جزءًا من شبكة من تلك الطرق في الغابات الكثيفة المحيطة بمصنع هيستينجز للأخشاب (Hastings Mill) ومجاور لمستوطنة جرانفيل (Granville)، على مضيق بوراد (Burrard Inlet) - منطقة جاستاون (Gastown) التاريخية والسياحية.

لقد بدأت المدينة كمستوطنة نشر أخشاب اسمها جرانفيل، في بدايات العقد السابع من القرن التاسع عشر. وفي العقد الخامس من القرن العشرين كان الجانب الشرقي من وسط المدينة، حيث المناطق الأكثر تدهورا، يوصف بطريق الانزلاق^(٣)؛ نتيجة لانتشار فنادق الغرف الانفرادية وما

- (1) Stephen Metraux (1999). Waiting for the Wrecking Ball: Skid Row in Postindustrial Philadelphia. *Journal of Urban History*, Vol. 25 No. 5, July 1999 690-715.
- (2) Wood, Roger. *Down in Houston: Bayou City Blues* (Issue 8 of Jack and Doris Smothers series in Texas history, life, and culture). 2003, University of Texas Press.
- (3) Demolish City's Skid Road, Murder Protest Demands. Vancouver Sun. April 6, 1962. p. 1.

يلحق بها من مؤسسات للشرب، وسوء سمعة المنطقة يعود إلى كثافة الصالونات (الخمارات)، والإقبال عليها من قبل الحطابين والعاملين في المناجم والصيادين، الذين كان عملهم موسميًا، وكانوا ينفقون دخلهم على أماكن الإقامة الرخيصة والمنازل العامة.

ولما كان استخدام الأفيون والهروين قد لقي إقبالاً كبيراً من فترة مضت، فإن فانكوفر كانت لسنوات عديدة ميناء دخول توزيع الأفيون إلى أمريكا الشمالية. وخلال الكساد الأعظم كانت الأراضي الشاغرة وملحقات السكك الحديدية في المنطقة مكتظة بالعاطلين عن العمل والفقراء، وتمكن نمط التآكل الاجتماعي من إرساء قواعده بها.

وفي سبعينيات القرن العشرين، تفاقمت مشاكل الإدمان على الكحول والفقير نتيجة التوسع في تجارة المخدرات، حيث أصبح الكراك كوكايين ملفتاً في ثمانينيات القرن الماضي، وكذلك إعادة انتشار الدعارة في المنطقة نتيجة سياسة إعادة نقل أماكن تجول الباغيات خلال المعرض الدولي في (١٩٨٦).

ولقد تم إعمار شطر من صف الانزلاق في بانكوفر؛ جاستون، إلا أنه توجد هناك صعوبة في التعايش مع منطقة شرق وسط المدينة المتاخمة التي تعاني من الفقر المدقع على طول شارع هيستينجز. ويعتبر شرق وسط المدينة أحد أفقر المناطق الحضرية في كندا^(١). وهذه المنطقة مقحمة في وسط أماكن عليها إقبال سياحي كبير، مثل وسط البلد، ومدينة الصين، وجاستاون. بينما يعتبر شارع إيست هاستينجز من الطرق الرئيسية في المدينة. تلك الطرق الكاشفة تجعل شرق المدينة ظاهراً بجلاء كمثال لصف انزلاق.

كما أن شرق وسط المدينة هو موقع "إنسيت" المكان الوحيد في شمال أمريكا لحقن المخدرات بطريقة آمنة وتحت إشراف متخصصين، كوسيلة لسياسة التخفيف من الأذى ومساعدة مدمني المخدرات المقيمين بالمنطقة.

- الجيتو

الجيتو (المجتمع المنعزل أو المنغلق - أو المعزول) هو جزء من مدينة كبيرة، حيث تعيش مجموعة من أقلية بعينها؛ خاصة نتيجة لضغوط اجتماعية أو قانونية أو اقتصادية. وقد ظهر التعبير في الأصل في مدينة البندقية (فينيسيا). وقد استخدم التعبير أصلاً في فينيسيا لوصف جزء من

(1) Kalache, Stefan (January 12, 2007). "The Poorest Postal Code Vancouver's Downtown Eastside in Photos". The Dominion.

المدينة، حيث تم عزلهم وتقييدهم وفصلهم عن سائر المجتمع؛ غير أن التعبير مستخدم في مضامين عديدة^(١). ويقال إن كلمة (جيتو) الفينيسية تشير إلى اسم مسبك في كاناريغيو (Cannaregio) بالقرب من الجيتو الفينيسية في (١٥١٦) للمهود^(٢). وفي اللغة اليديشية كلمة جيت تعبر عن عملية العزل أو الفصل، وهي مشتقة من مقطع من إيجيتو أي إيجيبت (مصر). ولقد توسع تعريف التعبير في (١٨٩٩) ليشمل أي منطقة مزدحمة في الحضر لأية مجموعة من الأقليات.

أيرلندا الشمالية

في أيرلندا الشمالية، هناك فصل بين سكان المدن الصغيرة والكبرى وفق الإثنية والدين والسياسة. وهناك مجتمعان رئيسان منفصلان تمامًا، هما مجتمع القوميين أو الجمهوريين الذين يعتبرون أنفسهم أيرلنديين وكاثوليك، ومجتمع الاتحاديين أو المواليين الذين يعتبرون أنفسهم بريطانيين وبروتستانت. وقد ظهرت الجيتو في بلفاست خلال المظاهرات التي صاحبت الحرب الأيرلندية للاستقلال؛ حيث هرب الناس سعيًا وراء الأمن إلى مناطق حيث كان مجتمعهم أغلبية. وعندئذ حصنوا مناطق الجوار بالماتريس ليبعدوا المقاتلين من الجانب الآخر.

ونشأت عدة جيتوهات بعد أعمال الشغب في (١٩٦٩) وبداية الاضطرابات؛ وفي أغسطس (١٩٦٩) أرسل الجيش البريطاني قواتًا لحفظ النظام وفصل الجانبين. وقامت الحكومة ببناء حواجز أطلق عليها "خطوط السلام"، وكثير من الجيتوهات وقعت تحت سيطرة قوات شبه عسكرية، مثل جيش الجمهورية الأيرلندية المؤقت (Provisional Irish Republican Army)، وجمعية أولستر الدفاعية (Ulster Defence Association) الموالية. وأشهر جيتو تكونت في تلك الحقبة هي فري ديرى (Free Derry)^(٣).

بريطانيا العظمى

من أمثلة الجيتو مجتمع ساوئهاال بروودواي (Southall Broadway) غالبية من الآسيويين، والبيض يشكلون أقل من (١٢٪)، وإن كانت المنطقة مركز لعدة مجموعات إثنية ودينية^(٤). وقد أظهرت إحصائية السكان في (٢٠٠١) أن هناك حين فقط في إنجلترا والويلز، وكلاهما في برمنجهام

(1) Kelefa, Sanneh (July 18, 2016). "There Goes the Neighborhood". *The New Yorker*.

(2) Calimani, Riccardo (1987) *The Ghetto of Venice*. New York: M. Evans & Co.

(3) "History Battle of the Bogside". *The Museum of Free Derry*. 2015-07-31.

(4) Browne, Anthony (May 5, 2004). "We can't run away from it white flight is here too". *The Times*. London.

(5) Kerr, J., Gibson, A. and Seaborne, M. (2003) *London from Punk to Blair*. Reaktion Books.

ويغلب عليهما المجموعات الإثنية غير البيضاء، ويشكلان ثلثي السكان المحليين، ولكن هناك (٢٠) حيًا يعتبر البيض أقلية فيها، حيث يشكلون أقل من ثلث السكان المحليين^(١). وفي عام (٢٠٠١)، كان هناك حيّان في لندن هما نيوهام وبرنت، يوجد فيهما أقلية وأكثريّة، بينما سائر المدينة متنوعة السكان.

فرنسا

في فرنسا، بونلي (Banlieue) تشير إلى الأحياء المتصلة بمدن كبيرة تقسم إلى وحدات إدارية مستقلة، وهذا فإن (٨٠٪) من سكان منطقة باريس يعيشون خارج مدينة باريس. وعلى منوال وسط المدينة، فإن الضواحي قد تكون غنية أو فقيرة أو من الطبقة المتوسطة؛ ففرساي ولوفيسنيه وميزون-لافيت، ونيولي-سر-ساين، ضواحي ثرية لباريس. بينما كليشي-سو-بوا. وبوندي، وكوربيل-إيسونيه أقل ثراءً. غير أنه منذ العقد السابع من القرن الماضي؛ فقد كانت مشاريع مساكن ذوي الدخل المتدني، التي يشغلها بالأساس مهاجرون أجانب وفرنسيون من أصول أجنبية، عادة ما ينظر إليها على أنها مصايد فقر^(٢).

الولايات المتحدة الأمريكية

نشأت الجيتوات في الولايات المتحدة ترتبط إلى حد كبير مع موجات المهاجرين والهجرة الداخلية إلى الحضر. ولقد كانت هجرة الألمان والأيرلنديين في القرن التاسع عشر أول مجموعات إثنية تكون جيوبا عرقية في مدن الولايات المتحدة؛ وأتبع ذلك أعداد كبيرة من المهاجرين من جنوب وشرق أوروبا؛ بما في ذلك الإيطاليين والبولنديين في الحقبة (١٩٢٠-١٨٨٠). الأفواج الأخيرة من أولئك المهاجرين الأوروبيين عانت من التمييز أكثر مما عاناه السود في بدايات القرن العشرين^(٣). وغالبية أولئك ظلوا في مجتمعاتهم المهاجرة التي أنشؤوها، غير أن الجيل الثاني أو الثالث استطاعوا أن ينتقلوا إلى مساكن أفضل في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

وتضمنت مناطق الجيتو الإثنية كلا من الجانب الشرقي الأدنى (Lower East Side) من مانهاتان، بمدينة نيويورك، الذي أصبح غالبية من اليهود، وشرق هارلم التي تحولت إلى بيت مجتمع ضخم من بورتوريكو في العقد الخامس من القرن العشرين؛ أما الإيطاليات الصغرى التي تكونت حول الدولة فكانت غالبية جيتوات إيطالية. والمهاجرون من بولندا انتقلوا إلى أجزاء مثل بلسن في

(1) British Society for Population Studies, POR.2.01, London School of Economics.

(2) Lepoutre, David. *Coeur de banlieue: codes, rites, et langages*. Odile Jacob, 1997.

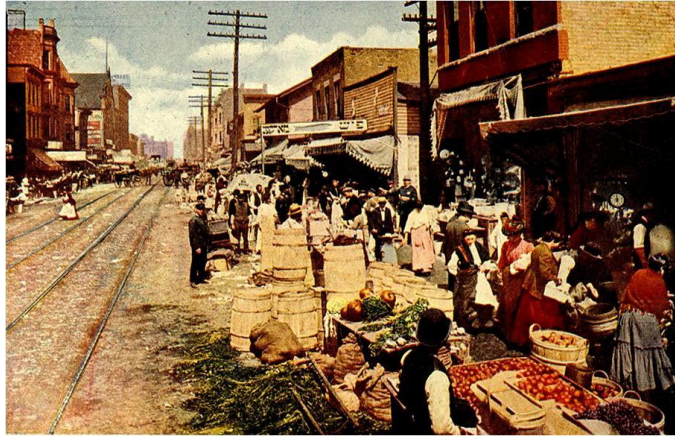
(3) Ed Glaeser (March 3, 1997). *Ghettos: The Changing Consequences of Ethnic Isolation*. Regional Review, Volume 7; Spring 1997. Federal Reserve Bank of Boston.

شيكاغو، وجبل البولنديين في بيتسبرج، أما برايتون بيتش في بروكلين فأصبحت مرتع الروس والأوكرانيين.

وخلال الكساد الأعظم، تجمع الناس في مرافئ السيارات المفتوحة الفسيحة وبنوا ملاجئ من أي مواد يضعون عليها أيديهم في ذلك الوقت. تلك التجمعات في الملاجئ كانت تُدعى جيتو.

الأفارقة الأمريكيون

ومن التعريفات الشائعة للجيتو هو أنه مجتمع يتميز بأنه متجانس عنصرياً أو إثنيّاً. بالإضافة إلى ذلك، فإن من الخصائص التي تطورت خلال فترة ما بعد التصنيع، والتي ما زالت ترمز إلى التركيبة السكانية في الجيتو الأمريكية هي تفشي الفقر. والفقر يتضمن الفصل بين الجيتوهات بعضها عن بعض، سواء كانت جوارات خاصة أو في الضواحي. والنسبة الكبرى من الفقر تبرر جزئياً صعوبة الهجرة خارج العشوائيات، التي تؤدي إلى قيود على الفرص الاجتماعية وعدم المساواة في المجتمع^(١).



شكل (١٢) جيتو شيكاغو، (١٩٠٨).

والمناطق الحضرية في الولايات المتحدة عادة ما تقسم إلى أسود أو أبيض، مع انتماء السكان إلى مجموعة متجانسة عرقياً بالمقام الأول^(٢). وبعد مرور قرابة نصف قرن من حراك الحقوق المدنية، بقيت غالبية الولايات المتحدة مجتمعاً منفصلاً، حيث يعيش السود والبيض في جوارات مختلفة

-
- (1) Darity, William A., Jr., ed. "Ghetto." *International Encyclopedia of the Social Sciences* 3.2 (2008): 311–14. Gale Virtual Reference Library. Web. 25 Oct. 2012.
- (2) Sethi, Rajiv; Somanathan, Rohini (2004). "Inequality and Segregation". *Journal of Political Economy*. 112 (6): 1296–1321.

وتباين واضح في الجودة^(١). وكثير من تلك الجوارات توجد في المدن الشمالية، حيث انتقل الأفارقة الأمريكيون خلال فترة "الهجرة الكبرى" (١٩١٤-١٩٥٠)، عندما انتقل ما يزيد عن مليون أفريقي أمريكي من ريف جنوب الولايات المتحدة للهروب من العنصرية المتوغلة في الجنوب، بحثا عن فرص عمل في بيئة الحضر، وسعيًا وراء ما تصوره من حياة أفضل في الشمال.

ولقد ظهر عاملان آخران أديا إلى مزيد من الفصل بين العرقيات والطبقات، وفي النهاية ظهور الجيتو المعاصرة:

- إعادة استيطان المؤسسات الصناعية.
- توجه الطبقة المتوسطة والثرية إلى السكن في جوارات الضواحي.

وقد أدت إعادة تشكيل الاقتصاد في (١٩٨٧-١٩٦٧)، إلى تدنٍ دراماتيكي في أشغال التصنيع، وبهذا فإن المدن الصناعية الشمالية التي كانت مزدهرة انتقلت من الصناعة إلى الخدمات، مع انتقال الطبقة المتوسطة ومكاتب الأعمال إلى الضواحي، مما كانت نكبة على داخل المدن. وكان تأثير ذلك على الأفارقة الأمريكيين تأثيرًا غير مناسب، حيث إنهم إما فقدوا أعمالهم أو احتفظوا بأعمال تعود عليهم بدخل ضئيل ومنافع مخفضة. وبذلك ارتفعت كثافة الأفارقة الأمريكيين في قلب المدن الكبرى مثل نيويورك وشيكاغو وديترويت^(٢). كما أن مقارنة أنماط الديمغرافية بين السود والمهاجرين الأوروبيين وفق سوق العمل أمر هام؛ حيث كان الفريقان معرضين لتصنيف عنصري في العمل، إذ إن الأفارقة الأمريكيين هيمنوا على أقسام سوق العمل الأقل أمانًا.

وهناك من يشبه الوضع الراكد في جيتوهات الأفارقة الأمريكيين بنموذج المصعد، حيث إن كل مجموعة من المهاجرين من الخارج أو الداخل يأخذ دوره في عملية الحراك الاجتماعي والانتقال إلى الضواحي، غير أن البعض لم يدخل المصعد من الدور الأرضي بل من أدوار عليا. وكان عدم قدرة السود الحركة من الدور الأرضي يعتمد على التعصب وأنماط التمييز العنصري التي خبروها في الجنوب قبل الحرب العالمية الأولى. وعقب هجرة الأفارقة الأمريكيين الكبرى إلى الشمال، كان نطاق الوظائف المتاحة في الشمال قد تغير باستيطان المهاجرين الأوروبيين؛ وبهذا فإن الأفارقة الأمريكيين لم يجدوا غير الأعمال المتدنية. ومعدل تقدم مجتمع السود البطئ ناجم عن تحجر سوق العمل،

(1) Massey, Douglas S. (2004) "Segregation and Stratification: A Biosocial Perspective". *Du Bois Review* / Volume 1 / Issue 01 / March 2004, pp 7-25.

(2) Sethi, Rajiv; Somanathan, Rohini (2004). "Inequality and Segregation". *Journal of Political Economy*. 112 (6): 1296-1321.

والمنافسة، والنزاع، مما أضاف بعداً آخر لتفشي الفقر وعدم الاستقرار في جيتوهات الأفارقة الأمريكيين^(١).

وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، خرج العديد من الأمريكيين البيض من وسط المدن الكبرى إلى مجتمعات الضواحي الجديدة، في عملية سميت "هروب البيض"، كرد فعل لانتقال السود إلى أحياء الحضر^{(٢)٠(٣)}. وكان لممارسات التمييز العنصري؛ خاصة تلك التي حرصت على الحفاظ على الضواحي البيضاء الناشئة، قيدت قدرة السود على ترك قلب المدن إلى الضواحي، حتى أولئك القادرين اقتصادياً على ذلك. وبالمقابل فإن نفس الحقبة التاريخية شهدت توسعاً ضخماً في الضواحي ميسراً بالأساس للبيض، سواء الأثرياء أو الطبقة العاملة، خاصة مع بناء شبكات الطرق السريعة ودعم شراء المنازل. ولقد مكن ذلك العائلات من شراء بيوت جديدة في الضواحي، حيث كان أفضل مالياً من دفع إيجار الشقق في المدينة.

ولقد شرعت الولايات المتحدة في إعادة هيكلة اقتصادها في أعقاب الحرب العالمية الثانية، مدفوعة بعمليات العولمة الجديدة، ومهيئة من خلال التقدمات التقنية وتحسين الكفاءة. والنقلة الإنشائية التي جرت في (١٩٧٣)، خلال فترة سيطرة الإنتاج والاستهلاك أصبحت مكوناً كبيراً للجيتو العرقي وعلاقته بسوق العمل. والطبقة المحددة للأفارقة الأمريكيين في القوة العاملة لم تكن ترقى حتى للطبقة العاملة؛ إذ إن أعمال الحضر التي لا تتطلب مهارة أعطيت للمهاجرين القادمين من المكسيك والبحر الكاريبي. ولم تنقل الخدمات الاجتماعية بدرجة خطيرة فحسب، بل إن العقوبات ووسائل التحكم الاجتماعي الأخرى على الفقراء أصبحت في ازدياد؛ مثل بسطة يد القانون والسجن^(٤). ولقد شهدت فترة الانتقال ما يسمي بكارثة الحضر في العقدين السابع والثامن من القرن الماضي، والتركيز على تقسيمات المناطق وفق الفروق في خطوط الدخل والعرق – كعكة بيضاء وفي وسطها ثقب أسود^(٥). ولم يكن ذلك وليد الصدفة، فإن الفصل المنتظم وقع خلال فترة قوانين الحقوق المدنية

(1) Ward, David. "The Ethnic Ghetto in the United States: Past and Present." *Transactions of the Institute of British Geographers* ns 7.3 (1982): 257–75.

(2) Keating, William Dennis. *The Suburban Racial Dilemma: Housing and Neighborhoods*. Temple University Press. 1994.

(3) Frey, William H. "Central City White Flight: Racial and Nonracial Causes". *American Sociological Review*, Vol. 44, No. 3 (Jun., 1979), pp. 425–448.

(4) Fischer, Claude S., Gretchen Stockmayer, Jon Stiles, and Michael Hout. "Distinguishing the Geographical Levels and Social Dimensions of U.S. Metropolitan Segregation, 1960–2000." *Demography* 41.7 (2004): 37–59.

(5) Zukin, Sharon. "How 'Bad' Is It?: Institutions and Intentions in the Study of the American Ghetto." *International Journal of Urban and Regional Research* 22.3 (2002): 511–20.

وأعمال الشغب في الحضر، وما يسمى بالقوة السوداء. بالإضافة إلى ذلك فإن العديد من التحديات التي نتجت عن كارثة الحضر، تضمنت: بنيات تحتية ضعيفة متدنية الخدمات، وإسكاناً غير ملائم ليستوعب تعداداً حضرياً متزايداً، ونزاعات جماعية، ومنافسة على أعمال ومساحة محدودة، وعدم قدرة العديد من المقيمين على التنافس على أعمال قائمة على التقنية، وتوترات بين القطاع الخاص والقطاع العام، ترك وراءه تكوين ونمو جيتو الولايات المتحدة.

والقوى الاقتصادية والاجتماعية المتراكمة في الجيتو انهارت أمام العزلة وعدم المساواة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بينما تقوم بتحديد الفصل بين منزلة المجموعات الرفيعة والوضيعة.

واستجابة لتدفق السود من الجنوب، بدأت البنوك وشركات التأمين والأعمال رفض خدمتهم أو زيادة تكاليف الخدمات عليهم. فالتعامل المصرفي والحصول على تأمين، وإتاحة فرص عمل والرعاية الصحية أو حتى التعامل مع محلات السوبر ماركت^(١)، تختلف بالنسبة للمقيمين في مناطق معينة، عادة ما يحددها العرق^(٢). ولعل أبشع صورة يتجلى فيها الخط الأحمر (ممارسة الحرمان أو زيادة التكلفة في الخدمات كالتأمين والتوظيف والحصول على الرعاية الصحية، وحتى التسوق للمقيمين في مناطق بها غالبية عرقية محددة^(٣)) هي التمييز في توفير القروض لشراء مسكن. وقد دلت البيانات عن أسعار البيوت وعن المواقف تجاه توحيد طبقات المجتمع أن التمييز في منتصف القرن العشرين نجم عن عمل جماعي من غير السود لإقصاء السود من الأحياء التي يسكنون فيها^(٤).

ولقد عبرت الأحكام العنصرية في دليل الاكتتاب في هيئة الإسكان الفدرالية ("Racial Provisions of the FHA Underwriting Manual") في سنة (١٩٣٦) بالمبادئ التوجيهية التالية، والتي أدت إلى تفاقم قضية الفصل العنصري: القيود الموصى بها يجب أن تتضمن بنداً يقتضي منع إشغال

(1) In poor health: Supermarket redlining and urban nutrition, Elizabeth Eisenhauer, *GeoJournal* Volume 53, Number 2 / February, 2001.

(2) Thabit, Walter, *How East New York Became a Ghetto*. Page 42. New York University Press (April 1, 2005).

(٣) صاغ المصطلح في أواخر ستينيات القرن الماضي جون ماكناي، عالم وناشط اجتماعي من جامعة نورث وسترن.

(4) Cutler, David M., Edward L. Glaeser, and Jacob L. Vigdor, "The Rise and Decline of the American Ghetto". *The Journal of Political Economy*, Vol. 107, No. 3 (Jun., 1999), pp. 455–506.

ملكية بعرقية مخالفة للغرض الذي بنيت على أساسه ويجب أن تكون المدارس مناسبة لحاجة المجتمع الجديد، ويجب ألا يلتحق بها عدد كبير من مجموعات عرقية غير متناغمة^(١).

هذا يعني أن الأقليات العرقية يمكن أن تحصل على قروض شراء منازل فقط في بعض المناطق، مما أدى إلى زيادة ضخمة في الفصل السكاني العرقي، وإلى تهرؤ الحضري في الولايات المتحدة^(٢). ومع إنشاء طرق سريعة جديدة، تم عزل الجوارات السوداء في بعض الحالات عن الخدمات والبضائع، وفي كثير من الأحيان داخل الممرات الصناعية. على سبيل المثال، الطريق السريع الذي يربط الولايات، والذي يمر بمرمنجهام بولاية ألاباما حاول أن يحافظ على الحدود العرقية التي أسس لها قانون المدينة لسنة (١٩٢٩) لتقسيم المناطق وفق العرقية. وتشيد الطرق السريعة بين الولايات خلال جوارات السود في المدينة أدى إلى فقدان عدد كبير من السكان في تلك الجوارات، مما زاد من الفصل العرقي بين الأحياء^(٣). وبحلول سنة (١٩٩٠)، حل محل الجواجز القانونية التي تطبق الفصل العرقي تعصب عرقي غير مركزي، حيث يلزم البيض بدفع أسعار أعلى عن السود ليعيشوا في مناطق غالبيتها من البيض. ويفسر بعض علماء الاجتماع أن العمليات التاريخية غير المركزية واللجوء للأحياء هي لحظات يمنح فيها البيض امتيازات أدت إلى أنماط عصرية من التمييز العنصري البيئي^(٤).

وفي أعقاب تبني السياسات المناهضة للتمييز العنصري في الإسكان والعمل التي نجمت عن حراك الحقوق المدنية، تركت الطبقة الوسطى من السود الجيتو. وصدر قانون الإسكان المنصف في (١٩٦٨)، كأول قانون فدرالي جرم التمييز في بيع وإيجار المساكن بناءً على العرق أو اللون أو الأصل أو الدين أو الجنس، أو مكانة العائلة أو الإعاقة. وكلف مكتب الإسكان العادل وتساوي الفرص بإدارة وتنفيذ القانون. ولما أصبح التمييز غير قانوني، فتحت فرص لإسكان جديد للمجتمع الأسود، وبذلك ترك الكثيرون الجيتو. ولقب علماء المجتمع الحضري ذلك الحدث التاريخي "نزوح الطبقة الوسطى السوداء"، المعروف أيضًا بالهروب الأسود. وبدأ أعضاء الطبقة المتوسطة من السود النأي بأنفسهم

- (1) Federal Housing Administration, *Underwriting Manual: Underwriting and Valuation Procedure Under Title II of the National Housing Act with Revisions to February, 1938* (Washington, D.C.), Part II, Section 9, Rating of Location.
- (2) Jackson, Kenneth T. (1985), *Crabgrass Frontier: The Suburbanization of the United States*, New York: Oxford University Press.
- (3) Connerly, Charles E., "From Racial Zoning to Community Empowerment: The Interstate Highway System and the African American Community in Birmingham, Alabama". *Journal of Planning Education and Research*, Vol. 22, No. 2, 99–114 (2002).
- (4) Pulido, Laura, "Rethinking Environmental Racism: White Privilege and Urban Development in Southern California". *Annals of the Association of American Geographers*, Vol. 90, No. 1 (Mar., 2000), pp. 12–40.

اجتماعيًا وثقافيًا عن سكان الجيتو خلال النصف الأخير من القرن العشرين، وعبروا عن تلك المباشرة بالانتقال بعيداً^(١)؛ وتلا ذلك خروج عائلات الطبقة العاملة من السود. وكان نتيجة ذلك أن الجيتو امتلأت في المقام الأول بمن يسمون الطبقة الدنيا، وفق وصف علماء الاجتماع والصحفيين في العقدين الثامن والتاسع. هذا الخروج أساء إلى عزل الطبقة الدنيا من السود؛ ليس فقط بإبعادهم اجتماعيًا وبدنيًا عن البيض، بل أيضًا عن الطبقة الوسطى من السود^(٢).

وقد ظهرت نظريتان مهممتان تتصلان بتكوين وتنمية الجيتوهات في الولايات المتحدة. الأولى قائمة على العرقية التي تركز على أهمية العامل العرقي في الجيتو؛ حيث يركز منظرو التفسير العرقي على أن المجموعة العرقية المهيمنة؛ أي البيض، الأنجلو-ساكسون البروتستانت، يستخدمون تكتيكات عرقية لتمكين هيمنتهم على السود، ولمواصلة حقبة الانفصال المكاني. والمروجون لهذه النظرية يدحرون القول بتأثير الاقتصاد على عملية التمييز العنصري. وقد أدت البحوث المعاصرة للمنظرين على أساس العرق إلى وضع إطار لعدة سبل انتهجها البيض الأمريكيون "لحفاظ على عدم المساواة السكنية على أساس "العرق" نتيجة هيمنة البيض على إدارة حكومة الولايات. وهذا يتضمن التنمية غير المنصفة، والتمييز في قروض السكن والأعمال وإعادة الاستثمار. وبهذا فإن المحافظة على الجيتو في الولايات المتحدة قائم على أسس عرقية محضة.

وفي الجانب الآخر النظرة الأكثر بروزا وهي التي يروج لها المنظرون المؤمنون بالعوامل الطبقية. تلك النظريات تؤكد على أن الطبقية أكثر أهمية من العرقية في هيكلية الجيتو في الولايات المتحدة. ورغم أن التركيز العرقي هو الغالب على الجيتو، فإن منظري الأساس الطبقي للجيتو يؤكدون على دور وتأثير الهياكل المجتمعية الأوسع نطاقا في خلق جيتوهات الأفارقة الأمريكيين.

وديناميكية الأجور المتدنية للخدمات والبطالة الناجمة عن إزالة التصنيع إلى جانب تراجع المكانة بين الأجيال في العائلات والأحياء؛ تؤكد أن زيادة الاستقطاب الاقتصادي الاجتماعي بين الطبقات هو المتسببة في خلق الجيتو الأمريكي، وليس العامل العرقي^(٣). بالإضافة إلى ذلك، فإن نظرية ثقافة الفقر التي أسس لها أوسكار لويس (Oscar Lewis) تشير إلى أن تاريخًا ممتدًا من الفقر يمكن أن يكون في حد ذاته ثقافة عائقة للنجاح الاجتماعي الاقتصادي، وبالتالي يمكن أن يساعد على مواصلة

- (1) Anderson, Elijah (1990). *Streetwise: Race, Class, and Change in an Urban Community*. The University of Chicago Press. p. 2.
- (2) Wilson, William Julius (1987). *The Truly Disadvantaged: The Inner City, the Underclass, and Public Policy*. The University of Chicago Press.
- (3) Shelton, Jason E. "Ghetto." *Encyclopedia of Race, Ethnicity, and Society*. 2008. SAGE Knowledge. Web. 25 Oct. 2012.

نمط من الاستقطاب الاجتماعي الاقتصادي. فالجيتو باختصار تغرس في النفوس ثقافة تبني عدم المساواة الاجتماعية والطبقية، مما ينقص من قدرات أجيال المستقبل على الحراك والرحيل^(١). بمعنى آخر، إن الإحباط وعدم التطلع إلى مستقبل أفضل هما ثقافة الجيتو.

وجيتوهات الأفارقة الأمريكيين الحديثة تتسم بتمثيل مفرط لإثنية أو عرق معين، والتعرض للجريمة، والمشاكل الاجتماعية، والاعتماد الكلي على الحكومة، وعدم التمكين السياسي. وخلال هذه الأسباب، فإن المجتمع يعلل إطلاق اسم "الجوارات السيئة" على جيتوهات السود، ثم إن هذه الظروف تتعلق بالأساس مع التركيز العرقي، والتخلي عن السكن، وتفكيك وإعادة تشكيل المؤسسات المجتمعية. وعديد من المفكرين يشخصون تلك النظرة الضيقة والمتشردمة إلى الولايات المتحدة بأنها "عهد التطرف". كما أن عدم المساواة في الثروة والسلطة هي التي تقوي من شأفة الفصل المكاني؛ على سبيل المثال، إن نمو المجتمعات المحصنة بالأسوار والأبواب يمكن ربطها باستمرارية حصار الفقير في الجيتوات^(٢).

ومن السمات الأخرى لجيتوهات الأفارقة الأمريكيين والفصل المكاني بين الأعراق هو الاعتماد الكلي على الحكومة وغياب الاستقلال الذاتي الطائفي؛ مثل ما عليه الحال في براونزفيل، ببروكلين. هذه العلاقة بين الجيتوهات العرقية والحكومة ظهرت بوضوح خلال سمات الشد والجذب، وتم تفعيلها من خلال الاستثمارات التي دعمتها الحكومة، والتي بلا شك ساعدت في انتقال الأمريكيين البيض إلى الضواحي عقب الحرب العالمية الثانية. ومنذ العقد السادس من القرن الماضي، بعد تفكيك قلب المدن، حاولت جيتوهات الأفارقة الأمريكيين أن تستعيد تنظيمها أو إعادة تشكيلها؛ وفي الواقع إنها أصبحت مجتمعات أكثر اعتماداً على الحكومة. فبراونسفيل، على سبيل المثال، بادرت بتكوين مبانٍ شعبية ومنظمات مكافحة الفقر وتسهيلات الخدمات الاجتماعية، وكلها - كل على طريقته - تعتمد على موارد حكومية. غير أن اعتماداً بعينه يتضارب مع رغبات المجتمع في أن يكون مشاركاً مستقلاً في السوق. وواقع الأمر أنه كلما نقصت استقلالية المجتمع - خلال اعتماده على المدارس العامة، والإسكان العام، وعلى مختلف برامج الدعم - كلما كبرت الهوة بين منظماته والدولة، وكلما تدنت رغبة المقيمين في الجيتو لتنظيم أنفسهم. وإن كان هذا لا يقلل من أهمية منظمات التنمية المحلية

(1) Fischer, Claude S., Gretchen Stockmayer, Jon Stiles, and Michael Hout. "Distinguishing the Geographical Levels and Social Dimensions of U.S. Metropolitan Segregation, 1960–2000." *Demography* 41.7 (2004): 37–59.

(2) Zukin, Sharon. "How 'Bad' Is It?: Institutions and Intentions in the Study of the American Ghetto." *International Journal of Urban and Regional Research* 22.3 (2002): 511–20. Wiley Online Library. Web. 28 Oct. 2012.

ووكالات الخدمات الاجتماعية التي تساعد تلك الأحياء. وغياب الاستقلالية ونمو الاعتماد على الدولة، خاصة في ظل الاقتصاد الليبرالي الجديد، ويظل المؤشر الأساسي لإنتاج واستثناء جيتوهات الأفارقة الأمريكيين، خاصة في ظل فرص التنافس في السوق العالمية.

ورغم أن المعنى الأمريكي الدارج لكلمة جيتو يشير إلى منطقة حضرية فقيرة متجانسة ثقافيًا وعرقيًا، فإن الذين يعيشون في تلك المنطقة كثيرًا ما يرون في الكلمة شيئًا إيجابيًا. حيث إن الجيتو السوداء لم تحتوِ دومًا على بيوت مهدامة ومشاريع (مبانٍ شعبية تدعمها الدولة) متهالكة؛ وليس بالضرورة أن يكون كل المقيمين فيها فقراء، فبالنسبة للعديد من الأفارقة الأمريكيين، الجيتو تمثل لهم "الوطن": مكان يمثل السواد الحقيقي على أصوله، إلى جانب المشاعر والعواطف والشغف الناجم عن القدرة على الارتفاع فوق المعاناة والنضال الطويل لكونهم سودًا في أمريكا^(١). وقد عبر عن هذا المعنى شعراء^(٢)، وكتاب مسرحيات^{(٣)،(٤)}، وقصص يعبرون فيها عن خبرتهم في المعيشة في جيتو السود، مثل هارلم وهيل ديستريكت (Hill District) بيتسبرج^(٥).

ولقد لاقى استخدام الجيتو والطبقة الدنيا في وصف تلك التجمعات السوداء انتقادات، حيث تورد فروقًا كبيرة في موارد القاطنين في أحياء عبر المدينة وعبر الوقت^{(٦)،(٧)،(٨)}. والسبب في تلك الفروق في أحياء مماثلة يتأتى من الديناميكيات خارج الحي^{(٩)،(١٠)}.

- (1) Smitherman, Geneva. *Black Talk: Words and Phrases from the Hood to the Amen Corner*. New York: Houghton Mifflin Company, 2000.
- (2) Langston Hughes (1995). *The Collected Poems of Langston Hughes*. Vintage Classics (Includes "Negro Ghetto" (1931) and "The Heart of Harlem" (1945).
- (3) August Wilson (1984). *Ma Rainey's Black Bottom: A Play*. Plume.
- (4) August Wilson (1987). *Fences*. Plume.
- (5) Ed Glaeser (March 3, 1997). *Ghettos: The Changing Consequences of Ethnic Isolation*. Regional Review, Volume 7; Spring 1997. Federal Reserve Bank of Boston.
- (6) 2008. *City & Community*. 7(4): 305-407.
- (7) Small, Mario. L., & McDermott, Monica. (2006). The presence of organizational resources in poor urban neighborhoods: An analysis of average and contextual effects. *Social Forces*, 84(3), 1697-1724.
- (8) Thibodeaux, Jarrett, 2016. A Historical Era of Food Deserts Changes in the Correlates of Urban Supermarket Location, 1970–1990. *Social Currents*, 3(2), pp.186-203.
- (9) Logan, John, and Harvey Molotch. 1987. "Urban fortunes." *The Political Economy of Place*. Berkeley, University of California.
- (10) Thibodeaux, Jarrett. 2016. City racial composition as a predictor of African American food deserts. *Urban Studies*. 53(11): 2238-2252.

إن درجة التمييز في إسكان المجتمع الأسود أكبر بكثير من أية مجموعة أخرى في حضر أمريكا، ومع ذلك فليس للـسود من القوة السياسية الضرورية لممارسة أي نوع من التحكم في تحسين الخدمات الرئيسية الضرورية لصحتهم، وتعليمهم، ورفاهتهم^{(١) (٢)}.

- العشوائيات المتنقلة

العشوائيات المتنقلة منتشرة خاصة في دول أوروبا الشرقية والولايات المتحدة والدول العربية.

مساكن عمال التراحيل

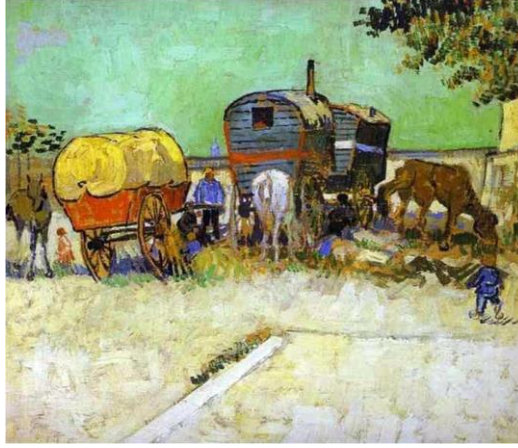
عمال التراحيل هم العمال الذين يعملون بصورة مؤقتة عند الحاجة لقاء أجور متدنية للغاية، وغالبيتهم من المهاجرين غير الشرعيين، وبهذا فإن قوانين الأجور لا تنطبق عليهم، وعادة ما يقوم مقاولو الأنفار بتوريدهم لمن يحتاج إلى خدماتهم لقاء إتاوة منهم كنسبة من الأجور إلى جانب الرسوم التي يتقاضاها من أصحاب العمل. وعمال التراحيل يعملون في الريف في موسم الحصاد، وفي المدن عند الحاجة لعمال غير حرفيين في أعمال البناء الضخمة، وفي كلتا الحالتين تخصص لهم قطعة من الأرض ملاصقة لموقع العمل، ليقيموا عليها مساكنهم التي لا تستغرق طويلا في إقامتها، وتتطلب دقائق لتقويضها.

مساكن الغجر

الغجر يتنقلون على شكل كرفان، إما بحثا عن الرزق أو فرارا من المطاردة والتعقب من قبل السلطات المحلية، حيث إنه ليس هناك من يريد أن يرى لهم وجودًا من مجتمع أو سلطات، فالكل يعاملهم كobia مستعصي على العلاج يريد التخلص منه بإبعاده إلى مكان آخر. وهذه العشوائيات تختلف عن مخيمات البدو الرحل في الصحراء، حيث إن البدو لهم نمط حياة متسق تتحكم فيه أعراف وتقاليد، ولا يؤثر سلبًا على عمران الحضر. ويبلغ تعدادهم حول العالم أكثر من (١٠) مليون، وغالبية الغجري يعيشون في أوروبا (الغالبية في البلقان ورومانيا وأسبانيا)، والأمريكتين، وبعضهم يعيش في الشرق الأوسط، خاصة في مصر، والأردن، وتركيا، وإيران. وهم يقيمون مخيماتهم أو عششهم أينما وجدوا مكانا يحطون رحالهم فيه.

(1) Geographical Review 107.

(2) "Geographical Record." Geographical Review 63.1 (1973): 106–17.



شكل (١٣) لوحة لمخيم العجرفي مدينة أرس، فرنسا (فان جوخ).

– الأحياء القديمة

النوع الآخر من عشوائيات المدن الكبرى هو الأحياء القديمة التي تأكلت مبانيها من الخارج، ولكنها بقيت صلبة متينة البنين. والمباني القديمة هجرها أصحابها إلى الضواحي فرارًا من الجريمة في قلب المدن، نتيجة للتآكل العمراني في الحضر أو ما يسمى بأفة العمران؛ والسبب الغالب هو انهيار الصناعات في المدن، وارتفاع معدل البطالة، وتفكك الأسر، والجريمة التي تحول قلب المدن إلى مناطق مقفرة غير لائقة بالمعيشة.

ومنذ العقدين السابع والثامن من القرن العشرين، والمدن الكبرى في حالة انهيار في شمال أمريكا وأوروبا، وبالأخص بريطانيا وفرنسا، حيث جرت تغيرات كبيرة في الاقتصاديات العالمية، والنقل، وسياسات الحكومات، مما خلق أجواءً اقتصادية واجتماعية أدت إلى التآكل العمراني^(١).

(1) Hans Skifter Andersen (2003). *Urban Sores: On the Interaction Between Segregation, Urban Decay, and Deprived Neighbourhoods*. Ashgate Pub.



شكل (١٤) المباني القديمة المهجورة في مدينة كامدن، ولاية نيوجيرسي.

انعكست تأثيرات التآكل العمراني على تنمية المدن في أوروبا وأمريكا الشمالية؛ بينما تجلى التآكل العمراني في القارات الأخرى على صورة العشوائيات التي انتشرت على أطراف المدن الكبرى، بينما احتفظت وسط المدن وقلبها بقيمتها العقارية العالية؛ وبالمقابل فإن المدن في أمريكا الشمالية وبريطانيا عانت من الهروب إلى الضواحي ومدن صغيرة خارج المدينة الكبيرة، حيث يتنقل السكان يوميًا إلى العمل في المدينة، فيما يسمى بهروب البيض^(١). ومن السمات الأخرى لانهايار الحضر، الخراب الذي لحق بالمدن من التأثيرات البصرية والنفسية والعينية للعيش وسط مبان وأراض خاوية وبيوت آيلة للسقوط. تلك الملكيات المهجورة تشكل خطرًا اجتماعيًا للمجتمع، إذ إنها تجتذب المجرمين وعصابات الشوارع، مما يرفع من معدل الجرائم في المدن الكبرى.

أسباب التدهور العمراني

ليس هناك سبب واحد للتآكل العمراني، فهو ناجم عن مجموعة متداخلة من الأجواء الاقتصادية الاجتماعية بما في ذلك:

- قرارات التخطيط العمراني.
- قرارات التحكم في الإيجار.

(1) Jackson, Kenneth T. (1985), *Crabgrass Frontier: The Suburbanization of the United States*, New York: Oxford University Press.

- فقر السكان المحليين.
- تفشي إنشاءات الطرق السريعة وخطوط السكك الحديدية التي تمر بالمنطقة^(١).
- انخفاض عدد السكان مع نمو الضواحي على أطراف أراضي المدن.
- تعرض عقارات الحي لممارسات الخط الأحمر^(٢) (ممارسة الحرمان أو زيادة التكلفة في الخدمات للمقيمين في مناطق فيها غالبية عرقية معينة).
- التضييق على الهجرة^(٣).

تحديد الإيجارات

قرارات التحكم في الإيجارات تصدر نتيجة ضغوط شعبية وكثرة الشكوى من ارتفاع تكاليف الحياة. ودعاة التحكم في الإيجاريرون إلى أن ذلك يساعد في مكافحة التضخم ويؤدي إلى استقرار الجوانب الاقتصادية لأهل المدينة، ويمنع الغلو في رفع الإيجار، كما يساعد على تحسين جودة المساكن^(٤). ولقد ثبت أن التحكم في الإيجاريشوه العلاقة بين العرض والطلب في سوق الإسكان، مما يؤدي إلى تدهور المجتمع وإلى خراب الحضر، ولا يوفر المزايا المتوقعة التي يعد بها المناصرون لتحديد الإيجار^(٥). وفي الواقع، إن التحكم في الإيجار ساهم في تخريب المدن بخفض معدل المنشآت الجديدة والاستثمار في الإسكان، والحوافز لصيانة الممتلكات؛ حيث إن ارتفاع تكاليف الصيانة بنسبة كبيرة يجبر صاحب العقار على أن يخفض من أعمال الصيانة أو التغاضي عنها نهائياً؛ ولقد تجلت تلك الحقيقة في واقع مدينة نيويورك، حيث إن (٢٩٪) من العقارات الخاضعة للتحكم في الإيجارات تدهورت أو تهاكت مقارنة بنسبة (٨٪) من المباني السكنية غير المقيدة بقوانين التحكم في الإيجارات^(٦).

(1) Robert Caro (1974). *The Power Broker: Robert Moses and the Fall of New York*, Knopf.

(2) Walter Thabit (2003). *How East New York Became a Ghetto*. New York University Press.

(3) Paul S. Grogan, Tony Proscio (2002). *Comeback Cities: A Blueprint for Urban Neighborhood Revival*. Basic Books.

(4) Friedman, Milton; Block, Walter; Hayek, Friedrich A. (1981). "3". *Rent Control: Myths and Realities—International Evidence of the Effects of Rent Control in Six Countries*. Vancouver: The Fraser Institute. pp. 55–65.

(5) Peirce, Neal. "On Rent Control". Cato Institute. Regulation, May/June 1978 *AEI Journal On Government And Society* pp.45-46.

(6) DeSalvo, Joseph (July 1971). "Reforming Rent Control in New York City: Analysis of Housing Expenditures and Market Rentals". RAND Corp.

• عشوائيات الإثنيات

كثير من العشوائيات في أوروبا والولايات المتحدة قامت نتيجة الانتقال الجماعي لإثنية معينة إلى بعض المدن الكبرى في الدول التي تفتتح بابها لهم لظروف سياسية. على سبيل المثال، قام الرئيس جيمي كارتر بدعوة الكوبيين الذين يريدون الفرار من نظام فيديل كاسترو إلى اللجوء إلى الولايات المتحدة، هذا بدافع تكوين جبهة على دراية بكوبا تعين في التخلص من النظام الشيوعي القائم فيها. فأرسل كاسترو أفواجا كبيرة من المساجين السياسيين والمجرمين والمرضي العقليين على بواخر إلى مدينة ميامي. ولم يكن هناك مساكن تكفي الأعداد الضخمة التي تدفقت على الشواطئ الأمريكية ناهيك عن توفير فرص عمل لهم. وبهذا تحولت بعض أحياء ميامي، وخاصة قلبها إلى عشوائيات منفصلة عن بقية المجتمع، وانتشرت فيها العصابات الكوبية الإجرامية التي تتاجر في تهريب المخدرات. ومدينة ميامي في ذلك الحين كانت ملاذا لكبار السن والمتقاعدين الأمريكيين الذين لجؤوا إليها في فصل الشتاء تفاديا لبرودة الجو في الأماكن التي يعيشون فيها.

وقبل ذلك استحضرت الولايات المتحدة عند خروجها من فيتنام أفواجا ممن كانوا يعاونون قواتها أثناء الحرب هم وعائلاتهم، خوفا على حياتهم، واستقبلتهم الكنائس الكاثوليكية في بعض المدن وأوتهم مؤقتا. ومنحت الحكومة كل عائلة مبلغا من المال حتى تشتري مسكنا يؤويها. وتكدست العائلات في مساكن عشوائية في أحياء خاصة بهم، في عزلة عن سائر المجتمع للحفاظ على هويتهم وثقافتهم، بالقرب من البحيرات والبحار والمستنقعات والبرك، حيث عملت غالبيتهم في صيد ثمار البحر والمنافسة مع الصيادين من أهل المنطقة. وقد أدى ذلك إلى نزاعات دامية بين الطرفين. وتكاد تكون تجمعات الفيتناميين مغلقة على بقية المجتمع الأمريكي.

وما حدث مع الفيتناميين حدث من قبل مع الكوريين بعد انتهاء الحرب الكورية بإعلان الهدنة. ومن قبل نشأت عشوائيات صينية كونها الصينيون الذي استقدمتهم الولايات المتحدة في الماضي لبناء السكك الحديدية. والوضع تكرر مع الروس الذين لم يكتفوا ببناء عشوائيات يعيشون فيها، بل كونوا أخطر مافيا شهدت الولايات المتحدة جرائمها.

وعشوائيات الأفارقة والآسيويين الذين فروا من بلادهم عقب ذهاب المستعمر واستقلال بلادهم من المشاكل التي تعاني منها فرنسا وبريطانيا. حيث أن تلك العشوائيات عبارة عن أحياء تقتصر على إثنيات معينة تعيش في عزلة عن المدن التي يوجدون فيها، وغالبية تلك العشوائيات تكون في قلب المدينة.

وقد قامت الكنيسة الكاثوليكية في تورنتو بكندا بكفالة مجموعة كبيرة من الصوماليين الفقراء حماية لهم من الاضطرابات الجارية في بلادهم، ووفرت لهم السكن في منطقة قديمة من المدينة حولوها إلى عشوائية في عزلة عن سائر المدينة.

• العشوائيات العنصرية

العشوائيات العنصرية، مثل عشوائيات السود في جنوب أفريقيا، والأفارقة الأمريكيين تختلف عن العشوائيات الإثنية الأخرى بأن سكان العشوائيات الإثنية هم الذين يختارون العزلة عن المجتمع والحفاظ على تركيباتهم التقليدية في أحيائهم. بينما عزلة الأفارقة الأمريكيين مفروضة عليهم، بل إن العشوائيات غالبيتها مساكن قامت الحكومة بإنشائها لهم ثم تحولت إلى عشوائيات نتيجة إهمال الجهات المكلفة بالصيانة وتقديم الخدمات الأساسية. ومعظم العشوائيات توجد في قلب المدينة. وعملية التعصب العرقي الذي يعزل الأفارقة الأمريكيين في الإسكان وفي كثير من التعاملات الاجتماعية، رغم القوانين الداعية للمساواة في فرص العمل والسكن، راجعة إلى اعتقاد ديني راسخ بأن السود من نسل حام بن نوح، عليه السلام، وأن حام هو الإبن الكافر الذي عصى والده ورفض أن يركب السفينة وأوى إلى ربوة فنجا ليتناسل عنه السود.

وفرض العزلة على بعض السلالات العرقية ليست حصراً على السود، بل هي مفروضة بصور مختلفة على عرقيات أخرى، خاصة سكان الأرض الأصليين، الذين يعيشون في شبه عشوائيات على أطراف المدن أو في أماكن منعزلة؛ ففي اليابان مثلاً يعيش الإينو (Ainu) وهم السكان الأصليون في اليابان^(١)، في عزلة مفروضة عليهم^(٢)، حيث كان قانون البلاد يمنح الرجل منهم حق نصف مواطن ياباني^(٣). ولم يعترف بهم القانون كمواطنين حتى (٦ يونيو ٢٠٠٨)^(٤).

أما السكان الأصليون في الدول الأخرى مثل أستراليا وكندا والولايات المتحدة فإن الحكومات والمجتمع يتغاضون عن العشوائيات التي يعيشون فيها، حيث إنهم يعيشون بعيداً عن المدن في عزلة تامة عن سائر المجتمع، بعد أن حوصروا في مستوطناتهم لفترة طويلة، ولقاء منحهم نوعاً من الحكم الذاتي، فإن الدولة لا تجد نفسها مجبرة على تقديم أية خدمات خاصة لهم.

(1) Poisson, B. 2002, *The Ainu of Japan*, Lerner Publications, Minneapolis.

(2) Weiner, M. (eds) 1997, *Japan's Minorities: The Illusion of Homogeneity*, Routledge, London.

(3) Brett L. Walker, *The conquest of Ainu Lands: Ecology and Culture in Japanese Expansion 1590–1800*, University of California Press, 2001.

(4) Fogarty, Philippa (June 6, 2008). "Recognition at last for Japan's Ainu". *BBC News*. BBC.

• الغجروالمجتمعات المنعزلة

تعداد الغجر في العالم يناهز ١٠ مليون نسمة، منهم ما يزيد على مليون في الأمريكتين، وهم يعيشون في عشوائيات متنقلة، ويوجدون في شرق ووسط أوروبا وجنوب أوروبا والشرق الأوسط والأمريكتين. وهم يتعرضون إلى اضطهاد يصل إلى حد الإبادة في أوروبا، حيث إنهم يفضلون أن ينصبوا عشوائياتهم في أي مكان بالمدينة أو على أطرافها. وهم تجمعات مغلقة يلتقون بقايا الطعام ويعملون في التنجيم والسحر والعلاج بالأعشاب. ولهم عادات وتقاليد تتعارض مع أسلوب الحياة الحديثة. ومن أسباب اضطهادهم أن من الشائع عنهم أنهم من نسل قابيل بن آدم، عليه السلام، والذي يشاع أنه بعد أن قتل أخاه هابيل هام على وجهه وخالط الشياطين ولم يستقر به الحال هو ونسله في أي مكان. وتنقسم شعوب الغجر بشكل أساسي إلى الرومن أو الروما في أوروبا والنوار والكاولية والشوايا والصلب والدومر في الشرق الأوسط، بعضهم يتكلم لغة مشتركة وغالبيتهم مسيحيون ومسلمون، ولهم تقاليدهم وطقوسهم الخاصة.

وفي الولايات المتحدة سلالات بيضاء من أصول أوروبية تعيش في عشوائيات بطون الجبال، خاصة في الأبلاشيا، وفي أكواخ تطفو على مياه المستنقعات. ومجتمعاتهم مغلقة لا تقبل أي غريب عنهم، ويتزوجون بعضهم من بعض، وتتزوج بناتهم في أعمار صغيرة مخالفة بذلك القوانين، بل إن بعضهم قد يتزوج من أخته. وفي جبال الألب توجد تجمعات مماثلة تعيش في عشوائيات معزولة تمامًا عن المدن؛ وعادة ما تتغاضى السلطات عنهم، وهم لا يتوقعون من الحكومة تقديم أية خدمات لهم، ويعيشون على الصيد في البر والبحر وتبادل الخدمات والسلع.

مناطق وجود العشوائيات

انتشار العشوائيات

توجد العشوائيات في العديد من الدول، وتنتشر حول العالم، بحيث إنها أصبحت ظاهرة عالمية^(١). ووفق تقرير هابيتات التابعة للأمم المتحدة في (٢٠٠٦) يوجد قرابة مليار نسمة مستقرة في

(1) Arimah, Ben C. (2010). "The face of urban poverty: Explaining the prevalence of slums in developing countries, Working paper". World Institute for Development Economics Research. 30.

مستوطنات عشوائية في مدن في أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا، وعدد أقل من ذلك في أوروبا وأمريكا الشمالية^(١).

وفي سنة (٢٠١٢)، وفق هابيتات حوالي (٨٦٣) مليون نسمة يعيشون في العشوائيات في دول العالم النامية؛ ووصل سكان عشوائيات المدن في منتصف السنة إلى (٢١٣) مليون في جنوب صحراء أفريقيا الكبرى، و(٢٠٧) مليون في شرق آسيا، و(٢٠١) مليون في جنوب آسيا، و(١١٣) مليون في أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي، و(٨٠) مليون في جنوب شرق آسيا، و(٣٦) مليون في غرب آسيا، و(١٣) مليون في شمال أفريقيا. ومن بين الدول، فإن نسبة سكان المدن المقيمين في مناطق عشوائية في (٢٠٠٩) كان الأعلى في جمهورية أفريقيا الوسطى (٩٥,٩٪)، وتشاد (٨٩,٣٪)، والنيجر (٨١,٧٪)، وموزامبيق (٨٠,٥٪)^(٢).

يختلف توزيع العشوائيات في المدن حول العالم، ففي غالبية الدول المتقدمة، يسهل التمييز بين المناطق العشوائية وغيرها. ففي الولايات المتحدة؛ مثلا، يوجد سكان العشوائيات في أحياء المدن الكبرى، وفي المناطق الداخلية في بعض الضواحي. هذا لأن المدن الكبرى في الولايات المتحدة ليس فيها قلب المدينة النابض بالمعنى المتعارف عليه في سائر دول العالم. بينما الحال مختلف في أوروبا، حيث يعيش سكان العشوائيات في مبان عالية متعددة الطبقات على أطراف المدن.

وفي العديد من الدول النامية، تتفشى العشوائيات في جيوب مبعثرة حول المدينة، أو في مدارات من الاستيطانات غير الرسمية الكثيفة. وفي بعض المدن - خاصة في دول جنوب آسيا وجنوب الصحراء الكبرى - ليست العشوائيات جوارات مهمشة تحتوي على قدر بسيط من السكان بل إنها منتشرة، وهي مأوى شطر كبير من سكان الحضر، ولهذا يطلق على المدينة كلها كنية مدينة العشوائيات^(٣).

ولقد انخفضت نسبة سكان الحضر الذين يعيشون في العشوائيات في الدول النامية، نتيجة التنمية الاقتصادية، بينما ازداد العدد الكلي لسكان الحضر. وفي سنة (١٩٩٠)، كانت نسبة سكان المدن الذين يعيشون في العشوائيات (٤٦٪). هذا العدد انخفض بعد عقد من الزمان إلى (٣٩٪)، واستمر في الانخفاض في القرن الذي تلاه إلى (٣٢٪)^(٤).

(1) UN-HABITAT (2006b) (2006). *State of the World's Cities 2006/2007: The Millennium Development Goals and Urban Sustainability*. London: Earthscan.

(2) "State of the World's Cities Report 2012/2013: Prosperity of Cities". UNHABITAT.

(3) *Slum Cities and Cities with Slums* States of the World's Cities 2008/2009. UN-Habitat.

(4) "State of the World's Cities Report 2012/2013: Prosperity of Cities". UNHABITAT. p. 127.

مواقع العشوائيات

تكوين العشوائيات يبدأ في العادة على أطراف المدينة؛ وبمرور الوقت تتمدد المدينة حول العشوائيات الأصلية، حيث تحيط بالعشوائيات وتحتويها داخل محيطها. وتبدأ براعم العشوائيات الجديدة النمو على الحدود الجديدة للمدينة التي تتوسع بإطراد، وعادة تقام على أراضي لها ملكية عامة أو أرض مشاع، وهذا يتكون مزيج من الزحف العمراني لمستوطنات رسمية، وشركات أعمال، ومناطق تجارية، وعشوائيات، مما يجعل لمواقع العشوائيات الأصلية ملكيات قيمة، كثيفة السكان فيها العديد من التسهيلات التي تجذب الفقراء^(١).

وتقع العشوائيات عند تكوينها على أراضي بوار، وعادة لا توجد رغبة فيها قرب مدينة صغيرة أو كبيرة تتبع ملكيات الحكومة، أو تكون وقفا لجمعية خيرية أو ملكية منظمة دينية، وقد لا يكون لها سجل ملكية أصلاً.

في المدن التي تقع فوق أراضي جبلية، تبدأ العشوائيات في أماكن يصعب الوصول إليها من منحدرات، أو تبدأ في أسفل سهول معرضة للسيول، وعادة ما تكون مختفية عن مرأى قلب المدينة، ولكنها قريبة من مورد للمياه الطبيعية.

وفي المدن الواقعة بالقرب من بحيرات، ومستنقعات وبرك وأنهار، تبدأ العشوائيات على جسورها أو على ركائز فوق المياه أو على قاع نهر جاف.

وفي الأرض المسطحة تبدأ العشوائيات على أرض لا تصلح للزراعة بالقرب من مقالب القمامة في المدينة، وإلى جانب السكك الحديدية^(٢)، والمواقع الأخرى التي يتلافها الناس ولا يرغب فيها أحد.

هذه الاستراتيجيات تقي العشوائيات من مخاطر ملاحظة وجودها والسعي لإزالتها عندما تكون صغيرة في مرحلة التكوين، وتكون أكثر عرضة للتدخل من مسؤولي الحكومة المحلية. وفي البداية تكون المساكن في خيام وأكوخ يمكن نصيبها على عجالة، فإذا نمت العشوائية واستقرت فإن الوافدين الجدد عليها يدفعون إتاوة للمسؤولين عن العشوائية، الذين يفرضون أنفسهم على من فيها كأي تجمع بشري عشوائي، لقاء حق الإقامة في حيازة العشوائية. عندئذ تستخدم وتتطور مواد الإنشاءات،

(1) Rosa Flores Fernandez (2011), Physical and Spatial Characteristics of Slum Territories Vulnerable to Natural Disasters, Les Cahiers d'Afrique de l'Est, n° 44, French Institute for Research in Africa.

(2) Lloyd, P. (1979), *Slums of Hope: shanty towns of the Third World*, Manchester University Press.

فتقوم العشوائيات باستخدام مواد أكثر تحملاً مثل الطوب والخرسانة المناسبة لطبوغرافية العشوائية^{(١)٠(٢)}.

وبمرور الوقت، تتأسس العشوائيات الأصلية إلى جوار مراكز النشاط الاقتصادي، والمدارس، والمستشفيات، ومصادر العمل، التي يعتمد عليها الفقير. والعشوائيات القديمة المستقرة المحاطة بالبنية التحتية الرسمية للمدينة لا تتمكن من التوسع أفقياً، فتتمو رأسياً بتكديس غرف لتستوعب نمو عائلة أو كمصدر للإيجار من القادمين الجدد على العشوائية^(٣). وبعض العشوائيات تطلق على نفسها أسماء مؤسسي أحزاب سياسية أو شخصية تاريخية لها تقدير محلي، أو اسم مشاهير السياسيين أو اسم زوجة أحد السياسيين، وهذا سعيًا لدعم سياسي ضد الإخلاء^(٤). كما أن بعض السياسيين قد يقدمون لهم الوعود البراقة ليكسبوا ولاءهم المطلق، أو يوزعون عليهم بعض العطاءات والهبات البسيطة التي قد لا تزيد عن وجبة طعام مجانية، حتى لا ينحازوا لغريم سياسي.

الحيازة غير الآمنة

حيازة الأرض بصورة غير رسمية هي من سمات عشوائيات الحضر^(٥). فالعشوائيات تقوم على أراضي ليس لها ملكية واضحة، في أماكن لا يكثر أحد بملكيتها، وليس لأحد مطمع فيها، سواء كانت تابعة للدولة أو إلى أية هيئة خيرية أو دينية، فهي تعتبر في نظر الناس أرضاً مشاعاً لا صاحب لها. وبعض المهاجرين يعتبرون الأرض الشاغرة أرضاً بلا صاحب، وبهذا فإن لهم حق الاستفادة منها^(٦). وفي بعض الحالات يخصص المجتمع المحلي أو الحكومة المحلية الأراضي لأناس معوزين أو مهاجرين أو طائرين على المنطقة، ثم تتحول تلك الأراضي إلى عشوائيات تجذب إليها مقيمين ليس لهم أية حقوق ملكية. والحيازة الرسمية تتضمن كذلك احتلال أرضٍ ملكاً لشخص آخر غافل عنها أو غير مهتم

- (1) Banerji, M. (2009), Provision of basic services in the slums and resettlement colonies of Delhi, Institute of Social Studies Trust.
- (2) McAuslan, Patrick. (1986). Les mal logés du Tiers-Monde. Paris: Éditions L'Harmattan.
- (3) Centre des Nations Unies pour les Etablissements Humains (CNUEH). (1981). Amélioration physique des taudis et des bidonvilles, Nairobi.
- (4) Gilbert, Daniel (1990), Barriada Haute-Espérance : Récit d'une coopération au Pérou. Paris: Éditions Karthala.
- (5) What are slums and why do they exist? UN-Habitat, Kenya (April 2007).
- (6) Agbola, Tunde; Elijah M. Agunbiade (2009). "Urbanization, Slum Development and Security of Tenure- The Challenges of Meeting Millennium Development Goal 7 in Metropolitan Lagos, Nigeria.". Urban Population-Development-Environment Dynamics in the Developing World- Case Studies and Lessons Learned: 77-106.

بحقه^{(١)٠(٢)}، أو يصعب عليه استرداد حقه بالطرق القانونية، كما هو الحال في مصر، مثلاً. وفي بعض الإحصائيات^(٣)، (٥١٪) من العشوائيات قائمة على غزو أراض خاصة في جنوب الصحراء الكبرى بأفريقيا، و(٣٩٪) في شمال أفريقيا وغرب آسيا، و(١٠٪) في جنوب آسيا، و(٤٠٪) في شرق آسيا، و(٤٠٪) في أمريكا اللاتينية ودول البحر الكاريبي.

وفي بعض الحالات، عندما تتكاثر أعداد المقيمين في العشوائيات يكون المقيمون الأوائل مجموعات اجتماعية أو جمعيات غير منظمة وغير رسمية، أو عصابة، أو زمرة من البلطجية تتحكم في إسكان الهابطين على العشوائية بحثاً عن مأوى، فيتقاضون رسوماً لقاء حق الإقامة في العشوائية^(٤). والعشوائية عادة يتم أنشاؤها دون بحث عن حقوق ملكية الأرض أو اتباع أية لوائح تنظيمية للمباني، كما أنها لا تسجل في المدينة، وعادة لا تعترف بها المدينة أو الولاية أو الحكومة المركزية^{(٥)٠(٦)}.

وقضية تأمين حيازة الأرض قضية مهمة للمقيمين في العشوائيات، فهذا يعني الاعتراف الرسمي بواقع إقامتهم في منطقة عمرانية؛ وهذا يشجعهم على رفع مستوى المرافق بمنزلهم، مما يعطيهم حماية من الأضرار الطبيعية وغير الطبيعية. كما أن غياب أية أوراق ملكية رسمية للأرض التي يحتلونها يحرمهم من حقوق الاقتراض الخاص بالبناء وصيانة المباني أو تطويرها، مما قد يزيد من وضعهم المالي سوءاً. هذا بالإضافة إلى أن غياب التسجيل لملكية الأرض، يصعب على الحكومة تحسين المرافق الرسمية وإصلاح حال الظروف المعيشية. وعدم تأمين الحيازة في العشوائية إلى جانب غياب بدائل اجتماعية أو سياسية للعشوائيات يؤدي إلى صعوبة تطوير البنية التحتية للمدينة بأسرها، مثل المواصلات الجماعية السريعة، وخطوط توصيل الكهرباء، ومد الطرق السريعة، وشق الطرق^(٧).

- (1) Brueckner, Jan K.; Harris Selod (2009). "A theory of urban squatting and land-tenure formalization in developing countries". *American Economic Journal: Economic Policy*: 28–51.
- (2) Davy, Ben; Sony Pellissery (2013). "The citizenship promise (un) fulfilled: The right to housing in informal settings". *International Journal of Social Welfare*. 22 (S1): 68–84.
- (3) Flood, Joe (2006). "Secure Tenure Survey Final Report". *Urban Growth Management Initiative*.
- (4) Taschner, Suzana (2001), *Desenhando os espaços da pobreza*. Faculdade de Arquitetura e Urbanismo, Université de Sao Paulo.
- (5) Field, E (2005). "Property rights and investment in urban slums". *Journal of the European Economic Association*. 3 (2–3): 279–290.
- (6) Davis, M (2006). "Planet of slums". *New Perspectives Quarterly*. 23 (2): 6–11.
- (7) Ravetz, A. (2013). *The government of space: town planning in modern society*. Routledge.

مشاكل العشوائيات

مخاطر إسكان العشوائيات

تعتبر العشوائيات من الأماكن الأكثر عرضة لمخاطر الكوارث الطبيعية، مثل الانهيارات الأرضية^(١)، والسيول والفيضانات^(٢)، والزلازل والحرائق والرياح العاتية وغيرها من الأحوال الجوية القاسية^(٣)؛ بطبيعة مواقعها وعدم إعداد أراضيها ومنشئاتها لتحمل تلك الكوارث المفاجئة، والتي قد تكون نادرة الوقوع. تلك الكوارث تؤدي إلى أضرار واسعة النطاق ووفيات بشرية في العشوائيات أكثر من أي أماكن سكنية أخرى، نظرًا لهشاشة البنيان وكثافة السكان.



شكل (١٥) حطام عشوائية في هيتي بعد زلزال (٢٠١٠).

في المدن ذات التضاريس الجبلية، تبدأ بنايات العشوائيات على سفوح يصعب الوصول إليها، أو تبدأ في قاع الواحات المعرضة للسيول، وفي العادة تختار مكانًا محجوبًا عن عيون من يعيشون في قلب المدينة، ولكنهم يكونون على مقربة من مصادر مياه طبيعية. وفي المدن المشرفة على البحيرات والمستنقعات والأنهار، تبدأ منشئات العشوائيات على أعمدة تعلو فوق الماء أو على قاع نهر جاف. وفي حالة الأراضي المسطحة، تبدأ العشوائيات على أراض غير صالحة للزراعة بالقرب من منطقة مقابل

(1) Rio slum landslide leaves hundreds dead The Guardian (8 April 2010).

(2) Dilley, M. (2005). Natural disaster hotspots: a global risk analysis (Vol. 5). World Bank Publications.

(3) Smith, Keith (2013). *Environmental hazards: assessing risk and reducing disaster*, Routledge.

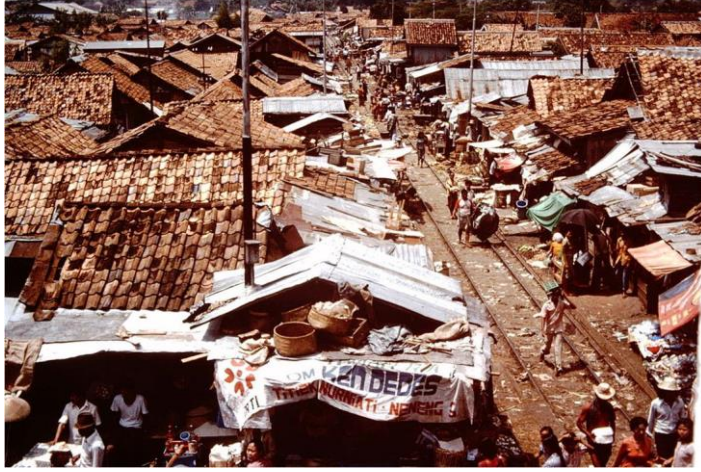
(4) Pelling, M., & Wisner, B. (Eds.). (2009), *Disaster risk reduction: Cases from urban Africa*, Earthscan Publishers (UK).

القمامة والنفايات، وعلى مقربة من خطوط السكك الحديدية^(١)، ومواقع أخرى يأنف منها الناس وغير مرغوب فيها. هذا يجعل العشوائيات بمنجاة عن الأنظار وعن الإزالة، وهي صغيرة ومعرضة لقرارات مسؤولي الحكومة المحلية بالإخلاء^(٢).



شكل (١٦) مساكن عشوائية في فيتنام مقامة على أعمدة في منطقة تغمرها الفيضانات روتينيا بين (٣) إلى (٤) مرات سنويا.

- (1) Banerji, M. (2009), Provision of basic services in the slums and resettlement colonies of Delhi, Institute of Social Studies Trust.
- (2) Rosa Flores Fernandez (2011), Physical and Spatial Characteristics of Slum Territories Vulnerable to Natural Disasters, Les Cahiers d'Afrique de l'Est, n° 44, French Institute for Research in Africa.



شكل (١٧) مساكن عشوائية بجوار السكة الحديدية في جاكرتا، أندونيسيا.

غير أن الإنشاءات العفوية، وغياب التحكم في جودة مواد البناء المستعمل في مباني العشوائيات، إلى جانب الصيانة الرديئة والتصميم غير المتناسق يجعلها معرضة لأضرار واسعة النطاق مع التدهور السريع^{(١)٠(٢)}.

كما أن بعض العشوائيات معرضة لمخاطر من صنع البشر، مثل التلوث البيئي السام من الصناعات، وازدحام المرور، وانهيار البنية التحتية من كباري وجسور^(٣). تعتبر الحرائق من أكبر المخاطر للعشوائيات وسكانها، خاصة وأن الشوارع في العشوائيات ضيقة لا تسمح بالتدخل السريع لمعدات إطفاء الحريق^(٤).

البطالة والاقتصاد العشوائي

التعليم

كثير من سكان العشوائيات ينقصهم التعليم، فغالبيتهم لم يكملوا التعليم الثانوي، وتحصيل الكثير منهم متدنٍ للغاية، خاصة في الولايات المتحدة، حيث يعتمد الإنفاق على التعليم على الضرائب

- (1) Wisner, B. (Ed.). (2004). *At risk: natural hazards, people's vulnerability and disasters*. Psychology Press.
- (2) Sanderson, D. (2000), Cities, disasters and livelihoods, *Environment and Urbanization*, 12(2), pages 93–102
- (3) Davis, Mike (2006). *Planet of Slums*. Verso.
- (4) Hamza, M., & Zetter, R. (1998). Structural adjustment, urban systems, and disaster vulnerability in developing countries. *Cities*, 15(4), pages 291–299.

العقارات التي تكون متلاشية في العشوائيات، مما يؤدي إلى عدم إتقان أي حرف منهم، كل هذا يؤثر بالطبع في سوق عمل تنافسي^(١)؛ وبهذا فإن العشوائيات تواجه معدلات مرتفعة من البطالة^(٢). وحتى الذين ينجحون في إكمال تعليمهم الثانوي، فإن فرص عملهم ضئيلة نتيجة تخوف أصحاب العمل منهم. أما التعليم الجامعي فهو فوق الطاقة المادية لمن يعيشون في العشوائيات، إلى جانب روح الإحباط التي تخيم على العشوائيات التي تحول بينهم وبين تحسين أحوالهم المعيشية؛ وحتى الموهوبون منهم وأصحاب الطموح الذين قد يحصلون على دعم للتعليم الجامعي، فكثيراً ما يتقاعسون عن إكمال التعليم، وإن أكملوه فقد يصدمون بالتعامل مع المجتمع الذي يكن لهم مشاعر غير حميدة، تكون عادة متبادلة؛ وبهذا، فنادرًا ما يمكن على التغلب على العقبات المتتالية في التعليم والحصول على العمل. ومن يحالفه الحظ في تخطي تلك العقبات سيفر من العشوائية، مع صعوبة التخلي عن ثقافة العشوائيات.

فرص العمل

إن محدودية فرص العمل تدفع الكثير من سكان العشوائيات إلى توظيف أنفسهم في اقتصاديات عشوائية أو غير رسمية، سواء في العشوائية، أو في المناطق العمرانية المتقدمة بجوار العشوائية. هذه الوظائف قد تكون اقتصاديات غير رسمية مباحة أو اقتصاديات غير رسمية غير مشروعة دون عقود عمل أو أي نوع من التأمين الاجتماعي. يبحث بعض سكان العشوائيات عن عمل، وقد يوفق في منتهى المطاف إلى الحصول على عمل في اقتصاديات رسمية، وذلك بعد اكتساب بعض المهارات المهنية في القطاعات غير الرسمية^(٣).

ومن أمثلة الاقتصاد غير الرسمي المشروع: الباعة المتجولين، والعمل في المشاريع المنزلية، وتجميع المنتجات وتعليبها، وصنع الأكاليل والمطرزات، والخدمة في البيوت، وتلميع الأحذية أو العمل كإسكافي، وقيادة "توك توك" أو ريكشا يدوية، وعمال بناء، والخدمات اللوجستية المدفوعة يدويًا، ومنتجات الحرف اليدوية^(٤). وفي بعض العشوائيات، يقوم أهلها؛ لكسب لقمة العيش بالفرز اليدوي للقمامة، بهدف إعادة استخدام مختلف مصنفاتها؛ من قمامة منازل أهل الحضر إلى نفايات

- (1) Kabiru, C. W.; et al. (2012). "'Making It': understanding adolescent resilience in two informal settlements (Slums) in Nairobi, Kenya". *Child & Youth Services*. 33 (1): 12–32.
- (2) Slum residence World Health Organization (2010).
- (3) Gupta, Indrani; Arup Mitra (2002). "Rural migrants and labour segmentation: Micro-level evidence from Delhi slums.". *Economic and Political Weekly*: 163–168.
- (4) Taj Ganj Slum Housing, Cities Alliance (2012).
- (5) The hidden role of informal economy Ulla Heinonen, Helsinki University of Technology, Finland (2008).

الإلكترونيات الأجهزة الفاسدة والمستعملة، وبيع ما قد يمكن استعماله من بضائع أو تفكيك ما لا يصلح استعماله إلى قطع أو خامات. وعادة ما تتطلب ممارسة هذا الاقتصاد المشروع غير الرسمي من الفقير أن يدفع رشوة بصورة رتيبة للشرطة المحلية ومسؤولي الحكومة^(١).

ومن أمثلة الاقتصاديات غير الرسمية وغير المشروعة، الاتجار في الممنوعات والأسلحة، والمخدرات أو إنتاج الخمر (الموونشايين الأمريكي)، خاصة المصنعة من الخبز (البوظة المصرية) والغلال مثل الذرة (التشانجا الكينية)، والدعارة والقمار. وكل تلك المهن فيها خطورة على الأفراد وعائلاتهم وعلى المجتمع بأسره^(٢)،^(٣)،^(٤). وضمن ما عكسته بعض التقارير مؤخرًا عن الاقتصاديات غير الرسمية وغير المشروعة، تجارة وتوزيع المخدرات في عشوائيات (Favelas) البرازيل، وإنتاج البضائع الزائفة في عشوائيات (Colonías) في طيوانا، والتهريب في كاتشي أباديس وعشوائيات كراتشي، أو تصنيع المخدرات الكيماوية في عشوائيات (Townships) في جوهانسبرج^(٥).

وأهل العشوائيات العاملون في الاقتصاديات غير الرسمية معرضون للعديد من المخاطر، إلى جانب ما يجنونه من سمعة سيئة. فالقطاع غير الرسمي (الذي يعمل تحت الأرض) بطبيعته يعني عدم ضمان للدخل، وعدم القدرة على الحراك الاجتماعي. كذلك ليس هناك عقود قانونية، حماية لحقوق العمال، أو لوائح أو قدرة على التفاوض في الوظائف غير الرسمية^(٦).

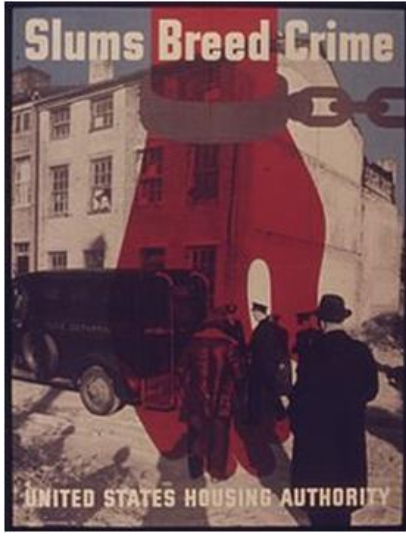
العنف

إن الجريمة تعتبر الشغل الشاغل والرئيس للمسؤولين بالنسبة لمشاكل العشوائيات^(٧)؛ حتى إن حكومات المدن في الولايات المتحدة قامت بنشر معلقات دعائية وحملة إعلامية تربط بين

- (1) The case of Karachi, Pakistan Urban Slum Reports, A series on Slums of the World (2011); see page 13.
- (2) Uganda: slum areas, posh pubs biggest drug hubs. *All Africa News* (January 7, 2013).
- (3) "African Moonshine: Kill Me Quickly". *The Economist*. 2010-04-29.
- (4) Larry Whiteaker (1997), *Seduction, Prostitution, and Moral Reform in New York, 1830-1860*, Routledge, page 29.
- (5) Vanda Felbab-Brown, *Bringing the State to the Slum: Confronting Organized Crime and Urban Violence in Latin America - Lessons for Law Enforcement and Policymakers* Brookings Institution (December 2011).
- (6) Breman, J. (2003). *The labouring poor in India: Patterns of exploitation, subordination, and exclusion*. New Delhi: Oxford University Press.
- (7) *In the Violent Favelas of Brazil* S Mehta, *The New York Review of Books* (August 2013).

العشوائيات والعنف المستشري في المدن، لتكسب دعم المواطنين في القيام بإزالة العشوائيات وبناء مساكن شعبية^(١).

وهناك بعض البيانات التجريبية تشير إلى أن معدلات الجريمة في بعض العشوائيات تفوق معدلات الجرائم خارج العشوائيات، وأن جرائم القتل وحدها مسؤولة عن خفض متوسط العمر المتوقع لمقيم في عشوائية بالبرازيل بسبعة أعوام عن شخص يعيش بالقرب من العشوائية^(٢).



شكل (١٨) معلقة بروجندا عن العشوائيات والعنف، وزعتها الهيئة العامة للإسكان بالولايات المتحدة في أربعينيات القرن الماضي.



شكل (١٩) العنف في عشوائية بريودي جنيروبالبرازيل.

وفي بعض الدول مثل فنزويلا، أرسل المسؤولون قوات عسكرية للسيطرة على عنف مجرمي عشوائية متورطة في المخدرات والأسلحة^(٣). وتعتبر عمليات الاغتصاب من القضايا الخطيرة الأخرى

(1) How New York City Sold Public Housing Mark Byrnes, *The Atlantic* (November 2, 2011).

(2) *Venezuela's military enters high crime slums* Karl Ritter, Associated Press (May 17, 2013).

(3) Newar, Rachel (14 June 2013). "In Kenya, Where One in Four Women has Been Raped, Self Defense Training Makes a Difference". *Smithsonian Magazine*.

المتعلقة بالجرائم في العشوائيات، ففي عشوائيات نيروبي على سبيل المثال، يتم اغتصاب ربع المراهقات سنوياً^(١).

هذا بينما تشير تقارير هابيتات التابعة للأمم المتحدة أن بعض العشوائيات أكثر عرضة للجرائم، ففي وجود معدلات مرتفعة للجريمة؛ على سبيل المثال في العشوائيات التقليدية التي توجد في قلب المدينة، ليست الجريمة نتيجة بنية بعض العشوائيات، بل إن الجريمة هي من أعراض المعيشة في العشوائيات، وهذا فالعشوائيات تتكون من ضحايا أكثر من مجرمين. وبالتالي فإن العشوائيات ككل ليست معدلات الجريمة فيها مرتفعة باستمرار؛ ولكن العشوائيات فيها أسوأ معدلات الجريمة في القطاعات التي تحتفظ بنفوذ في الاقتصاديات غير المشروعة؛ مثل تجارة المخدرات، وتخمين الخمر، والدعارة والقممار. ففي مثل تلك الحالات تتصارع العصابات المتعددة على السيطرة في الإيرادات^(٢)،^(٣).

ومعدل الجريمة في العشوائية يتأثر بعدم كفاية فرض القانون والأمن العام، ففي المدن الكبرى في الدول النامية آليات فرض القانون متخلفة بالنسبة لنمو الحضر وتوسع العشوائيات. وقد تعجز الشرطة كثيراً في الحد من الجرائم نتيجة عدم كفاءة تخطيط المدينة وإدارتها، كما أن نظام مكافحة الجريمة في العشوائيات ليس فعالاً. وهذه الإشكاليات ليست بالأساس ناجمة عن عدم اكتراث المجتمع. ففي حالة وقوع جريمة نادراً ما يتسنى للشرطة جمع المعلومات، والشوارع ضيقة وتعتبر مخموت لدوريات الشرطة، كما أن العديد من أهل العشوائيات لديهم عدم ثقة غريزية بالسلطات بناءً على الخوف من الإخلاء إلى جمع رسوم الخدمات البلدية، بالإضافة إلى النظام والقانون^(٤). ونتيجة تجاهل الحكومات للعشوائيات وعدم الاعتراف بها كحي في المدينة يؤدي إلى قصور في قوات الشرطة الرسمية وفي مؤسسات العدالة العامة في العشوائيات^(٥).

ثم إن الشباب عرضة للاستغلال من جهة عناصر شريرة، سواء من العشوائيات أو من المجاورين للعشوائيات، نظراً لمجتمع العشوائية المغلق، والرغبة من التحرر من ربقة الفقر. ومما يسهل

(1) Newar, Rachel (14 June 2013). "In Kenya, Where One in Four Women has Been Raped, Self Defense Training Makes a Difference". *Smithsonian Magazine*.

(2) Global: Urban conflict – fighting for resources in the slums IRIN, United Nations News Service (October 8, 2007).

(3) Josephine Slater (2009), Naked C.

(4) Bringing the State to the Slum: Confronting Organized Crime and Urban Violence in Latin America Vanda Felbab-Brown (2011), Brookings Institution.

(5) The challenge of slums – Global report on Human Settlements, United Nations Habitat (2003).

وقوع الشباب في شرك العناصر الفاسدة والعصابات، تفكك الأسرة وانشغال الأب والأم بالجري وراء الرزق، وغياب النماذج الطيبة التي يمكن أن يُقتدى بها.

ومن أنواع العنف المنتشرة في العشوائيات، العنف المسلح، وهو الغالب على عشوائيات الأفارقة والأمريكيين اللاتينيين والكوريين والفيتناميين. والبنادق والأسلحة تؤدي إلى القتل وانتشار العصابات الإجرامية^(١). وعادة ما يكون الرجال المقيمين في العشوائية هم الضحايا^(٢). والعنف عادة ما يقود إلى الثأر والانتقام داخل العشوائية^(٤). وحروب العصابات والمخدرات مرض مزمن في العشوائية، والتي تشب في الغالب بين ذكور العشوائية^(٥). والشرطة قد تشارك في العنف القائم على الجنس ضد الرجال فتتخفظ عليهم، وتضربهم وتقودهم إلى السجون. ثم إن ثقافة الكوريين والفيتناميين والكوبيين تقوم على التعصب للجوار، مما يسبب حروباً بين عصابة ناحية وعصابة ناحية أخرى في العشوائية نفسها، أو بين العصابات من عشوائيات متجاورة.

وحلقة العنف في العشوائية لا تعني بالضرورة أن العشوائيات إجرامية، بل إن العنف في بعض الأحوال ناجم عن الإحباط والنقمة على الحياة في العشوائية، وما يترتب على تلك الحياة من حرمان سكان العشوائيات من فرص لتترك العشوائية^(٦).^(٧).^(٨)

- (1) Palus, Nancy (15 May 2013). "Humanitarian intervention in violence-hit slums – from whether to how". *IRIN*.
- (2) More Slums Equals More Violence Robert Muggah and Anna Alvazzi del Frate, Geneva Declaration on Armed Violence and Development & UNDP (October 2007).
- (3) Outwater, A.; et al. (2005). "Homicide Death in Sub-Saharan Africa: A Review 1970–2004". *African Safety Promotion*. 8.
- (4) LeBas, A. (2013), Violence and urban order in Nairobi, Kenya and Lagos, Nigeria, *Studies in Comparative International Development*, 48(3), pp 240-262.
- (5) Rashid, S.F. (2005). "Worried lives, poverty and reproductive health needs of married adolescent women in urban slums of Dhaka city, Bangladesh". Doctoral Dissertation, The Australian National University.
- (6) R Merton (1938), Social Structure and anomie, *American Sociological Review*, 3, pages 672-682.
- (7) S Cohen (1971), *Images of deviance*, Harmondsworth, UK, Penguin.
- (8) *Criminological Theory: Context and Consequences*, J. Robert Lilly, Francis T. Cullen, Richard A. Ball (2010), SAGE, pages 41-69.

إن معدل جرائم العصابات ليس أعلى مستوى إجرامي في عالم العشوائيات، ويعد أعلى مستوى للجريمة موجود في الاقتصاديات القوية غير المشروعة؛ مثل تجارة المخدرات، وصناعة الخمر والدعارة والقمار، حيث تتصارع العصابات على التحكم في السوق والإيراد^{(١) (٢)}.

العلاقة الأسرية

تعتبر النساء في العشوائيات أكثر تعرضاً للعنف البدني والجنسي^(٣). وعوامل مثل البطالة تؤدي إلى موارد غير كافية للبيت، مما يسبب في زيادة التوتر الزوجي والخلافات الزوجية، وبالتالي إلى تفاقم العنف المنزلي^(٤).

وكثيراً ما تكون العشوائيات غير آمنة، مما يجعل النساء معرضات لخطورة العنف الجنسي، عندما يكن بمفردهن في العشوائيات خلال الليل. والعنف ضد النساء وأمنهن يعتبر من المشاكل الكثيرة الحدوث^(٥).

كما أن العنف المنزلي ضد الرجال يوجد في العشوائيات، بما في ذلك التجاوزات اللفظية وحتى العنف البدني في البيوت^(٦).

-
- (1) Global: Urban conflict - fighting for resources in the slums IRIN, *United Nations News Service* (October 8, 2007).
 - (2) Josephine Slater (2009), *Naked Cities - Struggle in the Global Slums*, Mute, Volume 2, Issue 3.
 - (3) Go, Vivian F.; et al. (2003). "When HIV-prevention messages and gender norms clash: the impact of domestic violence on women's HIV risk in slums of Chennai, India". *AIDS and Behavior*. 7 (3): 263–272.
 - (4) Magar, Veronica (November–December 2003). "Empowerment approaches to gender-based violence: women's courts in Delhi slums". *Women's Studies International Forum*. Elsevier. 26 (6): 509–523.
 - (5) Women, Slums and Urbanisation: Examining the Causes and Consequences. Geneva: *Centre on Housing Rights and Evictions (COHRE)*. 2008.
 - (6) Ochako, Rhouna Adhiambo; et al. (2011). "Gender-Based Violence in the Context of Urban Poverty: Experiences of Men from the Slums of Nairobi, Kenya". Population Association of America 2011 Annual Meeting Program.

سكان العشوائيات عادة ما يعانون من معدل عالٍ من الأمراض^{(١)،(٢)}.

والأمراض الشائعة في العشوائيات تشمل: الكوليرا^{(٣)،(٤)}، وفيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز^{(٥)،(٦)}، والحصبة^(٧)، والملاريا^(٨)، وحمى الضنك^(٩)، والتيفود^(١٠)، ومقاومة العقاقير^(١١)، والسل^(١٢).

- (1) Lilford, R.J., Oyebode, O., Satterthwaite, D., Melendez-Torres, G.J., Chen, Y., Mberu, B., et al. (2017), *Improving the health and welfare of people who live in slums* The Lancet, 389(10068): 559-70.
- (2) Ezeh, A., Oyebode, O., Satterthwaite, D., Chen, Y., Ndugwa, R., Sartori, J., et al. (2017), The history, geography, and sociology of slums and the health problems of people who live in slums *The Lancet*, 389(10068): 547-558.
- (3) Nossiter, Adam. "Cholera Epidemic Envelops Coastal Slums in West Africa". *New York Times*.
- (4) *Cholera epidemic envelops coastal slums in West Africa*, Africa Health, page 10 (September 2012).
- (5) Madise, NJ; Ziraba, AK; Inungu, J; Khamadi, SA; Ezech, A; Zulu, EM; Kebaso, J; Okoth, V; Mwau, M. "Are slum dwellers at heightened risk of HIV infection than other urban residents? Evidence from population-based HIV prevalence surveys in Kenya". *Health Place*. **18**: 1144–52.
- (6) Burns, P. A., & Snow, R. C. (2012). The built environment & the impact of neighborhood characteristics on youth sexual risk behavior in Cape Town, South Africa. *Health & Place*, 18(5), 1088–1100.
- (7) Measles Outbreak – A Study In Migrant Population In Aligarh Najam Khaliq et al, *Indian J. Prev. Soc. Med.* Vol. 39 No.3& 4 2008.
- (8) Bhattacharya, S. K., Sur, D., Dutta, S., Kanungo, S., Ochiai, R. L., Kim, D. R., ... & Deen, J. (2013). Vivax malaria and bacteraemia: a prospective study in Kolkata, India. *Malaria journal*, 12(1), 176–178.
- (9) Corner, R. J., Dewan, A. M., & Hashizume, M. (2013). Modelling typhoid risk in Dhaka Metropolitan Area of Bangladesh: the role of socio-economic and environmental factors. *International journal of health geographics*, 12(1), 13.
- (10) Socio-demographic determinants and prevalence of Tuberculosis knowledge in three slum populations of Uganda Ekwaro Obuku et al, *BMC Public Health* 2012, 12:536.
- (11) India: Battling TB in India's slums The World bank (May 9, 2013).
- (12) Victoriano, A. et al. (2009). Leptospirosis in the Asia Pacific region. *BMC Infectious Diseases*, 9(1), 147.

وأية أوبئة أخرى^{(١)٠(٢)}. والكوليرا والإسهال شائعة بالأخص بين الأطفال الصغار^{(٣)٠(٤)}.

وفي هيتي حيث يعيش غالبية السكان في فقر، انتشرت الكوليرا خلال كل الدولة. عقب زلزال (٢٠١٠)، فقصت على (٨,٣٢٢) نسمة. وبجانب حساسية الأطفال للأمراض، فإن اللافت للنظر هو أنه فيما يبدو أن عدم المساواة بين الجنسين في العشوائيات يزيد من خطورة الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز على النساء مقارنة بالرجال^{(٥)٠(٦)}. ربما يعود هذا إلى أن بعض النساء لا يستطعن تغيير سلوكياتهن بأخذ الاحتياطات اللازمة نتيجة سلطة الذكورة أو عنف الرجال^(٧). كما أن الأمراض قد تؤدي إلى ارتفاع معدل الوفيات في العشوائيات وفق دراسة في عشوائيات نيروبي، حيث كان نقص المناعة البشرية/الإيدز والسل السبب في (٥٠٪) من الوفيات^(٨).

إن الكثافات السكانية، وسوء حالات المعيشة، ومعدلات التطعيم المنخفضة، وعدم توفر البيانات الصحية الكافية، والخدمات الصحية المتدنية يولد معدلات مرتفعة في نقل الأمراض في العشوائيات مقارنة بغيرها من المناطق السكانية. كما أن سوء الأحوال المعيشية يجعل سكان العشوائيات أكثر استعدادًا للإصابة بأمراض معينة. ولا شك أن الاكتظاظ السكاني لا محالة يؤدي إلى انتشار أوسع وأسرع للأمراض نتيجة محدودية الأماكن وضيقها في الإسكان العشوائي. وانحطاط جودة المياه يسبب العديد من الأمراض، بما في ذلك الملاريا والإسهال والتراكوما^(٩). ومجرد تحسين الأحوال

- (1) Sampaio *et al.* (2010), Risk factors for death in children with visceral leishmaniasis, PLoS neglected tropical diseases, 4(11), e877.
- (2) Sur, Dipika; *et al.* (2005). "The burden of cholera in the slums of Kolkata, India: data from a prospective, community based study". *Archives of Disease in Childhood*. **90** (11): 1175–1181.
- (3) Deen, Jacqueline L.; *et al.* (2008). "The high burden of cholera in children: comparison of incidence from endemic areas in Asia and Africa". *PLoS neglected tropical diseases*. **2** (2): 173.
- (4) Ghosh, Jayati; *et al.* (2009). "Vulnerability to HIV/AIDS among women of reproductive age in the slums of Delhi and Hyderabad, India". *Social Science & Medicine*. **68** (4): 638–642.
- (5) Odek, Willis Omondi; *et al.* (2009). "Effects of micro-enterprise services on HIV risk behaviour among female sex workers in Kenya's urban slums". *AIDS and Behavior*. **13** (3): 449–461.
- (6) Piot, P. (2001). "A gendered epidemic: Women and the risks and burdens of HIV". *Journal of the American Medical Women's Association*. **56**: 90–91.
- (7) Kyobutungi, Catherine; *et al.* (2008). "The burden of disease profile of residents of Nairobi's slums: Results from a Demographic Surveillance System". *Population Health Metrics*. **6** (1).
- (8) World Health Organization (2004). *Water, Sanitation and Hygiene Links to Health: Facts and Figures*.
- (9) Desai, V.K.; *et al.* (2003). "Study of measles incidence and vaccination coverage in slums of Surat city". *Indian Journal of Community Medicine*. **28** (1).

المعيشية، مثل إدخال الصرف الصحي والقدرة على استخدام المرافق الأساسية، يخفف من تأثيرات الأمراض.

بالإضافة إلى سوء الحالة المعيشية، فإن انخفاض معدل التطعيم يتسبب في ازدياد حالات المرض في العشوائيات^(١). وفرص تطعيم أطفال العشوائيات ضئيلة، حيث إن بعض سكان العشوائيات يرفضون تطعيم أطفالهم دون إدراك لأهمية التطعيم، أو لشكوكهم المتوارثة في كل ما تقوم به السلطات، أو لتخوفهم في إدراج أسمائهم وأماكن تواجدهم في سجلات حكومية فتتبعهم الأجهزة الإدارية بهدف النيل منهم وقلب حياتهم رأسًا على عقب، أو أنه لا يوجد في البيت من يأخذ الطفل للقطاعات الصحية للتطعيم^(٢). وغياب بيانات موثوق بها له أيضًا تأثير سلبي على صحة سكان العشوائية. فعدد غير يسير من سكان العشوائيات لا يسجل حالات المرض أو يسعى للحصول على رعاية صحية مهنية، مما يؤدي لندرة البيانات الصحية الشخصية لتتبع حاله. هذا وقد يمنع تخصيص موارد الرعاية الصحية الملائمة لمنطقة العشوائية، حيث إن العديد من الدول تؤسس خطط الرعاية الصحية على بيانات من العيادات والمستشفيات أو سجل الوفيات الوطني. بالإضافة إلى ذلك لا توجد خدمات صحية في غالبية عشوائيات العالم^(٣).

خدمات وإسعافات الطوارئ والعناية العاجلة غير متوفرة في العادة للعشوائيات^(٤). كما أن موفري الخدمات الصحية يتفادون تقديم خدماتهم في العشوائيات. غير أن أكثر من نصف سكان العشوائيات يقومون بزيارة الممارسين الخصوصيين، أو يلجؤون للعلاج الذاتي مع وجود أدوية منزلية^(٥). والممارسون الخصوصيون في العشوائيات ليسوا مرخصين أو خريجي طب، وتلقوا تدريبات ضعيفة،

- (1) Sharma, Rashmi; et al. (2009). "Assessment of immunization status in the slums of surat by 15 clusters multi indicators cluster survey technique". *Indian Journal of Community Medicine*. **34** (2): 152.
- (2) Riley, Lee W.; et al. (2007). "Slum health: diseases of neglected populations". *BMC International Health and Human Rights*. **7** (1).
- (3) Adult mortality in slums of Karachi, Pakistan David Marsh, JPMA (2010)
- (4) Zaidi, S.S.; et al. (2006). "Health care utilization for diarrhea and fever in 4 urban slums in Karachi". *Journal of the College of Physicians and Surgeons—Pakistan: JCPSP*. **16** (4).
- (5) Mehta, Varshil; Mehta, Sonali (2016). "Assessment of HIV knowledge and awareness in adults of a slum area of Mumbai, India: a cross-sectional study". *International Journal of Community Medicine and Public Health*: 314–318.

ويشغلون عيادة وصيدلية بأهداف مالية فحسب. غير أن بعض الدراسات تشير إلى تحسن ملموس في وعي سكان العشوائيات في بومباي؛ مثلاً، عن نقص المناعة البشرية/الإيدز وأمراض السكري^(١).

سوء تغذية الأطفال

سوء التغذية أمر شائع في العشوائيات؛ خاصة للأطفال^(٢). ففي بمباي (٤٧٪) من أطفال العشوائيات مقابل (٥١٪) في نيودلهي توقفوا عن النمو، بينما (٣٥٪) في بمباي، و(٣٦٪) في نيودلهي وزنهم أقل من متوسط الأطفال الأصحاء. أولئك الأطفال يعانون من الدرجة الثالثة في سوء التغذية وفق معايير منظمة الصحة العالمية^(٣). وفي دراسة ميدانية في عشوائيات بنكوك، فإن (٢٥،٤٪) من الأطفال المشاركون يعانون من سوء التغذية، مقارنة بنسبة (٨٪) من أطفال تايلاند يتفشى فيهم سوء التغذية^(٤). ومعدلات سوء تغذية الأطفال في عشوائيات الحضر في النيجر وأثيوبيا وصلت إلى (٤٠٪)^(٥).

غالبية مشاكل التغذية في العشوائيات هي سوء تغذية طاقة البروتين، ونقص فيامين أ، ونقص في الحديد (أنيميا)، والاضطرابات الناجمة عن نقص اليود. وهناك خطورة على الأطفال من نقص التغذية، حيث إنها قد تفضي إلى الموت^(٦)، ففي عشوائيات الحضر في الهند يبلغ عدد ضحايا سوء التغذية حوالي (٥٦) ألف طفل سنوياً^(٧).

إن انتشار سوء تغذية الطفل في العشوائيات يعتمد إلى حد كبير على:

- دخل العائلة.
- ممارسات الأمهات في إطعام أطفالهن.

- (1) Alzahrani, A.G. et al. (2013). Geographical distribution and spatio-temporal patterns of dengue cases in Jeddah Governorate from 2006–2008. *Transactions of The Royal Society of Tropical Medicine and Hygiene*, 107(1), 23–29
- (2) Ghosh, S.; Shah D. (2004). "Nutritional problems in urban slum children". *Indian Pediatr*, 41 (7): 682–96.
- (3) Dasra. "Nourishing our Future: Tackling Child Malnutrition in Urban Slums".
- (4) Tada, Yuko; et al. (2002). "Nutritional status of the preschool children of the Klong Toey slum, Bangkok". *Southeast Asian Journal of Tropical Medicine and Public Health*. 33 (3): 628–637.
- (5) United Nations Human Settlements Programme (2006). *State of the world's cities 2006/7*. London: Earthscan Publications.
- (6) Karim, Md Rezaul (11 Jan 2012). "Children suffering malnutrition in a slum". *Wikinut-guides-activism*.
- (7) Punwani, Jyoti (Jan 10, 2011). "Malnutrition kills 56,000 children annually in urban slums". *The Times of India*.

• مستوى تعليم الأم.

• عمل الأم أو تفرغها لرعاية الطفل.

فالفقر يؤدي إلى مآكل غير ملائم عندما لا يستطيع الناس شراء واختزان المواد الغذائية، مما يؤدي لسوء التغذية^(١). والسبب الشائع الآخر هو الممارسات الخاطئة في إطعام الطفل، بما في ذلك الرضاعة غير الكافية، والخطأ في إعداد الطعام للأطفال. ففي عشوائيات بنكوك حوالي (٦٤٪) من الأمهات يطعمن أطفالهن أطعمة سريعة بدلا من وجبات معتادة، وحوالي (٧٠٪) من الأمهات لا يقدرن على تقديم ثلاث وجبات يوميًا لأطفالهن. كما أن نقص تعليم الأم يؤدي إلى عادات إطعام خاطئة، فالعديد من الأمهات ليس لهنَّ أية دراية بتغذية الأطفال. كذلك فإن عمل الأم يؤثر على وضع التغذية. فالأمهات اللواتي يعملن خارج البيت، يتعرض أطفالهن لسوء التغذية. أولئك الأطفال عادة ما تهملهم أمهاتهم، أو لا يجدون رعاية ممن يكلف برعايتهم في غياب أمهاتهم^(٢).

الأوبئة

العشوائيات تاريخيًا لها روابط مع الأوبئة^{(٣) (٤) (٥)}؛ وهذا الارتباط متواصل حتى العصر الحديث. على سبيل المثال، عشوائيات دول غرب أفريقيا، مثل ليبيريا، أعيقت تمامًا كما ساهمت في نشر وباء الإيبولا في سنة (٢٠١٤)^{(٦) (٧)}. فالعشوائيات تعتبر من الأماكن الرئيسة التي تثير مخاوف

- (1) Gomber, Sunil; et al. (2003). "Prevalence & etiology of nutritional anaemia among school children of urban slums". *Indian J Med Res.* **118**: 167–171.
- (2) Mehta, Varshil; Bhat, Anusha (2015). "Health awareness and behavior among adolescent students in a rural school: a cross sectional observational study". *International Journal of Research in Medical Sciences*: 3499–3502.
- (3) Reiter, P., & Goh, K. T. (1998), *Dengue control in Singapore*, Institute of Environmental Epidemiology pp. 213-242.
- (4) Swaminathan, M. (1995). Aspects of urban poverty in Bombay. *Environment and Urbanization*, 7(1), pp 133-144.
- (5) Sclar ED, Garau P, Carolini G (2005), The 21st century health challenge of slums and cities, *Lancet*, 365(9462):901-903.
- (6) In a Liberian slum swarming with Ebola, a race against time to save two little girls The Washington Post.
- (7) [Liberian Slum Takes Ebola Treatment Into Its Own Hands](#) The Wall Street Journal

الصحة العامة، إذ تعتبر حاضنات لأمراض مقاومة للأدوية للمدينة كلها، وللدولة وكذلك للمجتمع العالمي^{(١) (٢)}.

تداعيات الإسكان العشوائي

في الواقع إن تنوع العشوائيات وسماتها يجعل وصفها والتكهن بما يدور فيها وتأثيره على المجتمع محل جدال محتدم، فما ينطبق على عشوائية ما قد تكون عشوائية أخرى بريئة منه.

سلبات الإسكان العشوائي

عمومًا، إن مشكلة انتشار العشوائيات تؤثر سلبيًا على كافة جوانب الحياة الصحية، والاقتصادية، والأمنية، والاجتماعية، والعمرانية، حيث يمكن رصد بعض السلبات الناتجة عن الإسكان العشوائي الشائعة في عدة نقاط، هي:

- إضافة نسيج عمراني مشوه إلى الكتلة العمرانية الأساسية.
- النقص الشديد في المرافق العامة، وبخاصة الصرف الصحي يؤدي إلى إضافة كتلة عمرانية ملوثة للبيئة نتيجة الصرف الجوفي عن طريق البيارات أو الترنشات في باطن الأرض.
- عدم وجود كهرباء أدى إلى فرض حياة بدائية على السكان واستخدامهم للكبروسين في الإضاءة ومواقد الطبخ.
- التزاحم الشديد للمباني وعدم ترك فراغات أدى إلى فقدان الخصوصية وزيادة درجة التلوث السمعي والبصري، مما يساعد ذلك على زيادة الأمراض البدنية والاجتماعية والنفسية أيضًا بين السكان.
- التخطيط العشوائي القائم على اجتهادات شخصية، سواء كان ذلك في التخطيط العام أو مساحات قطع الأراضي المخصصة للوحدة السكنية أو التصميم الداخلي للوحدة السكنية نتج عنه مناطق مشوهة عمرانيًا ومعماريًا يصعب معها الإصلاح ومحاولات الارتقاء بها.

(1) Quinn and John Bartlett, (2010), Global infectious diseases and urbanization, *Urban Health: Global Perspectives*, 18, 105.
(2) Alirol E. et al. (2011). Urbanisation and infectious diseases in a globalised world, *The Lancet infectious diseases*, 11(2), 131-141.

- أسفرت المناطق العشوائية في بعض الحالات عن ضياع أجزاء كبيرة من الأراضي الزراعية التي تم تحويلها إلى أراضٍ للبناء، مما يؤثر على الناتج القومي للدولة.
- الشخص الذي ينشأ تنشئةً عشوائيةً سيصبح خارجاً عن القانون، وقطعاً لن يتحول إلى شخص يحترم القانون بمجرد نقله من مكان لآخر، فمن نشأ على شيء لا يمكن تغييره بسهولة، والمشكلة لن يتم حلها بل ستزداد تعقيداً، لأنه سوف يحول مناطق سكنية إلى بيئة عشوائية، فالمشكلة ستظل قائمة مع فارق وجود مساكن آدمية، وسينتج عن هذه البيئة أشخاص جهلاء دون وعي أو فكر أو أخلاق، ليمارسوا كل أعمال العنف والبلطجة، والخروج عن القانون، وانتهاك حرية الآخرين.

وبالرغم من محاولات الحد من انتشار الإسكان العشوائي، وبخاصة تجريم البناء على الأراضي الزراعية، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل، وتعتبر ضعيفة للغاية إذا ما قورنت بسرعة انتشار ونمو هذا القطاع الاجتماعي المتفشي في ظل قوانين وتشريعات ورقابه ضعيفة. إلا أن بعض المحاولات الدولية والحكومية والفردية للارتقاء بالبيئة السكنية للعشوائيات تواجه صعوبة شديدة جداً، نظراً للنسيج العمراني المعقد وزيادة الكثافة السكانية والبنائية لتلك التجمعات البشرية، وعلى ذلك فقد اقتصرت محاولات الارتقاء بالعشوائيات عن طريق إمداد تلك المناطق بالمرافق العامة (المياه النقية الصالحة للشرب - الصرف الصحي الكهراء، على سبيل المثال) دون أن تمتد إلى النواحي التخطيطية والفراغات العمرانية والنواحي الاجتماعية الناشئة في المجتمع.

العشوائيات وثقافة الفقر

سكان العشوائيات من أكثر الناس إحساساً بالهوة الطبقيّة الواسعة التي تفصلهم عن طبقة أثرياء المدينة الذين يتعاملون معهم من خلال الأعمال الخدمية التي يقومون بها داخل المدينة، مثل الخدمات الخاصة، وأعمال البناء، والورش، والبيع المتجول، والمقارنة بين حياة الثراء الفاحش والحياة في مناطق غير آدمية منسية من الدولة يعانون فيها من المياه الجوفية والقمامة والظلام ومن تسرب مياه الأمطار، في حالة إن استطاعوا بناء سقف يحميهم، مما يولد عندهم الحقد والمرارة، فالعشوائيات ثقافة متكاملة قبل كل شيء، ولها سلوكياتها وقيمها ونظرتها الخاصة للحياة والمجتمع وللعالم ككل.

وعلى ذلك فإن القضاء عليها لن يتيسر دون إجراء تغييرات جذرية شاملة في الثقافة التي تتدخل في تشكيل حياة السكان وتصرفاتهم وأفعالهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض وبالأخرين وبالمجتمع

المحيط بهم، واستبدال مناطق أكثر قريًا وتقدمًا بهذه المناطق المتردية الموبوءة لن يغير من الأمر شيء، إذ لن يلبث السكان بعد فترة أن يعودوا إلى أساليب حياتهم القديمة أو الأصيلة، وبذلك تتحول التجمعات الحضرية التي تم نقلهم إليها إلى عشوائيات جديدة، وهكذا.

وثمة نظرية تسمى نظرية ثقافة الفقر التي تذهب في إحدى مقولاتها إلى أن الفقر أسلوب للحياة يستمره الفقراء، ويرضون به ويتمسكون بأهدابه، فثقافة الفقر لا تنتهي بانتهاء الفقر، فهو حالة تنتهي عند التخلص منه، بينما الثقافة طريقة تفكير قد لا يستطيع الشخص التخلص منه، ومحو الفقر أهون من محو ثقافة الفقر. وعلى ذلك، فإن القضاء على العشوائيات يحتاج إلى عملية إعادة تنشئة وإعادة تطويع وتطبيع اجتماعي، كي يتقبل السكان أنماط وأساليب الحياة الجديدة.

الإيجابيات

وبالرغم من السلبيات فقد سجل نمط العشوائيات بعض الإيجابيات يمكن الاستفادة منها لتوجيه هذا النمط نحو أساليب عمرانية تتناسب مع النسيج العمراني للمدن، وتتلافى السلبيات التي نتجت عنها، ومنها:

- الإنسان العشوائي قد يكون متميزًا في بعض الحالات من الناحية الإنشائية، حيث يعتمد البناء على أسلوب الهيكل الخرساني أو الحوائط الحاملة كمثيلة في الكتلة العمرانية المخطط لها رسميًا.
- الالتزام الجماعي بالمناهج البنائية من حيث التخطيط وأبعاد قطع الأراضي وانتظام الارتفاعات تماشيًا مع العرف السائد في المنطقة، ويعتبر بديلاً أو مكملًا للقوانين والاشتراطات التشريعية الخاصة بالبناء.
- النمو التدريجي للمسكن بالمرونة، حيث يتوافق المسكن مع احتياجات الأسرة الآنية والمستقبلية.
- مراعاة الإمكانات الاقتصادية للمستفيدين من الوحدات السكنية.
- اعتماد سكان العشوائيات على الجهود الذاتية من حيث التمويل والحصول على مواد البناء دون الحاجة إلى اللجوء إلى دعم أو معونة من الجهات الرسمية.

مغالطات شائعة عن العشوائيات

ومن الأخطاء الشائعة والرائجة عن العشوائيات سبع مغالطات^(١).

المغالطة الأولى: تضخم عدد السكان: من السهل تصديق أن عشوائيات الحضر إنما هي من تداعيات كثرة الناس الذين يعيشون في المدن، أو أن الكثير من الفقراء يهاجرون من المناطق الريفية إلى الحضر حتى تتعامل الحكومات مع الضغط على المساكن. ولكن الإشكالية الحقيقية تتجذر في بنيانات مؤسساتية بالية، ونظم قانونية غير ملائمة، وحكم وطني ومحلي غير كفؤ، وسياسات تنمية حضرية قصيرة النظر. ومن منظور أوسع، إن إعادة ظهور أيديولوجية عدم التدخل في العقود الأخيرة أضعفت من دور الحكومات الوطنية، وقللت من أهمية الدولة في التخطيط لتوزيع عادل في موارد المدن؛ وبكونها مثقلة بالديون، فقد اضطرت لجعل أولوية دفع الديون أهمية فوق الخدمات الرئيسة، مثل الرعاية الصحية، وتمسكت بتسلط ما يسمى بسياسات إجماع واشنطن، الذي طالب بانسحاب الحكومة من كل الدوائر التي تختص بالحياة العامة، وهذا أصبح من المستحيل عمل مبادرات من الدولة أو الوكالات الدولية لمواكبة معدل تكوين العشوائيات منذ ثمانينيات القرن الماضي. وبأبسط التعبيرات، وجود العشوائيات ليس نتيجة حتمية لزيادة تعداد السكان، ولكنه نتاج فشل السياسة على كل المستويات، سواء كانت عالمية أو وطنية أو محلية؛ وتبني نموذج تنمية دولي عاجز عن وضع الحاجيات الضرورية للفقير على رأس الأولويات.

المغالطة الثانية: الفقير هو الذي يلام: كثير من الناس يواصلون لومهم للفقراء على ما هم عليه من أحوال الفقر. وبناءً على هذه المغالطة المتوغلة في النفوس، فإن الناس الذين يعيشون في العشوائيات، هم قوم مناهضون للمجتمع وغير متعلمين وتعوزهم الرغبة للعمل، وإلا ما استساغوا العيش في مثل تلك الأحوال البائسة. وعلى نقض مثل هذه العصبية الشائعة شاهد علماء الإنسان (علماء الأنثروبولوجيا) وممارسو التنمية على المدى الطويل أن الفقير ليس عالة على مدينة حضرية، ولكنه كثيرًا ما يكون مصدرًا أكثر ديناميكية. وبينما يحقق مآثر كبيرة في الابتكار والمساعدة الذاتية في الإسكان على أساس فردي، فإن القوة المتوحدة لمجموعات فقراء الحضر أفرخت عن نتائج فريدة في بناء مساكن جديدة، وتحسين إسكان عشوائي قائم – كما انعكس في وثائق تنمية رسمية أوصت بأن أفضل ممارسة في أسلوب ممارسة التدخل الإسكاني في الدول النامية هو "التشاركية في تحسين العشوائية". ومع ذلك فإن لكل مثال لمخطط ناجح يتصدره المجتمع هناك أمثلة كثيرة لعمليات إزالة

(1) Adam Parsons (2010), The Seven Myths of Slums: Challenging popular prejudices about the world's urban poor. London: Share the World's Resources.

عشوائيات وإخلاء بالقوة. وهذا يطرح واحدًا من أهم الأسئلة عن الحرب ضد الفقر الحضري؛ هل يمكن للحكومات أن تتكاتف في الاعتراف والدعم لقدرات الفقراء على التنظيم والدعم لإنشاء مدينة خاصة، أو أنها ستواصل النظر إلى سكان العشوائيات على أنهم ضد التقدم، وعلى أنهم يهددون المؤسسات القائمة؟

المغالطة الثالثة: العشوائيات معقل الجريمة والعنف والانهيار الاجتماعي: من التعصب الذي طال عليه الأمد ضد فقراء الحضر هو النظرة الشائعة عن العشوائيات على أنها موطن تدهور المجتمع واليأس، والنظرة إلى سكان العشوائيات على أنهم ناشرو العنف والجريمة. ورغم أن مستويات عالية من الجريمة قد ترتكب في العديد من المستوطنات غير الرسمية في الدول النامية، فإن التصوير الشائع للحياة في العشوائيات عادة ما تخفق في الاعتراف بالأسباب المتجذرة لغياب الأمن والعنف، بما في ذلك الارتباط الوثيق بين مستويات الجريمة وحالات الفقر، وعدم المساواة، والاقصاء الاجتماعي، وبطالة الشباب. هذه العوامل السببية (والأهم، مسؤوليات مؤسسات الدولة وإخفاقاتها) عادة ما تمر مرور الكرام دون ملاحظاتها في تقارير الإعلام عن العشوائيات. والعديد من المستوطنات بوضع اليد في جنوب العالم هي الأخرى تبدي تلاحمًا تجميعيًا يناقض تمامًا النمط السلبي المتعارف عليه، إلى جانب أمثلة يصعب عدها من التضحية الذاتية، والإيثار، وخدمة المجتمع، والتي هي بمثابة مثال جدير بالثناء بالنسبة للمجتمع السائد خارج العشوائيات. وهذا ليس لمتجيد أو العاطفية تجاه الفقراء في المناطق الحضرية ومساكنهم التي أنشئت بالمساعدة الذاتية، فهناك عشوائيات يمكن وصفها بالنقيض لما فيها من فردية لا ترحم، ومن الاستغلال الحقيق. ولكن النظرة النمطية الغالبة لقاطني العشوائيات مخالفة تمامًا للواقع، إذ يوصفون بأنهم مجرمون، وخاملون، وطفيليات، ومغتصبون، وبغايا، ومصابون بأمراض خبيثة، وسكارى أو مدمنون مخدرات – وهذا هو الاستجابة الشائعة لفقراء الحضر.

المغالطة الرابعة: العشوائيات مرحلة لا مفر منها من التنمية: هناك افتراضيات خلفية للحوار حول العشوائيات وفق الحضر: وهي أن الفقير سيرتقى إلى المستوى المعيشي الشائع في نهاية الأمر، إذا ما سائر طريق السوق الحرة للتنمية. ومع ذلك فإن السياسات الخاصة بتنمية الأعمال الاقتصادية المتبعة في الدول الناهضة لم تكن قائمة على أيديولوجية الحرية الاقتصادية للتجارة الحرة وعدم تدخل الدولة، ولكن على النقيض استخدمت استراتيجيات حماية الأعمال الرئيسية في المراحل الأولى من التنمية، مما يثير التساؤلات حول تزيكات السياسة الليبرالية الجديدة التي أعطيت للدول النامية منذ السبعينيات في القرن الماضي. وعلوم الاقتصاديات الشائعة هي الأخرى قائمة على افتراضية أن النمو التلقائي هو أساس التقدم، حتى لو أثارت التجارب الشائعة شكوكًا حول التأثيرات البيئية

والاجتماعية الجانبية للرأسمالية غير المقيدة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن التساؤل عما إذا كان قبول الظروف المروعة والإساءة البشرية التي عرفت بها المدن في أوروبا خلال القرن التاسع عشر كمسألة حتمية؟ حتى لو كانت غير مقبولة، فتعتبر جزءاً من التقدم في المدينة الصناعية الحديثة في دكا وتشنجهاي. إذا لم يكن الوضع كذلك، فإن الاختيار الوحيد هو تبني غايات بديلة ونماذج أكثر شمولية للتنمية، والتي تولي أولوية الأهداف الاجتماعية على حتمية الربح وإجمالي الناتج المحلي، مع توزيع أكثر عدلاً للموارد على المستوى الوطني والعالمي.

المغالطة الخامسة: السوق الحرة يمكن أن تنهي العشوائيات: عدد من المروجين للعولمة الاقتصادية يحافظون على عقيدة صلبة غير قابلة للجدال في قوة السوق وقدرتها على وضع نهاية للعشوائيات؛ فهم يؤمنون إيماناً قاطعاً بأن إقصاء الحكومة العديمة الفاعلية عن الطريق، والاعتماد على منافع قوة آلية السوق ورأس المال الخاص يشكل عوامل النمو الاقتصادي والوفرة الواسعة الانتشار. ولكن بعد عقود عديدة من الاعتماد على السوق كعلاج لكل داء في القرن الواحد والعشرين، فإن زيادة عدد سكان الحضر الذين يعيشون في العشوائيات خير شاهد على أن استراتيجية "النمو أولاً" في التنمية فاشلة ولا طائل منها. واستخدام قوى السوق كوسيط لتوزيع الموارد أمر اجتماعي حصري، ولكنه لا يؤدي دوره عند الحاجة لإنتاج أنواع معينة من البضائع أو الخدمات، مثل توفير المأوى للفقير أو تقديم خدمات لرعاية المجموعات محدودة الدخل. إن إلغاء اللوائح المنظمة وخصخصة الخدمات العامة تقوض بشكل مباشر توفير الرعاية الاجتماعية، وتتنازل أيضاً عن قدرة الوكالات العامة لمواجهة احتياجات أولئك الذين لا يطبقون أسعار السوق للإسكان والرعاية الصحية والتعليم والصرف الصحي والنظافة. وبصورة مقتضبة، الاستراتيجيات التي تركز على الفعالية، والتي يقودها التنمية والتنافسية الدولية لمؤسسة المدينة قد فشلت في مواجهة قضية العشوائيات، بل إنها على الأرجح تزيد فقر الحضر تفاقمًا بدلاً من أن تقدم له حلاً في المستقبل.

المغالطة السادسة: المساعدة الدولية هي الحل: ربما توجد مشاريع لإصلاح الأحوال المعيشية لفقراء الحضر في هذه الحقبة عن أي حقبة سبقت، غير أن النظام الحالي من مساعدات المتبرعين فشل فشلاً جلياً في الحد من نمو العشوائيات. الإشكالية الأولى هي ببساطة قضية حجم؛ فخفض فقر الحضر واحد من أدنى الأولويات على قائمة تبرعات المساعدات التي تقدمها غالبية الوكالات المتعددة الأطراف والدول الثرية. والإشكالية الأكبر تكمن في الاختلاف بين نوع المساعدة الضرورية لتحسين العشوائيات وأشكال العمل المقدمة حالياً من مؤسسات المساعدة الدولية. وعلى وجه الخصوص، فشلت غالبية وكالات معونة التنمية الرسمية في إنشاء علاقات مع المقيمين في العشوائيات والمنظمات

التي تمثلهم، ونادرًا ما تكلف مجموعات فقراء الحضر بأي دور في تصميم وتنفيذ برامج المساعدة. كما أنه من المستبعد أن أولويات وكالة المعونة وبنوك التنمية تسمح بسياسات إعادة التوزيع التي هي عصب منح الفقراء المحليين السلطة في عملية الإسكان. ورغم أن الحاجة ملحة لمزيد من الموارد المالية لتحسين العشوائيات في الدول النامية، فإن من الأمور الخاضعة للشكوك أن المعونة ستعالج بنجاح الكارثة في الإسكان الحضري دون تحول في غايات وأولويات القوى العظمى والمؤسسات التي تحكم الاقتصاد العالمي.

المغالطة السابعة: وجود العشوائيات أمر دائم: إلى جانب شعارات "مدينة بلا عشوائيات" كتب بعض المهتمين بقضايا تنمية الحضر عن تخيل "عالم دون عشوائيات" في المستقبل. وفي الحوارات والمناقشات المستقطبة حول فقر الحضر، كل من وجهتي النظر: "عشوائيات الأمل" ونقيضها "عشوائيات اليأس" يقبلون ضمنيًا استمرارية وجود العشوائيات. وشطر من المشكلة هو الدلالات، إذ إنه من الصعب تصور نهاية للعشوائيات عندما تكون الدلالة المستخدمة في وصفهم محدودة ومعممة. وفي وثيقة غايات التنمية الألفية عن العشوائيات التي وضعتها الأمم المتحدة تنص على أن الغاية هي أن التحسين الكبير لحياة مائة مليون من سكان العشوائيات بحلول (٢٠٢٠) - يشير ضمنيًا إلى وجود العشوائيات كواقع فيه ديمومة، وكأنما إنجاز هذه الغاية؛ على قلتها غير المقبولة، لن تؤدي إلى مدن دون عشوائيات. ولو أن نمط التحضر والمدن أصبح شاملًا اجتماعيًا ومستدامًا، يجب التعديل الكلي وإعادة تصور النموذج الاقتصادي الذي يحافظ على هذا النمط. وخطوة أولى تكمن في إدراك احتمال إنجاز رؤية جديدة للتقدم البشري القائم على إعادة ترتيب الأولويات العالمية الرئيسة؛ بداية من التأمين الفوري للاحتياجات العالمية الرئيسة. عندئذ فقط يمكن للهدفين التوأمين المكرسين في أجندة هابيتات في (١٩٩٦) أن يترجما في برنامج عمل هو "مأوى ملائم للجميع" إلى جانب "إيجاد مستوطنات بشرية مستدامة في عالم حضري".

سكان العشوائيات

ماهية سكان العشوائيات

إن المستوى المعيشي والاقتصادي والاجتماعي وأنماط المعيشة في العشوائيات يختلف وفق تركيبة العناصر المكونة للعشوائية وظروف تكوينها من سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وعنصرية، وإثنية. كما يعتمد على علاقتها بالمجتمع الحضري المحيط بها.

الأيدي العاملة وعمال السخرة

كثير من الدول تستورد العمالة الرخيصة في مواسم معينة أو لأغراض معينة، مثل أعمال البناء غير الحرفية، وقليل من الحرفيين ممن لهم قدرة على الاحتمال جسدياً للأعمال المرهقة في ظروف جوية متقلبة، لإنجاز مشاريع بناء وإنشاء وتعمير. وتوفر لهم الحكومة أو المقاولون (الذين يستوردونهم) مأوى في تجمعات سكنية مؤقتة، عشوائية منعزلة إما مجانية أو لقاء إيجارات مخفضة، حتى يسهل التحكم فيهم وتكريس وقتهم للعمل، وعدم الخروج عن سيطرة من استقدمهم.

مثال لذلك استخدام أهل الصعيد الأشداء من مصر في مشاريع الإنشاء في الكويت، واستيراد أفواج من أهل المغرب العربي إلى فرنسا كرعايا فرنسيين (حيث كانت فرنسا تعتبر المغرب العربي جزءاً من فرنسا) لإعمارها في أعقاب الحرب العالمية الأولى والثانية، وفتح فرص العمل للأفارقة والهنود من رعايا الكومونولث البريطاني في المدن الكبرى بالمملكة المتحدة للقيام بالأعمال الدنيا التي لا صبر لأهل البلاد على القيام بها خلال الحرب وبعدها، مثل نظافة الطرق والمنشآت وأعمال الصرف الصحي. واستقدام أهل اليمن إلى كثير من الموانئ في أوروبا والولايات المتحدة للعمل في حمل البضائع وتفرغ شحنتات السفن. وكثير من تلك العمال تعيش في العشوائيات المعدة لهم بنفس النمط الذي عاشوه في مجتمعاتهم.

من الأمثلة الحية لسكان العشوائيات في (١٩١٣) في وسط القاذورات في أيفوري سير سان (Ivry-sur-Seine)، تجمع فرنسي يبعد حوالي (٥) كيلومترات من قلب باريس. وتبعثرت العشوائيات حول باريس في الخمسينيات من القرن العشرين^{(١) (٢)}. وعقب صدور قانون فيفيان (Loi Vivien) في يوليو (١٩٧٠)، هدمت فرنسا بعض العشوائيات الكبرى وأعادت استيطان سكانها من الجزائريين والبرتغاليين وعمال التهجير الآخرين في منتصف السبعينيات^{(٣) (٤)}.

- (1) Rosemary Wakeman, The Heroic City: Paris, 1945–1958, University of Chicago Press; see pages 45–61.
- (2) Courgey (1908), Recherche et classement des anormaux: enquête sur les enfants des Écoles de la ville d'Ivry-sur-Seine, International Magazine of School Hygiene, Ed: Sir Lauder Brunton, 395–418.
- (3) "Cités de transit": the urban treatment of poverty during decolonisation Muriel Cohen & Cédric David, Metro Politiques (March 28, 2012).
- (4) Le dernier bidonville de Nice Pierre Espagne, Reperes Mediterraneens (1976).



شكل (٢٠) عشوائيات عمال السخرة في باريس.

بالطبع لم تعر الدول المستضيفة عمال السخرة التفاتاً لتوفير حاجاتهم من تعليم لأولادهم أو رعاية صحية لهم ولعائلاتهم. ومع عزلتهم عن المجتمع ضاقت فرص العمل أمام الأجيال الجديدة، التي لا تعرف وطناً غير الذي ولدوا فيه، فأصبحوا شوكاً في حلق من استقدم أجدادهم، سواء كان طوعاً أو كرهاً. وتحولت مساكنهم المؤقتة التي بنيت على عجالة إلى عشوائيات مكتظة، في باريس ولندن وديترويت وبافلو بنيويورك، ... الخ. ومع تكاثر المستقدمين لأعمال السخرة ازدادت عزلتهم عن المجتمع، وقلت فرص العمل أمامهم، وتفاقمت المشاكل بينهم وبين المجتمع الذي اعتمد عليهم في بناء البلاد أو في الخدمات الدنيا، مما زاد ازدحام عشوائيات المهاجرون غير الشرعيين من أبناء جنسيتهم الأصلية الذين لاذوا إلى تلك التجمعات.

الباب الثاني: أسباب نشأة العشوائيات

هل ساهمت الحكومات في نشأة العشوائيات (قطع الخدمات عنها، مثلاً) أم أنها حاربتها؟



هل نشأت العشوائيات على أراضي ملك الدولة أم على أراضي مشاع أم على ملكيات خاصة؟



حوافز تكوين العشوائيات

العشوائيات تنبت وتنمو وتواصل وجودها لأسباب ديمغرافية واجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية. ومن الأسباب العامة لنشأتها الهجرة من القرى إلى الحضر، وسوء التخطيط، والركود الاقتصادي، والكساد، واستئثار الفقير، وارتفاع معدل البطالة، وتفشي الاقتصاد غير الرسمي أو الذي يعمل في الخفاء (تحت الأرض)، والاستعمار والتمييز العنصري، والسياسات، والكوارث الطبيعية، والنزاعات الاجتماعية، واستغلال عمال السخرة؛ هذا إلى جانب جشع المستثمرين وأصحاب الأراضي والعقارات.

الهجرة من الأرياف إلى الحضر

إن نزوح أهل الريف إلى الحضر واحد من الأسباب المؤدية إلى تكوين العشوائيات والتوسع فيها^(١). ففي (١٩٥٠)، زاد تعداد سكان العالم بمعدل أكبر بكثير مما تستوعبهم الأراضي الخصبة، كما أن ميكنة الآلات الزراعية وتوسع الشركات الزراعية الكبرى على الأراضي الزراعية بطريقة كادت تقضي على المزارع الصغيرة، فضلاً عن أن القطاع الزراعي يساهم بنسبة يسيرة في الاقتصاد الكلي؛ كما أن امتداد التصحر وشح مياه الري قضى على بعض الأراضي الزراعية. على سبيل المثال: ساهم القطاع الزراعي في الهند بنسبة (٥٢٪) في مجمل الناتج المحلي في سنة (١٩٥٣) ولكن ذلك انخفض إلى (١٩٪) فقط في (٢٠٠٤). كما انخفضت مساهمة القطاع الزراعي في مجمل الناتج المحلي في البرازيل إلى الخمس في (٢٠٠٥) مقارنة بسنة (١٩٥١)^(٢). هذا بينما أصبحت الزراعة أغزر إنتاجاً، وأقل عرضة للأوبئة الزراعية، وأقل صعوبة على البدن مع المعدات الزراعية الحديثة. وبهذا فإن نسبة العاملين انخفضت حول العالم بحوالي ٣٠٪ عبر نصف قرن، بينما زاد عدد السكان بنسبة (٢٥٪).

وكثير من الناس ينتقلون فرادى وفي أفواج، وعلى شكل موجات بشرية من القرى إلى المدن، حيث إن الأمل كبير بالأساس في الحصول على عمل، وحيث هناك فرصة تعليم أفضل للأطفال، كما أن هناك عديداً من الفرص المختلفة في الحصول على دخل أفضل من العمل في الزراعة في المناطق الريفية^(٣). على سبيل المثال، (٩٥,٨٪) من المهاجرين إلى سورابايا، بإندونيسيا سنة (١٩٩٥) كان

(1) What are slums and why do they exist? UN-Habitat, Kenya (April 2007).

(2) Brazil: The Challenges in Becoming an Agricultural Superpower Geraldo Barros, Brookings Institution (2008).

(3) Urban Poverty – An Overview Judy Baker, The World Bank (2008).

دافعهم الرئيس في نزوحهم من الريف هو البحث عن عمل لضيق الفرص في الريف^(١). غير أن أولئك المهاجرين قد لا يجدون عملاً بالسرعة المتوقعة نظراً لعدم اتقانهم حرفاً مطلوبة في سوق العمل، مما يؤدي إلى مصاعب مالية غير متوقعة^(٢). وبالمقابل فإن العديد من المدن لا توفر إسكاناً قليل التكلفة للعدد الكبير من العمال المهاجرين من الأرياف. وكثير من العمال المهاجرين من الأرياف لا يطبقون أجرة المساكن في المدن، فيستقرون في نهاية المطاف في عشوائيات لا تكلفهم الكثير^(٣). بالإضافة إلى ذلك، فإن مهاجري الأرياف يتدفقون إلى المدن طمعاً في دخل أكبر، وبهذا تتوسع العشوائيات في المناطق الحضرية.

ومن العوامل المؤدية للهجرة إلى الحضر والاستيطان في نهاية الأمر في عشوائيات الحضر هو صلابة الشبكات الاجتماعية في الأرياف والروابط الأسرية. فإلى جانب الهجرة إلى المدن بحثاً عن عمل، فإن بعض أهل القرى يهاجرون إلى المدن لأن لديهم عزوة من أقارب أو عائلات ترعاهم في بداية أيامهم في خضم المدن الصاخبة، وبمجرد وجود عائلة تدعمهم في العشوائيات فهذا سبب كافٍ للهجرة إلى المدينة والعيش مع أقاربهم في العشوائيات^(٤).

وفي الواقع إن أسلوب المعيشة في القرية يختلف تماماً عن أسلوب الحياة في الحضر، ففي غالبية القرى المسكن هو مكان للمبيت العائلي فقط، وأما النشاط اليومي فيجري خارج البيت، بما في ذلك إعداد الطعام والخبز والغسيل، بل وتناول الوجبات كذلك؛ إما في الحقل أو في فناء الدار. كما أن هناك من الخلاء الواسع ما يتيح للأطفال اللعب واللهو دون عائق؛ وهناك فسحة لتربية الدواجن والبهائم دون أن تزعجهم على الأحياء أماكن معيشتهم، وشبكات توصيل مياه الشرب والصرف الصحي لا وجود لها، لأن القرى عادة ما تعتمد على المياه الجوفية. وقد لا توجد الكهرباء في القرية برمتها، وإن وجدت فهي لإضاءة محدودة. كما أن منازل الريف تبنى وفق حاجة سكانها دون تخطيط عمراني. وعند الانتقال إلى المدينة لا يمكن حشر كل الأنشطة الريفية في شقة على شكل علبة. ولهذا، فإن الريفي ينقل معه ثقافة الريف عندما يهاجر إلى المدينة، ولا يبالي بازدحام البيت بالعائلة والأقارب، كما أنه

- (1) Tjiptoherijanto, Prinjono, and Eddy Hasmi. "Urbanization and Urban Growth in Indonesia." Asian Urbanization in the New Millennium. Ed. Gayl D. Ness and Prem P. Talwar. Singapore: Marshall Cavendish Academic, 2005., page 162.
- (2) Todaro, Michael P. (1969). "A Model of Labor Migration and Urban Unemployment in Less Developed Countries". *The American Economic Review*. 59 (1): 138–148.
- (3) Craster, Charles V (1944). "American Journal of Public Health and the Nations Health". Slum Clearance. *The Newark Plan*. 34 (9): 935–940.
- (4) Ali, Mohammed Akhter; Kavita Toran (2004). "Migration, Slums and Urban Squalor – A case study of Gandhinagar Slum". *Proceedings of the Third International Conference on Environment and Health*: 1–10.

يرى في الشارع امتدادا للنشاط اليومي، ولا يهتم بقذارة الشارع أو برصفه من عدمه. ومن هنا تنشأ العشوائيات في المدن ويعيش فيها الفقير والغني من أهل الريف على حد سواء.

التحضر

إن إنشاء العشوائيات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتحضر^(١)، ففي (٢٠٠٨) عاش قرابة (٥٠٪) من سكان العالم في المناطق الحضرية، ففي الصين، على سبيل المثال، تقدر زيادة عدد الناس الذين يعيشون في المدن بنسبة (١٠٪) في خلال عقد واحد، وفقاً لمعدل التحضر الجاري^(٢). وتقدر هابيتات الأمم المتحدة أن (٤٣٪) من سكان الحضر في الدول النامية ونسبة (٧٨٪) من سكان الحضر في الدول الأقل نمواً يعيشون في عشوائيات سكنية^(٣).

وهناك من يؤمن بأن العشوائيات نتيجة حتمية لعملية التحضر، حيث إن الحكومات المحلية غير قادرة على إدارة عملية التحضر، وإن العمال المهاجرين، سواء من الريف أو من خارج البلاد يهبطون على المدن دون وجود مكان للمعيشة يتماشى مع دخلهم، فينتهي بهم الأمر إلى المعيشة في العشوائيات^(٤). وسرعة التحضر تدفع النمو الاقتصادي، مما يجذب الناس للعمل وللإستثمار في المناطق الحضرية^{(٥)،(٦)}. غير أن الحكومات المحلية لا تتمكن من إدارة هذا التحول في بعض الأحيان، كما هو ظاهر من البنية التحتية الرديئة، وعدم وفرة المساكن الكافية لاستيعاب أهل المدينة بمختلف مستوياتهم المادية^{(٧)،(٨)}. ومحدودية سعة المدينة يمكن أن يكون نتيجة عدم كفاية الأموال التي رصدت لعمليات الإعمار، ناهيك عن عدم الخبرة في مواجهة القضايا الناجمة عن الهجرة والتحضر. وفي بعض الأحوال، تتجاهل الحكومات تدفق المهاجرين إلى الحضر خلال عملية التحضر. أمثلة كثيرة على ذلك

(1) Davis, Mike (2006). Planet of Slums. Verso.

(2) State of the world population 2007: unleashing the potential of urban growth. New York: United Nations Population Fund. 2007.

(3) The challenge of slums – Global report on Human Settlements, United Nations Habitat (2003).

(4) Hammel, Eugene A. (1964). "Some characteristics of rural village and urban slum populations on the coast of Peru". *Southwestern Journal of Anthropology*: 346–358.

(5) Patel, Ronak B.; Thomas F. Burke (2009). "Urbanization—an emerging humanitarian disaster". *New England Journal of Medicine*. 361 (8): 741–743.

(6) Bolay, Jean-Claude (2006). "Slums and urban development: questions on society and globalisation". *The European Journal of Development Research*. 18 (2): 284–298.

(7) Firdaus, Ghuncha (2012). "Urbanization, emerging slums and increasing health problems: a challenge before the nation: an empirical study with reference to state of uttar pradesh in India". *Journal of Environmental Research and Management*. 3 (9): 146–152.

(8) Clonts, Howard A. (1970). "Influence of urbanization on land values at the urban periphery". *Land Economics*. 46 (4): 489–497.

توجد في الدول الأفريقية، ففي خمسينيات القرن الماضي كثيرًا من الحكومات الأفريقية آمنت أن العشوائيات ستختفي في نهاية الأمر مع النمو الاقتصادي في المناطق الحضرية. وكلهم تجاهلوا سرعة تمدد العشوائيات نتيجة الزيادة في الهجرة التي تسببت فيها عملية التحضر^(١). ومن الحكومات من تعاملت مع العشوائيات على الخريطة وكأنها أراض لم تصلح بعد^(٢). بل إن بعض خطط التعمير تركز على المباني التجارية الفخمة والمباني السكنية الخاصة بالأغنياء، دون الالتفات لأهمية إيواء الطبقة العاملة في تلك المباني الفاخرة. فتضطر عند التنفيذ إلى بناء واجهة جميلة للمدينة تخفي وراءها عشوائيات يعيش فيها متدنو الدخل.



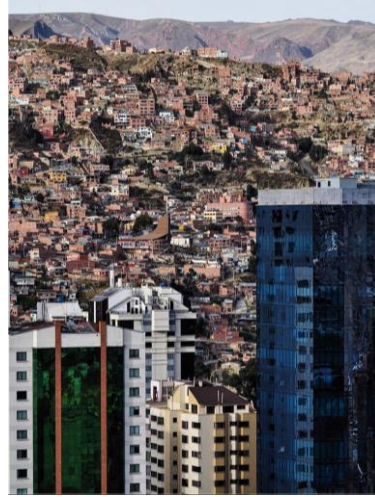
شكل (٢١) عشوائية روسينها بالبرازيل إلى جانب ناطحات السحاب وأغنى أحياء المدينة، حيث يوفر الموقع فرص أعمال وسهولة مواصلات لمن يعيشون في العشوائية.

وهناك نوع آخر من التحضر لا يتضمن نموًا اقتصاديًا، بل نموًا بطيئًا مع الركود الاقتصادي، مما أدى أساسًا إلى نمو العشوائيات في جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا وأجزاء من آسيا. هذا النوع من التحضر يتضمن معدلًا مرتفعًا من البطالة، وموارد مالية غير كافية، وسياسة تخطيط عمراني غير

-
- (1) UN-HABITAT (2003) *The Challenge of Slums: Global Report on Human Settlements*. Earthscan, London: UN-Habitat. 2003.
 - (2) Wekwete, K. H (2001). "Urban management: The recent experience, in Rakodi, C.". *The Urban Challenge in Africa*.

متناسقة^(١). في تلك المناطق، مجرد زيادة بنسبة (١٪) في تعداد سكان الحضر ينجم عنه (٨٤,١٪) زيادة في انتشار العشوائيات^(٢).

وقد يجبر التحضر بعض الناس على العيش في العشوائيات عندما تؤثر عملية التحضر على استخدام الأرض عن طريق تحويل الأراضي الزراعية إلى مناطق حضرية، مما يزيد من قيمة الأراضي. وخلال عملية التحضر تستخدم بعض الأراضي الزراعية في أنشطة حضرية إضافية. وتتدفق الاستثمارات على تلك المناطق مما يزيد في قيمة أراضيها^(٣). وقبل تحضر بعض الأراضي على الوجه الأكمل، هناك فترات لا تستخدم فيها تلك الأراضي في الأنشطة الحضرية أو الزراعة. والإيراد من الأرض يتدنّى مما يخفض دخل الناس في تلك المنطقة. والفجوة بين الدخل المتدني للناس وسعر الأرض المرتفع يجبر بعض الناس على التحول إلى إقامة استيطانات غير رسمية ومنشآت رخيصة، تعرف بعشوائيات المدن. والتحول من أرض زراعية يوفر أيضاً مزيداً من العمالة، حيث يبحث الفلاحون عن أعمال في المناطق الحضرية كعمال مهاجرين من الريف إلى الحضر.



شكل (٢٢) الفارق الواضح بين المنطقة الغنية والعشوائيات الفقيرة في لاباز، بوليفيا.

- (1) Cheru, F (2005). *Globalization and uneven development in Africa: The limits to effective urban governance in the provision of basic services*. UCLA Globalization Research Center-Africa.
- (2) Slums as Expressions of Social Exclusion: Explaining the Prevalence of Slums in African Countries Ben Arimah, United Nations Human Settlements Programme, Nairobi, Kenya.
- (3) Alonso-Villar, Olga (2001). "Large Metropolises in the Third World: An Explanation.". *Urban Studies*. **38** (8): 1368.

تعتبر العديد من العشوائيات جزءاً من اقتصاديات التكتل، حيث يوجد هناك بزوغ لاقتصاديات الحجم على مستوى الشركة، وتكاليف النقل، وتنقل قوة العمل الصناعية. وزيادة العائد من الحجم يعني أن إنتاج بضاعة ما يتم في مكان واحد. ورغم أن اقتصاديات التكتل تفيد تلك المدن بإحضار تخصصات والعديد من الموردين التنافسيين، فإن ظروف العشوائيات ستواصل تخلفها بالنسبة للجودة ولياقة الإسكان. وفي الواقع إن تكاليف النقل تعني أن أفضل المواقع لشركة هو التي يسهل فيه الدخول إلى السوق، وأفضل موقع للعمال هو سهولة الحصول على البضائع. ونمو الحضر محتد بصورة دراماتيكية في الدول الأقل نموًا، حيث إن عددًا كبيرًا من المدن الكبرى بدأ في الظهور، مما يعني معدل فقر وجريمة وتلوث وازدحام أكبر^(١).

تدني التخطيط الإسكاني

إن غياب سكن زهيد الإيجار في متناول الفقراء ومحدودي الدخل وسوء التخطيط يشجع الجانب المورد للعشوائيات^(٢). ولقد كانت أهداف التنمية للألفية الثانية تتضمن أن تقوم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بتحسين حياة مائة مليون من سكان العشوائيات بصورة ملموسة بحلول (٢٠٢٠)^(٣). ولو نجحت الدول الأعضاء في تحقيق تلك الغاية فإن (٩٠٪) من مجموع سكان العشوائيات سيبقون في (٢٠٢٠) على حالهم في الاستيطانات المتدنية التي يعيشون فيها^(٤). وهذا دليل جلي على أن العدد الضخم من سكان العشوائيات يعانون من خلل في سياسة الإسكان على أرض الواقع. وقد لخصت مجلة الإيكونوميست هذه الأحوال بأن من الواضح أن الإسكان الجيد أفضل من السكنى في عشوائية، بينما المعيشة في عشوائية أفضل من التشرد^(٥).

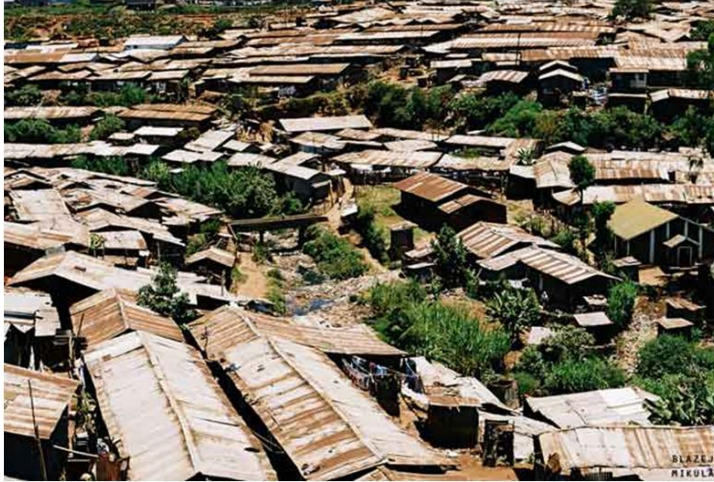
عدم كفاية الموارد المالية وغياب التنسيق في بيروقراطية الحكومة هما السببان الرئيسان في سوء تخطيط عملية الإسكان. فالعجز المالي في بعض الحكومات قد يفسر غياب مساكن عامة في مقدور الفقراء، حيث إن تحسين أحوال سكان العشوائيات والتوسع في برامج المساكن الشعبية يحتاج حتمًا لزيادة في إنفاقات الحكومة^(٦). كما أن المشكلة قد تُعزى إلى فشل في التنسيق بين مختلف

- (1) Rancich, Michael T. (1970). "Land value changes in an area undergoing urbanization". *Land Economics*. **46** (1): 32–40.
- (2) Istanbul's Gecekondus Orhan Esen, London School of Economics and Political Science (2009)
- (3) United Nations (2000). "United Nations Millennium Declaration" (PDF). United nations millennium summit.
- (4) Choguill, Charles L. (2007). "The search for policies to support sustainable housing". *Habitat International*. **31** (1): 143–149.
- (5) Scourge of slums *The Economist* (July 14, 2012).
- (6) Walther, James V. (1965). "Cause or Effect of Slums?". *Challenge*. **13** (14): 24–25.

فروع الحكومة المسؤولة عن النمو الاقتصادي، والتخطيط المعماري، وتخصيص الأراضي. ففي بعض المدن تفترض الحكومات أن سوق الإسكان سيضبط من عرض المساكن مع التغيرات في الطلب. غير أنه بدون حوافز اقتصادية فإن سوق الإسكان سيفضل توفير مساكن لأصحاب الدخل المتوسط عن أن يوفر مساكن لأصحاب الدخل المتدني. وبهذا فإن الفقير في الحاضر سيعاني من التهميش في ظل بناء قليل من المساكن الخاصة به^(١).

الاستعمار والتمييز

بعض العشوائيات القائمة اليوم في العالم كانت نتيجة التعمير العمراني الذي قام به المستعمرون في المستعمرات للفصل بين أهالي البلاد وأهالي المستعمرين، وكذلك عمال السخرة الذين يعملون في قواعد المستعمر العسكرية. وتكونت العديد من العشوائيات نتيجة عملية عزل المستعمرين للمواطنين وطرد بعض الحرفيين من الحضر.



شكل (٢٣) عشوائية كيبيرا في نيروبي بكينيا.

على سبيل المثال، وصل الأوروبيون إلى كينيا في القرن التاسع عشر وأنشؤوا مراكز حضرية، مثل نيروبي لتخدم مصالحهم المالية. وكانوا ينظرون إلى الأفريقيين من أهل البلاد على أنهم مهاجرون، ولا حاجة لهم سوى توفير العمالة لخدمة الأوروبيين. وسياسة الإسكان لإيواء أولئك العمال لم يعمل بها، وقامت الحكومة ببناء استيطانات على شكل أماكن تستوعب فرداً واحداً. ونتيجة التكاليف من

(1) Ooi, Giok Ling; Kai Hong Phua (2007). "Urbanization and slum formation". *Journal of Urban Health* (1): 27–34.

وقت ومال في حركة العمال بين الريف والحضر، بدأت عائلاتهم في الهجرة إلى المركز الحضري. ولما لم يكن في مقدورهم شراء مساكن فكونوا العشوائيات^(١). وعشوائية كيبيرا في نيروبي بكينيا تعتبر ثاني أكبر عشوائية في أفريقيا^(٢)، وثالث أكبر عشوائية في العالم.

وعشوائية ضهاري في مومباي بالهند التي تعتبر اليوم أكبر عشوائية في الهند، كانت قرية تسمى كوليواداس، وكانت مومباي تسمى بومباي. وفي سنة (١٨٨٧) قامت حكومة الاحتلال البريطاني بطرد كل الدباغين والصناعات الأخرى التي تنبعث منها روائح كريهة، والفقراء الهنود من أهل البلدة الذين يعملون في نواحي شبه الجزيرة من المدينة، ومناطق مساكن المستعمرين إلى ما كان يعتبر آنذاك الأطراف الشمالية للمدينة – والتي تحولت إلى مستوطنة ضهاري. تلك المستوطنة لم تحظ بأي إشراف استعماري أو استثمار في البنية التحتية للطرق، أو الصرف الصحي، أو الخدمات العامة أو الإسكان. وانتقل الفقراء إلى حيث وجدوا أعمالاً كخدم في مكاتب ومنازل المستعمرين، وفي المدايح والمصانع الملوثة للبيئة التي يملكها الأجانب بالقرب من ضهاري. وقام الفقراء ببناء مدن صفيحية لكي يسهل عليهم الوصول إلى أماكن العمل، مع الالتزام بسياسات العزل والتصنيع خلال فترة الاستعمار البريطاني. وقد تطورت اقتصاديات إسكان العشوائيات والمدايح، والفخار واقتصاديات أخرى حول ضهاري خلال الحكم البريطاني للهند^{(٣)،(٤)،(٥)}. وفي عام (١٩٤٧) عندما حصلت الهند على استقلالها وأصبحت إحدى دول الكومنولث، انتعشت العشوائية كنظام اقتصادي للإسكان والتجارة غير الرسمية، وتبوءت ضهاري مركز أكبر عشوائية في الهند.

- (1) Obudho, R. A.; G. O. Aduwo (1989). "Slum and squatter settlements in urban centres of Kenya: Towards a planning strategy". *Journal of Housing and the Built Environment*. 4 (1): 17–30.
- (2) Zahra Moloo (February 28, 2008). Machetes, Ethnic Conflict and Reductionism: Racist assumptions mar western media coverage of Kenya. *The Dominion*.
- (3) Jan Nijman, A Study Of Space In Mumbai's Slums, *Tijdschrift voor economische en sociale geografie* Volume 101, Issue 1, pages 4–17, February 2010.
- (4) Sharma, K. (2000). *Rediscovering Dharavi: stories from Asia's largest slum*. Penguin, pages 3–11
- (5) Pacione, Michael (2006), Mumbai, *Cities*, 23(3), pages 229–238.



شكل (٢٤) عشوائية ضهارة في الهند.

يصف الدكتور عبد الفتاح عبد الله ما لحق بالأسكندرية عروس البحر المتوسط، من جراء الاحتلال البريطاني، وتحول الأحياء الفقيرة والمتواضعة التي تميزت بطابع جمالي فريد إلى عشوائيات لم يكن من السهل السيطرة عليها^(١):

"وفجأة بدأت الأمور تتغير في الأسكندرية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث استمر المهاجرون في الزحف نحو الأسكندرية للعمل في معسكرات الإنجليز ثم الإقامة فيها، وبالأخص أهل الصعيد القادمون من الوجه القبلي، والذين كانوا ينامون في الشوارع والحواري أثناء الحرب، فكثرت الزحام في الأسكندرية، وبالأخص في الأحياء الفقيرة، فكان لا بد من مساكن جديدة لإقامتهم بدلاً من النوم على الحصى في الشوارع والحواري، فبدأت تظهر أكشاك الصفيح التي انتشرت كالنار في الهشيم فوق أسطح المنازل، وفوق كل أرض فضاء، وقد كانت هذه الأكشاك من الصفيح تبني من صاج الصفائح التي كانت تعبأ فيها المواد التموينية للجيش الإنجليزي، ولما كثرت هذه المخلفات بشكل كبير بدأ الاتجاه ليعمل منها مساكن رخيصة التكلفة، وعرضها للإيجار بأسعار عالية، خصوصاً وأن هذه الأكشاك كانت تصنع بطريقة تحمي سكانها من الأمطار الغزيرة على الأسكندرية، وقد انتشرت هذه الأكشاك بشكل كبير داخل الحواري، ومن أشهرها حارة القروء، وهي حارة بنيت في أطراف حي غربال ناحية الشرق قريباً من ترعة المحمودية، ويقطن في هذه الحارة معظم العجرات الذين يربون القروء لاستعراض تصرفاتهم المضحكة أمام الجمهور من المشاهدين، ويقطنها كذلك كثير من الصعايدة الذين استمروا في الأسكندرية، كما انتشرت هذه الأكشاك كذلك في كرموز وكوم الشفافة وفوق

(١) الدكتور عبد الفتاح عبد الله (٢٠١٧). الاسكندرية بين عبقها التاريخي وترايبها الزعران. دار المعارف.

الكثبان الرملية المنتشرة في الأسكندرية. مثل منطقة العرضى في محرم بك، كما نزح البعض إلى خارج الأسكندرية في منطقة الرمل وسيدي بشر والمندرة لبناء هذه الأكشاك، حيث كانت هذه المناطق كلها مناطق خالية من السكان. وحقيقة إن أكشاك الصفيح انتشرت وغيّرت الطابع المزاجي لأحياء الأسكندرية الفقيرة، حيث حلت هذه الأكشاك محل تكعيبات العنب التي كانت تظلل بيوتا كثيرة..".



شكل (٢٥) أكشاك الصفيح في أحياء الأسكندرية الفقيرة.

ومما أسرع في توغل العشوائيات ومدن الصفيح في حقبة الاحتلال أن مقاولي توريد العمال للمعسكرات البريطانية كانوا يرسلون مندوبيهم إلى قرى الصعيد وإغراء الأهالي بالمال، ويشحنوهم في عربات القطار إلى الأسكندرية وغيرها من مناطق معسكرات القوى المحتلة، دون تدبير أماكن إقامة لهم. ووجدت قوات الاحتلال نفسها في حل من توفير المساكن للعمال. أما الحكومات الوطنية فلم تكن لتتدخل في شؤون المحتل والعاملين في معسكراته من المصريين.

وكان المقاول يتقاضى مبلغًا على كل رأس يوردها، وعلى المقاول تولي دفع أجور العمال. وبينما ازداد العمال فقرًا كلما ازداد المورد البشري غنى. وعقب جلاء الإنجليز عن المدن الرئيسية تحول موردو البشر إلى مقاولين للمنشآت والمباني، ووفروا أعمالاً لمن جاؤوا بهم من أعماق الصعيد ومن تناسل عنهم للعمل في مشاريع البناء، متبعين نفس السياسة القديمة بعدم الاهتمام بشؤونهم، ويكفي أنهم يدفعون لهم أجورًا باليومية. وتوسعت أنشطة توريد الأنفار لعمل المقاولون في تصدير العمال إلى الدول العربية، وظلت عشوائياتهم على ما هي عليه باستثناء التوسع فيها لاستيعاب الأجيال الجديدة.

وبالمثل، فإن بعض العشوائيات في لاجوس بنيجيريا انبثقت نتيجة الإهمال والسياسات في فترة الاحتلال^(١). ولقد كانت عشوائية ماكوكو أقدم العشوائيات في نيجيريا، قرية للصيد بنيت على بحيرة غزيرة بثروتها السمكية. تحولت إلى عشوائية تأوي قرابة مائة ألف في لاجوس. وفي عام (٢٠١٢)، أقدمت الحكومة المحلية على اجتثاثها من جذورها لتوفر المساحة الكافية لتطوير البنية التحتية لتستوعب النمو السكاني في المدينة^(٢).

وخلال حقبة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا، وتحت غطاء مزاعم التنظيف ومنع القذارة والوقاية من وباء الطاعون، تم اتباع سياسة العزل الإثني والتمييز العنصري، فتم نقل الملونين إلى أطراف المدينة، وفقا للسياسات التي أدت لتكوين عشوائية سويتو وعشوائيات أخرى سميت بلدات أو تاونشيب^(٣).



شكل (٢٦) عشوائية ماكوكو، لاجوس بنيجيريا.

- (1) Liora Bigon, Between Local and Colonial Perceptions: The History of Slum Clearances in Lagos (Nigeria), 1924–1960, *African and Asian Studies*, Volume 7, Number 1, 2008, pages 49–76 (28).
- (2) Destroying Makoko *The Economist* (August 18, 2012).
- (3) Beinart, W., & Dubow, S. (Eds.), (2013), *Segregation and apartheid in twentieth century South Africa*, Routledge, pages 25–35.

وكثير من العشوائيات الكبرى بدأت على أطراف مراكز مدن احتلال على قناعة بعزل المواطنين والتميز العنصري في أمريكا اللاتينية^(١). كما أن الجيتوهات في الولايات المتحدة وفي بلدان أخرى خلقت وحُوفظ عليها بناءً على سياسات التمييز العنصري وتسلب المجموعات الإقليمية^{(٢)٣}.

بنية تحتية رديئة، والعزلة الاجتماعية

إن العزل الاجتماعي بالإضافة إلى بنية تحتية متردية تجبر الفقير على التكيف لأحوال خارجة عن إرادته. والعائلات الفقيرة التي لا تطبق تكاليف المواصلات العامة أو أولئك الذين يفتقدون ببساطة أية وسيلة من وسائل المواصلات العامة، ينتهي بهم المطاف إلى وضع اليد (أو القعود على) استيطانات على مقربة من أماكن عملهم الرسمي أو غير الرسمي، بحيث يسرون إليه على الأقدام^(٤). وفي الواقع، إن العزل الاجتماعي ورداءة البنية التحتية هي أسباب تكوين العديد من العشوائيات في المدن الأفريقية^(٥). ورداءة الطرق وعدم رصفها يشجع تكوين العشوائيات وتوسعها، فبمجرد زيادة الطرق المرصوفة والصالحة للسير في جميع المواسم بنسبة (١٪) قد تؤدي إلى خفض معدل حدوث العشوائيات بنسبة (٣٥،٥٠). كما أن وجود مواصلات عامة منخفضة التكاليف وبنية تحتية اقتصادية يُمكّن الفقراء من الانتقال إلى أماكن بعيدة نسبيًا عن مكان العمل، والبحث عن اختيارات بديلة للمعيشة في العشوائيات^{(٦)٧}.

الكساد الاقتصادي

النمو الاقتصادي الذي يؤدي إلى خلق فرص عمل بمعدل أسرع من النمو السكاني، يوفر للناس فرصًا وحوافز للانتقال من العشوائية الفقيرة إلى جوارات أكثر تطورًا. بالمقابل فإن الكساد

- (1) Griffin, E., and Ford, L. (1980), A model of Latin American city structure, *Geographical Review*, pages 397–422.
- (2) Marcuse, Peter (2001), *Enclaves yes, ghettos no: Segregation and the state*, Lincoln Institute of Land Policy Conference Paper, Columbia University.
- (3) Bauman, John F (1987), *Public Housing, Race, and Renewal: Urban Planning in Philadelphia, 1920–1974*, Philadelphia, Temple University Press.
- (4) Istanbul's Gecekondu Orhan Esen, London School of Economics and Political Science (2009).
- (5) Slums as Expressions of Social Exclusion: Explaining the Prevalence of Slums in African Countries Ben Arimah, United Nations Human Settlements Programme, Nairobi, Kenya.
- (6) Africa: Improved infrastructure key to slum upgrading – UN Official IRIN, United Nations News Service (11 June 2009).
- (7) Latin American Slum Upgrading Efforts Elisa Silva, Arthur Wheelwright Traveling Fellowship 2011, Harvard University.

الاقتصادي يشكل مخاطر وتخوفًا للفقير، مما يشجعه على مواصلة الحياة في العشوائية. والكساد الاقتصادي في دولة مقترناً بنمو سكاني يخفض من مستوى الدخل الذي ينفقه الفرد في المناطق الحضرية والريفية، ويؤدي إلى تنامي الفقر في الريف والحضر. هذا لأن ازدياد الفقر في الريف يدفع الناس إلى الهجرة إلى المدن. بمعنى آخر إن الاقتصاد المتعثر يزيد من حدة الفقر، وبالتالي إلى الهجرة من الريف إلى المدن الكبرى، وبالتالي يزيد من العشوائيات^{(١) (٢)}.

الاقتصاد غير الرسمي

العديد من العشوائيات تنمو وتتمدد مع نمو الاقتصاد غير الرسمي الذي يرفع الطلب على العمالة. والاقتصاد غير الرسمي جزء من الاقتصاد غير المرخص وغير المسجل، ولا يدفع ضرائب، ولا يخضع لرقابة الحكومة المحلية أو المركزية^(٣).

الاقتصاد غير الرسمي ينمو بمعدل أسرع من الاقتصاد الرسمي عندما تكون^(٤):

- القوانين واللوائح الحكومية غير واضحة أو مفرطة.
- البيروقراطية الحكومية فاسدة ومسيئة لرواد الأعمال.
- قوانين العمال غير مرنة.
- ضعف تطبيق القانون.

كما أن الاقتصاد غير الرسمي مستشري في العديد من الدول التي قد لا تعاني من هذه الظروف، ولكنه ينتعش في العادة في الجيوب السكانية البعيدة عن المدن، حيث ينتشر التعامل النقدي فقط، وتفادي التعامل خلال البنوك وبطاقات الائتمان.

والقطاع الحضري غير الرسمي عادة ما يكون من (٢٠٪) إلى (٦٠٪) من مجمل الناتج المحلي في الاقتصاديات النامية. وفي كينيا؛ مثلاً (٧٨٪) من الوظائف غير الزراعية تقع تحت غطاء القطاع غير

-
- (1) The Challenge of Slums: Global Report on Human Settlements (2003), United Nations Human Settlements Programme.
 - (2) Growing out of poverty: Urban job Creation and the Millennium Development Goals Marja Kuiper and Kees van der Ree, Global Urban Development Magazine, Vol 2, Issue 1, March 2006.
 - (3) "The Informal Economy: Fact Finding Study". Department for Infrastructure and Economic Cooperation.
 - (4) Towards a better understanding of informal economy Dan Andrews, Aida Caldera Sánchez, and Åsa Johansson, OECD France (30 May 2011).

الرسمي، مما يشكل نسبة (٤٢٪) من مجمل الناتج المحلي^(١). وفي العديد من المدن يشكل القطاع غير الرسمي (٦٠٪) من وظائف سكان الحضر؛ على سبيل المثال في بنين يشكل سكان العشوائيات (٧٥٪) من القطاع غير الرسمي للعمال، بينما يشكلون (٩٠٪) من القوة العاملة غير الرسمية في بوركينا فاسو، وجمهورية وسط أفريقيا وتشاد وأثيوبيا^(٢). وهذا فإن العشوائيات تخلق نظامًا بيئيًا اقتصاديًا كبديل غير رسمي، يتطلب عمالًا مرنين بأجور متدنية، يمكن لسكان العشوائيات المعدمين أن يستجيبوا للطلب. بمعنى آخر؛ فإن الدول التي يصعب فيها بدء عمل وتسجيله وإدارته، تشجع الأعمال غير الرسمية والعشوائيات سواءً عن عمد أو غير عمد^(٣)،^(٤)،^(٥). وبدون اقتصاد رسمي مستدام يرفع من الدخل ويوفر فرصًا، فإن العشوائيات القبيحة ستستمر^(٦).

ووفقا لتوقعات البنك الدولي وهابيتات الأمم المتحدة، فإنه في غياب إصلاح اقتصادي كبير فإن أكثر من (٨٠٪) من الأعمال في الحضر في الدول النامية ستكون متردية الأجر في القطاع غير الرسمي. ومع بقاء كل شيء على حاله، فإن النمو الهائل في القطاع الخاص سيؤدي حتمًا إلى نمو سريع للعشوائيات.

الفقر

فقر الحضر يشجع تكوين العشوائيات ويزيد من الطلب عليها^(٧). ومع الانتقال السريع من حياة الريف إلى حياة الحضر يهاجر الفقراء إلى المناطق الحضرية. فالفقير من الريف يصل إلى الحضر مفعماً بالأمل مع قليل من أي شيء آخر. وعادة يصل دون ترتيب مسبق لمأوى وعدم دراية بما قد يجد من الخدمات الأساسية في الحضر أو وسائل الراحة الاجتماعية. وغالبًا ما تكون العشوائيات هي الاختيار الوحيد أمام فقير الحضر^(٨).

(1) What are slums and why do they exist? UN-Habitat, Kenya (April 2007).

(2) The state of world's cities UN Habitat (2007).

(3) The Urban Informal Sector in Nigeria Geoffrey Nwaka, Global Urban Development Magazine, Vol 1, No 1 (May 2005)

(4) In nairobi's slums, problems and potential as big as Africa itself Sam Sturgis, Rockefeller Foundation, (January 3, 2013)

(5) In one slum, misery, work, politics and hope Jim Yardley, *New York Times* (December 28, 2011)

(6) Minnery et al., Slum upgrading and urban governance: Case studies in three South East Asian cities, *Habitat International*, Volume 39, July 2013, Pages 162–169

(7) UN-HABITAT 2007 Press Release on its report, "The Challenge of Slums: Global Report on Human Settlements 2003".

(8) Slums Of The World: The Face Of Urban Poverty In The New Millennium?, UN-Habitat

السياسات

العديد من الحكومات المحلية والمركزية تناهض أو تتصدى لمصالح سياسية، لأي جهود لإزالة عشوائيات أو الحد من توسعها أو تحسين أحوالها كاختيار أفضل لإسكان الفقير^(١). وخلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر، على سبيل المثال، اعتمدت الأحزاب السياسية الفرنسية على أصوات الناخبين من سكان العشوائيات، وكان لديهم مصالح مكتسبة في الحفاظ على تلك الكتلة من الأصوات. وبهذا فإن إزالة أو إحلال عشوائية شكل من تضارب في المصالح، وبهذا وقفت السياسة حائلاً أمام أية جهود لإزالة أو لإعادة استيطان أو لتحسين أوضاع العشوائيات وتحويلها إلى مشاريع إسكان أفضل من العشوائيات. وهناك ديناميكيات مماثلة في فيفلاس البرازيل^(٢)، وعشوائيات الهند^(٣)، ومدن الصفيح في كينيا^(٤).

كما أن السياسة تدفع الهجرة من الريف إلى الحضر، وما يعقب ذلك من أنماط الاستيطان^(٥). وفي بعض الأحوال توجد شبكات رعاية موجودة مسبقاً، على شكل عصابات أو في بعض الأحيان على شاكلة أحزاب سياسية أو ناشطين اجتماعيين داخل العشوائيات يسعون للحفاظ على قدراتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. تلك المجموعات الاجتماعية والسياسية لها مصالح مكتسبة في تشجيع هجرة المجموعات الإثنية التي تساعد على الحفاظ على العشوائيات، وترفض أية اختيارات إسكان بديلة، حتى لو كان البديل أفضل من كل النواحي عن العشوائيات التي يسعون لاستبدالها^(٦).

- (1) Assessing Slums in the Development Context United Nations Habitat Group (2011)
- (2) The case of São Paulo, Brazil – Slums Mariana Fix, Pedro Arantes and Giselle Tanaka, Laboratorio de Assentamentos Humanos de FAU-USP, Sao Paolo, pages 15–20.
- (3) Bid to develop Indian slum draws opposition Philip Reeves, *National Public Radio* (Washington DC), May 9, 2007.
- (4) Slum banged Joshi and Unnithan, *India Today* (March 7, 2005).
- (5) An Inventory of the Slums in Nairobi Irene Wangari Karanja and Jack Makau, *IRIN*, United Nations News Service (2010); page 10-14.
- (6) Gerald Suttles (1970), *The Social Order of the Slum: Ethnicity and Territory in the Inner City*, ISBN 978-0226781921, University of Chicago Press, see Chapter 1.
- (7) Bright City Lights and Slums of Dhaka city Ahsan Ullah, City University of Hong Kong (2002)

النزاعات الاجتماعية

ملايين اللبنانيين كونوا عشوائيات خلال الحرب الأهلية من (١٩٧٥) إلى (١٩٩٠)^{(١)(٢)}. وبالمثل تكونت عدة عشوائيات مؤخراً في كابل لتستوعب الهاربين من العنف في أفغانستان^(٣).

الكوارث الطبيعية

الكوارث الطبيعية الكبرى في الدول الفقيرة تؤدي في العادة إلى هجرة العائلات التي تأثرت بالكارثة من مناطق شلتها الكارثة إلى مناطق لم تتأثر بها، مما يؤدي إلى إنشاء عشوائيات أو مدن صفيح مؤقتة، أو التوسع في عشوائيات قائمة^(٤). تلك العشوائيات تميل إلى الاستدامة لأن المقيمين فيها لا يرغبون في تركها، كما هو الحال في بورت أوو برينس في هيتي في زلزال (٢٠١٠)^{(٥)(٦)}، والعشوائيات بالقرب من دكا عقب إعصار سيدر في بنجلادش (٢٠٠٧)^(٧). وخلال إعصار كاترينا وريتا في عام (٢٠٠٥) على ولاية لويزيانا تكونت عشوائية مؤقتة بإشراف وكالة إدارة الطوارئ الفدرالية (فيما) لإيواء مجموعات كبيرة من مهاجري أمريكا اللاتينية غير الشرعيين للمساعدة في إزالة أثار الإعصار، والمساعدة في الإصلاحات الضرورية في المنازل.

الدوافع المادية

لوردات العشوائيات

لوردات العشوائيات كنية تطلق على ملاك العقارات الغائبين الذين يملكون أكثر من عقار (حيث إنهم لا يهتمون كثيراً بما يحدث في ملكياتهم)، والذين يحاولون الحصول على أكبر ربح ممكن عن طريق تخفيض تكاليف الإصلاح والترميم، خاصة وأن تلك المباني تكون في أحياء متدهورة ومتداعية البنيات.

- (1) *Slums: The case of Beirut, Lebanon*, Mona Fawaz and Isabelle Peillen, Massachusetts Institute of Technology (2003).
- (2) *Slums – Summary of City Case Studies* UN Habitat, page 203.
- (3) *Fleeing war, finding misery The plight of the internally displaced in Afghanistan* Amnesty International (February 2012); page 9-12.
- (4) *Slum upgrading – Why do slums develop* Cities Alliance (2011).
- (5) *Three years after Haiti earthquake, loss of hope, desperation* Jacqueline Charles, Miami Herald (January 8, 2013).
- (6) *Slum eviction plans in Haiti spark protests* The Telegraph (United Kingdom), July 25, 2012.
- (7) *Bangladesh cyclone: Rebuilding after Cyclone Sidr* Habitat for Humanity International (May 6, 2009).

ولوردات العشوائيات لا يقتصر وجودهم على الولايات المتحدة، بل هم منتشرون حول العالم، خاصة في الاقتصاديات الكبرى والدول المتقدمة اقتصادياً. ويقوم لوردات العشوائيات بتفاضي إيجارات عالية خلال أزمات المساكن، وعادة ما يخالفون قوانين الإيجار إذا أمكنهم الإفلات من عقوبات لا تتعدى أن تكون غرامة مالية^{(١)،(٢)}.

سلوكات

تقليدياً، تعتبر تجارة العقارات من الاستثمارات البعيدة المدى لغالبية المستثمرين في شراء العقارات وبيعها؛ خاصة في الدول المتقدمة، حيث يقوم أصحاب الملكيات بصيانة ممتلكاتهم حتى لو كان ذلك مكلفاً على المدى القصير، فهذا يجتذب مستأجرين مرغوباً فيهم، ممن يحافظون على مساكنهم، حتى لو لم يكونوا يملكونها أو استأجروها لفترة وجيزة، أولئك المستأجرون عادة ما لا يحجمون عن دفع إيجارات عالية في مساكن تتلقى رعاية دائبة من ملاكها في جوارق من المباني التي لم تفقد رونقها حتى لو كانت قديمة. كما أنه في حالة العزم على بيع العقار فإن المشتري يتوقع أن البنيان الذي يتلقى صيانة ورعاية دائبة سيكون مرتفع السعر.

بالمقابل فإن لوردات العشوائيات عادة ما لا يعيرون مسألة الصيانة أي اهتمام ولا يكثرثون بأي عطل أو تهرؤ في بنيان ممتلكاتهم. وعادة ما يقومون بالقدر الأدنى الذي يضمن أن العقار قابلاً للسكنى؛ وفقاً للمواصفات المحلية التي تختلف من مكان إلى آخر؛ وعموماً يعتبر المسكن قابلاً للسكنى؛ إذا ما:

- وفر مأوى يمكن إغلاقه.
- وفر مياه الشرب.
- وفر مكاناً دافئاً في مناطق الشتاء القارس.
- لم يكن موبوءاً بالحشرات والبهوام والصراصير أو النمل الأبيض أو العطب.

(1) Dylan Welch (18 Jul 2014). "Slumlords cramming 14 people into two-bedroom flats in illegal accommodation network". *Australian Broadcasting Corporation*.
(2) Miles Godfrey (5 July 2014). "Sydney's slum dodge landlords: Inside our city's worst accommodation rentals". *Daily Telegraph*.

وفي بعض الأحيان قد يطلب من صاحب الملك أن يوقف أي مصدر للضوضاء في ساعات الليل، أو تزويد المسكن بمجسات الدخان، أو وضع وقاية حديدية على النوافذ، أو مصاعد كافية للسكان، وربما مرآة للمصعد، أو حارساً للمبنى، ... إلخ.

بالمقابل فإن صاحب العقار يطرح المساكن للإيجار بمعدل أقل من نظيراتها في نفس الحي ليستدرج المستأجرين غير القادرين على دفع إيجارات أعلى، ودون التحري عن خلفياتهم وتصرفاتهم في المساكن التي استأجروها من قبل. ومنهم من يؤجر المساكن بلا عقود إيجار، وإذا كان هناك عقد يكون من شروطه الإخلاء إذا ما لم يدفع الإيجار في موعده. وعادة ما يقوم لوردات العشوائيات بالعديد من أعمال الإخلاء.

ومن الشائع أن لوردات العشوائيات يشترون العقارات بمقدم ضئيل أو دون مقدم أو من مزادات العقارات التي عجز أصحابها عن دفع أقساط القرض لشرائها. كما أن غالبيتهم يقبض الإيجار نقدياً حتى يتفادى الضرائب، مما يوفر لهم دخلاً كبيراً في فترات وجيزة. ومنهم من يتوسع فيشتري عدة عقارات في شارع واحد أو في جوار واحد، بحيث يتمكن من تحصيل الإيجارات دون مشقة. وسرعان ما يتحول الشارع أو الجوار إلى عشوائية تدر على صاحبها أموالاً طائلة.

بعض هؤلاء قد لا يسمح لهم بالتأجير للفقراء الذين يتلقون دعمًا من الحكومة، إلا إذا قاموا بتنفيذ متطلبات الصيانة السنوية، كما أنهم يتقاضون الإيجار من الحكومة فلا يستطيعون التهرب من الضرائب. وفي نفس الوقت، لورد العشوائيات قد يشتري العقار في حي مرتفع المستوى ويؤدي إهماله للمبنى إلى تردي المبنى؛ على أمل أن تشتريه الحكومة بمبلغ أكبر مما يستحقه كجزء من التجديد العمراني للمدينة. كما يمكن لمستثمرين في الحي الإقدام على شراء المبنى المتهرئ لترميمه وتجديده خشية أن تتدنى أثمان العقارات في الحي كله.

على سبيل المثال، المناطق التي تعاني من تدهور عمراني في جوهانسبرج بجنوب أفريقيا عادة ما يكون فيها أصحاب عقارات يستغلون المستأجرين ويجبرونهم على السكنى في شقق لا تتبع مواصفات تفادي الحرائق، وفق تحريات الحكومة^(١).

وفي بريطانيا تتعامل المجالس المحلية مع أصحاب العقارات الخاصة دون رقابة كافية، مما يؤدي إلى ملء ممتلكاتهم بسكان تدعم المجالس إيجاراتهم، دون استيفاء لوائح صلاحية السكن^(٢).

(1) Strategies to stop slumlords. Official Website Of The City Of Johannesburg. Joburg.org.za 20 April 2011.

(2) Dispatches, Landlords from Hell, Channel 4, 5 December 2011.



شكل (٢٢) مبنى مسكون بطريقة غير قانونية في جوهانسبرج، جنوب أفريقيا.

وبعض لوردات العشوائيات يهتمهم المكسب من خلال تقليب الملكيات، والتقليب نوع من المضاربة، بدلاً من دخل الإيجارات. نموذج الأعمال المتبع في هذه الحالة هو أن لورد العشوائية لا يهتم بصيانة العقارات التي يملكها على الإطلاق، وقد لا يدفع ضرائب الملكية للبلدية ولا الغرامات الهائلة التي قد يتكبدها؛ نظرًا لأنه على يقين أن البلدية ستستغرق سنوات طويلة قبل أن تقرر أن الملكيات غير صالحة للسكنى أو تستولي عليها أو تهدمها؛ وبهذا فإن لورد العشوائيات يعقد الأمل على بيع ممتلكاته قبل تلك الإجراءات الجريئة. بل إن بعض أولئك اللوردات قد يتقاعس عن دفع أقساط قروض شراء الممتلكات إذا كان غنيا بالأصول التي يملكها، ولكنه مفلس ماليًا، أو إذا أحس بأن بإمكانه بيع الملكيات قبل قيام الجهة المدين لها بالاستيلاء على الممتلكات؛ حيث إن إجراءات الاستيلاء تتم بعد فترة قد تصل إلى ثمانية أشهر من وجوب تسديد القرض.

السوق السوداء للإيجار

في المناطق التي يحدد فيها الإيجار أو يكون فيها حماية قانونية للمستأجرين، بعض ملاك العقارات يؤجرون الملكيات بصورة غير قانونية، على سبيل المثال في المملكة المتحدة هناك عمليات تأجير غير قانونية من الباطن لوحدة المساكن الشعبية حيث يقوم المستأجر الأصلي بتأجير مسكنه بأجرة باهظة^(١). وفي السويد يمكن شراء عقود الإيجار المنظمة من قبل الحكومة في السوق السوداء،

(1) Tracking down England's council house sublet cheats, *Panorama*, BBC, 4 May 2011.

إما من المستأجر أو مباشرة من صاحب العقارات. وهناك وكلاء تجاريون (سماسرة) في السوق السوداء يساعدون أصحاب الملكيات في تلك المعاملات^(١). وفي مصر هناك فكرة خلو الرجل السارية رغم مخالفتها للقانون.

دور لوردات العشوائيات في تفاقم أوضاع سكان العشوائيات

عادة لا يقتصر دور لوردات العشوائيات على التمهيد لتكوين عشوائيات جديدة؛ بل إن منهم من له ملكيات ضخمة في العشوائيات القائمة، سواء كانت أرضاً ينشئ المتشردون ومن لا مأوى لهم ما يأويهم من عشش وأكشاك صفيح، أو يستأجرونها لقاء إتاوة زهيدة، أو ملاك لمبان متهاكلة غير صالحة للإسكان، يدفع شاغلوها إيجاراً شهرياً لصاحب المبنى مباشرة أو يشاطر بعضهم البعض ليوافى بالتزامات إيجار مكان مكتظ بالناس الذين يبيتون في المسكن فقط، ثم يتركونه للمستأجرين الأصليين. وصاحب العقار لا يضيره عدد الذين يحتلون المبنى ومرافقه ليلاً أو نهاراً طالما حصل الإيجار في وقته. وعادة ما يوكل لورد العشوائية من يجبي له المستحقات المالية لقاء إشغال المباني التي يمتلكها، وقد يتوسع في ملكياته بضم أرض مشاع إلى جانب ممتلكاته بوضع اليد. وحتى الأفراد أو العائلات التي تضع يدها على أرض وتبني عليها كوخاً أو كشكاً فلن يسلموا من دفع إتاوة لصبيان لورد العشوائية، نظير عدم إخلائهم بالقوة.

وفي واقع الأمر إن الدخل الصافي لصاحب ملكية في العشوائية من الإيجارات والإتاوات قد يزيد عن دخل صاحب برج مكافئ له في الحجم في حي راق بالمدينة، حيث يكون إيجار المساكن فيه من أعلى الإيجارات.

تدوير العشوائيات

تدوير العشوائيات هي حيلة يتبعها تجار العقارات ومستثمرو التعمير والبناء، تتضمن السعي لشراء أرض شاغرة أو حيازة بيت في حي من الأحياء الراقية أو حي فيه ملكيات متوسطي الدخل بسعر يستحيل على صاحب الأرض أو البيت رفضه. ثم يقوم المشتري بهدم المنزل القائم وتشيد مبنى من عدة وحدات سكنية صغيرة، ويكون ردينا نشازا بالنسبة لمستوى جودة البيوت المجاورة، على أساس أنه مسكن شعبي يؤجره بإيجارات زهيدة للغاية، ويختار له مستأجرين من سكان العشوائيات، مع السماح بإيجار كل وحدة سكنية لأكثر من عائلة، ويلحق به ملهى ليليًا أو ورشًا تصدر منها أصوات مزعجة وروائح كريهة، بحيث يدخل على الحي مشروع عشوائية مصغرة. هذا يؤدي في آخر المطاف إلى

(1) 'Egalitarian' Stockholm rents feed black market, *The Local*, 30 Aug 2010.

انخفاض أثمان البيوت في الحي، فتقوم شركة تجارة العقارات بشراء ما يعرض للبيع بأسعار مخفضة. وقد تقوم الشركة نفسها أو شركة مرتبطة بها لإغراء سكان الحي بشراء بيوت في حي راق أنشئ حديثاً بأسعار أعلى بكثير من الملكية التي يبيعونها. وما إن تتم الصفقات حتى يقوم بترميم وتجميل البيوت التي اشتراها بسعر بخس، ويستصدر أمراً من مجلس البلدية بهدم المسكن الشعبي على أنه آيل للسقوط ولا يصلح للسكنى. وبهذا يربح مبالغ طائلة في بيع المساكن في الحي الذي استولى عليه. هذه الممارسات توجد في كثير من الدول وكانت شائعة في الولايات المتحدة.

عملية تدوير الأحياء تضاهي عملية تحطيم التكتلات (blockbusting) التي كانت تمارسها شركات العقارات في الولاية المتحدة؛ حيث يقوم وكلاء الشركات وشركات البناء والتعمير بإقناع أصحاب الملكيات البيض ببيع منازلهم لقاء مبالغ زهيدة، عن طريق الترويج لإشاعات يطلقونها بين ملاك المنازل أولئك بأن أقليات عرقية ستنقل إلى الحي عن قريب. وبعد شراء البيوت ممن يخشى انحطاط مستوى المعيشة في الحي وغزو السود واللاتينيين لمنطقة الجوار، يقوم نفس الوكلاء ببيع نفس البيوت بأسعار أعلى بكثير مما اشتروها به إلى عائلات سود ممن يتطلعون إلى مجاورة البيض والمتطلعين إلى الهروب من جيوتوهات السود المزدحمة^(١). وقد تمكن تجار العقارات من النجاح في تلك الخديعة عندما صدرت تشريعات للقضاء على الممارسات القانونية التي سبقت الحرب العالمية بالتمييز العنصري في سوق العقارات. وبدأت تلك الممارسة تتلاشى في ثمانينيات القرن الماضي، عقب تغيير قوانين سوق العقارات^(٢). وبحلول القرن الواحد والعشرين ظهرت ممارسات مشابهة، ولكنها معكوسة في ولاية نيويورك ونيوجرسي لصالح اليهود الأرثوذكس^(٣)، فتم الضغط على غير اليهود لبيع ملكياتهم خوفاً من أن يتحكم اليهود في حيهم، وبالتالي قامت شركات العقارات بإعادة بيع الملكيات لليهود بأسعار أكبر بكثير من المبالغ التي اشتروا بها ملكيات غير اليهود.

ولقد بدأت ممارسات تحطيم التكتلات في مدينة شيكاغو بولاية إلينوي (حيث كان التمييز العنصري في المناطق السكنية على أشده، إذ كانت هناك أحياء مقتصرة على السود، وحي لللاتينيين، وحي للعرب، وحي لليهود، إلى جانب الأحياء البيضاء المنتشرة في أرجاء المدينة. وبهذا قامت شركات بيع العقارات وشركات البناء والتعمير باستخدام وكلاء محرضين، من غير البيض، استأجروهم خصيصاً

- (1) James M Rubenstein (2014). [The Cultural Landscape: An Introduction to Human Geography, Tenth Edition, James M. Rubenstein, Pearson Prentice Hall.
- (2) Dmitri Mehlhorn (December 1998). "A Requiem for Blockbusting: Law, Economics, and Race-Based Real Estate Speculation". *Fordham Law Review*. 67: 1145–1161.
- (3) "New Jersey town claims Orthodox Jews are trying to bully them to sell". *Mail Online*.
- (4) "Them and Them". *NYMag.com*.

لخداع سكان حي من أحياء البيض وتحذيرهم من الزحف الأسود على الحي. وبهذا فإن البيوت التي أصبحت خالية من جراء تلك الشائعات ساعدت هجرة السكان من الأقليات العرقية الناجحين اقتصاديا إلى جوارات بعيد عن الجتوات. وبهذا أمكن تشجيع السكان البيض إلى البيع السريع، بخسارة هائلة للهجرة إلى ضواحي فيها نوع من التوازن العرقي. وكانت تلك الممارسات منتشرة في الجانب الغربي والجانب الجنوبي من شيكاغو، وكذلك وظفت العملية بكثافة في بدفورد-ستوفيسانت وبروكلين ومدينة نيويورك.

ومن التكتيكات التي تتبع في هذا المجال:

- استئجار نساء سود يدفعن عربات أطفال سود في جولة في الجوار الأبيض، مما يشيع الرعب في أهل الحي البيض من تدهور قيمة الملكيات في الحي، أمام الغزو الأسود.
- استئجار شباب سود والتظاهر بقيام شباك بينهم في الشارع أمام بيوت للبيض لخلق مشاعر بعدم أمان البيئة.
- بيع بيت لعائلة سوداء في حي للطبقة المتوسطة البيضاء لاستفزاز الجوار الأبيض ودفعه للفرار قبل أن تتردى ملكيات الحي إلى حد يشكل خسارة مادية لهم.
- بيع بيوت في الجوار الأبيض إلى عائلات سوداء ثم توزيع بطاقة عمل وكلاء شركات بيع العقارات على المنازل وإغراق الحي الأبيض بنشرات تقدم نقد سريع لشراء البيوت.
- قيام شركات التعمير والبناء بشراء منازل ومبانٍ سكنية في الحي الأبيض وتركها شاغرة حتى يشعر أهل الحي بالخوف من أن يصبح جوارهم مهجورا مثل جيتو أو عشوائية. بل قد يستأجروا بعض أولاد الشوارع للتردد على تلك المباني المهجورة ليشيعوا انطباعًا في الحي أنهم يتاجرون في المخدرات.

تلك الممارسات يمكن وصفها بأنها تلاعب نفسي يدخل الرعب في بقية السكان البيض ويرغمهم على البيع بخسارة كبيرة.

ولقد أصبحت تلك الممارسات شائعة للغاية ومصدر أرباح ضخمة لشركات بيع العقارات؛ ففي عام ١٩٦٢، بعد مرور قرابة خمسة عشرة عامًا من بدء ممارسات تحطيم التكتلات كان هناك

أكثر من مائة شركة عقارات تقوم بتغيير إثنية صف أو ثلاثة من البيوت في الأسبوع لعدة سنوات. واستمرت الممارسات حتى افتضح الأمر بنشر اعترافات أحد المشاركين في تلك العمليات^(١).

الأسباب الشائعة لنمو العشوائيات

يرجع أن نمو العشوائيات يرجع أساسًا إلى عدم تنفيذ القوانين الخاصة بالمباني، وكذلك حماية الأراضي المملوكة للدولة، في مقابل تقاعس الأجهزة الحكومية المعنية عن التنفيذ، وكذلك ضعف الاهتمام بالتنمية الإقليمية، والتي تهدف إلى إعادة توزيع سكان البلاد والخروج من الوادي الضيق إلى مجتمعات جديدة تستقطب تيارات الهجرة. والأهم من ذلك خلل سوق الإسكان وانخفاض المعروض من الوحدات السكنية وعدم ملائمة العرض مع نوعية الطلب، حيث انخفضت نسبة الإسكان الاقتصادي من إجمالي الوحدات السكنية.

كما أن بعض العوامل القوية التي ساعدت على نمو وانتشار الإسكان العشوائي يمكن حصرها بإيجاز فيما يلي:

- زيادة معدلات النمو السكاني.
- تدفق الهجرة من الريف إلى الحضر وعدم استعداد المدن لاستقبال جميع الأعداد الوافدة من الريف.
- النقص في عدد الوحدات السكنية وزيادة الطلب عليها نتيجة الهجرة السريعة من الريف إلى المدينة.
- جاذبية المدن الرئيسة نتيجة تركز الخدمات، وفي المقابل أصبحت المدن الريفية مرهقة لسكانها نتيجة ندرة الخدمات والإمكانيات بها.
- ارتفاع أسعار الأراضي والشقق السكنية في المناطق الرسمية والتي تتمتع بالمرافق العامة (مياه نقية - صرف صحي - كهرباء - شوارع معبدة صالحة للسير على الأقدام والسيارات والحافلات).
- ضعف الاستثمارات الحكومية والقطاع الخاص في مجال الإسكان المنخفض التكاليف.

(1) Norris Vitcheck as told to Alfred Balk (1962). Confessions of a Block-Buster: A Chicago real-estate agent who moves Negro families into all-white blocks reveals how he reaps enormous profits from racial prejudice. *The Saturday Evening Post*.

- التهاون مع منتهكي القوانين ومغتصبي الأراضي من قبل الجهات الرسمية نتيجة لعدم توافر بدائل أخرى مناسبة. فأصبحت هذه المناطق تفرض أمراً واقعاً وشكلت جماعات ضغط أجبرت الحكومات على مد المرافق إليها.
- زيادة القيمة الإيجارية للمعروض من الإسكان.
- رغبة الأهالي في سكن أبنائهم وأقاربهم بجوارهم.
- محدودية المساكن الشعبية.

الأسباب المحلية

هناك أسباب محلية خصوصية في المناطق الحضرية تعجل من إنشاء العشوائيات واستدامتها، منها:

- الهجرة المنتظمة من المناطق الريفية إلى المدن لعدم الاهتمام بالخدمات وقلة فرص العمل التي تتمركز في المدن مع الزيادة السكانية الهائلة (أفادت دراسة أجرتها وزارة التخطيط إلى الحاجة لبناء ما يقرب من (٣) مليون وحدة بحلول عام (٢٠١٧) تماشيًا مع الزيادة السكانية المتوقعة في مصر؛ بينما تحتاج المملكة السعودية من هذا العام (٢٠١٧) حتى التاريخ المستهدف بحلول عام (١٤٤٦هـ) إلى (٢,٨) مليون وحدة سكنية – وفقا لحساب الحاجة السنوية التي تقدر بـ (٢٠٠) ألف وحدة سكنية.
- انتقال الناس من المناطق الريفية أو البدوية إلى المدن ذات الطابع المعقد بالمقارنة مع الطبيعة الريفية البسيطة، فيعاني هؤلاء من صعوبة في الانسجام، خاصة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد الاجتماعية، فقد يدفع ذلك الكثير من الريفيين إلى السكن خارج نطاق التجمعات الحضرية الكبيرة.
- ارتفاع قيمة الأرض في المدن والعواصم، أدى إلى نزوح بعض الأسر الفقيرة لأطراف المدن لبعدها عن تطبيق القوانين الخاصة بالملكية والتنظيم، وخلق أحياء عشوائية تستوعب مقدراتهم المالية المتدنية.
- حاجة بعض الفئات التي تعمل بالمدينة في الأعمال الإنشائية أو الخدمية إلى السكن في المناطق العشوائية التي يتوفر بها الأسعار المناسبة للإيجار الذي يناسب الدخل.

- استيلاء السماسرة وتجار العقارات وواضعي اليد على أراضي الدولة وتقسيمها وبيعها ولو بالتقسيط ولرغبة بعض الفئات في تملك منزل يمكنها تشييده بالجهود الذاتية مع توافر الاسعار المناسبة للأرض والتقسيط، طالما كانت مخالفة للقانون الغائب عن التنفيذ حتى تصبح أمراً واقعاً يصعب التخلص منه بسهولة.
 - غياب نظام تخطيطي متكامل وقادر على علاج مشكلات الإسكان الاقتصادي الوطنى.
 - المخططات الهيكلية غالباً ما تقترح مساحات للتطوير السكني أكبر بكثير مما يحتاجه نمو المدينة المستقبلية، وبالتالي يؤدي ذلك إلى انتشار المدينة بشكل أفقي واسع ومشتت، وهذا يعمل على رفع قيمة الأرض بسبب ارتفاع تكاليف البنية التحتية، مما يؤدي إلى انتشار البناء بشكل عشوائي على مساحات كبيرة موزعة على أطراف المدن التي تخلو عادة من مخططات تفصيلية، مما يسبب في ظهور مناطق عشوائية جديدة.
 - عدم وجود سياسة محددة للإسكان بأنواعه وتشابك المسؤوليات بين الوزارات والمحليات وعدم توافر التمويل اللازم.
 - انفراد الدولة بالدور التنفيذي للتشييد والبناء وعدم تشجيعها للأفراد والجمعيات في المساهمة في الحلول لمشكلة الإسكان.
 - عدم فعالية القوانين المطبقة، ومنها قصور التشريعات والقوانين المنظمة لتقسيم الأراضي، وعدم وجود آلية لرقابة تنفيذ القوانين والبيروقراطية والمركزية الشديدة، ومنها عدم التنسيق بين الجهات المسؤولة، وعدم توافر قاعدة بيانات لحصر المناطق العشوائية وحصر احتياجات ساكنيها من المرافق.
 - عدم قدرة الدولة على تخصيص استثمارات كافية لإنشاء وحدات سكنية كافية لمحدودي الدخل المهاجرين من المناطق الريفية.
- وهناك جانب إيجابي محفز للدولة على الاهتمام بإدخال المرافق والخدمات الأساسية لتطوير العشوائيات القابلة لذلك؛ حيث يعمل حوالي (٢٥٪) من ساكنيها في القطاع غير الرسمي. هذا القطاع قوامه الرئيس ومصدر قوته وضمان استمراره هو (العنصر البشري، وبالتالي هذا القطاع الموازي القائم بفضل ما يزيد عن ربع ساكني العشوائيات لن يستمر مع تدهور أحوالهم الصحية وإصابتهم بالأمراض والأوبئة - نتيجة عدم إمدادهم بالمرافق العامة والخدمات).

دور الحكومات

الدور المباشر في إنشاء العشوائيات

الحكومات تلعب دورًا مباشرًا وخطيرًا في إنشاء وانتشار واستمرارية العشوائيات في بعض الدول، وخاصة الدول المتقدمة اقتصاديًا؛ وفي بعض الدول النامية. فبعض الحكومات تسعى بصورة قانونية إلى عزل الإثنيات المختلفة في مستوطنات خاصة بهم إما عن طريق بناء مساكن عامة لهم أو توفير الدعم المالي لبناء مبانٍ سكنية خاصة بهم. تلك المباني عادة لا تكون بالجودة المتبعة في المناطق الأخرى، سواء قامت مصلحة حكومية بالبناء أو كلفت مقاولين مختصين بالإنشاء. هذا مع إهمال الصيانة والخدمات العامة التي تعين على الحفاظ على تلك المباني. وهذا هو الحال في العشوائيات الإثنية في باريس ولندن والولايات المتحدة وجنوب أفريقيا.

وسبب الإهمال في الإنشاء والصيانة هو النظرة الدونية أو الدارونية للإثنيات المختلفة، والتي زرعت في العقل الباطن للمسؤولين عن تكوين تلك العشوائيات. فداروين يري أن القرد الذي تناسل منه الأوروبيون أجمل وأذكى من القرد الذي تناسل منه سائر البشر.

الدور غير المباشر في استمرارية العشوائيات

كثير من الحكومات تتغاضى عن وجود العشوائيات في المدن الكبرى، وتعتبر وجودها جزءًا من التركيبة العمرانية للحضر. وقد تكتفي بفرض غرامات على مخالفة قوانين المباني؛ إذا وجدت. والعديد من الحكومات تهتم بالجانب الأمني فقط.

وإذا تأذى المجتمع الحضري من مشاهد العشوائيات كلفت الحكومة جهة بإعادة التخطيط العمراني بحيث تقوم المنشآت الجديدة بالتغطية على مشهد العشوائيات، وإعاقة التواصل بينها وبين المناطق الجديدة المحيطة بها.

دور الدولة في مكافحة العشوائيات

الدول الجادة في مكافحة العشوائيات والحد من انتشارها والوقاية من إنشائها بالمقام الأول، تلجأ إلى معالجة الأسباب الجذرية لظاهرة تكوين العشوائيات، وذلك عن طريق:

- توفير العمل لأهالي العشوائيات.
- الاهتمام بتقديم الخدمات الاجتماعية والبلدية والرعاية الصحية والتعليم للعشوائيات القائمة.

- وضع لوائح تنظيمية للمباني وتقسيم المناطق إلى سكنية وتجارية وصناعية.
- السعي إلى إزالة الحاجز النفسي بين أهالي العشوائيات والمجتمع الحضري.
- علاج مسببات إنشاء العشوائيات واستمرارها.

أراضي العشوائيات

وضع اليد

وضع اليد هو احتلال مساحة من الأرض مهجورة أو شاغرة أو مبنى يكون في غالب الأحيان مبنى إسكان^(١)، دون حق ملكية أو إيجار أو تصريح قانوني بالاستخدام. وفي اللغة الإنجليزية تستخدم كلمة الجالس القرفصاء على الأرض لتشير إلى واطع اليد، حيث تعني جلسة القرفصاء على الإصرار على التثبيت وعدم الزحزحة عن موضع القعود.

وفي بعض التقديرات، إن هناك مليار واطع يد على مستوى العالم في سنة ٢٠٠٤، وسيضاعف ذلك العدد بحلول سنة (٢٠٣٠)، ثم يصل إلى (٣) مليار بحلول (٢٠٥٠)^(٢). ومع ذلك، فإن عملية وضع اليد تكاد تكون مغفولة الذكر في حوارات السياسة، ولم تطرح بعد كمشكلة، أو عارضة أو أنها تشير إلى حراك اجتماعي أو سكاني^(٣).

وقعود القرفصاء قد يتعلق بحراك سياسي، مثل حركات الفوضويين والاشتراكيين والوجوديين^(٤). ويمكن أن يعني وضع اليد الحفاظ على مبني أو توفير مسكن.

وفي العديد من دول العالم الفقيرة، هناك عدد ضخم من العشوائيات ومدن العشش الصفيح مبنية على أطراف المدن الكبرى، وتتكون كلها من مساكن بناها ساكنوها بأنفسهم دون إذن من صاحب الأرض. وبينما تلك المستوطنات قد تنمو مع مرور الوقت لتصبح قانونية ولا يمكن التفرقة بينها وبين الأحياء السكنية العادية، فإنها تبدأ كمنطقة عليها منشآت قليلة بوضع اليد. وبهذا لا يوجد

-
- (1) Roberts, Chris (2006), *Heavy Words Lightly Thrown: The Reason Behind Rhyme*, Thorndike Press.
 - (2) Neuwirth, R. (2004), *Shadow Cities: A Billion Squatters, A New Urban World*, Routledge.
 - (3) Reeve, Kesia, "Squatting Since 1945: The enduring relevance of material need", in Somerville, Peter; Sprigings, Nigel, *Housing and Social Policy*, London: Routledge, pp. 197–216.
 - (4) Barnett, Helen (April 2, 2015). "Squatters occupy building near Buckingham Palace to 'stick two fingers up to Queen'". express.co.uk.

سرف صفي؁ ويلزم على موصللي المله أن يوردوا مله شرب من صنبور قرب؁ وإذا وءء كهرباء فسلكون مسروقة من كابل يمر بالمنطقة.

وإلى جانب اسلءءام أراضل وءع اللء فف إنشاء المساكن؁ فقد تسلضلف الأراضل مءلات ءءارفة للهباء؁ ومءطاء راءلو قراضنة أو مقاهل. وواضعو اللء لهم كنفاء مءلفة فف الءول الل ءلكم الأسبانبفةؑ ءفء الءعون بالمءللن فف أسبانباء وءشلل والأرءنلن؁ وبارشوءر فف المكسلء ءفء للهطون على الأراضل ءالففة من الءلق.

ووضع اللء فمئل قضفة سفاسفة بطبلعته؁ كما أن هناك أوصافًا للنظم السفساسفة الل ءلسبب ففه. فءلال ءقبة الكساء العالمل وزفاءة أءاءء ءءر على المساكن فف نفاهفة العءء الأول من القرن الواحد والعشرن؁ أصبح وضع اللء أمرًا منلشرًا فف الءول الغربفة المءقءمة اقءصاءفًا^(١). وفف بعض الأحوال؁ اءءمع الءافع السفساسل وءافز ءاءة إلى مأوى. وفف ظروف السكن السلبلفة؁ ومءءوءفة فرص السكن؁ والءوءعاء المءبطة ءبرأ واضعو اللء المألوف من اللءوء إلى القنواء الءقلفءفة؁ وءالفوا العلاقاء مع السلطاء؁ وءءطوا قواعد البءء عن رعاة من الءولة.

وفوءء ءمسة أنواء من وضع اللء^(٢):

١. قائم على ءرمان - أي أن المشرءن فضعون أبلهم على ملكفة لءاءهم إلى مأوى.
٢. اسلراءففة بءلفة للإسكان - على سبلل المءالؑ أناس على رفر اسلءءاء الاءلظار وفق قائمة البلءفة لإفءاء مسكن بعمل مبالر.
٣. رفاءة أعمال - على سبلل المءالؑ القفام بالءءول علفة على مبانٍ لءءمة ءااءة للمءءمع لءانة ءمر رءفصة أو ناء؁ ... الء.
٤. المءافظة على شفة - صفانة نصب ءءكارل أهملته السلطاء.
٥. سفاسفة - على سبلل المءالؑ قفام ءوار بوضع اللء على مبانل كاءلءااء أو كإنشاء مراكز اءءماعفة.

فف كءفر من الءول؁ وضع اللء فف ءء ذاءه فءلر ءرفمة؁ بفنما فءلر فف بعض الءول كمءرء نزاع مءنل بفن صاءب الملكفة ومءلل الأرض أو المبنى. ولكن قانون الملكفة غالباً ما فءابل صااءب الملكفة. رفر أنه فف العءفء من الأحوال؁ واضع اللء قد فملك الملكفة وفق الأمر الواقع؁ وبهءا ءعءلل

(1) Peñalver, Eduardo M. (March 25, 2009). "Homesteaders in the Hood". *Slate Magazine*.

(2) Pruijt, Hans (2011). "Squatting in Europe". *International Journal of Urban and Regional Research*.

القوانين لتجعل مثل ذلك الوضع قانونيًا. ومرارًا يعلن واضع اليد حقوقه في ملكية أماكن احتلها، كبديل لملكية. وبهذا فإن وضع اليد يشابه الحيازة غير المرغوب فيها، والتي ربما استطاع الذي يفرض حيازته على ملكية دون وثيقة ملكية أن يحصل في نهاية الأمر على وثيقة ملكية قانونية^(١).

ولقد كان السكان الأصليون في الأمريكتين وأفريقيا وأستراليا والبدو يعتبرون أن الأرض هي لمن ينتفع منها، ولهذا استطاع الأوروبيون الاستيلاء على أراضيهم بتسجيل ملكية كل ما يضعون عليه أيديهم، ويحيطون الأراضي بسور. ومن وجهة أمنية فإن البعض يرى أن وضع اليد يرتبط بسلوكات مناوئة للمجتمع، ويمكن أن تسبب قدرًا كبيرًا من الإزعاج والضيق للسكان المحليين. وفي بعض الأحوال قد يختلجها أنشطة إجرامية^(٢).

وبالنسبة إلى الموقف العام من وضع اليد، فالآراء تتباين وفق النواحي القانونية والظروف الاجتماعية والاقتصادية، ونوعية المساكن التي يحتلها واضعو اليد. وبينما يعتبر وضع اليد على مباني البلدية أمرًا يمكن التهاون فيه، فإن وضع اليد على ملكية خاصة يجد معارضة شديدة من عامة الناس والمسؤولين^(٣).

وعندما يتم وضع اليد بأسلوب إيجابي وتقديمي، يمكن مراعاته على أنه وسيلة للحد من الجريمة والتخريب للملكيات شاغرة، وفقا لقدرات واضع اليد واستعداداته للتماهي مع الطبقة الاجتماعية الاقتصادية في المجتمع الذي حوله والذي يعيش فيه. بالإضافة إلى ذلك واضعو اليد يمكن أن يساهموا في صيانة أو الرقي بالمواقع التي قد تترك دون رعاية وتهمل، بما يؤدي إلى جوارات مهجورة، متدهورة ومتحللة في وسط أقسام معينة من مدن أو محافظات متوسطة أو عالية عمرانًا. مثال لذلك منطقة مانهاتان الأدنى من العقد السابع من القرن العشرين^(٤).

الاستيلاء المناوئ

الاستيلاء المناوئ هو أسلوب لحيازة وثيقة ملكية من خلال الملكية لفترة من الوقت تحت ظروف معينة. والدول التي توجد فيها هذه القواعد تتضمن إنجلترا والولايات المتحدة، بناءً على

(1) Ed. Wates and Wolmar (1980) *Squatting: The Real Story* (Bay Leaf Books).

(2) "Statement from Detective Chief Superintendent Sue Williams, Borough Commander and Chair of the Community Safety Partnership" (Press release). London Borough of Redbridge. 2012-01-20.

(3) Elms, Robert (November 22, 2011). "Squatting: The need for shelter versus property rights". BBC.

(4) Srinivas, Hari. "Squatting: Defining Squatter Settlements". gdr.org.

القانون العام (قانون البلاد وهو يختلف عن القانون المدني المعمول به في فرنسا) غير أن بعض دوائر القوانين غير العامة لديها قوانين مماثلة للاستيلاء المناوئ؛ على سبيل المثال ولاية لويزيانا التي لديها قاعدة قانونية اسمها دعوة الحيازة المشتقة من القانون الفرنسي.

التوطين العمراني

التوطين العمراني هو نوع من الإسكان الشخصي، عندما يقوم ساكن في مبني - عادة ما يكون فقيرًا - بحيازة ملكيات خاصة مهجورة في منطقة حضرية.

وقد يأخذ ذلك العمل صورة وضع اليد في بعض الأحيان، والذي قد يكون غير قانوني في بعض الدوائر القضائية. التوطين العمراني - يقوم فيه الساكن بإصلاح الشقة من خلال عمله الشخصي، وبهذا يختلف عن وضع اليد من الناحية النظرية.

وبينما كلا المجموعتين قد تقومان بالعمل بنفسهما دون ترخيص في البداية، مع الاعتماد على النفس في إدارة المبنى، وقد يقوم السكان بالعمل التعاوني مع منظمة لا ربحية أو حكومة المدينة لجعل ملكية المبنى قانونية^(١).

وفي بعض الأحوال، تقوم بعض المدن باستخدام التوطين العمراني كحل عملي لخلق مساكن يمكن للسكان المقدرة على دفع إيجاراتها^(٢).

(1) Bearak, Barry (May-June 1994), "Turf Wars", *National Housing Institute*, pp. Issue 75.

(2) Penalver, Eduardo (March 25, 2009), "Homesteaders in the Hood: Squatters are multiplying in the recession - what should cities do?", *Slate.com*.

الباب الثالث: وسائل علاج ظاهرة العشوائيات

- ◆ إزالة العشوائيات
- ◆ نقل العشوائيات
- ◆ رفع مستوى العشوائيات
- ◆ الإحلال التدريجي
- ◆ الاستطباب
- ◆ اقتران المساكن الشعبية (العامة) والبنية التحتية
- ◆ التجديد العمراني
- ◆ سياحة العشوائيات

إزالة العشوائيات

ترى بعض حكومات وبلديات المدن أن الحل الناجع والأسهل والسريع هو إخلاء العشوائية واستئصالها من جذورها، كما يصبر المسؤولون فيها على ذلك^{(١) (٢)}. ويشجع على مثل هذه الاستراتيجية أن العشوائيات التي يتعاملون معها بدأت بطريقة غير مشروعة وأنشئت على ملكية أرض الغير، وأن البلدية لا تعترف بمبانيها، كمبانٍ مصرح بإنشائها. ولما كانت تلك المباني العشوائية تعدّياً على ملكية آخرين، فسكانها ليس لهم أي حق قانوني للأرض المقامة عليها^{(٣) (٤)}.

وعموماً فإن إخلاء المساكن العشوائية أو إفراغها من سكانها أو إزالتها عادة ما تكون ضمن استراتيجية لتجديد عمران الحضر، ويتم فيه تحويل العشوائيات ومستوطنات أصحاب الدخل البسيط؛ بما لهم من سمعة سيئة، إلى نوع آخر من الإعمار أو الإسكان. فإزالة العشوائية يحطم منازل محدودي الدخل ومواقع احتلال ممتلكات بأسلوب غير قانوني، وبهذا يمكن أن يتبع الإزالة توزيع سكان العشوائيات على مناطق إسكان مختلفة بهدف وقف تمدد وتواصل مناطق الفقر.

هذه الاستراتيجية كانت الاستراتيجية المتبعة لإعادة تطوير المجتمعات الحضرية؛ على سبيل المثال: ألزم تشريع الإسكان وإزالة العشوائيات لسنة (١٩٣٠) (المعروف بتشريع جرينوود (Greenwood Act))؛ المجالس البلدية في المملكة المتحدة بوضع خطط إزالة حتمية لحل مشكلة المباني العشوائية وسط المدن، والتي وجدت حتى في العديد من المدن الأصغر. هذا بينما كانت مجالس

-
- (1) Anon (2013) Slum dwellers refuse to vacate railway land, *The Dawn*, Rawalpindi, Pakistan (August 24, 2013).
 - (2) Anon (2013). Homeless laborers protest razing of slums *The Hindustan Times*, Gurgaon, India (April 21, 2013).
 - (3) Gardiner, B. (1997), Squatters' Rights and Adverse Possession: A Search for Equitable Application of Property Laws. *Ind. Int'l & Comp. L. Rev.*, 8:119.
 - (4) Kross, E. (1992). Spontaneous settlements in Lima: urbanization processes in a Latin American metropolis. Ferdinand Schoningh.

البلدية تبني مساكن لحل المشكلة. وقد قامت المجالس بالتقدم في تطبيق القانون إلى حد ما قبل نشوب الحرب العالمية الثانية^(١).

وبالمثل شجع صدور تشريع الإسكان لسنة (١٩٣٧) في الولايات المتحدة الأمريكية (قانون واجنرستيغال (Wagner-Steagall Act)) على تبني استراتيجية مماثلة^(٢). وقد وفر القانون دعماً حكومياً لوكالات المساكن العامة المحلية لتحسين الأحوال المعيشية للعائلات ذات الدخل المتدني. ورغم أن برامج الإزالة اقترنت ببرامج إسكان عامة أو ببرامج مساعدة أخرى للمجتمعات المشردة في كثير من الأحيان، إلا أن ذلك لم يكن بالضرورة الممارسة الشائعة في جميع الأحوال.

وفي الواقع، إن خطط إزالة العشوائيات في العديد من الدول غير الغربية ثبت عدم فعاليتها إذا لم تقترن بتوفير مساكن كافية أو دعم آخر للمجتمعات المشردة؛ على سبيل المثال، ممارسات تلك الاستراتيجية في نيجيريا أدت إلى المزيد من الضغوط على الحكومة والمجتمع في آن واحد نتيجة وجود عجز في المساكن المتوفرة. وفي كثير من الأحيان، نشأت عشوائيات جديدة في أجزاء أخرى من المجتمع، حيث وجد النازحون موئلاً لهم^(٣). ولهذا تبنت بعض المجتمعات استراتيجية رفع مستوى المباني العشوائية كحل بديل عن طريق تحسين الخدمات والبنية التحتية التي تلائم سكان العشوائية.

دوافع الإزالة

تمارس استراتيجية إزالة العشوائيات في عدد من البلدان المختلفة، خاصة خلال الفعاليات الدولية في تلك البلاد، مثل عقد مؤتمر دولي أو استضافة مباريات رياضية متنافسة؛ حيث تلجأ الحكومات المركزية والمحلية إلى حلول سريعة وناجعة، لتحسين صورة المدينة في عيون الغرباء، فتقوم بإزالة مناطق مساكن محدودي الدخل بالقوة في المدن المستضيفة، بهدف اجتذاب الوافدين، والحظوة بإعجابهم، وطمس مظاهر فقر المدينة المستضيفة التي قد تبدي مساوئها وتنبئ عن واقعها^(٤).

وترى بعض البلديات والحكومات أن مظاهر الفقر بأشكالها المختلفة تعوق السياحة، حيث يتأذى السياح الأجانب (الميسورون في العادة) من رؤية المباني العشوائية، ومن مظاهر الفقر المختلفة،

- (1) Parkinson-Bailey, John J. (2000). *Manchester: an Architectural History*. Manchester: Manchester University Press.
- (2) Collins, William J.; Shester, Katharine L. (September 2011). "Slum Clearance and Urban Renewal in the United States". NBER Working Paper Series.
- (3) Sule, R. A. Olu (1990). "Recent slum clearance exercise in Lagos (Nigeria): victims or beneficiaries?". *GeoJournal*. 22 (1): 81–91.
- (4) J., Greene, Solomon (2014-01-01). "Staged Cities: Mega-events, Slum Clearance, and Global Capital". *Yale Human Rights and Development Journal*. 6 (1).

والتي قد تنبئ عن قصور في الرعاية الصحية والاجتماعية لطبقات المجتمع المختلفة. ولهذا يتفادى المشرفون على السياحة تنظيم جولات السياح لرؤية معالم المدينة بالمرور بتلك المناطق العشوائية، وتعمل الحكومات على عزلها عن عيون الزائرين. ولما كانت بعض العشوائيات تتوسط المدينة ويصعب تلافي المرور بها، إلى جانب أن بعضها يجاور أو يختلط بالمناطق الراقية، فلا تجد الحكومات حلاً سوى إزالتها على وجه السرعة، بأقل النفقات، على أمل أن تعيد استيطان سكان تلك المناطق بعيداً عن أعين الزائرين الأجانب. ومع العجلة في إصلاح مظهر وسط المدينة كثيراً ما تعجز الميزانية عن توفير البدائل لإيواء سكان العشوائيات على المدى المنظور. ويرى البعض أن زيادة الدخل القومي بزيادة السياح سيسر عملية الإيواء مستقبلياً.

ومن الأمثلة على التعجل في القضاء على مظاهر الفقر سعياً وراء اجتذاب المزيد من السياح، ما حدث خلال الحكم العسكري للبرازيل الذي استمر من إبريل (١٩٦٤) إلى مارس (١٩٨٥)؛ هو مواجهة انتشار المتسولين في شوارع ريو دي جينيرو وملاحقتهم للسياح، وكذلك زيادة من لا مأوى لهم والذين اتخذوا من أرصفة الشوارع الرئيسية ملاذاً لهم. ولم تنجح الشرطة في التخفيف من تلك الظاهرة بالمطاردة أو مواجهة تلك الإشكالية، ولم تجد السلطات العسكرية حلاً سوى التصفية الجسدية لأولئك المتسولين ومن لا مأوى لهم، وتم ذلك بسرعة فائقة في ليلة واحدة، ولم يعد في ريو دي جينيرو من متسول واحد وتطهرت الشوارع من مظاهر الفقر.

وجرت بعض عمليات إزالة العشوائيات بدوافع أخرى؛ مثل القضاء على المعارضة السياسية أو محاولة فرض الرقابة على بعض المجتمعات. على سبيل المثال عملية إزاحة القمامة "مورامباتسفينا" (Operation Murambatsvina) بزمبابوي، والتي لاقت شجبا واسع النطاق في محافل المجتمع الدولي، بما في ذلك تقرير الأمم المتحدة اللاذع الذي سجل التعدي على الحقوق البشرية للبرنامج إلى جانب التنديد بالتصميم السيء للبرنامج، الذي أدى إلى تشريد ما يزيد على (٧٠٠) ألف من سكان العشوائية^(١).

عملية إزاحة القمامة، زيمبابوا

عملية إزاحة القمامة أو عملية "مورامباتسفينا"، والمعروفة رسمياً بعملية إعادة النظام، هي عملية واسعة النطاق بدأتها حكومة زيمبابوي في عام (٢٠٠٥) لإزالة العشوائيات عبر البلاد بالقوة. واسم الحملة (القمامة) يشير في الأصل إلى عمال قرى شعبية يعيشون في محميات، كلهم موظفون

(1) "Zimbabwe slum evictions 'a crime'". BBC. 2007-05-23.

يعملون في وزارة الصحة لتحسين مستوى الصرف الصحي والمجاري في مناطقهم، ولنشر المعلومات الصحية، ... الخ. والهدف المعلن عن العملية هو أنها حملة ضد السكن غير المرخص والأنشطة التجارية غير القانونية، إلى جانب أنه جهد للحد من مخاطر انتشار الأوبئة المعدية في تلك المناطق. وقد أدت الحملة إلى التأثير المباشر على مئات الآلاف الذين فقدوا مساكنهم وسبل عيشهم إلى جانب التأثير غير المباشر على قرابة (٢,٤) مليون نسمة.

ولقد واجهت الحملة سخطاً عارماً من أحزاب المعارضة، ومجموعات الكنيسة، والمنظمات غير الحكومية، ومن المجتمع الدولي الأوسع. وقد وصفت الأمم المتحدة هذه الحملة بأنها جهد لطرد بعض قطاعات المجتمع الكبيرة من فقراء الريف والحضر وإجبارهم على العيش بلا مأوى؛ حيث إنهم يشكلون الشطر الأكبر من المعارضة الداخلية لحكومة موجابي.



شكل (٢٨) مشهد من تشتانجوزا عقب عملية إزاحة القمامة.

ويشير الزمبابويون إلى عملية إزاحة القمامة على إنها "تسونامي زيمبابوي" حيث أن الحملة جرفت المدن الكبرى في البلاد، بينما أسفرت الحكومة على نيتها لتوسعة رقعة العملية إلى الريف. وتختلف إحصائيات المتأثرين بالحملة، فإلى جانب تقديرات الأمم المتحدة فإن منتدى زيمبابوي لحقوق الإنسان، وهو منظمة غير حكومية، يقدر عدد العائلات التي شردت بحوالي ٦٤,٦٦٧ عائلة تمثل تقريبا (٣٢٣,٣٨٥) نسمة. وهذه التقديرات قائمة على تعداد (٤٥) موقعا فقط؛ وأما الشرطة فيقدر عدد من تأثروا بالحملة بحوالي (١٢٠) ألفا. أيا كان عدد المتأثرين بعمليات الإزالة؛ وهم عدد كبير بأية حال، فإنهم في حاجة إلى إغاثة عاجلة بعدما فقدوا مأواهم وضاعت بهم سبل العيش.

ولقد أدينت عملية الإزالة داخليا وعلى المستوى الدولي. وفي تقرير حررته أنا تيباجوكي (Anna Tibaijuka) المديرية التنفيذية لبرنامج المستوطنات البشرية التابع للأمم المتحدة (United Nations

Human Settlements Programme) وسلمته لحكومة زيمبابوي في (٢١) يوليو (٢٠٠٥)، ناشدت الحكومة أن توقف عمليات الهدم فوراً، ووصفت العملية بأنها مغامرة مفاجئة تخالف القانون الدولي وتؤدي إلى فجيرة إنسانية خطيرة. ووصفت تصرفات الحكومة على أنها فقد للتمييز وغير مسببة، وأجريت دون أدنى حساب للمعاناة الإنسانية. ووصفت جريدة واشنطن بوسط في عدد (٧) فبراير (٢٠٠٨)، كيف أن الرجال والنساء الذين أخرجوا من هاريري قاطعون (٢٨) كيلومترا مشيا على الأقدام في رحلة تستغرق (٥) ساعات يومياً ذهاباً إلى العمل وإياباً دون تناول وجبة طعام، لأن تكلفة رحلة واحدة بالحافلة تكلف الفرد (١٠) مليون دولار زيمبابوي وهو ما يعادل أجر أسبوع.

وتقع مسؤولية الإزالة على عاتق الحزب الحاكم؛ الاتحاد الزيمبابوي الأفريقي القومي – الجبهة الوطنية (The Zimbabwe African National Union – Patriotic Front) الذي يحكم البلاد منذ استقلالها سنة (١٩٨٠). وقد صرح موجابي بأن عملية الإزالة ضرورية كحملة تطهير لإعادة الرشد، ووصفها بأنها حملة تجديد للمناطق الحضرية. أما وزير الحكومة المحلية والأشغال العامة والتنمية الحضرية فوصف عملية الإزالة بأنها تستهدف استعادة النظام، ووصف الذين تم تشريدهم على أنهم يحاولون جعل البلاد غير قابلة للحكم بأعمالهم الإجرامية. وأما الرئيس الأعلى لشرطة زيمبابوي فيرى أن عملية إزالة القمامة تهدف إلى تنظيف الدولة من الحشرات الزاحفة التي تصر على تحطيم الحالة الاقتصادية.

وتقوم الشرطة في غالبية عمليات الهدم بدعم من قوات الجيش وخدمات الشباب القومي (National Youth Service). وكثير من السكان أرغموا على هدم بيوتهم بأيديهم، وكثيراً ما يكون ذلك تحت تهديد إطلاق النار عليهم من الأسلحة المصوبة إلى رؤوسهم. وبعد هدم منازلهم تقوم شرطة جمهورية زيمبابوا ومنظمة الاستخبارات المركزية التي تدخل الرعب في قلوب المواطنين بنصحهم أن يعودوا إلى القرى وإلا واجهوا الويل والثبور.

ورغم ادعاءات الحكومة بأن إزاحة العشوائيات هي في صالح الأمن والاستقرار، فإن المحللين خلصوا مما جرى أثناء عمليات الإزالة إلى أن الأسباب الحقيقية المختلفة للإزالة هي:

- الانتقام السياسي.
- إضعاف المعارضة السياسية
- التحكم في الاحتجاجات السياسية.
- إدارة المخاطر كجزء من الإصلاحات المستقبلية للحكومة.

- استعادة التحكم في معاملات العملة الأجنبية.
- دعم سياسة "وجه قبلك إلى الشرق" (الصين).

إزالة عشوائيات عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية

الإخلاء

في العقد السابع من القرن العشرين تحول جوار الأفريقيين الأمريكيين في مرتفعات كولومبيا (Columbia Heights) الذي كان يضج بالحياة والحيوية إلى صفوف من المباني الشاغرة المهالكة. هذا التخریب الجلي كان نتاج ما سمي بإحياء منطقة شارع (١٤) الحضرية. وخطة إنعاش الحي تأثرت كثيرًا بتنبؤات شركات التعمير وملاك الأراضي الذين كانوا يطمعون في ارتفاع أسعار الملكيات في تلك المنطقة في المستقبل. وفي منتصف العقد السابع قاموا بإخلاء المساكن بمعدل خمس عائلات في الأسبوع، حيث اختزنوا المباني في انتظار إعادة التعمير التي توقعوها. وأشارت التوقعات إلى أن الحي سيسلك مسلك أحياء أخرى، مثل آدمز-مورجان وكايتول هيل وجورج تاون. ملاك الأراضي الغائبون سيبدؤون في ترميم المساكن بعد إخلائها، وترتفع أسعار البيع والإيجار إلى عنان السماء، بينما يطرد السكان من المأوى البسيط الذي يسكنون فيه^(١).

التشرد والملاجئ

كما شهد العقد السابع من القرن العشرين صحوة لحراك مناهضة التشرد في واشنطن دي سي؛ فلقد خلف الاستطباق وتغير سوق العقارات بيوتًا شاغرة في نواحٍ عديدة من المدينة، مرغمة ساكنيها القدامى على الحياة في الشارع. وتحت تأثير تلك الفاجعة كونت مجموعة من طلاب جامعة جورج واشنطن مع القس إدوارد جينان (Father Edward Guinan) مجتمع اللا عنف المبتكر (Community for Creative Non-Violence) في (١٩٧٠)^(٢). وعقب انضمام ميتش شنيدر (Mitch Snyder) إلى مجتمع اللا عنف المبتكر في (١٩٧٣) سرعان ما شارك في أنشطة المجتمع، حيث قلق هو وآخرون على ازدياد عدد الذين تم إخلاؤهم من منازلهم في مرتفعات كولومبيا، وهي حي في

(1) Colman McCarthy. "Empty Houses and the Homeless Poor." *The Washington Post* (1976, Dec 8) A27.

(2) Community for Creative Non-Violence. "History of the CCNV." (2009).

شمال غرب دي سي^(١). ولمواجهة تلك الكارثة قاد سنيدرومجتمع اللا عنف المبتكر مبادرة لإنشاء ملجأ في بيت مهجور في شارع فيرمونت بشمال غرب دي سي.

وفي عام (١٩٧٥) انتهت عملية الإخلاء في واشنطن دي سي بإلقاء (١٠,٠٠٠) نسمة إلى الشوارع، لمواجهة درجات حرارة منخفضة في فصل الشتاء. ولم يجد أولئك الذين لا مأوى لهم سوى التخيم فوق متنفسات البخار على الأرصفة أو في أحضان نيران يشعلونها في مواقع خربة^(٢). وبدأت المدينة ترى حوادث الموت من التعرض للصقيع الشديد، حيث توفي ٩ ممن ليس لهم مأوى في عام (١٩٧٦). وعلى الأقل (٨) في عام (١٩٧٧) ماتوا في الشوارع^(٣). ولقد أثارت أحداث الموت ضمير ميتش سنيدروأعضاء نشطين في مجتمع اللا عنف المبتكر فدفعهم إلى تظاهرات احتجاجية واتخاذ خطوات مباشرة للتصدي للموقف البشع.

ومن المفارقات أن تفاقم أزمة المشردين في واشنطن دي سي وعجز المدينة على اتخاذ خطوات لعلاج المشكلة التي كانت متوقعة كمعوقات لعمليات إخلاء المساكن العشوائية، قامت إدارة الرئيس جيمي كارتر بالتعاقد المباشر مع سلسلة من الفنادق الفاخرة خارج حدود العاصمة على إيواء المشردين وإطعامهم؛ خاصة وأن من بينهم مجندين سابقين ممن عادوا من فيتنام مصابين بعاهات وصدمات نفسية. وبالطبع رحبت تلك الفنادق بالفكرة وتسابقت عليها؛ حيث إنها ضمنت دخلاً كبيراً من الحكومة الفدرالية، وإن ضحّت ببعض الزبائن الذين عزفوا عن ريادة تلك الفنادق. وبالطبع لم توفر تلك الفنادق لنزلائها من المشردين ما توفره لضيوفها من أصحاب الأعمال.

ومع عجز حكومة دي سي عن مواجهة كارثة إيواء من طردوا من بيوتهم في العراق أخذ سنيدرومجتمع اللا عنف المبتكر زمام الأمر، فقاموا بتعمير بيت شاغر في شارع فيرمونت شمال غرب في قلب حي مرتفعات كولومبيا. وقد ظل ذلك البيت شاغراً أكثر من سبع سنوات قبل أن يشغله نشطاء مجتمع اللا عنف المبتكر مطالبين حكومة المدينة باستخدامه كملجأ طارئ لمن ليس له مأوى^(٤). وفي النهاية

- (1) Eviction and the Struggle over Fairmont House in Columbia Heights. Whose Downtown? Displacement, Resistance, and the Future of the Community for Creative Non-Violence (CCNV) Shelter in Washington, DC; 2017.
- (2) Juan Williams. "Street People Sleep on Steam-Heated Beds: Steam Vents Are Beds For the Street People." *The Washington Post* (1977, Feb 3) C1.
- (3) Paul W. Valentine. "Officials Back Visitor Center Use as Shelter: Visitor Center Use as Shelter Is Planned." *The Washington Post* (1978, Nov 30) B1.
- (4) Juan Williams. "D.C. Rejects Plan To Shelter Evictees." *The Washington Post* (1976, Aug 5);

اضطرت حكومة دي سي بالتصريح للمجموعة بتجديد المبنى، ولكن المسؤولين في عام (١٩٧٨)، فرضوا سيطرتهم على بيت فيرمونت (Fairmont House) وهدموه لأسباب أنه لا يصلح للسكنى^(١).

ولقد أعد النزاع حول بيت فيرمونت المنصة للمعركة التالية حول مبني كلية فيدرال سيتي، حيث قام ميتش شنيدر بعدة إضرابات عن الطعام أدت إلى موافقة إدارة الرئيس ريجان في (١٩٨٦) على ترميم المبنى ونقله للملكية مدينة واشنطن دي سي، مع حق مجتمع اللا عنف المبتكر في استخدامه كملجأ. وقد حاولت المدينة التنصل من الصفقة وأعلنوا أنهم يحتفظون بحق بيع الأرض لمن يشتريها في أي وقت. وعرضت القضية على الكونجرس الأمريكي وفي جلسات الاستماع أوضحت حكومة المدينة أنها تحبذ ملاجئ صغيرة موزعة على أماكن متفرقة عن ملجأ كبير يقع وسط المدينة^(٢). بينما أصر الناشطون من مجتمع اللا عنف المبتكر أن الملجأ المركزي الكبير يتيح لمن ليس له مأوى ملاذا آمناً، وتمكنه من سهولة الحصول على خدمات اجتماعية. هذا بينما انتقل الصراع من جوار شمال غرب المدينة إلى قلب المدينة، وركز النشاط على التصعيد مع الحكومة الفدرالية بدلاً من الحكومة المحلية، ولم تكن صدف أن الصراع القديم كان على بيت فيرمونت يدور في مرتفعات كولومبيا، إن التحول الراديكالي للحي وما تبع ذلك من استنطاق لعب دوراً كبيراً في إخلاء الناس من منازلهم، وجعل المساكن في المدينة فوق طاقة الطبقة الفقيرة.

ستينجراي، الولايات المتحدة الأمريكية

ستينجراي (Stingray) كان حياً من أحياء بمدينة سان دييجو بولاية كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، في الفترة ما بين فترة الازدهار الكبير في العقد الثامن من القرن التاسع عشر حتى حقبة التطهير في عام (١٩١٦). واسم الحي مستعار من الاسم اللاتيني لسمكة الرقطة أو اللخمة، وهي من فصيل يسمى الأسماك الغضروفية المعروفة بخطورتها، والتي تعيش في البحار والمحيطات، وتكثر في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية، كما توجد في المناطق المعتدلة، وتفضل المياه الضحلة، وخاصة الخليج ذا القاع الرمل. وهي أسماك جسمها مفلطح على شكل قرص مستدير ولها ذيل طويل قد يصل في بعض الأنواع إلى خمسة أضعاف طول الجسم، وهو يشبه السوط، يحمل شوكة مسننة سامة أو أكثر

- (1) Juan Williams. "3 Are Arrested In New Effort to Occupy House." *The Washington Post* (1976, Aug 17).
- (2) U.S. House, Committee on Government Operations, *Transfer Jurisdiction of Property for Homeless Shelter* (H. Rpt. 99-616). Washington Government Printing Office, 1986.

وتغطي هذه الأشواك المسننة بغشاء مخاطي يحتوي على عدد من الخلايا السامة وتكمن الخطورة في هذه الشوكة فيما تحتويه من سم.



شكل (٢٩) الاستينجراي.

وسبب شهرة ذلك الحي هو دوره كبيت لغير المرغوب فيهم؛ بما في ذلك العاهرات والقوادين، ومتعهدي المخدرات والقمار. ولأسباب متشابهة من النبذ الاجتماعي كانت موقعا لمدينة الصين^(١). بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت بيتا للكثير من المواطنين من الطبقات السفلى المختلفة، وكانت مركزاً لمنطقة سكنية واسعة للعمال (أصحاب الياقة الزرقاء)^(٢). ورغم أن اسم ستينجراي كان يستخدم في الحقبة التي سبقت عام (١٩١٦)؛ إلا أن الحي احتفظ بطبيعته كم منطقة للرديلة حتى إعادة الإعمار في العقد الثامن من القرن العشرين.

وقد تم هدم ما يزيد على (١٢٠) منشأة في الفترة (١٩١٢-١٩١٦)؛ وبهذا تحولت صورة المدينة وخلق عددًا كبيرًا من السكان المشردين. وطردت البغايا من المدينة، كما هدم شطر كبير من مدينة الصين^(٣). ورغم اختفاء اسم الحي، فإن عدة مدامات لمواطن دعاة جرت حتى سنة (١٩٣٨)، وكذلك مدامات صالونات التدليك التي جرت في (١٩٧٣)^(٤). وأمكن القضاء على الطبيعة الجامحة للحي عن طريق إعادة الإعمار الحديثة. وتم إخلاء كثير من سكان الحي - واستخدمات الضوء الأحمر الحديثة

-
- (1) Elizabeth Perl (Spring, 1977). San Diego's Chinese Mission, *The Journal of San Diego History*: Spring 1977, 23:2.
 - (2) Mike Davis, Kelly Mayhew, Jim Miller. *Under the Perfect Sun*. The New Press: New York, 2005.
 - (3) Elizabeth C. MacPhail (Spring, 1974). WHEN THE RED LIGHTS WENT OUT IN SAN DIEGO, The Little Known Story of San Diego's 'Restricted' District, *The Journal of San Diego History*: Spring 1974, 20:2.
 - (4) Clare V. McKanna, Jr. Prostitutes, Progressives, and Police: The Viability of Vice in San Diego 1900-1930. *The Journal of San Diego History*, Winter 1989, 35:1.

بأساليب الذراع القوية، مثل حق الامتلاك والتمويل بالرفع الطفيف للضريبة. وأسفرت جهود إعادة التعمير عن تحويل الحي إلى منطقة سوق راقٍ.

وحق الامتلاك هو حق الحكومة أو الدولة في أن تستولي على ملكية خاصة للاستخدام العام، وهي الآلية التي يمكن بها للحكومة الاستيلاء على الممتلكات في المناطق العشوائية لهدمها. وحق الامتلاك (Eminent domain) في الولايات المتحدة الأمريكية (والمعمول به في الفلبين) يناظره:

- شراء إلزامي (compulsory purchase): المملكة المتحدة وأيرلندا ونيوزيلانده.
- استعادة (resumption): هونج كونج.
- استعادة/استحواذ إلزامي (compulsory acquisition): أستراليا.
- المصادرة (expropriation): فرنسا، والمكسيك، وجنوب أفريقيا، وكندا، والبرازيل، والبرتغال، وأسبانيا.

كل تلك صور لاستيلاء الحكومة على الملكية الخاصة، لكن كل نوع يختلف عن الآخر في تداعيات الاستيلاء وذرائعه، وتتطلب بعض التشريعات أن يقوم المستولي على الملكية بتقديم عرض سخي على صاحب الملكية قبل اللجوء إلى قانون حق الملكية الإجباري.

وسلطة الحكومة يمكن أن تنتقل من خلال التشريعات إلى طرف ثالث مثل: إقليم، أو بلدية، أو حكومة محلية، أو شركة خاصة، أو حتى فرد، عندما يخولهم المشروع القيام بدور الشخصية العامة. عندئذ يصبح لدى الطرف الثالث السلطة للاستفادة من الملكية الخاصة في المصلحة العامة أو الاستخدامات العامة، مثل شق الطرق، وبناء مباني للحكومة، أو إنشاء المرافق العامة، ومن بين تلك الاستخدامات التنمية الاقتصادية، أو إزالة العشوائيات.

وبلا شك، إن الاستيلاء على مباني العشوائيات لهدمها مع تعويض ملاكها من البداية سياسة أفضل من دعم أصحاب الملكيات لإيجاد مأوى بديل أو بناء مساكن لهم على حساب الدولة. هذا على افتراض أن سكان المباني العشوائية يملكون الأرض التي أنشئت عليها المباني.

هوفر فيل

مدينة هوفر أو هوفر فيل (Hooverville) هي مدينة من مدن صفيح أنشأها مواطنون بلا مأوى خلال الكساد الكبير الذي ألم بالاقتصاد الأمريكي، والذي بدأ في ولاية الرئيس هيربرت هوفر الذي يلام

على ذلك الكساد. وقد أنشئت مئات الهوفر فيلات عبر الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقد الثالث من القرن الماضي، حيث عاش مئات الآلاف من الأمريكيين في تلك العشوائيات.



شكل (٣٠) هوفر فيل في مانهاتن، (١٩٣٥).



شكل (٣١) هوفر فيل بالقرب من بورتلاند بولاية أوريغون.



شكل (٣٢) عائلة أمريكية معتمدة تعيش في كوخ صفيح خلال الكساد الأكبر
(تصوير دورثي لانج؛ ١٩٣٦).

كان التشرد والعيش والمبيت في الطرق العامة بلا مأوى موجودًا قبل الكساد الأكبر؛ وكان من المشاهد الشائعة في عام (١٩٢٩). ولهذا أنشأت المدن الكبرى منازل لإيواء من لا مأوى له؛ غير أن الكساد رفع من حجم الطلب للمأوى. وتجمع المشردون في مدن من الصفيح قريبة من مطابخ الشوربة المجانية (free soup kitchens). تلك المستوطنات كانت تتعدى على أرض خاصة، ولكن المواطنين كانوا متسامحين أو تجاهلوا تلك التعديات والتجاوزات نظرًا للظروف الملمة بالبلاد. وجاءت تشريعات "الصفقة الجديدة" التي أعلنها الرئيس فرانكلين روزفلت ببرامج إغاثة خاصة لمن لا مأوى لهم تحت مرسوم خدمة الفدرالية العابرة (Federal Transient Service) الذي استمر طوال حقبة (١٩٣٥-١٩٣٣)^(١).

ولما كان بعض الرجال الذين أجبروا على الحياة في تلك الظروف لديهم مهارات إنشاء المباني كان بمقدورهم بناء بيوتهم من الحجر. ولكن غالبية الناس لجؤوا إلى بناء مأواهم من خشب الصناديق والكارتون، والنفايات المعدنية أو من أي مواد متوفرة لهم. وفي العادة ما يجدون موقدًا، وبعض أوعية الطبخ، وفرش^(٢).

(1) Gwendolyn Mink and Alice O'Connor (2004). *Poverty in the United States: A – K*. ABC-CLIO. p. 371.
(2) Andrew T. Carswell (2012). *The Encyclopedia of Housing, Second Edition*. SAGE. p. 302.

وغالبية سكان هوفر فيل العاطلين عن العمل اعتمدوا على الصدقات العامة أو تسولوا ما يأكلون ممن كان له بيت في تلك الفترة. وإلى جانب تسمية مستوطناتهم على اسم الرئيس هوفر الجمهوري الذين لاموه على ما هم فيه من بؤس، فقد قام الديمقراطيون بإطلاق تسميات أخرى مبتكرة تنسب إليه^(١)، منها:

- غطاء هوفر: ورق جريدة قديمة تستخدم كحاف أو بطانية.
 - علم هوفر: جيب فارغ يقلب من الداخل إلى الخارج.
 - جلدة هوفر: قطعة كارتون يرقع بها الحذاء البالي.
 - عربة هوفر: سيارة يجرها حصان دلالة على أن صاحبها لا يستطيع شراء الوقود (سميت في كندا بعربات بنيت نسبة إلى رئيس وزراء كندا في ذلك الوقت).
- وعقب تعافي الاقتصاد في عام (١٩٤٠)، وانخفاض معدل البطالة، شرعت برامج استئصال مدن الصفيح في إزالة كل آثار هوفر فيل^(٢).

عشوائيات المدن - المملكة المتحدة

أقر برلمان المملكة المتحدة قانون الإسكان لعام ١٩٣٠، في نهايات فترة الكساد الاقتصادي، بدفعة من آرثر جرينوود (Arthur Greenwood) في حكومة حزب العمال^(٣). والقانون شجع الإزالة الشاملة للمباني العشوائية ودعت مجالس المحليات إلى هدم المساكن ذات النوعية الرديئة وإحلالها بمبانٍ جديدة. وذلك مع دعم للمساكن العامة لمن جرى إخلاؤهم من المباني العشوائية. والدعم خصص وفق عدد السكان الذين تم إخلاؤهم وتوفير مسكن بديل لهم، ولم يحسب الدعم وفق عدد الملكيات التي تم هدمها.

ومناطق المساكن العشوائية وجدت في قلب غالبية المدن، وكانت في عمومها متداخلة، ومهملة، وغير صحية للمعيشة. وكثير من المساكن التي أنشئت خلال فترة التنمية الصناعية السريعة مزدحمة يعوزها بعض المنافع، مثل التزويد الملائم للمياه والتهوية وضوء الشمس. وبما خوله القانون

(1) John Morton Blum (1981) *The National Experience: A History of the United States Since 1865*. Harcourt Brace Jovanovich.

(2) Steven L. Danver, *Revolts, protests, riots, demonstrations, and rebellions in American History* (2010) p. 839. ABC-CLIO (December 17, 2010).

(3) Burnett, John (1986). *A social history of housing, 1815-1985*. London: Methuen. p. 243.

من السلطة لمجالس البلديات، فقد أصبح بمقدورها الاستحواذ على الملكيات الخاصة وهدمها، وجرى تفعيل إزالة العشوائيات في أنحاء المملكة.

وكمثال محدد، بلدية ودنبري (Wednesbury) في إنجلترا والمعروفة بمدينة السوق، تحولت في منتصف القرن التاسع عشر إلى مكان خرب نتيجة عمليات استخراج الفحم المكثفة في المنطقة. وقد زود مخزون الفحم الهائل مصانع في بلاك كنتري (Black Country) وبرمينجهام وأدى إلى حفر قناة محلية. وقد عاش سكان ودنبري في منازل صغيرة مكدسة بالبشر حول مركز المدينة، بنيت في مناطق لم تتأثر بعمليات التعدين. وبعدما تمت سيطرة الصناعة على المنطقة، هرع الناس إلى المدينة بحثاً عن عمل، ونما السكان بسرعة مذهلة. وقد أدى ذلك إلى ازدحام خانق وأحوال غير صحية للمعيشة. وفي مستهل القرن العشرين تفاقمت المشكلة بسرعة، وأصبح لزاما السعي إلى معالجة التكدس السكاني الذي صاحبه تدهور في أحوال المعيشة، مع فشل القطاع الخاص في توفير المساكن الملائمة للعمال^(١).



شكل (٣٣) سكن عشوائي خلف أحد الشوارع الرئيسة في ودنبري، إنجلترا.

وبناء على قانون الإسكان، تم وضع برنامج خمس سنوات لإزالة العشوائيات مع تحديد مناطق للإصلاح. وكان لزاما على المسؤولين المحليين توفير مساكن لمن فقدوا منازلهم خلال الإزالة، وسمح لهم بتقديم المساعدة المادية لمن احتاجوا مساعدة خاصة.

(1) Bev Parker. Municipal Housing Schemes. Wednesbury.

بحلول عام (١٩٣١)، تم شغل ألف مسكن من مساكن البلدية، وفي (١٩٣٣)، تم هدم البيوت القديمة في الشوارع الرئيسة في المدينة، وفي نفس السنة صدر قانون الإسكان لسنة (١٩٣٣)، ليضع حدًا لكل أشكال الدعم للإسكان العام ومطالبية السلطات بالتركيز على جهود إزالة العشوائيات. وطالب قانون الإسكان لسنة (١٩٣٥)، السلطات المحلية بتقديم برنامج بناء وهدم يهدف إلى القضاء على كل العشوائيات في منطقتهم. وتم التوسع في برنامج ودنبري لإزالة العشوائيات، وبحلول عام (١٩٣٥) تم هدم أو الشروع في هدم (١,٢٥٠) مسكن، ويشكل هذا العدد سُدس المساكن في المدينة.

وبحلول عام (١٩٤٤)، كان هناك حاجة ملحة وعاجلة لبناء (٧٠٠) مسكن، وبهذا بدأ عمل الاستصلاح وبناء (١,٤٢٠) منزل للبلدية على ستة مواقع. وفي الوقت الذي وصل عدد المساكن المأهولة (٨,٤٠٩) كان من بينها (٣,٠٨٨) ملكًا للبلدية. وفي الحقبة بين نهاية الحرب وديسمبر (١٩٥٨) تم بناء (٢,٠٠٠) منزل بلدية، وفي أبريل (١٩٥٩) اكتمل بناء منزل البلدية رقم (٥,٠٠٠)؛ حيث تم بناء أكثر من (٢,٨٠٠) منزل عقب (١٩٤٥)، من بينها مساكن صغيرة ملائمة (bungalows) لكبار السن المتقاعدين مع حديقة أمامية.

عشوائيات الدنمارك

أصدرت الحكومة الدنماركية قانون إزالة العشوائيات في (١٩٣٩)، الذي قامت بمقتضاه بهدم العديد من العشوائيات، بما في ذلك عشوائيات بورجريد (Borgergade) في قلب العاصمة



كوبنهاجن، وأنشأت محلها مبانٍ حديثة في بدايات الخمسينيات من القرن الماضي^(١).

شكل (٣٤)

عشوائيات بوجرجيد، الدنمارك.

(1) Kristian Buhl Thomsen (2012), Modernism and Urban Renewal in Denmark 1939–1983, Aarhus University, 11th Conference on Urban History, EAUH, Prague.

انتقادات استراتيجية الإزالة

يرى معارضو استراتيجية إزالة المباني العشوائية بالقوة أن الإجراءات، فضلاً على أنها تعسفية، فإن القائمين عليها يتجاهلون الإشكاليات الاجتماعية المترتبة على مثل تلك الإجراءات: فالأطفال الفقراء وكذلك البالغون العاملون في اقتصاد المدينة غير الرسمي (أي الذين يرتزقون من أعمال متنوعة عند الحاجة إليهم لقاء أجر ضئيل) يريدون موئلاً يعيشون فيه، بينما مساكن محدودي الدخل المناسبة غير متوفرة. كما أن العشوائيات عادة ما تكون الأماكن التي تتوفر فيها الاقتصاديات غير المنظمة التي توفر أعمالاً وخدمات وسبل عيش غير متوفرة في المجتمع (المحيط بالعشوائيات). كذلك فإن عملية إزالة المباني العشوائية لا تقضي على أسباب وجود العشوائيات في المقام الأول ولا على الدوافع للإبقاء عليها^{(١) (٢)}.

مناقب الإزالة

المميزات

تتميز عملية إزالة العشوائيات بالسرعة الفائقة التي يمكن القيام بها في عملية الهدم وإعادة التعمير. كما أنها تقضي على العامل الربحي الذي يدفع ملاك المباني والأرض في المناطق العشوائية إلى السعي إلى إبقاء الحال على ما هو عليه، وإلى التدهور السريع التي تعانيه تلك المناطق من جراء إهمالهم وتسيهم مع المقيمين فيها. حيث إن كل مهمة أصحاب المباني هو تقاضي الإيجارات دون تقديم أية خدمات للمستأجرين.

وبحسبة بسيطة يمكن استيعاب العامل الربحي من المناطق العشوائية. فصاحب مبنى سكني في مكان راقٍ يتقاضى إيجاراً مرتفعاً لكل مسكن يؤجره لعائلة واحدة؛ وعليه لقاء ذلك تحمل مسؤولية إصلاح أي عطل في التوصيلات الكهربائية، ومواسير المياه، والصرف الصحي، وترميم ودهان أي تأكل في المبنى، سواء داخل المسكن أو خارجه.

بينما بمقدور صاحب مبنى مماثل في منطقة عشوائية أن يؤجر مسكناً لعدة أفراد أو عائلات بمبالغ زهيدة يبلغ مجموعها أضعاف ما يجنيه صاحب المبنى الراقى شهرياً. إلى جانب ذلك، فإنه غير

- (1) Stephen K. Mayo, Stephen Malpezzi and David J. Gross (Jul., 1986). Shelter Strategies for the Urban Poor in Developing Countries, *The World Bank Research Observer*, Vol. 1, No. 2, pages 183–203.
- (2) William Mangin (Summer, 1967). Latin American Squatter Settlements: A Problem and a Solution, *Latin American Research Review*, Vol. 2, No. 3, pages 65–98.

مسؤول عما يحدث للمبنى ولا للمسكن من تدهور، ولا يضيره إذا انقطعت المياه أو الكهرباء أو تراكمت القمامة داخل المبنى أو خارجه. بل إنه قد يكون اشتري المبنى بمبلغ بخس نظرًا لأنه مبنى قديم متآكل يكاد ينهار. ومما لا مرأ فيه أن أصحاب العقارات الآيلة للسقوط في مناطق عشوائية يحققون أرباحًا طائلة خالصة مقارنة بأصحاب العقارات في المناطق الراقية.

الميزة الثالثة هي في أن عملية الإزالة تفكك أو اصر العلاقات التي تتكون نتيجة التكس السكاني والفرغ والعوز، وتشتت من شمل التجمعات غير المرغوب فيها، بما في ذلك العصابات التي تنمو وترعرع في البيئة المعزولة عن بقية المجتمع. كما أنها تخفف من حدة العصبية للبيئة العشوائية نتيجة المشاركة في الهموم والأفراح والأتراح، والشعور بالاضطهاد والإحباط والشعور بالندية الناجم عن كراهية كل من هم خارج العشوائية، والحدق عليهم وغبطهم على ما هم فيه من فسحة المعيشة.

ورابع الميزات أن الإزالة تقضي على سبل الاسترزاق غير الرسمي، والتي قد تتضمن أعمالا تجارية أقل ما توصف به هو أنها محل شبهات، وتشجيع القادرين على العمل على البحث عن أعمال مجزية خارج أسوار العشوائية.

ومن مميزات الإزالة، التعرف على الدخلاء والشخصيات المشبوهة، وخاصة الأجانب غير المسموح لهم بالإقامة، والفارين من العدالة الذين يتخذون من العشوائيات ملاذًا لهم. وبهذا يمكن اتخاذ الإجراءات القانونية معهم. ويلاحظ أن الكثير من سكان العشوائيات يرحبون بإيواء كل من يساعدهم على مواجهة ضنك المعيشة بصرف النظر عن هويته وحرفته.

مثالب الإزالة

إزالة العشوائيات بهدم المباني والمساكن المكسدة يؤدي إلى إشكالية لها حلان، كلاهما يؤدي إلى عواقب وخيمة. فطرد السكان دون إيجاد مأوى لهم قد يؤدي بهم إلى افتراش العراء والنوم في شوارع المدينة، أو يدفع بهم إلى التسول إن لم يدفعهم إلى السرقة والانخراط في سلك الجرائم الأخرى. أما بناء مساكن شعبية لتأوي جميع سكان المنطقة العشوائية فقد يكون بذرة لإنشاء منطقة عشوائية جديدة على نفقة الحكومة وبمباركتها. كما أن بناء المساكن الشعبية قد يستغرق وقتًا طويلا قبل الشروع في عملية الإزالة. وكذلك فإن بناء المساكن الشعبية قد يتطلب ميزانية ضخمة، أي عجز فيها يؤدي إلى تأجيل أو تأخير العملية برمتها.

من جانب آخر سكان العشوائيات نموا وترعرعوا في بيئة لها ثقافة خاصة بها؛ هذه الثقافة المتمكنة من مشاعرهم وتتملك إراداتهم، والتي تؤثر على علاقاتهم الاجتماعية وتطلعاتهم الدنيوية

تنتقل معهم أينما حلوا، إلا إذا تم استئصالها خلال عملية الإزالة والانتقال إلى المجتمعات المفتوحة غير المغلقة، كما هو الحال في العشوائيات. هذه الثقافة ضليعة في خلد الذين رضوا بالعيش من العشوائيات، كما هي متجذرة في نفوس القلة الثائرة التي ترغب في الخروج من الدائرة العشوائية المغلقة إلى رحب الحياة الرتيبة المنتظمة.

ثالثاً، قد يضطر القائمون على الإزالة إلى استخدام العنف والتهديد والوعيد لإجلاء المساكن المحكوم عليها بالهدم من قاطنيها، وهذه الممانعة أمر طبيعي، خاصة بين الشيوخ وكبار السن والنساء الذين يهابون ترك بيئة ألفوها، ويمانعون التخلي عن أماكن لهم فيها ذكريات غالية عليهم، وإن تخللتها مصاعب ومآسي. قد يصعب على القائمين على الإخلاء والتنفيذ فهم تلك المشاعر، فيلجؤون إلى أساليب فيها تعديٍّ لحدود الرحمة ومجافاة الحقوق الإنسانية.

رابعاً، كثيراً ما يكون هناك التباس في مقاصد أصحاب القرار بالنسبة لإزالة المناطق العشوائية، فهناك من يرى أن الإزالة عملية تجميلية بحتة للمدينة، حيث تشكل العشوائية قذى في العين كلما وقعت على منظرها البغيض. وهناك من يرى في أن موقع العشوائية موقع استراتيجي مهدد ويرغب في استغلاله في مشاريع استثمارية تعود بفائدة اقتصادية كبيرة. كما أن البعض يرى في العشوائيات عائقاً للسياحة. وطبقاً إلى آخرين، يرون في العشوائيات بؤرة للجريمة وتجارة المخدرات، ومنبعاً للأوبئة والمخاطر الصحية على المجتمع. ونادراً ما يكون هناك شعور صادق بمحاولة معالجة مشكلة العشوائيات من منطلق الحرص على آدمية من يضطرون إلى العيش فيها، والنظر إلى الإشكالية من منظور سكان العشوائيات، والحرص على الارتقاء بظروفهم المعيشية.

ومن المثالب أيضاً، القيام بعملية الإزالة دون وجود خطة للتعامل مع المقيمين غير الشرعيين، والذين يضعون أيديهم على مساكن وأراضٍ دون حق.

نقل العشوائيات

استراتيجيات نقل العشوائيات يعتمد على إزالة العشوائيات وإعادة استيطان الفقراء في أماكن شبه ريفية مجاًناً على أطراف المدن، وفي بعض الأحيان يشيد لهم إسكان مجاني بعيداً عن قلب المدينة. هذه الإستراتيجية تتغاضى عن العديد من أبعاد حياة العشوائية؛ حيث إنها ترى العشوائية كمجرد مكان يقطنه الفقراء. بينما الواقع هو أن العشوائيات في كثير من الأحوال مرتبطة ارتباطاً وثيقاً

متكاملاً بحياة ساكنها، بما في ذلك أنها من مصادر للعمل وقريبة من العمل والحياة الاجتماعية^(١). وإعادة توطين الأحياء الفقيرة التي تعزل الفقير عن فرص سبل العيش، وتولد فيه عدم الأمن الاقتصادي^(٢). وفي بعض الأحيان، يقاوم سكان العشوائية إعادة الاستيطان حتى لو كانت الأرض التي ستحل محل مناطق إقامتهم والإسكان على أطراف المدن مجانا وأفضل من محل إقامتهم. من الأمثلة منظمة توندو منطقة واحد (Zone One Tondo Organization) في مانيلا بالفلبين، وأباهلالي مجوندولو (Abahlali baseMjondolo) في دربان بجنوب أفريقيا^(٣). وفي حالات أخرى؛ مثل عشوائية النخيل بمراكش، نجح التراضي الاجتماعي، بإقناع المقيمين بالعشوائية أن موقع إقامتهم تكمن فيه مخاطر صحية، وأنه معرض لنكبات طبيعية أو أن المستوطن البديل مرتبط بفرص العمل^(٤). وقد تحولت عشوائية النخيل إلى منطقة سياحية مكتظة بالفنادق الفاخرة والمطاعم والأماكن الترفيهية.

عشوائيات مانيلا

وصل تعداد سكان العشوائيات في مانيلا إلى (٤) مليون نسمة في عام (٢٠١٤)^(٥).

توندو

توندو (Tondo) أو الأرض المرتفعة تقع شمال غرب مانيلا، وهي بطبيعتها منطقة سكنية صناعية، وتعرف بأنها واحدة من أفقر المناطق وأقلها تنمية في الفلبين. وقد كانت منطقة الجبل الدخاني (Smokey Mountain) مقلباً لنفايات المدينة. وكثير من عشوائيات المدينة تقع في توندو التي تمتد مساحتها إلى (٥,٦٤) كيلومتر مربع، وقد ردت كثافة السكان فيها (٧٢,٢٢٢) نسمة لكل كيلومتر مربع (٢٠٠٧).

- (1) Nyametso, J. K. (2012, September). Resettlement of slum dwellers, land tenure security and improved housing, living and environmental conditions at Madina Estate, Accra, Ghana, In Urban Forum (Vol. 23, No. 3, pages 343–365). Springer Netherlands.
- (2) Upgrading Urban Communities, The World Bank, MIT (2009).
- (3) Ton Van Naerssen, Squatter Access to Land in Metro Manila, Philippine Studies vol. 41, no. 1 (1993); pages 3–20.
- (4) Arandel, C., & Wetterberg, A. (2013). Between "Authoritarian" and "Empowered" slum relocation: Social mediation in the case of Ennakhil, Morocco. Cities, 30, pages 140–148.
- (5) "In the slums of Manila, inequality is so bad that the worst off have no chance to protest", Paul Roy, The New Statesman, 18 September, 2014.



شكل (٣٥) عشوائيات توندو، مانيلا، الفلبين.

باياتاس

باياتاس (Payatas) التي تعني التربة في أعالي نهر تولاهان (Tullahan River) غير الصالحة للزراعة تحولت إلى مقلب للقمامة بعد أن أغلقت الحكومة مقلب النفايات في توندو سنة (١٩٩٥). عندئذ هاجر جامعو القمامة ومقليبوها إلى باياتاس التي تحولت إلى مقلب نفايات، وتكون مجتمع كبير من الذين توفر لهم القمامة سبيلاً للمعيشة^(١). ويصعب تقدير تعداد السكان الدائمين في باياتاس غير أن إحصائيات السكان الرسمية (٢٠١٠) تقدرهم بحوالي (١٢٠) ألف نسمة، بينما التقديرات الأكاديمية ترفع التعداد إلى ما يقارب نصف المليون^(٢). وفي سنة (٢٠٠٠)، وقع انهيار في مقلب باياتاس أدى إلى مقتل ثلاث مائة من منقبو القمامة وفق الإحصائيات الرسمية، بينما شهود العيان قدروا العدد بما يقارب ألف نسمة.

سان أندريس

سان أندريس (San Andres) يعتبر ثاني أكبر حي في مانيلا بعد توندو.

باجونج سيلانجان

باجونج سيلانجان (Bangong Silangan) أو المولود الجديد ناحية متطرفة من مانيلا مشهورة على أنها منطقة وضع اليد التي تكونت بعد ناقلي سكان الشوارع من وسط مانيلا وإعادة توطينهم التي

- (1) Medina, Martin (2007). *The world's scavengers: salvaging for sustainable consumption and production*. Lanham, MD [u.a.]: AltaMira Press. p. 189.
- (2) Gaillard, J. C., & Cadag, J. R. D. (2009). From Marginality to Further Marginalization: Experiences from the Victims of the July 2000 Payatas Trashslide in the Philippines. *JAMBA: Journal of Disaster Risk Studies*, 2, 197-215.

بدأت في سبعينيات القرن الماضي. والناحية كانت بمثابة الأمل الجديد لمن أعيد استيطانهم من توندو في مانيل، والكومونولث في مدينة كيوزون (Quezon City) وسان وان (San Juan) (٢٠١١).^(١)

التأثير البيئي

في سبتمبر (٢٠٠٩)، ضرب إعصار كيتسانا (Ketsana) الاستوائي مانيل وهطلت الأمطار بغزارة هائلة على مدار (٢٤) ساعة؛ مما أدى إلى فيضان نهر ماريكينا (Marikina River) بما في ذلك مصرف مانجهاان (Manggahan Floodway) حيث دمرت المياه المتدفقة بسرعة بالغة ضفاف النهر بسرعة خارقة. ولقد انسدت مواسير الصرف الصحي التي عانت من عدم الصيانة لأمد طويل، إلى جانب عدم جمع النفايات، مما ساهم في السرعة التي اندفعت بها مياه الفيضان وجرفت معها الأماكن المحيطة.



شكل (٣٦) انزلاق الأرض في عشوائيات مانيل خلال إعصار (٢٠٠٩).

وقد وقع اللوم على مستوطني المناطق العشوائية غير الشرعيين بأنهم تسببوا في مضاعفة أخطار الفيضان، حيث إن مساكنهم ضيقت من عرض المصرف وأعاقت سريان المياه في المصرف. وخلال ذروة الإعصار بلغ اندفاع مياه النهر حوالي (٣٠٠) متر مكعب في الساعة؛ ولقد كان بموسوع المصرف تصريف المياه دون فيضان إذا لم تكن إنشاءات المستوطنين على ضفافه.

- (1) "Caloocan councilor pushes for the division of Barangay Bagong Silang". Philippine Information Agency. 19 September 2013.
- (2) Melican, Nathaniel (16 September 2014). "Largest barangay in PH can't live up to 'new hope' image; split pushed". Philippine Daily Inquirer.

ومن جراء ذلك، قامت الرئيسة جلوريا ماكاباجال-أررويو بإلغاء إعلان الحكومة بتخصيص (٢٠) قطعة أرض على طول المصرف لتوطين (٦,٧٠٠) عائلة حضرية فقيرة، وأمرت بإعادة استيطان المستوطنين غير الشرعيين الذين سدت مساكنهم المصرف بالقوة في لاجونا دي بي^(١).

منظمة توندو

منظمة توندو منطقة واحدة أو الزوتو (ZOTO)، والتي تعرف كذلك بسمحن إنج مامامايان (Samahan ng Mamamayan-ZOTO) هي اتحاد مجموعات مجتمعات فقراء الحضر تقع في أماكن إعادة الاستيطان ومواقع الهدم في الفلبين. وقد تأسست الزوتو في (٢٠) أكتوبر (١٩٧٠)، وتعتبر أقدم منظمة لفقراء الحضر في الفلبين.

واتحاد زوتو منظمة غير ربحية تساعد مجتمعات فقراء الحضر على بناء وإعادة بناء حياتهم، وتحول مدن الصفيح إلى مجتمعات تملك إرادتها. ورؤيتها قائمة على: مجتمع مواطنين متمكنين اقتصاديا وسياسيا، والذين منحت لهم الكرامة الواجبة، ويحتضنون بيئة تعزيز المساواة بين الجنسين والديمقراطية، وصديقة للطفل، والحياة الصحية والوفرة. وأما رسالة زوتو فهي:

١. تنظيم وتعزيز المواطنين في (٢٨) مجتمعًا فقيرًا حضرًا.
٢. رفع مستوى الوعي بالنسبة للمساواة بين الجنسين.
٣. القيام بالتعليم والتدريب المتواصل للقادة وأعضاء المجتمع والمنظمة.
٤. تحسين الأحوال الاقتصادية لأعضاء الاتحاد وفي النهاية كل المواطنين.
٥. الدفاع عن حق الشعب في الصحة، وتوفير الخدمات الصحية، والحصول على أدوية آمنة وبأسعار يقدر على تحملها.
٦. الدفاع عن حقوق الأطفال والشباب، بتوفير التعليم المبكر والتعليم غير الرسمي للأطفال، وبدائل تعليم الأطفال.
٧. التعاون مع القطاعات الأخرى والمنظمات والمؤسسات والأفراد محليًا ودوليًا.
٨. تكوين تحالفات للتقدم بحقوق ورفاهية الفقراء من أهل الحضر.

(1) Joyce Pangco Pañares (2010-03-10). *Lupang Arrenda off limits to squatters*, Manila Standard Today

والغاية هي تأسيس وتطوير منظمات قوية ومستقرة كقوة ذات نفوذ لتحقيق أمن المساكن، والحماية الاجتماعية، والخدمات الاجتماعية والتوجه إلى مجتمعات حضرية فقيرة مستدامة.

وكما يشير اسم الاتحاد "زوتو"، فقد بدأ الاتحاد في توندو، ولكنه سرعان ما انتشر في الفلبين كلها عندما تمت إعادة استيطان أعضاء الاتحاد في مدن ومقاطعات مختلفة؛ وبهذا تكونت شعب للاتحاد في عدة مدن. ولقد نظم الاتحاد بالشراكة مع جهات أخرى مظاهرة انهال فيها فقراء الحضر بالضجيج لمقدمات مظاهر خطاب حال الدولة (The State of the Nation Address) أو ما يسمى بسونا (SONA)⁽¹⁾، تحسباً لرغبة الحكومة بالتخطيط لإعادة توطينهم.

عشوائيات دربن

العشوائيات بمدينة دربن بجنوب أفريقيا، تشمل: عزبة كاتو (Cato Manor)، وإيناندا كوازولو-نتال (Inanda, KwaZulu-Natal)، وشارع كينيدي (Kennedy Road).

عزبة كاتو

عزبة كاتو منطقة الطبقة العاملة على بعد سبعة كيلومترات من قلب مدينة دربن. وقد نشأت العزبة عندما جاء البستاني (الجنانية) الهنود واستوطنوا فيها بعد أن منحت لجورج كريستوفر كاتو (George Christopher Cato) في عام (١٩٨٥)، أول عمدة لدربن في (١٨٥٤). وقد جذبت العزبة الأنظار لها إبان فترة التفرقة العنصرية.

وقد بدأ الاعتراف بعزبة كاتو عندما هبط عليها الأفارقة السود للاستيطان في عشرينيات القرن العشرين واستأجروا المساكن من ملاك العقارات الهنود الذين سبقوهم في أوائل القرن العشرين. ولكي يكسب السود لقمة العيش بدأوا تخمير البيرة (الجعة) وبيعها في شوارع دربن للعمال العطشى. وقد أثلج صدور المسؤولين في ذلك الوقت وجود يد عاملة في المدينة لاستخدامهم، ولكنهم انزعجوا من تزايد عددهم. فبادرت السلطات ما سمي نظام دربن الذي تطلب من المقيمين في المدينة الحصول على تصريح للحد من تدفق الناس إليها. كما أصدرت السلطات قانون البيرة المحلية، الذي صرح للبلديات بتخمير وبيع البيرة كنوع من التمويل الذاتي. ولقد عاد ذلك القانون البيرة المحلية على البلديات بريع كبير، وفي نفس الوقت عرض كل من يخمر البيرة للقبض عليه لمخالفته القانون. وهنا نشب خلاف بين السلطات والناس، أدى إلى عمليات شغب نتيجة حرمان الناس من اكتساب قوتهم.

(1) Partido ng Manggagawa (Labor Party) - Philippines (July 25, 2009). Tondo urban poor hold noise barrage as build up for SONA protests. Press Release.



شكل (٣٧) عشوائيات كاتومانور.

وقرب نهاية الحرب العالمية الثانية، قام (٣٠,٠٠٠) بوضع اليد على أراضٍ في عزبة كاتومانور وأكشاغا، كانت سبباً في أضخم مظاهرات شغب في سنة (١٩٤٩) وسنة (١٩٥٠) عندما صدر قانون مناطق المجموعات (Group Areas Act)^(١)، مما أرغم الناس على إعادة الاستيطان في مدن أخرى مثل كواماشو (KwaMashu) ونزح الهنود إلى تشاتسورث (Chatsworth) وفينيكس (Phoenix). وفي (٢٣) يناير (١٩٦٠)، هاجم غوغاء (٤) من رجال الشرطة البيض إلى جانب (٥) من الشرطة السود في قسم شرطة كاتومانور، وقتلوا الشرطة ومثلوا بجثثهم^(٢). وهاجم أكثر من ألف من المتظاهرين القسم ورشقوه بالحجارة، ثم بقروا بطون الشرطة.

وبعد إعادة استيطان سكان عشوائيات عزبة كاتومانور بدأ تعميرها في ثمانينيات القرن العشرين بإنشاء البنية التحتية وتمويل الاتحاد الأوروبي.

إيناندا

إيناندا مدينة شرق كوازولو-نتال بجنوب أفريقيا، وتقع على بعد (٢٤) كيلومتراً من دربن، وأغلبية سكانها أفريقيون سود يتكلمون لغة الزولو. وإيناندا معروفة كموطن لأول رئيس للكونجرس

(1) Philip Frankel (October 11, 2001). *An Ordinary Atrocity: Sharpeville and Its Massacre*. Yale University Press.
(2) The Cape Times, (1960), 'Nine police massacred at Durban', 25 January, pg 1.

القومي الأفريقي (African National Congress) جون لانجاليبال دوب (John Langalibalele Dube)، ومحل إقامة المهاتما غاندي الذي بدأت فيها عملياته. وإيناندا ضاحية فقيرة فيها نسبة كبيرة من حوادث القتل إلى جانب انتشار فيروس نقص المناعة البشرية (HIV).

وفي عام (١٩٠٤)، أنشأ المهندس غاندي الذي عاش في دربن منذ سنة (١٨٩٣)، مستوطنة فينيكس على شاكلية قرية شمال غرب حدود إيناندا. وظلت فينيكس موطن عدد من السكان والنشطين في حملات الحقوق المدنية لهنود جنوب أفريقيا حتى بعد عودة غاندي إلى الهند في (١٩١٤). وفي أوائل ثمانينيات القرن العشرين أنشئ مخيم عشوائي باسم بهامباي (Bhambayi) احتل غالبية الأراضي حول مستوطنة فينيكس. وفي عام (١٩٨٥) شب الشغب والتظاهرات المناهضة للفرقة العنصرية، مما سبب تحطيمًا واسع النطاق لمباني مستوطنة فينيكس، ففر سكانها وهجروا منازلهم حتى فبراير (٢٠٠٠)؛ عندما تعهد الرئيس ثابو مبيكي بالتزامه بإعادة إعمارها.



شكل (٣٨) عشوائيات إيناندا.

طريق كينيدي

طريق كينيدي مستوطنة أكشاك في ضاحية ملكيات كلير (Clare Estate) في دربن وفي مقاطعة كوازولو-نتال بجنوب أفريقيا؛ أسسها مزوبه (Mzobe) في نهاية السبعينيات من القرن العشرين على أرض شديدة الانحدار بين وقع مقلب قمامة البلدية وطريق أومجيني (Umgeni) السريع. أما ملكيات كلير فقد أصبحت حكراً على الهنود وفق تشريعات التفرقة العنصرية.

بدأ احتلال المنطقة كعملية سرية، حيث اختبأت الأكشاك بين الأدغال وحرص الناس على أن لا تراهم عين غريبة أثناء دخولهم وخروجهم من العشوائية. غير أنه في ثمانينيات القرن العشرين نمت المستوطنة حتى وصلت إلى حجم حرج صعب فيه التخفي فأصبحت ظاهرة للعيان.

وجرت عدة محاولات لإرغام الناس بالقوة على التخلي عن الأرض، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل نتيجة المقاومة المستميتة، وفي ثمانينيات القرن الماضي قبلت المدينة ديمومة المستوطنة^(١). وبدأت منظمة غير حكومية على صلة بمؤسسة الحضرة (Urban Foundation) وهي ذات رأس مال ضخّم رفع مستوى العشوائية بإدخال الكهرباء وتزويدها بالمراحيض، بل أنشأت فيها صالة تجمع.

وفي سنة (١٩٩٥) أي بعد مرور سنة على نهاية التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، صدر قرار بسحب قبول المستوطنة ككيان دائم؛ ومنذ ذلك الحين والضغط مستمر على سكانها لقبول إعادة التوطين في مناطق ريفية على أطراف المدينة، ولكن السكان لم يرضخوا لأي من الضغوط^(٢).



شكل (٣٩) عشوائيات طريق كينيدي، جنوب أفريقيا.

وفي (١٩) مارس (٢٠٠٥)، قام حوالي (٨٠٠) شخص من طريق كينيدي بسد طريق أمجيني واحتلوه في مواجهة الشرطة لأربع ساعات، مما أدى إلى القبض على (١٤) شخصاً^(٣). وفي أكتوبر من نفس السنة أعلنت لجنة تنمية طريق كينيدي (Kennedy Road Development Committee) مع (١١) مستوطنات عشوائية أخرى تأسيس حركة أباهلالي مجوندولو لسكان الأكواخ. وبحلول (٢٠٠٧) بلغ أعضاء الحركة (٤٠) مستوطنة في مدن دربن وباينتاون وبيليرماريتزج ومدن صغيرة، مثل بورت

- (1) Maharaj, B. 2002, 'Segregation, Desegregation and De-racialisation: Racial Politics and the City of Durban', in B. Freund & V. Padayachee (eds), *(D)Urban vortex: A South African City in Transition*, University of Natal Press, Pietermaritzburg.
- (2) Bryant, J. 2008, 'Towards delivery and dignity: Community struggle from Kennedy Road', *Journal of Asian and African Studies*, Vol. 43, No. 1, pp. 41–61.
- (3) Richard Pitthouse (2006). Struggle Is a School: The Rise of a Shack Dwellers' Movement in Durban, South Africa, , *Monthly Review*.

شبهستون وطونجانت. أربعة عشر من تلك المستوطنات التابعة للمنظمة كانت معروفة بأنها مستوطنات مستقلة، بينما كان للحركة فروع في المستوطنات الأخرى التي لا تقل في حجمها عن (٥٠).

وفي (٢٦) سبتمبر (٢٠٠٩)، قام حوالي (٤٠) شخصًا بشهر البنادق والسكاكين وهم يهاجمون اجتماع شباب أباهلالي مجوندولو؛ ونجم عن المهاجمة هدم بيوت مسكونة وقتل شخصين نتيجة اندلاع العنف؛ وتواصلت الهجمات حتى (٢٨) سبتمبر (٢٠٠٩). ووفق شهادات أكاديميين مستقلين محليين ودوليين وكذلك أعضاء في حركة أباهلالي مجوندولو، فإن المهاجمين ينتمون إلى الفرع المحلي للكونجرس القومي الأفريقي، وأن الهجوم مخطط له بدقة وبرعاية من الشرطة المحلية. هذا رغم أن الكونجرس القومي الأفريقي والشرطة أنكرا أية علاقة بالمهاجمين وألقيا اللوم على فريق عنف على صلة بأباهلالي مجوندولو. وقد أدانت الهجوم جهات وطنية ودولية حتى إن البعض وصفوه بأنه انقلاب على السلطة.

أباهلالي مجوندولو أكدت أن العنف ضد أعضائها واستفزازهم استمر إلى عدة أشهر عقب الهجمات الأولى. وعبر مركز حقوق الإسكان والإخلاء (Centre on Housing Rights and Evictions) في جينيف عن قلقه إزاء ما وصله من تقارير التهديد والاستفزاز ضد أعضاء منظمة أباهلالي مجوندولو. وفي (١٨) يوليو (٢٠١١)، انهارت القضية ضد (١٢) من أعضاء أباهلالي مجوندولو، واصدرت مؤسسة الحقوق الاجتماعية الاقتصادية في جنوب أفريقيا بيانا بأن الادعاءات ضدهم ليست قائمة على أدلة، وتبين أنها ملفقة، وقد وصف القاضي الشهود بأنهم متعديون وغير نزهاء ولا يعتد بشهاداتهم. وقد استمرت احتجاجات المستوطنة بوضع حواجز في الطريق للمطالبة بتوصيل الكهرباء إليها. وترجع الهجمات على أعضاء أباهلالي مجوندولو في مستوطنة طريق كينيدي إلى تحدي الحركة الناجح لقانون العشوائيات في محكمة الدستور^(١).

أباهلالي مجوندولو

أباهلالي مجوندولو (سكان الأكشاك) المعروفة بأصحاب القمصان الحمراء^(٢)، هي حركة لسكان الأكشاك في جنوب أفريقيا تتصدر حملة ضد الإخلاء والمطالبة بمساكن عامة^(٣). وقد نمت من

- (1) Marie Huchzermeyer, (2011). *Cities with 'Slums': From Informal Settlement Eradication to a Right To The City In Africa* University of Cape Town Press, Cape Town.
- (2) Richard Pithouse, 'Our Struggle is Thought, on the Ground, Running'. *The University of Abahlali baseMjondolo*, UKZN, 2006.
- (3) 2011 may be the year that civil society rises as an opposition force, Mandy Rossouw, *Mail & Guardian*, 7 Jan 2011.

عملية سد الطريق التي نظمها مستوطنة أكشاك طريق كينيدي في بدايات (٢٠٠٥)^(١). وتعمل الآن في بيتريماريتزبرج وكيب تاون^(٣). وهي أكبر منظمة في جنوب أفريقيا لسكان الأكشاك^(٥)، وتسعى لتحسين أحوال الفقراء^(٦)، ولدمقرطة المجتمع من أسفل.

وتاريخياً، رفضت الحركة السياسات الحزبية، وقاطعت الانتخابات؛ ولها تاريخ من النزاع مع الكونجرس القومي الأفريقي والتحالف الديمقراطي. ومطالبها الرئيسة هي ضرورة أن القيمة الاجتماعية لأرض الحضر يجب أن يكون لها أولوية مقارنة بالقيمة التجارية، كما تروج بالمصادرة العامة للملكيات الضخمة الخاصة التي يملكها محتكرو الأراضي^(٧). والاستراتيجية التنظيمية الرئيسة هي إيجاد عموميات من أسفل المجتمع بمحاولة خلق سلسلة من الكوميونات (مجموعة من الناس في معيشة مشتركة) المترابطة^(٨).

ولقد زلزلت الحركة المشهد السياسي في جنوب أفريقيا^(٩)؛ كما تعتبر الحركة أكثر التجمعات تأثيراً على المجتمع المدني في جنوب أفريقيا^(١٠). واعتبرت خديجة باتل أن الحركة هي طليعة لموجة

- (1) Struggle is a School by Richard Pithouse, Monthly Review, 2006.
- (2) Delivery and Dignity' by Jacob Byrant, Journal of Asian & African Studies, 2007.
- (3) Social Movement Media in Post-Apartheid South Africa, by Wendy Willems, *Encyclopaedia of Social Movement Media* (Ed. John D. H. Downing, Southern Illinois University, Carbondale, 2011).
- (4) Cape Town Administration Violates the Rights of the Poor, Carmen Ludwig, All Africa, 27 October 2011.
- (5) Jonathan Steele, *Why 2010 Could Be An Own Goal for the Rainbow Nation*, The Guardian, 30 December 2009.
- (6) 'The State of Resistance: Popular struggles in the Global South' edited by Francois Polet pp.139-140, McMillian 2007.
- (7) Street Traders: A Bridge Between Trade Unions and Social Movements in Contemporary South Africa], by Ercument Celik, Nomos, Freiburg, 2009.
- (8) Joel Kovel, 'The Enemy of Nature', 2007 Zed Books, New York, p. 251.
- (9) Jonathan Clayton, 'Stench of shanties puts ANC on wrong side of new divide' *The Times*. 25 February 2006.
- (10) Peter Vale – Insight into history of SA an imperative 2010/04/09 Daily Dispatch. Dispatch.co.za Archived 6 February 2012 at the Wayback Machine.

جديدة للتحريك السياسي الجماعي^(١). غير أن الحركة واجهت قمعًا متواصلًا وصل إلى العنف في بعض الأوقات^(٢)،^(٣)،^(٤).

عشوائية النخيل بمراكش

عشوائية النخيل بمراكش تقع في إقليم النواصر في منطقة الدار البيضاء - سطات. وقد قامت حكومة المغرب بمشروع مدن بلا عشوائيات لتوفير مساكن للفقراء بعيدًا عن المدن. والهدف الرئيسي من إعادة استيطان العشوائيات داخل المناطق الحضرية هو رفع قيمة الأرض المتاحة في المدن؛ حيث إن وجود العشوائيات يؤدي حتمًا إلى انخفاض قيمة الأرض المتاحة لها. وعشوائية النخيل بمراكش تعتبر مثالًا ناجحًا في تنفيذ إعادة الاستيطان. فقد حل محل العشوائية منطقة تجارية وسياحية يقبل عليها الزوار، وبالطبع ارتفعت قيمة الأرض ليس في منطقة النخيل فحسب بل في جميع الأحياء المجاورة.

وفي الواقع إن هناك أسلوبين شائعين لتنفيذ خطة إعادة استيطان العشوائيات: طريقة استخدام سلطة الدولة، أي أن العملية تبدأ من أعلى إلى أسفل حيث تولي الدولة الأولويات لتحقيق الغايات الهندسية والتخطيط التعميري للمناطق الحضرية دون مراعاة للمقيمين في المنطقة، والثانية هي تمكين المقيمين في المنطقة عن طريق إشراكهم في كل مراحل عملية إعادة الاستيطان.

والطريقة التي تعتبر وسطًا بين النقيضين تقوم على أساس استخدام وسيلة الوساطة الاجتماعية، حيث يشارك المقيمون في حل الخلافات خلال عملية إعادة الاستيطان. وأسلوب التراضي الاجتماعي هو الذي استخدم في مشروع إعادة الاستيطان لعشوائية النخيل بمراكش.

والوساطة الاجتماعية تعترف مباشرة بعلاقات القوة، التي كثيرًا ما تتجاهلها خطط إعادة الاستيطان ومشاريع التعمير. هذا، بينما الأساليب السلطوية تفترض أن التحكم ملك شرعي للدولة

-
- (1) Khadija Patel, Shack dwellers take the fight to eThekweni – and the ANC takes note, *The Daily Maverick*, 16 September 2013.
 - (2) Political tolerance on the wane in South Africa, Imraan Buccus, *SA Reconciliation Barometer*, September 2010.
 - (3) On the Quality of Electioneering in South Africa, Frank Meintjies, *All Africa*, 25 July 2013.
 - (4) Lessons from the Demise of Thabo Mbeki, Jane Duncan, *SACSI*, 16 September 2013.

وأن القرار كله بيدها، بينما جهود التمكين كثيرًا ما تفشل في إدراك أن تقوية دور المقيمين يتحدى علاقات القوة القائمة^(١).

وبالنسبة لمشروع إعادة استيطان عشوائية النخيل، حيث وظف أسلوب الوساطة الاجتماعية فقد تم تنفيذ المشروع في مراكش خلال (٢٠٠٦-٢٠٠٨)؛ وتضمن المشروع نقل (٥,٢٠٠) فرد (حوالي ألف عائلة) من مساكنهم العشوائية في النخيل إلى مجمع سكني قريب من المنطقة.



شكل (٤٠) منظر من عشوائية النخيل قبل التخلص منها.



شكل (٤١) المباني السياحية التي حلت محل عشوائية النخيل.

(1) Christian Arandel, Anna Wetterberg (2013). Between “Authoritarian” and “Empowered” slum relocation: Social mediation in the case of Ennakhil, Morocco. *Cities*30:140–148.

وجانب مهم من عملية الوساطة الاجتماعية هو إيجاد فرص للحوار بين المقيمين في العشوائية والوكالات الحكومية القائمة بعملية إعادة الاستيطان.

وأدركت خطة إعادة الاستيطان حقيقة أن المقيمين ليس لهم أي نفوذ بالنسبة لبعض جوانب المشروع، بينما جرى تشجيعهم في التعبير عن رغباتهم في أمور أخرى. على سبيل المثال، بينما حجم وموقع المسكن الجديد قد تقرر، من حق السكان التفاوض على سعر مناسب والتأكيد على حقوق أعضاء العائلة في الإسكان.

أطلقت الحكومة المغربية في عام (٢٠٠٤) برنامج مدن بلا عشوائيات، بهدف إلى جعل ملكية المنازل باستطاعة فقراء الحضر. وكانت الحكومة مدعومة بقوة من قبل عدد من المانحين بينهم البنك الدولي والاتحاد الأوروبي والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية والوكالة الفرنسية للتنمية. وقد أدت هذه المبادرة إلى عدد من الابتكارات في مجال التمويل السكني، كما تمخضت عن دروس قابلة للتطبيق عالميًا. كما طورت طرق مبدعة للحكومة لكي تضغط على البنوك والمطورين على سبيل المثال لتوفير الضمانات للبنوك لتقرض ذوي الدخل المنخفضة للحصول على سكن، وبالتوازي مع ذلك، تلعب أكبر المؤسسات المغربية للتمويل متناهي الصغر دورًا متزايد الأهمية في تمويل الإسكان للفقراء.

ويستند برنامج مدن بلا عشوائيات إلى مفهوم جعل جميع المستوطنات تصل إلى مستوى معين من حيث الخدمات. عندما تمت مناقشة برامج التطوير مع المجتمعات المحلية، كانت مهمة مدير المشروع تتمثل في بيع المفاهيم والبرامج للسكان، بدلا من دعوتهم لمعرفة ماذا يريدون وما الذي لديهم استعداد للدفع من أجله. وبالتالي فإن منهجية (من أعلى إلى أسفل) ستؤدي إلى إجبار بعض الأسر على دفع مبالغ لتحسين بيئهم في أمور لا تمثل طلبًا أو احتياجًا حقيقيًا بالنسبة لهم. إن مشاركة المجتمعات المحلية في خطط التطوير ورفع المستوى لا تزال نادرة، وبالنسبة لنظام الحكم، فإن معظم الناس يتوقع منهم اتباع القواعد والامتثال للأوامر.

كثير من المستفيدين من برامج إعادة التوطين لا يستطيعون بناء منزل رسمي. إن هذا ليس من المعتاد، لذلك، عليهم أن يوقعوا عقودًا لبيع الأرض عندما يسمح بذلك قانونًا (بعد ٥ سنوات)، أو السماح لشخص آخر ببناء واستخدام المنزل على شرط السماح للأسرة المستفيدة من استخدام الطابق العلوي. بعض المستفيدين ببساطة يبيعون قطعة الأرض الجديدة للانتقال إلى مناطق أخرى^(١).

(١) وكالة التنمية الدولية، الولايات المتحدة الأمريكية (يو إس إيد) يناير 2008 تمويل السكن للفقراء في المغرب: البرامج والسياسات والمؤسسات؛ التقرير الملخص رقم ٩٦.

وفي استطلاع للأسر التي تتعهد بها الوكالة الأمريكية للتنمية في حي النخيل العشوائي أظهرت أن نحو (٢٠٪) من أرباب الأسر الفقيرة هم من السكان الذين يحصلون على أقل من (٦٣) دولارًا في الشهر، وأقصى حد من الدخل الشهري لنسبة (٢٪) من السكان أقل من (٣٧٥) دولار^(١).

وعقب سنتين من تنفيذ مشروع إعادة استيطان عشوائية النخيل اكتمل المشروع، وفي الموقع الجديد، اعتنى السكان بالشقق والأماكن المشتركة وكونوا جمعية للملاك قامت بأنشطة واسعة في صيانة المستوطنة الجديدة، كما قاموا بتسديد أقساط الشراء بانتظام. كل تلك الظواهر شاهد على أن السكان بدؤوا التأقلم مع الموقع الجديد.



شكل (٤٢) المباني التي انتقل إليها سكان العشوائية.

مناقب إعادة الاستيطان

مميزات

هناك من يعيش في العشوائيات، خاصة في المناطق الشعبية التي تنعدم فيها الخدمات، لأنه لا يجد مسكنًا لأزمة في الإسكان، أو ارتفاع في أجرة المسكن، واستحالة شراء مسكن لمحدودية دخله. مثل أولئك سيرحبون بالخروج من العشوائية إلى أي مكان، حتى لو كان بعيدًا عن المدينة، أو كان على أطرافها؛ خاصة لو وجد من يعينه على الخروج من ضيق إلى فسحة. كما أن هناك من يعيش في

(1) *Résultats de l'Enquête Ménage du Bidonville NAKHIL, Near East Foundation : Morocco, October 2006 USAID.*

عشوائية تتضمن مساكن قديمة آيلة للسقوط، ولكنه لا يتمكن من استبدالها بمسكن أفضل بسبب عدم قدرته على وجود مكان بديل.

أي كانت التكاليف التي ستكبتها الحكومة أو المستثمرون في مشروع إعادة الاستيطان من قطاع عام أو خاص، فإن الاستفادة من أرض العشوائيات التي تجاور الأحياء التجارية والسكانية الراقية سيحققون ربحاً كبيراً من ارتفاع سعر الأرض العشوائية بعد إفراغها ممن يشغلونها. كما يمكن الاستفادة من أي مشروع تجاري أو إسكاني يقوم على أطلالها، كما أن ذلك سيساعد على التنمية الاقتصادية عمومًا.

القدرة على دمج الطبقة الفقيرة في المجتمع ورعاية جيل جديد طموح ودفعه إلى أن يخرج من دائرة الفقر المفرغة حين يفتح عينيه على حياة طبيعية بعيدًا عن عزلة العشوائيات.

القضاء على الشعور بالدونية، خاصة بين الشباب، مما يؤدي إلى حقدهم على المجتمع وعدائهم لسلطة الدولة، مما قد يدفعهم إلى ارتكاب جرائم.

ومن المزايا أيضًا تشجيع الشباب صغير السن على التعليم والتطلع إلى المستقبل والعمل على أن يكون مواطنًا ينتمي إلى مجتمع لا يزدريه ولا يقلل من شأنه.

كذلك فإن إعادة الاستيطان كبديل لعملية الإزالة فقط ستضمن مأوى لكل سكان العشوائية على مستوى أفضل.

مثالب إعادة الاستيطان

من أهم مثالب إعادة الاستيطان أنه سيلقى مقاومة كبيرة من سكان العشوائيات؛ خاصة مدن الصفيح والأكشاك والأكوخ المتدنية لأسباب عديدة منها:

❖ سكان العشوائيات المتدنية ألفوا حياتهم، وربما ولدوا ونموا فيها، واكتسبوا فيها خبرة حياة في مجتمع على شاكلتهم يعيش في نفس ظروفهم.

❖ ما يستأنسه سكان العشوائيات في معيشتهم الضنك هو في كثافة السكان وضيق المكان وروح التعاون التي يجدونها بينهم في جحورهم الضيقة.

❖ غالبية سكان العشوائيات قادرون بالكاد على سد رمقهم وضيق ذات اليد يجعلهم غير قادرين على المعيشة في مسكن عادي، حتى ولو منحت لهم تلك المساكن مجاناً؛ فهم مسؤولون عن دفع فواتير الكهرباء والماء والصرف الصحي وربما ضرائب العقار.

- ◆ الشعور بالأمن بطبيعة أنهم "في الهم سواء" يحيي بعضهم ظهور بعض، فإذا تخلوا عن مستوطناتهم لن يجدوا من يحميهم من الشرطة أو الحكومة أو حتى من عامة الناس.
- ◆ كثيرًا ما تنشأ بينهم عصبية معادية للعالم خارج العشوائيات يختلط به نفور من مجتمع تخلى عنهم ولا يهتم بهم قدر اهتمامه بالمناظر الجميلة والمباني الخلابة.
- ◆ الكثير من سكان العشوائيات يعيش في عزلة تامة، سواء برغبته أو نتيجة لظروف معيشته عن المجتمع الخارجي، ويحس براحة في ذلك.
- ◆ الإحساس بعدم الثقة فيمن يرغب في زحزحته عن وكره، فهو على يقين أنه لا ولن يراف بحاله، ولكنه يطمع في مكسب مالي من أرض في وسط المدينة أو في مكان استراتيجي يمكن الاستفادة منه في مشاريع اقتصادية.

أما الجانب السلبي الآخر فهو أن نقل سكان العشوائيات إلى مساكن حديثة نظيفة وصحية ما هو في واقع الأمر إلا إزالة عشوائية لبناء عشوائية جديدة، فإن المباني الجديدة ستتكسب وأسلوب حياة السكان لن يتغير عما ألفوه. فإن العائلة التي تعودت أن تعيش في غرفة واحدة لن تستسيغ المعيشة في أكثر من غرفة مهما كان عدد أبنائها وبناتها. والشخص المحاط بالقمامة والقاذورات في معيشته اليومية لن يتوانى بإلقاء القاذورات في شوارع المستوطنات الجديدة، فنظافة البيئة شيء غير مألوف لديه.

ثم إن كثيرًا من العشوائيات قائمة على وضع اليد على أرض مهجورة أو ملك مشاع، فمن غير المعقول أن يستبدل ذلك بسكن خارج المدينة ملزم بدفع إيجار أو شرائه مهما صغرت التكاليف أو زادت.

ومن مثالب إعادة الاستيطان بنقل سكان عشوائية إلى مستوطنة جديدة مقصورة على أهل العشوائية؛ هو أن المستوطنة الجديدة ستدمج بأنها مستوطنة المهجرين من العشوائيات، مما يجعل مكانتها متدنية في المجتمع، وبالتالي يؤدي إلى عزلة من يعيشون في المستوطنة الجديدة وتخوف المجتمع منهم، فتصبح عشوائية نفسية في نفوس سكان المستوطنة ومن حولها. فالحلة الجديدة لن تغير طبيعة من بداخلها ولن تغير من نظرة الناس إلى من يرتديها.

ثم إن عملية التصميم المدني والمعماري وعملية البناء والإنشاء عادة ما تتماشى مع الهدف من المباني الذي يحدده صاحب الرغبة في البناء. فإذا كان الهدف من مباني المستوطنة الجديدة إيواء خريجي العشوائيات، فإن المباني سيخطط لها وتنفذ لهذا الغرض وحده مهما كانت المواصفات

المطلوبة؛ وبهذا فمن الطبيعي أن تكون العمليات التنفيذية متدنية لأن من المتوقع أن الساكن لا خيار له ما دام هناك سقف يعيش تحته.

رفع مستوى العشوائيات

تحسين حال العشوائيات عبارة عن استراتيجية لتجديد الحضر، وتتضمن تحسينات عينية، واجتماعية، واقتصادية، وتنظيمية، وبيئية للعشوائيات، وتجرى تعاونياً ومحلياً بين المواطنين ومجموعات اجتماعية وأعمال والسلطات المحلية^(١). والهدف الرئيس من رفع مستوى العشوائية هو رفع مستوى معيشة المقيمين في العشوائيات. كثير من العشوائيات يعوزها خدمات السلطات المحلية الأساسية، مثل مياه الشرب النقية، والصرف الصحي، والتعامل مع النفايات من مياه ملوثة وعطنة ومواد صلبة. وعملية رفع مستوى العشوائيات يستخدم بالأساس في مشروعات مستلزمة من أو يشارك فيها البنك الدولي والوكالات المشابهة. ويراها المروجون لها كجانب ضروري ومهم من التطوير الحضري في الدول النامية. غير أن العديد من الناس لا يقتنعون بأن تحسين أوضاع العشوائيات استراتيجية ناجحة، حيث يشيرون إلى الصعوبات في توفير الموارد الضرورية، سواء بما يرجع بفائدة لسكان العشوائيات أو بأسلوب فعال على المدى الطويل. والبدائل التي يجذبها المعارضون لتحسين أوضاع العشوائيات تتضمن إنشاء مأوى لسكان العشوائيات (بدلاً من إصلاح البنية التحتية نفسها) أو إزاحة سكانها بالقوة من الأراضي التي يشغلونها.

وعموماً، فإن العشوائيات تشكل قضية ضخمة تعترض التطوير والتنمية لأنها بتعريفها مناطق يعوز سكانها الموارد الأساسية والقدرات الكافية، مثل التصريف الصحي، وموارد مياه الشرب النقية، والمسكن غير المتهالكة أو المكان غير الكافي للمعيشة^(٢). وقد حاولت الحكومات البحث عن حلول للإشكالية، وكان من بين الحلول المقترحة تحسين أحوال العشوائيات ومدها بما ينقصها من أساسيات لازمة للحياة البشرية. ورفع مستوى العشوائيات بالأساس هو استراتيجية لتحسين البنية التحتية، مثل توفير موارد المياه والصرف الصحي لمجتمعها. هذا بالإضافة إلى أن الوضع القانوني الضعيف للمقيمين في العشوائيات يقتضي أن تتضمن استراتيجية تحسين الأحوال إضفاء الطابع القانوني على الحق في الأرض التي أنشئت عليها العشوائيات؛ حيث إن غالبيتها أنشئت على ملكيات شائعة أو بوضع اليد.

وقد تطورت فكرة رفع مستوى الأحوال المعيشية في العشوائيات كاستراتيجية لتحسين البنية التحتية للعشوائيات نتيجة حقبة من النمو الحضري غير المسبوق، والتي بدأت في منتصف القرن العشرين؛ حيث إن ثلثي النمو السكاني في العالم كان في المناطق الحضرية، نظراً للتحويل السريع من

(1) "What Is Urban Upgrading?" MIT.

(2) "United Nations Millennium Development Goals." United Nations.

اقتصاديات قائمة على الزراعة إلى تغلغل القطاع الصناعي. ولم يشهد العالم نموًا في تعداد سكان الحضر فحسب، بل إن هناك نموًا لا مثيل له بالنسبة لمدن عديدة، بما في ذلك المدن المليونية (مدن يسكنها ما يزيد على (٨ مليون) ومدن مفرطة الكثافة (مدن تزيد عن (٢٠ مليون نسمة)، مثل طوكيو. ومن المتوقع أن تظهر مدن مثل طوكيو في آسيا بحلول (٢٠٢٥)^(١).

والعامل الرئيس في هذا النمو هو أن المدن الأسرع نموًا هي مدن الدول النامية؛ على سبيل المثال مدن دكا في بنجلادش، ولاجوس في نيجيريا، أصبح تعدادها (٤٠) مرة تعدادها في منتصف القرن العشرين. وغالبية هذا النمو نتيجة الهجرة الجماعية من المناطق الريفية والتوجه نحو العيش في الحضر على مستوى العالم. والزيادة الهائلة المتسارعة في تعداد السكان أثرت تأثيرًا ضخمًا على بيئة الحضر في الدول النامية، حيث يصعب الاستعداد لها؛ وبالتالي نمت العشوائيات بصورة غير مسبوقة.

ولم تكن الدول تعير مسألة الإسكان الاهتمام اللازم حتى سبعينيات القرن العشرين. وكان هناك ثلاثة حلول أمام المجتمع الدولي بالنسبة لمصاعب الإسكان في العالم الثالث، وهي دعم شراء المنازل، وإشادة المنازل من وحدات مصنعة تتطلب مجرد عملية تركيب (أكشاك عصرية)، والمساعدة الذاتية المنظمة^(٢). غير أن الناس سرعان ما أدركوا النقص في متطلبات الضروريات المعيشية والحاجة إلى حلول جذرية مباشرة، ومن هنا نشأت فكرة رفع مستوى العشوائيات^(٣).

بعض الحكومات بدأت تتبنى معالجة إشكالية العشوائيات بأسلوب قائم على أساس الأمر الواقع، ومراعاتها على أنها ليست كارثة بل هي فرصة لتطوير الحضر وتنميته عن طريق رفع المستوى المعيشي في العشوائيات القائمة. تلك الاستراتيجية استلهمت من كتابات نظرية في عام (١٩٧٢) لجون ترنر (John Turner)^(٤)، مهندس معماري بريطاني له كتابات مسهبة عن الإسكان ومنظمات المجتمع. ولقد تأثرت كتاباته بفترة التكوين الشخصي له، والتي قضاها في مستوطنات عشوائية (بوضع اليد) في بيرو في (١٩٥٧-١٩٦٥). وتتضمن رؤيته أن الحكومات يجب ألا تقتصر على معالجة مشاكل الإسكان

(1) Davis, Mike. *Planet of Slums*. London: Verso, 2006.

(2) Strassmann, W. Paul. 1998. "Third World Housing." *The Encyclopedia of Housing*. Ed. Willem Van Vliet. Thousand Oaks, CA: Sage. 589-92.

(3) Strassmann, W. Paul. 1998. "Third World Housing." *The Encyclopedia of Housing*. Ed. Willem Van Vliet. Thousand Oaks, CA: Sage. 589-92.

(4) Turner, John F. C., and Robert Fichter. *Freedom to Build; Dweller Control of the Housing Process*. New York: Macmillan, 1972.

(5) Turner, J. F. C. (1996) Tools for building community: an examination of 13 hypotheses, *HABITAT International*, 20, see pages 339-347.

بنفسها، ولكن عليها أن تتناول كل معضلات العشوائيات في المنطقة. وهذا إذا قامت بتوفير صرف صحي جيد، ومياه نقية، وطرق جيدة للمشبي، فإن الناس سيحسنون مأوئهم الشخصية بالتدريج.

حيث إن رفع مستوى العشوائية يتضمن توفير البنية التحتية الأساسية كأي منطقة سكنية أخرى؛ مثل الصرف الصحي، وتوفير مياه الشرب المأمونة، والتوزيع الكهربائي الآمن، ورصف الطرق، وتصريف مياه المطر، ومحطات المواصلات العامة (الحافلات أو المترو أو القطار)^(١). هذا إلى جانب جمع القمامة بالأسلوب المتبع في أحياء المدينة الأخرى، وتوفير خدمات البلدية التي تقدمها لسكان المدينة، بصرف النظر عن مستواهم المعيشي. وحذا أن يتوافر للعشوائية مدارس المراحل الأولى من التعليم على أقل تقدير، بما في ذلك رياض الأطفال.

ولنجاح ذلك الأسلوب يفترض أن تتوافر للعشوائيات الخدمات الأساسية والتأمين الدائم – بالتمهيد للسكان بأن العشوائيات لن تهدم وأن سكانها لن يتم إخلاؤهم. عندئذ سيبدأ المستوطنون في إعادة بناء مساكنهم وترميمها والحفاظ عليها، وسيسعون كي يتطلع مجتمعهم إلى تحسين معيشتهم، وعبر الوقت سيسعون إلى جذب الاستثمارات من منظمات الحكومة والأعمال (كأي دولة فقيرة).

وبينما تمسكت بعض الدول مثل الصين بسياسة الإخلاء القسري بقوة الجرافات للمستوطنات التي استولى عليها المقيمون بوضع اليد، والتي تشكل العديد من العشوائيات^(٢)؛ فإن العديد من الدول بدأت تدريجياً بالرضوخ للأمر الواقع والانتقال إلى سياسات رفع مستوى العشوائيات، حيث أُمِنَ ساكنوها من إخلاء مأوئهم. مثال لذلك البرازيل التي تحولت بعيداً عن سياسة الإزالة إلى مشاريع التجديد الحضري عن طريق سياسة الترقى بمستوى العشوائيات المتدني^(٣). فقد ثبت أن الرقي بمستوى العشوائيات أسهل وأقل نفقة إلى جانب أنه يغني عن كابوس العلاقات العامة الذي يخرج على الناس بصور الجرافات وهي تزيل المساكن أياً كان حالها.

ومع ذلك وإلى وقت قريب، فغالبية الدول لم يكن لديها آليات سياسية رسمية للقيام بتحسين أحوال العشوائيات كأمر واقع لا مفر منه. وهذا تفاقمت إشكالية العشوائيات عبر السنين. ولقد أخذ البنك الدولي على عاتقه تولي العديد من مشاريع تحسين حال العديد من العشوائيات

(1) What is Urban Upgrading The World Bank Group, MIT (2009).

(2) "China's Migrant Workers: No Place to Call Home." *The Economist*. 7 June 2007.

(3) The State of the World's Cities 2010/11: Cities for All : Bridging the Urban Divide. London: Earthscan, 2010.

الكبرى في الثمانينيات من القرن العشرين^(١)، ولكنه في الأساس لم يكن ليحل مشكلة العشوائيات، بل كان ببساطة يصلح من حال العشوائيات القائمة؛ إذ إن هناك قرابة من مليار نسمة يعيشون في عشوائيات حول العالم؛ غير أن ذلك الرقم قد يتضاعف بحلول سنة (٢٠٣٠)^(٢)؛ وسياسة تحسين أوضاع العشوائيات لن يؤثر في الهجرة الجماعية من الريف الفقير إلى المدن.

وفي سنة (٢٠٠٠) وضعت "الغايات الإنمائية للألفية" وتم الاتفاق عليها من قبل أعضاء الأمم المتحدة (١٩٢ دولة) بالإجماع؛ حيث كانت الغاية السابعة هي الحرص على استدامة البيئة، وواحد من أهداف تلك الغاية هو إنجاز تحسينات محسوسة في حياة مائة مليون نسمة على الأقل من سكان العشوائيات^(٣). ولما تطرقت الغايات الإنمائية للألفية إلى قضية العشوائيات، فإنها أعادت التركيز على التخفيف من مشكلة العشوائيات. وقام برنامج مأوى التابع للأمم المتحدة المعروف بيو إن-هابيتات (UN-HABITAT) رسمياً بدعم سياسة تحسين أحوال العشوائيات، وجعلها واحدة من الطرق التي يجب الاهتمام بها قبل كل شيء لتجديد الحضر بالنسبة للعشوائيات^(٤).

ووفقاً لتقرير أحوال المدن في العالم (٢٠٠٦/٢٠٠٧) الصادر عن يو إن-هابيتات، فإن دول: مصر، وجنوب أفريقيا، والمكسيك، وتونس، وتيلندا تتميز في جهودها لـإزاء تحسين حالات العشوائيات^(٥). وفي الواقع إن معدل نمو العشوائيات قد انخفض في العديد من الدول (رغم حقيقة أن معدل النمو ما زال إيجابياً وأن العشوائيات لن تختفي ولن تنقلص). وأشار التقرير إلى أن وقف نمو العشوائيات أو حتى إبطاءها في المدن حول العالم على الدول أن تقوم ببعض الخيارات الصعبة وتخصص مالية رئيسة (بمساعدة البنك الدولي، كلاعب أساسي على نطاق العالم للترويج لتحسين مستوى العشوائيات) حتى يمكن تحقيق غايات التنمية الألفية بالنسبة لرفع عدد كبير من العشوائيات من هاوية الفقر^(٦).

- (1) Field E. and M. Kremer. 2006. "Impact Evaluation for Slum Upgrading Interventions", *Doing Impact Evaluation Series No.3*, World Bank Thematic Group on Poverty Analysis, Monitoring and Impact Evaluation.
- (2) Eaves, Elisabeth. "Two Billion Slum Dwellers." *Forbes*. 11 June 2007.
- (3) "United Nations Millennium Development Goals." *United Nations*.
- (4) The State of the World's Cities 2010/11: Cities for All : Bridging the Urban Divide. London: Earthscan, 2010.
- (5) The State of the World's Cities Report 2006/2007: the Millennium Development Goals and Urban Sustainability: 30 Years of Shaping the Habitat Agenda. London: Earthscan, 2006.
- (6) The State of the World's Cities Report 2006/2007: the Millennium Development Goals and Urban Sustainability : 30 Years of Shaping the Habitat Agenda. London: Earthscan, 2006.

ووفقا لماؤى للبشر الدولية (Habitat for Humanity International) بعض العوائق الشائعة التي تعترض تحسين حال العشوائيات تتضمن:

- ◆ نظمًا قانونية وتنظيمية غير كافية.
- ◆ لائحات تنظيم الأراضي المفرطة.
- ◆ التمييز بين الجنسين.
- ◆ نظم تسجيل الأراضي الفاسدة، غير فعالة، أو غير كافية.
- ◆ تفكك الحماية العرفية والتقليدية.
- ◆ غياب الإرادة السياسية للتغلب على المشكلة^(١).

أطروحة جون ترنر

درس ترنر وقدم الاستشارة في عدد من برامج إعادة البناء وتحسين أحوال العشوائيات التي كانت جزءًا من مبادرة تطوير المجتمع في أنحاء الدولة. وفي الحقبة التي قضاها ترنر في بيرو، كانت الدولة مركزًا رياديًا في الحوار حول سياسة الإسكان وتنمية المجتمع ودور الاعتماد على النفس. وموقف ترنر النظري تكون في هذا المضمون وجمع جوانب من أعمال منظرين للحضر من بيرو هم فرنادو بيلاونده (Fernando Belaúnde)، وبدر بلتران (Pedro Beltrán)، وكارلوس دلجادو (Carlos Delgado).

يرى ترنر أن البديل الأفضل من هدم المساكن وإزالتها هو تحسين بيئة المعيشة في العشوائية. فلو أن الحكومات ممثلة في بلديات المدن استطاعت أن تنظف العشوائيات القائمة من النفايات البشرية غير الصحية، والمياه الملوثة والقمامة؛ وأن تخلصها من الطرق الوحشية غير المضاعة، فبإمكان الحكومات أن لا تقلق من وجود مساكن الأكواخ^(٢). فواضعو اليد الذين يعيشون في العشوائيات قد أبدوا مهارات تنظيمية عالية بالنسبة لإدارة الأراضي والاستفادة منها، وسوف يحافظون ويصونون البنية التحتية التي ستوفر لهم^(٣).

(1) Habitat for Humanity Shelter Report. 2008.

(2) Jim Kemeny, 'Community-based home and neighbourhood building: An interview with John Turner', *Housing, Theory and Society*, 6 (1989), 157-164.

(3) John Turner, *Housing by People: Towards Autonomy in Building Environments, Ideas in progress* (London: Marion Boyars, 1976).

وأطروحة ترنر المركزية هي أن من الأفضل أن يقوم السكان بتوفير وإدارة المساكن التي يعيشون فيها بدلاً من أن تدار مركزياً بالحكومة. والأطروحة تتلخص في أن الاعتراض العام على تغيير السياسة العامة التي تزيد من صلاحية المستخدم على التحكم في مسكنه على حساب الحد من تدخل المؤسسات المركزية هو أن معايير الإسكان ستندنى. والمعارض لحرية الساكن في تولي أموره السكنية له رؤية معينة للمعايير، وهي لا ترقى إلى أمور يمكن تحقيقها بالموارد المتوافرة؛ ولكنها تمثل رؤية المعارض لما يريد أن تكون عليه حالة الإسكان.

وبالنسبة للاعتماد على النفس في بناء وإدارة المساكن وأحياء الجوار، أكد ترنر على ضرورة استسقاء شمال العالم دروساً من المدن السريعة النمو في جنوب العالم. وخلال عدة دراسات عملية^(١)، عرض بجلاء حقيقة أن الأحياء التي صممتها مجموعات محلية كانت أفضل بمراحل عن غيرها، لأن الناس لديهم الخبرة التي تتماشى مع ظروفهم، وبهذا يجب أن يمنحوا حرية البناء^(٢)،^(٣). وليس من المهم إذا منحت الحكومة حرية البناء للسكان أو انتزعت تلك الحرية بوضع اليد؛ ففي هذا الإطار يكون دور الحكومة وكذلك المهنيين من مهندسي عمارة وإنشاء أن يقوموا بدور التمكين؛ وبهذا تحدث نقلة فكرية ترجح الخبرة والمعرفة المحلية على التكنوقراطية وأشكال المعرفة المهنية المتعارف عليها^(٤).

وعلى نقيض سياسات "دعم المساعدة الذاتية" التي يتبعها البنك الدولي التي تنسب إلى ترنر، فإن رؤيته أكثر راديكالية، حيث إنه لا يكتفي بأن يقوم السكان ببناء مساكنهم وأحيائهم، بل يذهب إلى أبعد من ذلك ويرى أن عليهم التحكم في التمويل والإدارة^(٥). وفي الواقع إن الإمكانيات كاملة لمثل هذه المشاركة لم تتحقق على أرض الواقع رغم بعض المحاولات في أوروبا بإشراك السكان في القرارات المتعلقة ببناء بيئتهم. مثالا على ذلك: المهندسون المعماريون التشاركيون (participatory architects) في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين، ومراكز المساعدات الفنية للمجتمع (community

- (1) Habitat International Coalition, Bertha Turner, John Turner (eds.), *Building Community: A Third World Case Book* (London: Building Community Books, 1988).
- (2) Stuart Mackrell, John Turner et al., 'Freedom to build: Squatter settlements, self made communities, mass housing in the developing countries, do it yourself design, participation and the use of power, the profession's role in an explosively divided world', *RIBA Journal*, 81 (1974).
- (3) John Turner, 'Architecture that Works', *Ekistics (Special Issue: Housing by the people for the people)*, 27 (1969).
- (4) John Turner and et al., 'The Architecture of Democracy', *Architectural Design*, 38 (1968).
- (5) Ray Bromley, 'Peru 1957-1977: How time and place influenced John Turner's ideas on housing policy', *Habitat International*, 27 (2003), 271-292.

technical aid centres) في المملكة المتحدة، وحركة المشاركة السكنية الإسكندنافية (Scandinavian cohousing movement)، وأعمال المعماريين مثل والتر سيجال (Walter Segal).

وبالطبع هناك عوائق اجتماعية وسياسية لتنفيذ رؤية ترنر في المدن الكبرى التي تجرى فيها عملية تحديث يتصدرها خبراء التخطيط العمراني الذين لا يستسيغون التباين في التخطيط في المدن، وكذلك مجالس البلديات التي تناهض حرية البناء وتفرض اللوائح التنظيمية، وكذلك شركات التعمير التي تستهل بناء وحدات مستنسخة من نماذج مألوفة. وهناك من يرى أن الأمر لو ترك للسكان لأدى ذلك إلى بضاعة تافهة غير رائجة، خاصة عندما يريد الساكن بيع ملكيته أو تضطره الظروف إلى ترك منزله. والساكن في بيت لا يسكن إلى الأبد، وخاصة في ظل الديناميكية الاجتماعية الجارية^{(١) (٢)}.

أعمال والتر سيجال

والتر سيجال مهندس معماري معروف بتصميمه لأسلوب البناء الذاتي للمساكن القائم على تشييد هيكل خشبي ووحدات جاهزة التركيب. وفي الأصل قام سيجال بتطبيق هذا الطراز كحل لبناء مسكن مؤقت ورخيص لأسرته. ولكنه سرعان ما أدرك متانته وإمكانية آخرين استخدام طرازه لبناء بيوتهم. ونظام الوحدات البنائية (modular system) يتميز بمرونته وانفتاحه لرغبات مستخدمه، سواء في عملية البناء نفسها أو في الاستعمال المستقبلي. وهذا الأسلوب المعماري يمكن لمستخدم البناء التحكم في بيئته^(٣). ويمكن تصور أسلوب سيجال في البناء على أنه رد نقدي لطريقة بناء المساكن المتجانسة على نطاق واسع في ذلك الوقت، والتي يعوزها أي احتمال لمساهمة الساكن أو إدخال ملامح خاصة ملائمة للساكن^(٤).

- (1) Rod Burgess, 'Petty commodity housing or dweller control? A critique of John Turner's views on housing policy', *World Development*, 6 (1978), 1105-1133.
- (2) Richard Harris, 'A double irony: the originality and influence of John F.C. Turner', *Habitat International*, 27 (2003), 245-269.
- (3) Walter Segal, *Home and Environment* (S.l.: Leonard Hill, 1948).
- (4) Kate Wharton, 'A Man on His Own [Interview]', *Architects Journal*, 187 (18)(1988): 78-80.



شكل (٤٣) مثال حديث للبناء على طراز سيجل، تصوير كاي جرين.



شكل (٤٤) بيوت مبنية على طراز سيجل، تصوير كريس موكسي.

وقد طبق أسلوب سيجل في البناء في لويسهام (Lewisham) بلندن في العقد السابع من القرن الماضي، عندما أتاح مجلس المدينة ثلاثة مواقع للبناء الذاتي، حيث إن المواقع كانت صغيرة إلى حد لا يسمح بتعميرها تجاريًا. ورغم أن طريقة البناء الذاتي كانت ملائمة للغاية في ذلك المضمون إلا أن المفاوضات استغرقت خمس سنوات من قبل أن يمنحه الترخيص في نهاية الأمر^(١). وقد تم التصميم بالتشاور مع جون برووم (Jon Broome)^(٢)، حيث استخدمت مواد متاحة يسهل استعمالها

-
- (1) London County Council, *Housing: The Post-War Work of the London County Council*. [Three Articles by Walter Segal.] (London: St. Magraret's Technical Press, 1949).
(2) Jon Broome, "Segal Method Revisited," *Architects Journal* 202, no. 20 (1995).

ويغني عن الحاجة إلى المهن الرطبة. وبمجرد إقامة الأطوار الخشبي ووضع التهوية الأساسية والخدمات، فإن ألواحًا متجانسة الأحكام تثبت في أماكنها وفق حاجات المستخدم. وتم تزويد كل بناء ذاتي الخطط الرئيسة، والشطائر، ومواصفة تشرح خطوات الإنشاء. وباستخدام شبكة محددة، أمكنه تكييف نظام الإنشاء الخفيف والجاف والسهل التعليق، والذي تم تسمير مكوناته وربطها. ولما كانت العائلة بأكملها تشارك في البناء مع تواجد الأطفال وكبار السن في الموقع، فإن عملية البناء ذاتها ولدت إحساسًا قويًا بروح المجتمع، وبالنسبة للعديد أصبحت طريقة سيجل نموذجًا يحتذى به بالنسبة للإنشاء والمشاركة في تصميم المنزل. وتقوم اثنتان والتر سيجل للبناء الذاتي (Walter Segal Self-Build Trust) حاليًا بالترويج لأساليبه في البناء^{(١) (٢) (٣) (٤) (٥)}.

الشراكة السكنية

الشراكة السكنية هي حراك لتطوير الإسكان الذي بدأ في العقد السادس من القرن العشرين في الدنمارك، حيث سميت بوفيلسكيبر (Bofaellesskaber) بمعنى المجتمعات الحية. فمع زيادة عدد النساء العاملات تولدت رغبة للحد من حمل العمل المنزلي، وخاصة رعاية الأطفال، وتحضير وجبات المساء، وذلك من خلال الخدمات الجماعية المشتركة بين الجيران. كما أن الشراكة السكنية بدت وكأنها تحسن من العلاقات الاجتماعية، وتحسين الإحساس الجماعي؛ وما بدأ كحل إسكاني للطبقة المتوسطة حاصل على إقبال كبير من الأسر الصغيرة، أصبح حاليًا نموذج إسكان سائدًا شائعًا بين جميع المجموعات الاجتماعية، وانتشر في عدد من دول شمال أوروبا^{(٦) (٧)} حيث سياسات الحكومة والدعم قد شجع التنمية. كما أن الشراكة السكنية لاقت شعبية متزايدة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، ونيوزيلندا، حيث أصبحت الشراكة السكنية أجندة بيئية أكثر جلاء، تشارك في العديد من الجوانب المتشابهة مع القرى البيئية (ecovillages) ولكن

- (1) Peter Blundell-Jones, "Walter Segal: 1907-85 [Obituary]," *Architectural Review* 178, no. 1066 (1985).
- (2) Colin Ward, "Homing in on Sleeping Out," *Architects Journal* 187, no. 28 (1988).
- (3) "Green Credentials: Housing in Brighton by Architype.," *RIBA Journal* 106, no. 5 (1999).
- (4) Stephen Greenberg, "Segal sense: Walter Segal: An Architecture of Understanding [Exhibition Review]," *Architects Journal* 187, no. 22 (1988).
- (5) John McKean, *Learning from Segal: Walter Segal's Life, Work and Influence* (Basel: Birkhäuser, 1989).
- (6) Clare Cooper Marcus, 'Site planning, building design and a sense of community: an analysis of six cohousing schemes in Denmark, Sweden, and the Netherlands', *Journal of architectural and planning research*, 17 (2000): 146-163.
- (7) Martin Field, *Thinking about CoHousing. The creation of intentional neighbourhoods* (London: Diggers & Dreamers, 2004)

بصورة أقل راديكالية، وأصغر كنسخة حضرية^(١). وتاريخياً نمت الشراكة السكنية في الحركات المجتمعية المغلقة والنسوية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، بما في ذلك كتية تشارلز فورير (Charles Fourier's phalanx) وحركة مدن الحدائق لميلوسينا فاي بيرس (Melusina Fay Peirce) وإبنيزر هوارد (Ebenezer Howard).

ومباني جوارات الإسكان المشترك التي بنيت لهذا الغرض عادة تتكون من بيوت خاصة تشارك في المرافق حيث السكان يملكون أماكن سكانهم ويشاركون في ملكية المرافق الجماعية. تلك الجوارات لها إدارة ذاتية من خلال اجتماعات رتيبة، وتعمل في العادة على أساس القرارات المتفق عليها. وحجم تلك المنشآت يختلف فيكون بين (١٠-٤٠) وحدة، وتختلف نسبة وسائل الراحة العامة والخاص، ولكن غالبيتها يحتوي على مطابخ خاصة بالإضافة إلى مطبخ جماعي. وبين المرافق المشتركة مغسل ووسائل تدفئة والنقل ومساحة مفتوحة وغرف استضافة.

وهناك العديد من مخططات الشراكة السكنية الناجحة في الدنمرك، وتنجراردن (Tinggård) من أقدم الأمثلة التي بنيت في عام (١٩٧٨)، والتي بنيت بناء على مسابقة لمستوطنات بديلة نظمها الحكومة الدنماركية. وقد صممها ممارس العمارة فانكنستن (Vandkunsten) حيث نسق تصميم الشقق يتيح للعائلات التوسع أو التضيق في بيوتهم وفق الحاجة بإضافة غرف أو إلغائها إلى شقق متلاحمة معها.

وفي مستعمرة حديثة للمساكن المشتركة المبنية المصممة لغرض ما في المملكة المتحدة بمدينة ستراود (Stroud) بجلوسسترشاير (Gloucestershire)، تتضمن مساكن تتراوح بين أربع غرف إلى شقق استوديو، وتتضمن (٣٢) وحدة في مجموعها. وبناءً على مبادرة من السكان، تكونت شركة لتعمير الموقع وتملك حر خالص. وقام بالتصميم شركة أرشيتيب (Architype)، المتخصصة في المساكن المشتركة بالتشاور مع سكان المستقبل. وتتضمن المستوطنة بيت شياخ في مركز الموقع ليشمل مطبخ شائع، حيث يلتزم السكان بالطهي فيه مرة في الشهر. والقرارات اليومية تصدر في اجتماع شهري لجمعية الملاك، التي تشمل مجموعات تتعامل مع المطبخ، والحديقة والصيانة ... إلخ. وبهذا فمن خلال التصميم المكاني، والمرافق المشتركة والبنية الاجتماعية يمكن للشراكة الإسكانية تشجيع التفاعل بين

(1) Dorit Fromm, 'American cohousing: the first five years', Journal of architectural and planning research, 17 (2000): 94-109.

السكان، وتساعد في إيجاد مجتمع مترابط ومرن^{(١)٢}.

مراكز المساعدة الفنية للمجتمع

في نهاية سبعينيات القرن الماضي نشأت مراكز المساعدة الفنية للمجتمع: كتاكس (CTACs) نتيجة تنظيم مجتمع المعمارين الراديكاليين من الممارسين مثل رالف إرسكين (Ralph Erskine) ومجلس الثوري للمعمارين (Architects' Revolutionary Council)، والذين كانوا يحاولون البحث عن بدائل لبرامج إزالة العشوائيات في منتصف العقد السادس من القرن الماضي، وما ترتب على ذلك باستبدال العشوائيات ببناء مستعمرات مجموعات مساكن عامة بشكل سريع وواسع النطاق، وما يتضمن ذلك من توابع غير مرغوب فيها. وسبق إنشاء كتاكس مشروع عمل الجوار في عام (١٩٦٩)، حيث عمل مجلس ليفربول مع ملجأ، بمثابة عمل خيري لمن لا مأوى لهم. ورغم أن المشروع لم يعمر طويلاً، فإن النموذج أدى إلى تكوين مكتب استشاري محلي من معماريين، ومخططين، وأخصائيين اجتماعيين كان له نفوذ أوسع^(٣).

والمجتمعات المحلية التي كانت تقوم بإعادة التعمير وجدت مساعدة من عدة مجموعات تطوعية ومهنية غير أن المعمارين لم يكن لهم حق في تقديم خدمات مجانية وفق مدونة السلوك المهني الصادر عن المؤسسة الملكية لمهندس العمارة (Royal Institute of British Architects) أي ريبا (RIBA). على سبيل المثال؛ أنشأ توم وولي (Tom Woolley) تعاونية دعم تصميم مباني المجتمع (Support Community Building Design) مع طلاب من الجمعية المعمارية (Architectural Association) قدمت خدمات بتكاليف زهيدة، ولكنهم لم يستطيعوا مساعدة غير المجموعات التي استطاعت الحصول على بعض التمويل^(٤). وقد كان لهم دور في وضع خطط لمساعدة مجموعة عمل كوفنت جاردن (Covent Garden Action Group) بين آخرين^(٥). ومنظمة أخرى مهمة هي مساعدة أو "أسيست" (Assist) التي كانت على صلة بقسم العمارة في جامعة ستراثكلويد (University of Strathclyde) التي قدمت خدمات

(1) Martin Field, *CoHousing in Britain* (London: Diggers & Dreamers, 2011).

(2) Jo Williams, 'Designing Neighbourhoods for Social Interaction: The Case of Cohousing', *Journal of Urban Design*, 10 (2005): 195.

(3) Goodman, Robert, *After the Planners* (Harmondsworth: Penguin, 1972).

(4) Tweed, Chri, and Tom Woolley, 'User Participation in Design: Techniques for Dialogue', *Journal of Architecture and Behaviour*, 8 (1992), 253-264.

(5) Anson, Brian, *I'll Fight You For It! Behind the Struggle for Covent Garden*. (London: Jonathon Cape, 1981).

مساعدة فنية مجانية لتحسين المساكن^(١). ولم تكتفِ ورش العمارة المحلية لأسيست بتوفير المساعدة في الشؤون الإنشائية، ولكنها ساعدت في النصيح بكيفية الحصول على تمويل، وفي تنظيم منظمات الجوار، وعمومًا في عريضة التغيير. ومبادرات مثل هذه عمت المملكة المتحدة وأدت إلى تقديم اتحاد مراكز المساعدات الفنية للمجتمع (Association of Community Technical Aid Centres) أو أكتاك (ACTAC) في (١٩٨٣)، والذي اعتبره البعض بديلا لربا^(٢). وبالتالي عملت كتاكس كمراكز للموارد المحلية، حيث توفر نطاقًا واسعًا من الخدمات لأفراد ومجموعات اجتماعية أرادوا أن يكون لهم تأثير على بيئة مبانهم. وعلى نقيض الخدمات المماثلة التي وفرتها مجموعة معماريي المجتمع (Community Architecture Group) في ريبا، فإن كتاكس اعترفت بتنوع المهن والخبرات المشاركة في تنمية المجتمع، وبالتالي ضمت منظمات قدمت استشارات في التخطيط وتنظيم الأراضي الطبيعية، والهندسة، والمساحة، والبيئة، والتعليم البيئي، وفي التخطيط المالي والإدارة والرسومات، على أساس مفهوم أن جميع تلك المهارات مطلوب وضروري في بناء المجتمع.

وواحد من غايات كتاكس الرئيسة كان تشجيع مشاركة المستخدمين (السكان) وقام المهنيون الذين يعملون في تلك المراكز بدور مندوبين في الأماكن، يدعمون المواطنين في الشراكة في بيئتهم من خلال نصيحهم لما لهم من خصوصية^{(٣)،(٤)،(٥)}. ومقابل ذلك لم يجر تقاضي رسوم إلا من القادرين على الدفع، ورغم أن التمويل جاء في الأصل من مؤسسات خيرية، فإن غالبية مراكز كتاكس حصلت على منح حكومية. كل ذلك تماشى مع تحرك السياسة الغالبة في ذلك لنقل المسؤولية من قطاع الحكومة المحلية المتآكل إلى قطاع المتطوعين. ومن المفارقات هنا هو أن العديد من مراكز كتاكس المدعومة بالدولة كانت مشاركة في معارضة قيام الحكومة بإعادة التعمير ومشاريع إنتاج كم هائل من المساكن^(٦). كتاكس انتهى دورها في ثمانينيات القرن الماضي بسبب تلاشي التمويل، رغم أن عددا كبيرا ممن شاركوا فيها واصلوا العمل في الإسكان الاجتماعي.

- (1) Jenkins, Paul, and Leslie Forsyth, eds., *Architecture, Participation and Society* (London: Routledge, 2009).
- (2) Association of Community Technical Aid Centres, *Working with Local Communities: National Directory of Community and Technical Aid Centres*. (1985).
- (3) Tweed, Chri, and Tom Woolley, 'User Participation in Design: Techniques for Dialogue', *Journal of Architecture and Behaviour*, 8 (1992), 253-264.
- (4) Ward, Colin, *Tenants Take Over* (London: Architectural Press, 1974).
- (5) Wates, Nick, and Charles Kneivitt, *Community Architecture: How People are Creating Their Own Environment* (London: Penguin Books, 1987).
- (6) Habraken, N. J, *Supports: An Alternative to Mass Housing*, trans. by B. Valkenburg (London: Architectural Press, 1972).

المساهمة

إن ترديات الحركة الحديثة في العمارة خلال سبعينيات القرن الماضي أصبحت جلية للعديد من مهندسي العمارة الباحثين عن سبل لتدارك الموازنة في القوة بين المعماري والمستخدم. وتم وضع عدد من الطرق، بما في ذلك طرق تتضمن مشاركة المستخدم في عملية التصميم، والاستفادة من ورش العمل، والاستشارات، وخلال إنشاء مكاتب في الجوار. وآخرون اختاروا البناء الذاتي حتى يمكن للمستخدمين المشاركة في البناء إلى جانب التصميم، وأخيراً التوجه إلى تخطيط مرّن يمكن أن يتكيف وفق حاجات المستخدم. وبينما اختلفت طرقهم، فإن مهندسي العمارة شاركوا في غاية عامة وهي تمكين المستخدمين من أخذ دفة التحكم بصورة تتيح لهم أن يساهموا بأفكارهم المبتكرة دون الحد من دور مهندس العمارة أو تحويله إلى مجرد ميسر فني.

ومن أحد رواد حركة المساهمة في السبعينيات من القرن العشرين لوسين كرول (Lucien Kroll)، مهندس معماري بلجيكي عرف بعمله في مساكن طلاب الطب (Maison Médical) في جامعة لوفين (University of Louvain) في ١٩٧٠-١٩٧٦. في تلك الحالة تواصل الطلاب مع كرول لاستخدام تصميم بديل عن التصميم الرتيب الذي اقترحه الجامعة، وقاموا بحملة ناجحة لتنفيذ التصميم البديل^(١). وتم التصميم من خلال مشاورات مكثفة مع الطلبة وآخرين ممن يستخدمون المبنى، ونتج عن ذلك نموذج مجسّد متطوّر كسجل لعملية التصميم. والمبنى الناجم عن تلك الجهود المشتركة يبدو مجزأً— حيث إنه قسم إلى قطاعات كل منها تكفل بها فريق مختلف من العاملين في مكتب الهندسة المعمارية. وبهذا تبني كرول أسلوب فصل الإطار الكلي للمبنى، بما في ذلك البنية عن مكونات المباني الداخلية، متبعاً طريقة جون هابريكن (John Habraken)، مما سمح له بتصميم معماري متميز خاص بالمساكن الجامعية^(٢).

ومثال آخر هو مبنى لامييه (La mémé) لإسكان الطلاب في كلية الطب بالجامعة الكاثوليكية في لوفان (Louvain) على أطراف بروكسل.

- (1) Lucien Kroll, *Architecture of Complexity*, trans. by Peter Blundell Jones (Cambridge, MA: MIT Press, 1987).
- (2) Peter Blundell-Jones, Doina Petrescu and Jeremy Till (eds.), *Architecture and Participation* (London: Routledge, 2005).



شكل (٤٥) مساكن طلاب الطب في الجامعة الكاثوليكية بلوفين، بلجيكا.

ويرى كروول أن هناك حاجة لمساحة واسعة للابتكار؛ حيث إن ما يفعله المعمارين في مكتبه هو الذهاب إلى الناس والطلب منهم المساعدة في تخطيط المساحة التي ينشئ عليها المسكن؛ فهم معماريون ولا يريدون التهرب من المسؤولية ومن اتخاذ القرارات، ولكنهم لا يريدون اتخاذ القرارات وحدهم^{(١)،(٢)}.

ولقد أصبحت صورة بيت الطب رديفا لنوع فريد من العمارة أثرت في آخرين ممن تبنا أسلوب الشراكة في أعمالهم. من بين أولئك المعماري النمساوي أيلفرايد هوث (Eilfried Huth) الذي أنتج في بدايات السبعينيات من القرن الماضي تصميمات مثالية تشابه تصميمات يونا فريدمان (Yona Friedman)؛ لكنه غير اتجاهاته إلى معمار أكثر عملية تطلع فيه إلى واقع حياة وظروف معيشة الأشخاص العاديين. وقد مارس هوث عمارة المشاركة في مضمون مساكن المساعدة الذاتية بما في ذلك البناء الذاتي؛ مدركاً أن السكان سيخلقون مجتمعاً قوياً من خلال اشتراكهم في تصميم وبناء بيوتهم. ظهرت الطبيعة الراديكالية للمشروع خلال فترة ليست بالطويلة: المشروع الأول هو تعمير صغر يتضمن (١٦) منزلاً استغرق بناؤه (١٦) سنة ليكتمل، وكون سكان المستقبل اتحاداً وشاركوا في كل مرحلة من التصميم، بما في ذلك اختيار المقاولين.

- (1) Lucien Kroll, 'Animal Town Planning and Homeopathic Architecture', in Peter Blundell-Jones, Doina Petrescu and Jeremy Till (eds.), *Architecture and Participation* (London: Routledge, 2005), p. 186.
- (2) Nan Ellin, 'Participatory Architecture on the Parisian Periphery: Lucien Kroll's Vignes Blanches', *Journal of Architectural Education*, 53 (2000): 178-183.

والبناء الذاتي يشكل نوعاً من الشراكة إلى جانب أنه أسلوب تعليمي، فعلى سبيل المثال، مشروع باوهوسل (Bauhäusle)؛ وهو مشروع مساكن للطلبة بناه طلبة العمارة بأنفسهم في جامعة ستوتجارت الفنية كجزء من منهج تعليمي، حيث صمموا وبنوا المسكن باستخدام أسلوب سيغال في البناء. ومؤخراً قامت وكالة المجتمع للبناء الذاتي (Community Self Build Agency) في المملكة المتحدة بتسهيل مثل تلك المشاريع بتوفير التدريب للناس حتى يبنوا بيوتهم بأنفسهم.

ومثال آخر للمساهمة؛ معروف في وسط المعمارين ومخططي الحضر، ويتعلق بحركة المساعدة الفنية للمجتمع البريطاني (British Community Technical Aid) هو مشروع بايكروول (Byker Wall) للإسكان الاجتماعي (١٩١٤-٢٠٠٥) الذي بدأه رالف إرسكين (Ralph Erskine) والذي يقع في نيوكاستل أبون تاين (Newcastle upon Tyne). وقد تم بناؤه في (١٩٦٩-١٩٧٥) لإسكان العاملين في المصانع وميناء بناء السفن على ضفاف نهر التاين^{(١)(٢)}.



شكل (٤٦) بايكروول، تصوير كارول مكجيوجن.

أنشأ إرسكين مكتباً اجتماعياً في منطقة جوار المشروع في صالون جنازات غير مستعمل متبنياً سياسة البيت المفتوح، وداعياً السكان المحليين بزيارة المكتب والمشاركة بوجهات نظرهم^(٣). وقد أثار

(1) Ralph Erskine, 'Interview: Ralph Erskine.', *Transition*, 4 (1985): 44-48.

(2) Mats Egelius and Charles Jencks, 'Ralph Erskine', *Architectural Design*, 47 (1977): 750-852.

(3) Peter Malpass, 'A Reappraisal of Byker. Part 1: Magic, myth and the architect', *Architects Journal*, 169 (1979), 961-969.

هذا الأمر حوارًا حول موضوعات تتطرق إلى بعض المخاوف من التخريب المتعمد وتسرب المواسير، وكذلك التصميم النهائي للمشروع. وتم بناء مخطط تجريبي في ميدان جانيت (Janet Square) في (١٩٧٢) حيث تطوعت (٤٧) عائلة للمشاركة في المشروع. وكان لمساهمتهم دور في تسليط الضوء على العلاقات المعقدة والتسلسل الهرمي بين ساكني بايكر، التي انعكست في التصميم النهائي. ثم إن طريقة إرسكين المبني على جذور القاعدة للمشاركة تطلبت الالتزام طويل المدى من المعمارين الذين أصبحوا جزءًا من الجوار المحلي على مدى المشروع^(١).

وممارسة أخرى في المملكة المتحدة كان على رأسها ريادي في الهندسة المعمارية للمجتمع هو هنت تومبسون (Hunt Thompson) وشريكه إدوارد برد (Edward Burd) الذي كان شخصية مهمة في الاتجاه إلى تمكين الساكن في عملية التصميم. وتكونت الممارسة في عام (١٨٧١) وبدأت شراكتهم مع مجموعات الساكنين في (١٩٨٢) خلال تجديد منزل لي هاوس (Lea View House) في هاكني بلندن. وكان أسلوبهم في التعامل مع السكان، تمامًا كأنهم عملاء خاصة، وكان نادرًا في ذلك الوقت، مما رفع من معايير المساكن الشعبية. وفي عام (١٩٩٩) تقاعد بيرد فتغيرت ممارسات مكتبه وغير اسمه وتوجهاته^(٢).

كان موقف أوتوكر أوهل (Ottokar Uhl) من العمارة المشاركة قائمًا على تصميم المساكن المرنة، التي تسمح للسكان أن يفهمهم وفقا لاحتياجاته. والإنسان المرن سمح لأوهل أن يخلق معمارا يمكن له أن يحطم التسلسل الهرمي الثابت بين المصمم والمستخدم وطريقة البنين^(٣)، وقد أدى ذلك إلى التعاون بين أوهل وجون هابراكن (John Habraken) في كيفية تصميم المباني التي يمكن تعديلها وتطويرها مع تغيير الاستخدام (في حالة تغيير الساكن أو المالك). وبهذا فإن أوهل اهتم بتصميم المباني عبر مدة وجودها، أخذًا في الاعتبار التغير الديمغرافي وأسلوب الحياة. كما أدخل في حساباته (حذف التكرار) لاحتمال هدم البيت، وهو أمر لا مفر منه، وهذا الاهتمام يشاطرفيه آخرون مثل سدريك بريس (Cedric Price)^(٤).

- (1) Mats Egelius and Charles Jencks, 'Ralph Erskine', *Architectural Design*, 47 (1977): 750-852.
- (2) Peter Blundell-Jones, 'Sixty-eight and After', in *Architecture and Participation*, pp. 127-139.
- (3) Peter Blundell-Jones, 'Urbane Participation', *Architectural Review*, 193 (1993): 45-49.
- (4) Tatjana Schneider and Jeremy Till, 'Episodes in Flexible Housing', in *Flexible Housing* (Oxford: Architectural Press, 2007), pp. 9-202.

تجارب تحسين العشوائيات

في مكسيكو سيتي بالمكسيك - على سبيل المثال - حاولت الحكومة رفع مستوى وتحضير العشوائيات القائمة على أطراف المدينة منذ سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي بإضافة وسائل راحة مفيدة، مثل الطرق المرصوفة بالخرسانة، والمتنزهات، والإضاءة والصرف الصحي. وحاليا غالبية العشوائيات في مكسيكو سيتي تواجه خصائص أساسية للعشوائيات التقليدية، تتجلى تلك الخصائص إلى حد ما في الإسكان وكثافة السكان والجريمة والفقر، غير أن الغالبية العظمى من المقيمين فيها يتمتعون بالقدرة على الحصول على الحاجيات الضرورية، وغالبية مواقع العشوائيات متصلة بطرق رئيسة وحضرية كلية بمعنى الكلمة. غير أن مستوطنات صغيرة تفتقر لتلك الوسائل المريحة ما زالت توجد على أطراف المدينة وسكانها يسمون المظليين البراسياديستاس (paracaidistas).

مثال آخر لعملية رفع مستوى العشوائيات، حالة عشوائيات توندو بالقرب من مانيلا بالفلبين^(١). وكان من المتوقع تكملة العملية في أربع سنوات، ولكنها استغرقت تسع سنوات، كما كان هناك زيادة في التكاليف وتأجيلات عديدة، وإعادة هندسة التفاصيل لمواجهة الخلافات السياسية، إلى جانب تعقيدات أخرى أعقبت نهاية المشروع. ورغم تلك الإخفاقات، فإن تنفيذ المشروع أكد صحة الافتراض الأساسي، وقامت عائلات توندو ببناء منازلهم بجودة أعلى بكثير عما كان متوقعا في الأصل. وسكان توندو أصبحوا أصحاب ملكيات لهم مصلحة في الجوار الذي يعيشون فيه.

ومثال أكثر حداثة في طريقة رفع مستوى عشوائية هي مبادرة بريمد (PRIMED) في ميدلين بكولومبيا، حيث أضيفت الشوارع ومواصلات المتروكابل (Metrocable) وسائر البنية التحتية العامة. ولقد جمع بين تحسين البنية التحتية لتلك العشوائيات وتحسينات البنية التحتية العامة، مثل إضافة المترو، ورصف الطرق، والطرق السريعة، لتمكين كل مواطني المدينة بما في ذلك الفقير بالتواصل المناسب خلال المدينة^(٢).

ومع هذا فإن مشاريع رفع مستوى العشوائيات أنتجت نتائج مختلطة. فبينما كان التقييم المبدئي واعدًا وسُجِّلَت قصص نجاح باهر لها في الإعلام، فإن عملية تقييم أجريت بعد إكمال المشاريع على مدى (٥) إلى (١٩) سنة كانت مخيبة للأمل. فقد أشار هربرت ويرلين (Herbert Werlin) بأن

(1) Tondo Urban Development Project MIT (2009).

(2) Fernando Patino, Urban Safety through Slum Upgrading United Nations Habitat (2011); pages 7-19.

العائدات الأولية من مجهودات تأهيل العشوائيات كانت سريعة الزوال^(١). فتحسين العشوائية في قرى "كامبنجس" (kamplings) التي تتوسط مدينة جاكارتا بأندونيسيا؛ على سبيل المثال، بدت واحدة في السنين العديدة الأولى بعد رفع مستواها، وعقب ذلك عادت إلى أحوال أفقع مما كانت عليه من قبل، خاصة بالنسبة للصرف الصحي، ومشاكل البيئة وأمن مياه الشرب. والمراحض العامة التي وفرتها جهود الإصلاح لم تلق صيانة كافية وهجرها سكان العشوائية في جاكارتا^(٢).

وننتائج رفع مستوى العشوائيات في الفلبين^(٣)، والهند^(٤)، والبرازيل^(٥)؛ لم تكن أفضل حالاً؛ فقد ثبت أن جهود رفع المستوى مكلفة للغاية أكثر مما قدر له، وأحوال العشوائيات بعد عقد من إكمال رفع مستواها عادت لحالتها الأولى إن لم يكن أسوأ. وكل الفوائد من عملية رفع المستوى ثبت أنها مجرد أساطير^(٨).

وواقع الأمر أن الرقي بمستوى العشوائيات أو تجميلها أو رفع مستواها إلى مستوى سائر الأماكن هي عملية تتحكم فيها الحكومة بالمطلق أو بالأغلب، فهي التي تمويلها وتقوم بالعملية بدلاً أن تكون عملية يدفعها السوق التنافسي. وهنا يشير كروكبرج (Krueckeberg) وبولسون (Paulsen)^(٩) إلى أن السياسات المتضاربة، وفساد الحكومة، والعنف في الشوارع في عملية تسوية العشوائية جزء من الواقع.

- (1) Werlin, Herbert (August 1999). "The Slum Upgrading Myth". *Urban Studies*. 36 (9): 1523–1534.
- (2) World Bank Experience with the Provision of Infrastructure Services for the Urban Poor Christine Kessides] The World Bank (1997).
- (3) Luna, E. M., Ferrer, O. P. and Ignacio, JR., U. (1994) Participatory Action Planning for the Development of Two PSF Projects. Manila: University of Philippines.
- (4) Bartone, C., Bernstein, J., Leitmann, J. and Eigen, J. (1994) Toward Environmental Strategies for Cities. Washington, DC: World Bank.
- (5) Bannerjee, T. and Chakrovorty, S. (1994) Transfer of planning technology and local political economy: a retrospective analysis of Calcutta, *Journal of the American Planning Association*, 60, pages 71–82.
- (6) Martijn Koster, and Monique Nuijten (2012), From Preamble to Post-project Frustrations: The Shaping of a Slum Upgrading Project in Recife, Brazil. *Antipode*, 44 (1), pages 175–196.
- (7) Smolka, M (2003), Informality, urban poverty, and land market prices. *Land Lines* 15(1).
- (8) Werlin, Herbert (August 1999). "The Slum Upgrading Myth". *Urban Studies*. 36 (9): 1523–1534.
- (9) Urban Land Tenure Policies in Brazil, South Africa, and India: an Assessment of the Issues Donald A. Krueckeberg and Kurt G. Paulsen (2000), Lincoln Institute, Rutgers University.

ترقية العشوائية والتسويات الثابتة هي الأخرى ترقى وتسوي زعماء العشوائية والأجندة السياسية، بينما تهدد نفوذ وسلطة المسؤولين في البلديات والوزارات. ترقية العشوائية لا يهتم بالفقر، والأعمال البخسة الأجور من الوجهة الاقتصادية الرسمية، ولا يعبر التفاتا إلى خواص العشوائيات الأخرى. وليس من الواضح إذا ما كانت ترقية العشوائية ستؤدي إلى تحسين مستدام وبعيد المدى في العشوائيات^(١).

حلول الرقي بالعشوائيات

حلول التلوث البيئي

في مدن مثل مكسيكو سيتي بالمكسيك، أصدرت الحكومة المحلية برنامجًا يمنع قيادة سيارات بألوان معينة في أيام محددة؛ بهدف الحد من التلوث البيئي. والتزم السكان بالقرار، حيث نجح بالنسبة للعائلات المتدنية الدخل في المدينة، ولكنه لم يؤثر كثيرًا على المجتمعات الغنية حيث تحايلا على القانون نتيجة شراء عدة سيارات بألوان مختلفة ليتمكنوا من قيادة السيارات يوميًا. هذا الإجراء نجح في تخفيض مستوى تلوث الهواء في مكسيكو سيتي بشكل كبير ورفع من مستوى جودة الهواء وأمانه لسكان المدينة، وبالتالي رفع من مستوى جودة المعيشة في المدينة التي عانت من تلوث الهواء بعدام السيارات، حيث إنها لا تمنع السيارات المرتفعة الانبعاث، وبهذا فإن مستوى تلوث الهواء ما زال على مستوى وصفه علماء البيئة بأنه يوازي تدخين (٦٠) سيجارة يوميًا لكثرة عدد السيارات وعدم وجود لوائح تنظم الصناعة التي تطلق كميات هائلة من الملوثات في هواء مكسيكو سيتي.

كما أن الحكومة استثمرت في تحسين المواصلات العامة، خاصة القطارات، واستثمرت أيضًا في توفير عدة مواقف للقطار في المدينة، وشراء قطارات جديدة، وسككًا حديدية أيضًا. وقد أدى ذلك إلى خفض مستويات تلوث الهواء بقدر كبير، نظرًا لانخفاض عدد السيارات في الطرق.

(1) Marie Huchzermeyer and Aly Karam, Informal settlements: A perpetual challenge? Cape Town, SA: University of Cape Town Press.



شكل (٤٧) المستوطنات غير النظامية في مكسيكو سيتي.

هذا المخطط لم يتعد سوى سنين قليلة، لكنه اعتبر من الحلول الجذرية لأن تلوث الهواء في مكسيكو سيتي يعزى إلى سكان العشوائيات والمستوطنات غير النظامية واستخدامهم للسيارات التي تضرخ السموم في الهواء.

منازل العائلة الواحدة

ركز مشروع يو إن-هابيتات على الرقي بالعشوائيات في باهيا بالسلفادور والبرازيل على بيوت العائلة الواحدة. وعرف المشروع باسم مشروع الدعم الفني والاجتماعي (PATS) والذي كان شراكة بين يو إن-هابيتات والحكومة الإيطالية والبنك الدولي. وكان الهدف الرئيس للمشروع هو القضاء على العشوائيات في المنطقة، وتم ذلك عن طريق:

- ◆ نقل العائلات من مستوطناتهم غير الرسمية إلى منازل لعائلة واحدة في منطقة حديثة الإنشاء.
- ◆ إشراك المجتمع والتعليم، حيث أدخلت برامج تعليمية تعلم المقيمين كيفية تحسين حالتهم الصحية والتعليمية والاقتصادية.
- ◆ تسهيل حصول السكان على الخدمات؛ حيث يوفر البرنامج للعائلات الخدمات البلدية مثل جمع القمامة، وتوصيل المياه والكهرباء والصرف الصحي.

ووفقا لتقرير يون-هابيتات فإن:

- ◆ (٩٨٤) عائلة نقلوا إلى بيوت جديدة على مدى خمس سنوات.
 - ◆ كل تلك العائلات وجدت فرصة لحضور دورات دراسية عن كيفية تحسين الجوانب الأخرى من حياتهم، وبالتحديد الصحة والتعليم والشؤون المالية.
 - ◆ (٧٨٠) من العائلات حظيت بجمع القمامة، و (٧١) وصلت مساكنهم بالمياه، ووصلت الكهرباء إلى (٨٠)، إلى جانب (٨٤) تم توصيل الصرف الصحي إليهم.
- هذا النموذج أنجز هدفه بخفض أو القضاء على سكان العشوائيات في المنطقة بحوالي (٨٠) بيتا، بينما تم تحسين جوانب أخرى لحياة العائلات اليومية^(١).

منازل متعددة العائلات

يهدف مشروع مارينز-بيشورس الذي نفذته منظمة المقاصة في أغادير المغرب إلى نقل الأسر التي تعيش في عشوائيات مع الحد الأدنى من الاضطرابات الاجتماعية. وكان على هذا المشروع يعمل في إطار القيود المفروضة على الأراضي في المنطقة، نظراً لوجوده في بيئة حضرية في بلد لديه ندرة في الأراضي. وبسبب قضايا الأرض، لم تكن بيوت الأسرة الواحدة خياراً، وكان ينظر إلى منازل الأسر المتعددة على أنها حل أفضل. وقد قام المشروع بإنشاء منازل صغيرة للشقق، والشقق للبيع، والإيجار للمستأجرين، بالقرب من موقعهم الحالي في أغادير. وكان من المقرر أن يتم ذلك بمساعدة الأسر العشوائية على هدم أكواخها ونقل ممتلكاتها إلى الموقع الجديد. ولأن المغرب ليس لديه ثقافة إجبارية، فقد تم إشراك المجتمع المحلي في عملية التخطيط، بحيث يكون السكان أكثر قدرة على فهم أسباب وفوائد اختيار نموذج منزل متعدد الأسر بدلا من نموذج منزل عائلة واحدة.

ويذكر أن مشروع مارينز-بيشورس يضم الأسر المعيشية العشوائية في شقق متعددة الأسر. وقام المجتمع المحلي، والحكومة المحلية بتطوير الشكل التالي: (١٧٥) منزلا صيفياً نصف تشطيب، (٤٠) شقة سكنية مع مجموعة (٤٥٠) شقة للأسر العشوائية. كما أدرجت مشاركة المجتمع على كل مستوى، وأقامت مجموعات عمل مجتمعية للتأكد من أن مشروع الإسكان يلبي احتياجات

(1) "The story of integrated slum upgrading in Salvador (Bahia), Brazil". Cities Alliance.

الناس. خلال مرحلة البناء، وتمكن العديد من السكان من الحصول على عمل بأجر في أعمال البناء أو الأعمال المتعلقة بها^(١).

الهند

في عام (٢٠٠٩)، أعلن الرئيس براتيبا باتيل أن حكومة الهند تهدف إلى جعل الهند خالية من العشوائيات في غضون خمس سنوات. ومن أجل القيام بذلك تخطط الحكومة لاستثمار مبالغ كبيرة من المال لبناء المساكن بأسعار معقولة^(٢). وهكذا، بدلا من تحسين المنطقة، كانت الحكومة تهدف إلى خلق منازل جديدة تماما للفقراء في المناطق الحضرية. إن عملية بناء منازل جديدة للفقراء هي إحدى الأفكار الرئيسة التي تتطرق إلى استراتيجية ترقية العشوائيات.

الصين

الصين، تستخدم الطريقة التقليدية (والمثيرة للجدل) للتخلص من الأحياء الفقيرة في المدن: الجرافات. ويواجه العمال المهاجرون القادمون إلى بكين تهديد منازلهم ويتحولون ببساطة إلى الهدم في محاولة لإبقاء عدد العشوائيات منخفضاً. ولأن سكان المدينة يجب أن يكونوا مسجلين رسمياً في الصين (على النقيض من الهند، حيث لا يوجد منع للسكان الريفيين الذين يهاجرون إلى المدينة)، فإن السكن المنخفض الدخل غير متاح للمهاجرين الذين يعيشون في العشوائيات المدمرة، مما يخلق وضعاً صعباً لسكان العشوائيات الصينيين^(٣).

المغرب

تقبل الواقع

لم تول السياسات العمومية في البداية اهتماماً كبيراً بالسكن الصفيحي، حيث كان ينظر إليه كظاهرة مؤقتة. ولم تكن الدولة لتعترف بالسكن غير القانوني، علماً بأنه كان يشكل نوعاً من التوازن بالنسبة لولوج ذوي الدخل المحدود إلى السكن^(٤). وانطلاقاً من أواسط السبعينيات، تم الاعتراف بالسكن الصفيحي والسكن غير القانوني العشوائي عن طريق برنامج التنمية الحضرية، الذي يهدف إلى إدماج هذا السكن بواسطة تحسين تدريجي لظروف السكن. ويرتكز هذا البرنامج على مفهوم إعادة تأهيل الأحياء

(1) "Shelter Upgrading In Agadir Morocco". Most Clearing House.

(2) "UPA's Target: A Slum-free India in 5 Years." *The Times of India*. 5 June 2009.

(3) "China's Migrant Workers: No Place to Call Home." *The Economist*. 7 June 2007.

(4) Mohamed Anis, 2010 . L'habitat Insalubre Au Maroc Á La Fin Du XX ème Siècle. University of Craiova. Series: Geography. Vol. 13 (new series) – 2010. P. 11 9.

العشوائية عبر تزويدها بالتجهيزات الأساسية وتقنين السكن، وذلك عبر إصلاح المباني من طرف السكان أنفسهم بتأطير تقنين، وبواسطة قروض تصرف لهم على شكل أدوات البناء. كما يرمي هذا البرنامج إلى إنشاء تجهيزات جماعية وتأطير السكان من خلال برامج التكويني، وكذلك إنشاء مناطق حيوية تهدف إلى توظيف اليد العاملة المحلية.

وقد انطلق البرنامج بمساعدة من البنك الدولي بأكبر الأحياء الصفيحية في أربع مدن، هي الدار البيضاء، والرباط، ومكناس، والقنيطرة. غير أنه سرعان ما تم التخلي عن البرنامج في مدينة الدار البيضاء بعد أن فشل البرنامج في تحقيق أهدافه المعلنة، بل تفاقم الأوضاع في بعض المواقع التي أصبحت مهددة بالانهيار^(١).

بعد ذلك حاولت الدولة إعادة تأهيل الأحياء الصفيحية الصغيرة عبر برنامج "الأحياء الصفيحية الصغيرة والمتوسطة" حيث يقتصر تدخل السلطات على توفير الخدمات الأساسية كماء الشرب، والكهرباء، والصرف الصحي، والطرق؛ استنادًا إلى معايير معينة، منها ألا تتعدى الكثافة السكانية (٤٠٠) نسمة لكل هكتار، وقطع الأرض لا تزيد عن (٤٠) م^٢ وقد تم تنفيذ هذا البرنامج في (٤٠) حيًا صفيحيًا يشغلها أقل من (١٠٠,٠٠٠) نسمة في المجموع، من أصل ١٦٠ حيًا.

إلى جانب ذلك وضع برنامج لتأهيل السكن المهدد بالانهيار الذي تم وضعه سنة (٢٠٠٥) بهدف معالجة المباني الآيلة للسقوط عبر عمليات الترميم، وإن اقتضى الأمر إعادة إسكان الأسر. ويضم البرنامج أيضًا إعادة تأهيل النسيج الحضري للمدن العتيقة والقصور^(٢)، عبر إصلاح شبكات الصرف الصحي والطرق والأسوار... الخ. وتعرض هذا البرنامج لصعوبة في التنفيذ نظرًا لعدد الأسر المستهدفة (أكثر من ١٠٠ ألف أسرة) وأهدافه التي تبقى غير واضحة، بحيث يجمع بين عمليات الإصلاح والتدخل الاستعجالي في حالة المباني المهددة بالانهيار، التي تحتاج لاستراتيجية عامة ومندمجة تخص جميع المجالات الحضرية المعنية.

أما برنامج تأهيل أحياء السكن غير القانونية، فيرمي إلى فك العزلة وإدماج هذه الأحياء عبر إنشاء الطرق وتأهيل المحيط بعد توفير الخدمات الأساسية من مياه الشرب، والصرف الصحي، والكهرباء، من طرف السكان أنفسهم عن طريق جمعيات الأحياء أو من طرف المصالح المكلفة بتلك التجهيزات في المدينة. لكن هذا البرنامج لا يهتم بحالة المباني ومدى مطابقتها للمعايير المعمول بها في البناء.

(1) Le droit au développement au Maroc. Entre Pacte International relatif aux Droits Economiques, Sociaux et Culturels et Objectifs du Millénaire pour le Développement ». CCDH - PNUD, juillet 2010.

(٢) القصور هو الاسم الذي يطلق على المدن العتيقة في جنوب المغرب.

كما أنه تم تسجيل زيادة في الكثافة السكانية في هذه الأحياء مع تردي ملحوظ في التجهيزات الأساسية، وتدهور حالة بعض المباني التي أصبحت مهددة بالانهيار.

تأهيل سلا

تضمنت استثمارات الحكومة في تأهيل عشوائيات سلا، إنشاء الجسر الذي يصل الرباط بترام الرباط - سلا الجديد؛ وتطوير الشواطئ والمراسي البحرية؛ بينما قامت شركات التعمير الخاصة، مثل إعمار عقارات (Emaar Properties) هي الأخرى باستثمارات في سلا. وكان الارتفاع في البطالة يشكل قضية خطيرة بالنسبة لمنطقة سلا، حيث كان الاعتماد كله على العديد من مصانع النسيج؛ إلا أن ذلك تغير مؤخرًا، حيث تمت حركة تنوع في فرص العمل فافتتح مراكز اتصالات دولية وإلكترونيات؛ ومؤخرًا افتتحت تكنو بارك جديدة تضاهي مركز التقنية في الدار البيضاء الذي لاقى نجاحًا كبيرًا.

ولقد كان توصيل المياه وجمع الصرف الصحي غير منتظم إلى جانب أن الوحدات الفقيرة والمساكن غير القانونية عانت ارتفاع تكاليف تلك الخدمات إلى جانب تقطعها. كما أن غالبية المدينة كانت تعتمد على المواسير الرأسية العمومية التي كثيرًا ما أغلقت فتحرم بعض الأحياء مياه الشرب الآمنة^(١) لفترات غير محددة.



شكل (٤٨) السكن غير اللائق - في أحد أحياء سلا.

(1) Guillaume Benoit and Aline Comeau (2005). *A Sustainable Future for the Mediterranean*. Routledge.

غير أن سلا كانت أفضل حالا من المواقع المراكشية غير الساحلية، إذ إن أزمة المياخ كانت أكثر حدة. تلك الأوضاع قد تحسنت بصورة كبيرة نتيجة الإصلاحات التي قامت بها الحكومة والأعمال المحلية وشركات توزيع المياه والكهرباء⁽¹⁾.

مناقب ترقية العشوائيات القائمة

مزايا

لا شك في أن ترقية العشوائية ورفع مستواها وتحسين أحوال المعيشة فيها أقل تكلفة وأقل جهدًا عن الإزالة والهدم أو إعادة الاستيطان؛ ومن المستبعد أن تتلقى مقاومة من أهل العشوائيات الذين يفضلون البقاء في مستوطناتهم التي قد عاشوا فيها أمداً طويلاً، وألفوا بيئتها ومجتمعها، ونشأت بينهم أواصر اجتماعية متينة، بما في ذلك المصاهرة والتكافل الاجتماعي المحمود، وروح التعاون، حيث إنهم "في الهم سواء".

وثاني المميزات للترقي بالعشوائيات وتحسين أحوالها هو أن العمل على إصلاحها يمكن أن يتم على مدى يتلاءم مع حجم المشكلة، دون خلل بالمكون الاجتماعي للمدينة والمنطقة الحضرية. وهو ليس مدى قصيراً، ولا مدى طويلاً. علماً بحاجة المنطقة الحضرية بأولئك الذين يعيشون في المناطق العشوائية، حيث إن من بينهم من يقوم بأعمال شاقة ومتدنية لا يقدر عليها سكان الحضر ولا طائفة لهم بها، وربما ينعدم الأمل في قيامهم بها.

كما أنه لم يكن هناك - ولن يكون هناك - أسلوب واحد يليق بالترقي بالعشوائيات بمختلف أنواعها. فبعض المستوطنات تكونت دون تخطيط أو مباركة من المجتمع، حيث إنها تشكل تجمعات من أفراد جمعهم الفقر وضنك المعيشة، وبعضها أحياء قديمة في بيوت آيلة للسقوط عجز سكانها وملاكها عن ترميمها وصيانتها لكبر السن والضعف وضيق الحال، وبعضها مأوى لمن لا مأوى لهم، كما أن بعضها ملجأ لمن نبذهم المجتمع ولم يجدوا مخرجاً إلا الفرار منه، وكثير منها جمع بين كل هؤلاء. بمعنى آخر أن كل عشوائية فريدة فيما تمثله من تحديات للمصلحين، غير أن هناك مواضيع مشتركة. وتحسين حال عشوائية ليس متوقفاً ببساطة على موقع وخدمة، أو توفير بيت، فترقية العشوائية هي عملية تدخل لتحسين الأحوال في المستوطنة، والتي بدورها سترفع من شأن حياة المستوطنين فيها. وأهم ما في العملية أنها يجب أن تنفذ داخل العشوائية، حيث توجد المجتمعات التي تعيش فيها؛ حيث

(1) Richard N. Palmer (2010). *World Environmental and Water Resources Congress 2010: Challenges of Change*. ASCE Publications. p. 826.

إن نقلهم لمكان آخر يجب أن يكون آخر حل يلزم اللجوء إليه. غير أن هناك ظروفًا قد يصعب فيها النقل المؤقت، مثل الفيضانات في السهول وحول السكك الحديدية، بشرط أن يكون قرار الانتقال بالتوافق مع مجتمع العشوائية؛ بنفس الأسلوب الذي يشارك فيه ساكنو العشوائية في تصميم وبناء التعديلات اللازمة لترقية العشوائية^(١). لهذا تكونت فدرالية سكان العشوائية الدولية (Slum Dwellers International) أو إسدي (SDI)، التي قد تقدم أرضًا أو خدمات أو منازل جزئية، ولكن ذلك لا يمثل نهاية العون، بل تقوم بذلك للجوء إلى السياسيين وصناع السياسة، حتى يمكن التحدي وتحويل الترتيبات والسياسات المؤسسية؛ فذلك ليس مسألة معونة وإمداد، ولكنه تعميق لمفهوم الديمقراطية^(٢).

ولقد شهدت السنين القريبة نموًا متعاظمًا في عدد العشوائيات مع سرعة زيادة عدد سكان الحضر، خاصة في الدول النامية^(٣)، بمعنى أن القضاء على العشوائيات القائمة لا يعني التوقف عن تكوين عشوائيات جديدة، إذا ما تجاهلت الحكومات والمجتمع على مستوى العالم العشوائيات من مهدها حتى نموها، لتصبح جزءًا من عملية نمو المدن وتحديثها. لهذا فإن مجموعة يوان هابيتات تؤمن بأن التغيير في هذا النمط ممكن، أي بزوغ فجر يوم تكون فيه المدن بلا عشوائيات. وترى الأمم المتحدة أن على الحكومات أن تقوم بتخطيط عمراني، وإدارة مدينة، وإنشاء بنية تحتية بهمة بالغة إلى جانب تحسين العشوائيات وخفض مستوى الفقر^(٤).

مثالب

رغم بعض النجاحات ودعم البنك الدولي ويو إن-هابيتات، فإن الناس كلهم لا يؤمنون بأن رفع مستوى العشوائيات هو الاختيار الأمثل لحل مشكلة العشوائيات. وفي الواقع إن هناك عددًا من اللاعبين المختلفين – مثل السياسيين المحليين – يودون لو تبقى العشوائيات على حالها^(٥). إلى جانب السياسات المحلية التافهة، هناك قضايا كبرى ترتبط بأسلوب رفع مستوى العشوائيات، بعضها مرتبط بطبيعة العديد من العشوائيات نفسها؛ على سبيل المثال، قد تحتاج الحكومات لا محالة إلى

(1) John Turner and et al., 'The Architecture of Democracy', *Architectural Design*, 38 (1968).

(2) Satterthwaite and Mitlin - *Reducing Urban Poverty in the Global South*, Routledge 2014.

(3) Adam Parsons (2010), *The Seven Myths of Slums: Challenging popular prejudices about the world's urban poor*. London: Share the World's Resources.

(4) Slum Dwellers to double by 2030 UN-HABITAT report, April 2007. Nairobi, Kenya.

(5) "UPA's Target: A Slum-free India in 5 Years." *The Times of India*. 5 June 2009. Web. 17 November 2010.

شراء أرض أو احتيازها لتنشئ عليها البنية التحتية^(١). غير أن ذلك قد يسبب مصاعب جمة عندما تحاول تحديد الأرض التي ستشتريها، حيث إن العشوائيات بطبيعتها كثيفة السكان وأن بعض المساكن متراكمة بعضها فوق بعض، مما يجعل من المستحيل تنظيم المكان^(٢).

الإشكالية الثانية في عملية ترقية العشوائيات تنبثق من واقع أن ملكية الأرض ليست واضحة في كثير من الأحيان، وفي غالبية العشوائيات، فعدد من أهل العشوائيات إما مقيمون عابرون أو سكان على أساس ترتيبات غير رسمية مع المجتمع المحيط بهم، حيث إن الكثير منهم أناس بلا مأوى ينزلون على العشوائية باحثين عن مكان يؤويهم. وهذا فإنه من الصعب على العديد من الحكومات تحديد حقوق ملكية الأرض. وقد حاول البنك الدولي الفصل بين عقود ملكية الأرض والتنمية الواقعية للبنية التحتية، ولكن ذلك يتسبب في مشاكل خاصة به. بعد كل ذلك فإن عدم المقدرة على تحديد الملكية، فمن المستبعد أن يدفع السكان فواتير خدمات البلدية التي تخصهم نتيجة ترقية العشوائية. والدول النامية قد تعجز مادياً عن توفير الخدمات البلدية مجاناً لفترة طويلة، نظراً لضخامة عدد سكان العشوائيات. وهذا يتسبب في مشكلة كبيرة عند محاولة رفع مستوى العشوائيات على أراضيها^(٣).

ومن أوجه انتقاد تحسين العشوائيات هي أن البنية التحتية تتطلب صيانة متواصلة وإلا خربت. ولما كان الكثير من الحكومات تعتمد الحد من تكاليف إصلاح العشوائيات عن طريق إنشاء بنية تحتية رديئة، فإن تكاليف الصيانة ستكون باهظة. وفي الواقع إن الأقلية (٤٧٪) من مشاريع البنك الدولي لتطوير الحضر تعتبر مشاريع مستدامة. وبهذا فبالنسبة للعديد من المشاريع، دفعة واحدة من التكاليف لا تكون كافية: أي أن مشاريع التحسين التزامات طويلة المدى، إلا إذا تمت على أساس قدرة استرداد التكاليف عن طريق دخل من إنشائها^(٤).

كذلك هناك صعوبة في حشد جهود مجتمع أو مجموعة لتقوم بالإصلاحات الحقيقية وسط مجتمع العشوائية. هذا لأن العشوائيات مناطق يتفشى فيها العنف والصراع بعيداً عن مسمع ومراى الحكومة. ولما كانت إسهامات المجتمع لها غاية الأهمية في مساعدة الناس القائمين بعملية ترقية

- (1) Angel, S. (1983). "Upgrading Slum Infrastructure: Divergent Objectives in Search of a Consensus". *Third World Planning Review*, Vol. 5, No. 1: 5-22.
- (2) Angel, S. (1983). "Upgrading Slum Infrastructure: Divergent Objectives in Search of a Consensus". *Third World Planning Review*, Vol. 5, No. 1: 5-22.
- (3) Angel, S. (1983). "Upgrading Slum Infrastructure: Divergent Objectives in Search of a Consensus". *Third World Planning Review*, Vol. 5, No. 1: 5-22.
- (4) Angel, S. (1983). "Upgrading Slum Infrastructure: Divergent Objectives in Search of a Consensus". *Third World Planning Review*, Vol. 5, No. 1: 5-22.

العشوائية، وذلك بإلقاء الضوء على قضايا المجتمع التي قد تعيق جهود العملية الإصلاحية. وفي الواقع إن عدم شراكة مجتمع العشوائية؛ سواء نتيجة غياب الجهد أو عدم المقدرة لدى الناس، يجعل من النهوض بالعشوائية أمرًا بالغ الصعوبة⁽¹⁾.

ولعل من أخطر مثالب الرقي بمستوى العشوائيات، التي تؤدي إلى إخفاقها أو عدم استدامتها:

- رغبة الحكومات في الدول النامية والاقتصادية الأقل تقدمًا في الاستفادة من العطايا والمنح الدولية المخصصة لإصلاح أحوال العشوائيات وإعادة تجديد المناطق الحضرية دون رغبة حقيقية في الإصلاح، ودون الاهتمام بمسألة العشوائيات، ولا تداعياتها على الاقتصاد ولا المجتمع؛ واستخدام المنح في رعاية العشوائيات بشكل صوري للوفاء بشروط المنحة، مع إنفاق الكم الأكبر في محاولة لتحريك الأحوال الاقتصادية الراكدة.
- استئانة الدول النامية من صندوق الدعم الدولي للقيام بالنهضة بمستوى العشوائيات بسعر فائدة عالية، وبشروط تحرير السوق، مما يزيد من أحوال ساكني العشوائيات سوءًا لارتفاع أسعار الأساسيات، فيجبر توصيل المياه ومد خطوط الكهرباء لسكان لا يجدون قوت يومهم فلا يحجمون عن تحطيمها والاتجار بالأسلاك والمواسير والمحولات، وإدخال الصرف الصحي الذي سينتهي بطفح المجاري، وتمهيد الطرقات التي يفترشونها، والتي سينتهي مصيرها إلى التخریب والتدمير. وفي نهاية الأمر تنتهي الدولة بأعباء ديون مثقلة بتكاليف الدين لا تقوى على سدادها وتدهور للعشوائيات، وزيادة في عددها وكثافتها.
- استعانة الدول النامية والأقل تقدمًا بخبراء أجنبى لوضع خطة للترقي بمستوى العشوائيات أو الاستعانة بشركات أجنبية للقيام بتنفيذ الخطة (قد يكون ذلك من شروط المنح الدولية)، فيتولى التخطيط والتنفيذ من يعوزهم الخبرة بطباع وثقافة وعادات وتقاليد الدولة المستجيرة بهم، ناهيك عن غفلتهم عن احتياجات سكان العشوائيات، وما يكفهم للرفع من مستواهم؛ وعن عدم درايتهم بمعيشة المقيمين بالعشوائيات، فأهل العشوائيات في أنحاء العالم ليسوا سواء، وإن كانوا في الفقر سواء.
- نظرًا لتدني القيمة الاقتصادية والاجتماعية للعشوائيات، فإن كل من يشترك في التخطيط والتصميم والتوريد والتنفيذ، سواء من القطاع العام أو الخاص، يتعاملون

(1) Werlin, Herbert. "The Slum Upgrading Myth." *Urban Studies* 36.9 (1999): 1523-534.

بدونية وامتنان فيمسكون عن بذل الجهد والجودة والمادة. هذا رغم أن متطلبات إصلاح العشوائيات أضخم بمراحل من النواحي الراقية أو المتوسطة، سواء من الجهد أو التصميم أو جودة المواد المستخدمة ومتانة المنشآت. هذا الإهمال هو من أسباب قيام العشوائيات في المقام الأول.

- توفير ما يراه سكان العشوائيات من كماليات وحرمانهم من أساسيات وضروريات حيوية.
- احتمال عرقلة أعمال الإصلاح وتخريب البنية التحتية فور إنشائها بإيعاز من أصحاب المصالح في إبقاء الحال على ما هو عليه، مثل أصحاب العقار والمباني، والجهات التي تفضل الإزالة أو إعادة الاستيطان لمنافع مادية، ... الخ.
- كثير من خطط ترقية العشوائيات تستهدف ستر ما يراه القائمون عليها أنه عوار في المدينة، وبهذا فعلية التحسين سريعة وسطحية، ولا تعود بفائدة محسوسة على سكان العشوائيات إلا القليل، وعادة ما تفشل أو يضيع تأثيرها على المدى القصير.

الإحلال التدريجي

الإحلال التدريجي هو بمثابة غزو منسق ومخطط للتخلص من العشوائية. تشارك في تنفيذ المخطط البلدية والقطاع العام إلى جانب القطاع الخاص، بهدف كسر الجدار العازل بين مجتمع المدينة ومجتمع العشوائية الرابضة في قلب المنطقة الحضرية، وتفكيك لحمة العلاقات غير الحميدة التي تنمو في العشوائيات نتيجة الفقر والافتقار إلى الكسب المشروع، وتحطيم ثقافة العشوائيات بما فيها من عادات وتقاليد وأعراف تتنافى مع ما عليه سائر المجتمع الحضري، والحد من ممارسات قد تصطدم مع قوانين الدولة أو اللوائح التنظيمية للمدينة. وتتلخص عملية الإحلال في قيام بعض رجال الأعمال أو البلدية أو جمعية خيرية بشراء قطعة أرض فسيحة في وسط العشوائية بثمن مغرٍ من ملاكها، وهدم ما عليها من منشآت سكنية أيا كانت لإقامة مبنى ضخم على طراز فخم؛ ويكون بمثابة جزيرة حديثة الطراز في لجج من الغناء. على أن يرتاد المبنى ويتردد عليه أطراف من مجتمع المدينة. ومن الممكن أن يكون المبنى الدخيل مجمعًا تجاريًا، أو مكاتب شركة كبيرة، أو قاعة مؤتمرات، أو ملعب كرة، أو ناديًا رياضيًا، أو منتدى فريق الكشافة، أو فرعًا للجامعة، أو تجمع تقني، أو مطعمًا متميزًا أو متحفًا أو مكتبة؛ ... الخ، أو أي مجموعة من تلك الاحتماليات. هذا على أن تصل هذا المبنى الدخيل على المنطقة جميع الخدمات البلدية الضرورية، ويمهد طريق الوصول إليه، وتقوم عليه فرق أمن إما من شرطة المدينة أو من حرس خاص له صلاحيات رجال الأمن.

ويفضل أن تقوم المؤسسة التي تشغل المبنى باستخدام عدد رمزي من سكان العشوائية، خاصة في الأعمال التي لا تتطلب مهارة حرفية مفتقدة في العشوائيات، أو تكون هناك فرصة متاحة للعناصر الطموحة من شباب العشوائيات التردد عليه.

وفي حالة بناء مسجد كبير فيه مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومحو الأمية، يلزم تعيين عاملين فيه من أهل المدينة، مع تشجيع أهل المدينة على التردد عليه، ودعوة سكان العشوائية بالتردد على المسجد وصحبة أطفالهم إليه، إلى جانب صلاة الجماعة فيه، حيث يلتقي أهل العشوائيات مع أهل المدينة.

هذا المبنى أو المجمع، بصرف النظر عن نوعيته، سيلعب دورًا كبيرًا في إصلاح حال العشوائية وتغيير هويتها، ثم اختفائها نهائيًا بصورة تدريجية وأسلوب سلس. وتتضمن مراحل التغيير:

• مبدئيًا سينزع سكان المكان الذي أنشئ عليه المبنى إلى داخل العشوائية، حيث يجدون لهم مأوى، ولكن مقابل إيجار مرتفع عما كانوا يدفعونه من قبل، نظرًا للضرورة وزيادة الازدحام.

• وجود مؤسسة حكومية وقوات أمن سيدفع بالسكان إلى الكف عن إيواء الخارجين عن القانون والمقيمين غير الشرعيين والذين سيلوذون بالهروب خارج العشوائية.

• سكان العشوائية ممن يقيمون عششهم وأكوأخهم على أرض مشاع أو بوضع اليد، سيدركون أن زحف العمران على العشوائية مع دعم سطوة القانون، أنهم سيكونون أول ضحايا ذلك الزحف لعدم مشروعية مآواهم، فسيبحثون لأنفسهم عن بديل آخر.

• أصحاب الملكيات سيتملكهم الجشع في أن يبيعوا عقاراتهم إلى رجال أعمال يحولونها إلى مباني خدمية حديثة، أو يقوم تجار العقارات بتحويل تلك الملكيات إلى مباني سكنية حديثة يجتذبون إليها العاملين في المبنى الدخيل. وبهذا يرتفع إيجار المطارح، ويقوم البعض بترميمها والسعي في توصيل الخدمات إليها، وفي كل الأحوال سيرتفع الإيجار إلى حد يستحيل معه على المقيمين في العشوائية دفعه.

• مع ارتفاع الإيجار وضيق ذات اليد إلى جانب عدم ضمان البقاء في مساكنهم سيلجؤون إلى البحث عن بدائل بعيدًا عن العشوائية.



شكل (٤٩) عملية إحلال على قناة مولين (Canale delle Moline) في بولونيا بإيطاليا.

نماذج الإحلال

عاصمة الولايات المتحدة

كان خليج القتل (Murder Bay) منطقة عشوائية ذات سمعة مشينة في واشنطن دي سي؛ عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية. والمنطقة محاطة بطريق كونستيتوشن شمال غرب (Constitution Avenue NW)، وطريق بنسلفانيا شمال غرب (Pennsylvania Avenue NW)؛ وهو الشارع الذي يقع عليه البيت الأبيض، وشارع (١٥) شمال غرب (15th Street NW)؛ وهي المنطقة المعروفة الآن بالمثلث الفدرالي (Federal Triangle). وكانت المنطقة مركز الجريمة، حيث سكنت الطبقة الدنيا من المجرمين، وحيث تدار الدعارة في عدة بيوت للدعارة^{(١)٠(٢)}.

ففي ستينيات القرن التاسع عشر، كان غالبية موقع طريق بنسلفانيا القومي التاريخي (Pennsylvania Avenue National Historic Site) جنوب طريق بنسلفانيا قد تحول إلى عشوائية

-
- (1) "Ariel Rios Building, Washington, D.C.". (General Services Administration official site).
 - (2) Kirk Savage, *Monument Wars: Washington, D.C., the National Mall, and the Transformation of the Memorial Landscape*, 2009, p. 100-101; Gutheim and Lee, p. 73; Lowry, p. 61-65; Evelyn, Dickson, and Ackerman, p. 63-64. University of California Press.

عرفت بخليج القتل، بيت الطبقة الدنيا المكثفة من المجرمين والعديد من بيوت الدعارة^(١). وقد اتخذت العاهرات خليج القتل مقراً لها لخدمة جيش الجنرال جوزف هووكر (General Joseph Hooker) خلال الحرب الأهلية الأمريكية وسميت المنطقة "قسم هووكر" (Hooker's Division)^(٢).

والكتلتان على شكل شبه منحرف يحصران طريق بنسلفانيا وطريق ميسوري (موقع المعرض القومي للفنون (National Gallery of Art) الآن) أصبح موطن دور دعارة مرتفعة الأسعار ومن هنا اكتسب كنية زقاق الرخام (Marble Alley)^(٣). وفي سبعينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر، كان الموقع محل منافسة ملموسة بين شركات حافلات الطريق التي يجرها الحصان والكارتة^(٤).

وكان هناك بيت يعرف برأس الثور (Bull's Head) خلف فندق تحول إلى مطعم أولد إبييت جريل (Old Ebbitt Grill) يقطنه عاهرات، ويضم صالة كبيرة للقممارتها الطبقة الدنيا، على الركن الشمال الجنوبي من خليج القتل^(٥).

وفي (٢٥) مارس (١٩٦٥)، أصدر الرئيس ليندن جونسون مرسوماً رئاسياً بتأسيس المفوضية المؤقتة لطريق بنسلفانيا (Temporary Commission on Pennsylvania Avenue)^(٦). وتم تطهير المنطقة، وأصبحت جزءاً من موقع طريق بنسلفانيا القومي التاريخي؛ خاصة المنطقة المعروفة بالمثلث الفدرالي.

وما زالت هناك عشوائيات خلف البيت الأبيض، وهي مسرح لجرائم القتل وعصابات الأمريكيين الأفارقة، وللتخفيف من حدة الجرائم خلال وضج النهار أنشئ ملعب ضخّم للقوات العسكرية ومبنى لإحدى مكاتب وزارة التعليم.

- (1) Frederick Gutheim and Antoinette J. Lee, *Worthy of the Nation: Washington, DC, From L'Enfant to the National Capital Planning Commission*, 2006, Johns Hopkins University Press p. 73.
- (2) Thomas P. Lowry, *The Story the Soldiers Wouldn't Tell: Sex in the Civil War*, Stackpole Books 1994, p. 61-65.
- (3) Paul Dickson, and Douglas Evelyn, *On This Spot: Pinpointing the Past in Washington, D.C.*, Capital Books; 2008, p. 63-64.
- (4) William Tindall, *Standard History of the City of Washington from a Study of the Original Sources*, 1914, Kessinger Publishing, LLC (October 1, 2008) p. 421-422.
- (5) "Story of Murder Bay." *Washington Post*. July 8, 1888.
- (6) Asher, "President Sets Up New Avenue Unit," *Washington Post*, March 26, 1965.

مدينة ديترويت

مدينة ديترويت عاصمة صناعة السيارات الأمريكية مرت بدورة من الكساد والرخاء وفق الأحوال الاقتصادية لشركات صناعة السيارات، صاحب تلك الدورة عمليات إحلال وإحلال معاكس (تدهور) في الحضر. ففي وقت الكساد تنخفض قيمة العقارات في الأحياء التي يعيش فيها العمال حيث يشرع السكان بيع منازلهم بأثمان بخسة أو تعيد البنوك تملكها لعجز سكانها عن سداد أقساطها، فتقوم شركات العقار بشرائها وبيعها لملأ ليلية وتجار المخدرات وترك بعضها مهجوراً لتحتله العصابات الإجرامية، مما يرغم الطبقة المتوسطة على الرحيل إلى أماكن آمنة، وتتحوّل تلك الأحياء إلى عشوائيات تنتشر فيها الجريمة والدعارة وأوكار بيع المخدرات. وسرعان ما تعود شركات العقارات إلى الأحياء المهجورة في فترات الرخاء وتنتشئ فيها مناطق راقية أو متوسطة، مما يستدعي تشديد القبضة الأمنية على المنطقة، وتصنيف الحي كمنطقة منازل عائلية فيعلق ترخيص الملاهي الليلية ويهرب المجرمون وتجار المخدرات وواضعو اليد على البيوت الخربة.

جبل اللويبة

رؤاد الأعمال الواعون ثقافياً، مثل مؤسسي مقهى "رومي"، حوّلوا جبل اللويبة بسلطنة عمان إلى أحد أحياء عمّان الأكثر شهرة. لكن نجاحهم قد يؤدي إلى تغييرات غير مرحّب بها. إذ إنها ستغير التركيبة السكانية للمنطقة^(١).

نيو أورلينز

منطقة المستودعات والمخازن التي تقع على أطراف منطقة الأعمال في مدينة نيو أورلينز بولاية لويزيانا، كانت تستخدم في تخزين البضائع المستوردة التي تنقلها السفن عن طريق نهر الميسيسيبي، لكن ذلك النشاط تباطأ وهجرت غالبية تلك المخازن، وتحولت إلى ملاجئ لمن لا مأوى لهم، وإلى عشوائية تتمدد إلى المجمعات السكنية المجاورة لها التي فر منها سكانها لانخفاض قيمة المباني وتخوفهم من المباني المهجورة من حولهم. هذا بينما ضاق الخناق على منطقة الأعمال، مما رفع من قيمة الأرض التي تشغلها المخازن المهجورة، والتي تدهورت من الإهمال. وبناءً على ذلك قامت المدينة بالاستيلاء على قطعة كبيرة من أراضي المخازن لتستضيف المعرض العالمي. وعقب انتهاء المعرض أنشأت مركز مؤتمرات ضخماً. ولم يمض وقت طويل حتى سارع أصحاب أراضي المخازن إلى بيعها إلى شركات تعمير فهدمتها وأحلت محلها تجمعات سكنية ومباني مكاتب الشركات وفنادق، كانت المدينة في

(١) جوزيان سميث Josiane Smith كيف حوّل رؤاد الأعمال أحد أقدم أحياء عمّان إلى أنجحها؟ ومضة، ٢٨ مارس ٢٠١٦.

حاجة إليها. وتحولت إلى منطقة راقية يتسابق الناس على السكنى فيها، وتلاشت العشوائيات التي كانت تشوه تلك المنطقة السياحية على شاطئ النهر.

لوس أنجلس

وسط مدينة لوس أنجلس بولاية كاليفورنيا كان مكتظا بالمباني الآيلة للسقوط والخرائب التي لجأ إليها المشردون وتجار المخدرات والعصابات الإجرامية والخمارات؛ وأصبحت من الأماكن الخطرة التي يحذر الزوار من دخولها، وتفاقم الأمر حتى فرت منها المتاجر والفنادق، فيما عدا حوانيت الخمور والفنادق المتهالكة التي تستخدمها العاهرات. ولكن رجال الأعمال بدؤوا في إنشاء عمارات وأبراج سكنية ضخمة مجهزة بمرافق داخلية للسيارات ومحصنة بحراسة للأبواب. أقبل العاملون في الشركات والمؤسسات القريبة من قلب المدينة على استئجار تلك المساكن إقبالا شديداً. هذه الخطوة أعادت الحياة الآمنة إلى قلب المدينة، ولم يتبق إلا آثار بسيطة للعشوائيات التي تتلاشى بسرعة.

المغرب

مع تعثر السياسات الموجهة للأحياء الصفيحية الكبرى لجأت الدولة إلى سياسة إعادة إسكان قاطني دور الصفيح. وهكذا تم منح هؤلاء السكان بقع أرضية مجهزة مقابل أثمان مدعمة من طرف الدولة على أن يتحمل المستفيدون أثمان البناء بدون أي دعم ولا أية مساعدات للحصول على قروض بنكية. وقد تم تمويل البرنامج في البداية من طرف الميزانية العامة للدولة، وسهرت على تنفيذه المصالح الخارجية للوزارة المكلفة بالقطاع، ثم تم تكوين مؤسسات عمومية خاصة متمثلة في الوكالة الوطنية لمحاربة السكن غير اللائق والشركة الوطنية للتجيز والبناء التي كلفت بتنفيذ البرامج لصالح المصالح الخارجية للوزارة. وقد ساعدت هذه الآلية تعويض نقص الموارد المالية، لكنها لم تمكن رغم ذلك من القضاء على ظاهرة العشوائيات⁽¹⁾.

وابتداءً من التسعينيات لجأت الدولة إلى مجموعة من البرامج بالشراكة مع القطاع الخاص مع اقتصار تدخل القطاع العام في محاربة السكن الصفيحي والسكن غير القانوني؛ حيث استفاد المنعشون العقاريون من مجموعة من الامتيازات:

- تخفيض نسبة الأرباح على القروض.

(1) Le droit au développement au Maroc. Entre Pacte International relatif aux Droits Economiques, Sociaux et Culturels et Objectifs du Millénaire pour le Développement ». CCDH - PNUD, juillet 2010.

- تسهيلات ضريبية.
- التنازل عن أراضي الدولة لفائدة المنعش العقاري في القطاع العام والخاص بأثمنة منخفضة.
- تسهيلات للحصول على رخص البناء.

برنامج ٢٠٠ ألف سكن

تم اعتماده ابتداء من سنة (١٩٩٥) والذي كان الهدف منه هو توفير السكن للشرائح ذات الدخل المحدود (أقل من ٣٦٠٠ درهم/الشهر) الذين لا يمكنهم الاستفادة من البرامج الخاصة بالسكن الصفيحي أو غير القانوني. ولا يتعدى ثمن المسكن (٢٠) ألف درهم لمساحة أقل من (١٠٠) م^٢ ولقد تم تسجيل مجموعة من السلبيات، من بينها نقص في الخدمات الأساسية في الأحياء الجديدة كالمدارس والمرافق الصحية ووسائل النقل، بالإضافة إلى نقص في جودة البناء. كما أن البرنامج ركز على المدن الكبرى وغيب المدن الصغرى والقرى، وركز على الشرائح الاجتماعية المتوسطة وعلى المقاولات الكبرى.

برنامج محاربة السكن غير اللائق

الهدف من البرنامج الخاص لمحاربة السكن غير اللائق هو إنجاز ١٠٠ ألف وحدة سكنية لفائدة ذوي الدخل المحدود (أقل من ١,٥ من الحد الأدنى للأجر).

برنامج مدن بدون صفيح

يهدف هذا البرنامج إلى القضاء على السكن الصفيحي في أفق سنة (٢٠١٢) وبهم (٣٢٦) ألف أسرة موزعة على (٨٥) مدينة، وذلك غايته نهاية ٢٠١٠ استفادت (١٦٤٧٠٠) أسرة من هذا البرنامج، أي ما يعادل (١٩,٣٪) من مجموع السكان المعنين، كما تم إعلان (٤٢) مدينة بدون صفيح^(١).

إلا أن هذا البرنامج اصطدم بمجموعة من المعوقات، أهمها:

- صعوبة الحصول على العقار في بعض الأحيان.
- العسر المادي لكثير من سكان الصفيح.

(١) حكومة المملكة المغربية (٢٠١١). البرنامج الوطني: مدن بدون صفيح. حصيلة تنفيذ البرنامج إلى غاية نهائية، (٢٠١٠). وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية. المملكة المغربية.

- عدم صلاحية المساكن أو المجالات التي تم ترحيل السكان إليها.
- نقص التجهيزات في مجالات الاستقبال.
- عدم التزام بعض الفرقاء المحليين.
- نقص الرعاية الاجتماعية للأسر.
- مشكلة ضبط أعداد سكان الصفيح.

الاستطباق

الإحلال هنا يضاوي إلى حد ما ما يسمى بالسرّاوة أو الاستطباق في المناطق الحضرية، وهو إحلال الطبقة المتوسطة من المجتمع بطبقة أرقى منها نتيجة لزيادة القيمة الإيجارية للوحدات السكنية بسبب ما طرأ على المناطق الحضرية من مشروعات التحسين والتطوير الحضري، بالإضافة إلى الحالات الفردية من المستأجرين أصحاب المهن الإبداعية والابتكارية متزامنة مع اصطحاب أصحاب رؤوس الأموال للاستثمار في مجال الخدمات الترفيهية والترفيهية، مثل المطاعم والنوادي والمقاهي جاذبة المزيد من الاستثمارات، مما يستدعي السكان الأصليين إلى الرحيل عن المنطقة لعدم قدرتهم على تحمل تكاليف المعيشة ودفع الإيجارات بعد ما طرأ على المنطقة من تغيير.

والاستطباق هو عملية تجديد وإحياء الأحياء الحضرية المتدهورة عن طريق تدفق سكان أكثر يسراً، وهناك من يعرف الاستطباق على أنه تحويل منطقة الطبقة العاملة أو المهجورة وسط المدينة إلى منطقة سكنية للطبقة المتوسطة أو إلى منطقة تجارية^(١). وهذه العملية شائعة، وهي موضوع خلافي في السياسة وتخطيط المناطق الحضرية. وعديد من مجتمعات الاجتماعية العلمية أبرزت الدلالات السلبية لتلك العملية. ومثال واحد لذلك بأن عملية الاستطباق لا محالة ستؤدي إلى إزاحة بسيطة للعائلات المتواضعة الدخل في النواحي التي تجري فيها عملية الاستطباق؛ غير أن كل ناحية تواجه

(1) Lees, Loretta, Tom Slater, and Elvin K. Wyly. *Gentrification*. New York: Routledge/Taylor & Francis Group, 2008.

تحديات فريدة وأسباب مختلفة للإزاحة (١). (٢). (٣). (٤). (٥). (٦).



شكل (٥٠) تجديد وتحسين في حي بدفورد-سلوفيسانت (Bedford-Stuyvesant) في مدينة نيويورك، تقليدياً أكبر حي لمجتمع أفارقة أمريكيين في الولايات المتحدة يقوم به فنانون وبوهيميون.

وعادة ما تجرى عملية الاستطباق نتيجة الاهتمام المتزايد ببيئة معينة. وقديماً كان القائمون على عملية الاستطباق من مجتمعات بوهيمية أو متدنية الدخل التي تسعى إلى إضافة جاذبية أو إقبال على منطقة بعينها. ولكن خطوات أبعد تزيد من استثمار أعمال تنمية بيع العقارات في المجتمع والبنية التحتية له؛ وكذلك استثمارات الحكومة المحلية ونشطاء المجتمع، مما يؤدي إلى تنمية اقتصادية، وزيادة اجتذاب الأعمال والحد من معدل الجرائم. هذا بالإضافة إلى الفوائد المحتملة من أن يؤدي إلى هجرة السكان.

- (1) Freeman, L. (2005). Displacement or Succession? Residential Mobility in Gentrifying Neighborhoods. *Urban Affairs Review*, 40(4), 463-491.
- (2) Jacob L. Vigdor; Douglas S. Massey; Alice M. Rivlin (2002). "Does Gentrification Harm the Poor? [with Comments]". Brookings-Wharton Papers on Urban Affairs. Brookings Institution Press. pp. 133-182.
- (3) Lance Freeman & Frank Braconi (2004) Gentrification and Displacement New York City in the 1990s, *Journal of the American Planning Association*.
- (4) Buntin, John (2015-01-14). "The gentrification myth: It's rare and not as bad for the poor as people think". Slate.com.
- (5) Richard Florida (2015-09-08). "The Complex Relationship Between Gentrification and Displacement". CityLab.com.
- (6) Janelle Vandergrift. "Gentrification and Displacement". Calvin.edu.

مناقبة الإحلال

مميزات

من أهم مميزات الإحلال هو كسر الحواجز الثقافية والاجتماعية بين مجتمع الحضر ومجتمع العشوائيات بما يفيد الجانبين، حيث يقلل من حدة الكراهية والحقد من مجتمع العشوائيات تجاه مجتمع المدينة؛ إذ يلومونه على ما هم فيه من الضنك وضيق ذات اليد، ويغبطونهم على ما هم عليه من فسحة في العيش. وقد يحفز ذلك أهل العشوائيات على التطلع إلى إصلاح أحوالهم والسعي إلى الارتقاء بمعيشتهم ومستقبل الأجيال الناشئة. كما يستفيد المجتمع خارج أسوار العشوائية الاصطناعية بالتعرف على وضع سكان العشوائيات بصورة غير مباشرة، والتعامل معهم كشركاء في المجتمع دون النظرة الدونية لهم، والتخفيف من المعتقدات المبالغ فيها عن سكان العشوائيات، والتخفيف من حدة تعصب كل جهة لسكانها.

والميزة الثانية هي أن بناء نموذج حضاري مجسد في قلب العشوائية، يشكل حافزاً لشباب العشوائيات للتأسي برواد ذلك النموذج، كبديل لاتخاذ بلطجية أو شبيحة العشوائية أو فتواتها مثلاً يقتدى به. كما أن وجود النموذج المجسد سيحفز الآباء على توجيه أبنائهم للتعليم والحرفية ليعيشوا حياة أفضل.

كما أن وجود المبني الدخيل سيوفر بعض الأعمال لأهل العشوائيات فتعينهم على رفع مستواهم المعيشي. كذلك فإن تشديد الأمن على المنشأة الدخيلة والحركة الدؤوبة فيها وإلها سيخففان من معدل الجريمة في العشوائية. ثم إن تدريجية عملية الإحلال تتيح لأهل العشوائية فسحة من الوقت لإيجاد مكان بديل لإيواءهم بما يلائم قدراتهم.

مثالب

لعل أخطر السلبيات لاستراتيجية الإحلال هو عمليات التخريب التي ستلحق بالمبنى أو المجمع أثناء إنشائه وخلال فترة غياب رواده، وهذا طبيعي، حيث إن القائمين بالتخريب ليس من الضرورة أن يكونوا مجرمين أو متعمدين الخروج على القانون، فدوافعهم ناجمة عن الشعور بعدم الانتماء، وأنه جسم غريب غزا مجال نشاطهم. وقد يتطور الأمر بالتحرش بالعاملين في المبني أو التعدي على ممتلكاتهم، مثل سياراتهم. وقد يلجأ أهل العشوائية الذين كانوا يعيشون في المكان الذي أنشئ فيه المبني وأخلوا من مأواهم الانتقام ممن حلوا محلهم.

من المثالب أيضًا أن التخلص من العشوائية عملية تدريجية قد تقتضي سنين طويلة، وصبرًا ومثابرة، إلا إذا تعجل رجال الأعمال بالاستثمار في إنشاء مجمعات أكثر في وقت قصير، بحيث تزحف المنشآت الجديدة وتبتلع العشوائية في ضربات متلاحقة لا تستغرق وقتًا طويلًا.

مقارنة الإيجابيات والسلبيات

يلخص جدول (٢) إيجابيات وسلبيات استراتيجية الإحلال في القضاء على العشوائيات، وكذلك الاستطباق^{(١)(٢)}.

جدول (٢) سلبيات وإيجابيات استراتيجية الإحلال.

سلبيات	إيجابيات
إزاحة نتيجة زيادة في الإيجارات والتمن	حوافز عالية لملاك العقارات لزيادة وإصلاح المباني السكنية
فقدان المساكن ذات الأسعار المعقولة	خفض معدل الجرائم
الزوح التجاري / الصناعي	استقرار المناطق المتدهورة
أسعار العقارات غير المستدامة	زيادة قيمة الملكيات
ضغوط الطلب على السكن والمساكن على المناطق الفقيرة المحيطة	زيادة القوة الشرائية للمستهلكين في الشركات المحلية
استياء المجتمع والصراعات الاجتماعية	انخفاض معدلات الشواغر
التشرد	زيادة الإيرادات المالية المحلية
التكاليف النفسية الثانوية للزوح	تشجيع وزيادة تطوير المزيد من التطوير
زيادة التكاليف والرسوم على الخدمات المحلية	انخفاض الضغط على البنية التحتية والخدمات المحلية
فقدان التنوع الاجتماعي (من مجتمع متباين اجتماعيًا إلى جيتوس غنية)	زيادة المزيج الاجتماعي
انخفاض معدلات إشغال المساكن وانتقال السكان إلى مناطق الاستطباق	عادة تأهيل الممتلكات مع وبدون رعاية الدولة

- (1) Loretta Lees, Tom Slater, and Elvin Wyly, *Gentrification Reader*, p. 196. 2008 Routledge.
- (2) Rowland Atkinson and Gary Bridge, eds., *Gentrification in a Global Context: the New Urban Colonialism*, p. 5. 2005 Routledge.

اقتران المساكن الشعبية (العامة) والبنية التحتية

من أحد أسباب تكوين العشوائيات زيادة الكثافة السكانية حول أماكن العمل نتيجة عدم وجود وسائل المواصلات التي يعتمد عليها، والتي هي في متناول الجميع ماليًا. وعندما توصلت تلك الأعمال أبوابها نتيجة إفلاس أو انتقال إلى مكان آخر أو يقل الطلب على الأيدي العاملة، يظل الناس يعيشون في البيئة التي ألفوها على أمل أن تنفجر الأزمة وتعود الأمور إلى ما كانت عليه أو تنفتح فرص عمل جديدة في نفس الموقع. وعادة ما يتقاعس المقيمون في تلك الأماكن عن البحث عن العمل في أماكن أخرى، نتيجة تكاليف الانتقال والوصول إلى أماكن عمل في نواحٍ أخرى من المدينة، وخوفاً من التضيحية بمساكنهم سعيًا وراء فرص عمل، وعدم التوفيق في الحصول على عمل آخر في مكان ناء عن مساكنهم. وفي واقع الأمر، إن العشوائيات هي مخلفات الأعمال التي جلت عن المنطقة مثلها كمثل مخلفات الحرب التي تبقى على الأرض وتزداد سوءًا بمرور الوقت لسنين عديدة بعد توقف الحرب. ولعل العلاج الأمثل في تلك الحالة هو حلحلة الموقف المتبلد والمساعدة على إنعاش ديناميكية المجتمع عن طريق إتاحة وسائل التنقل وانتشارها وحل أزمات الإسكان.

لهذا فإن البنية التحتية الحضرية، مثل وسائل النقل الجماعية عالية السرعة، وطرق السيارات السريعة والعادية، ومشاريع المساكن العامة، هي من أسباب اختفاء غالبية العشوائيات في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي^{(١) (٢)}. وقد تقدم تشارلز بيرسون (Charles Pearson) لبرلمان المملكة المتحدة بمقترح مفاده أن المواصلات الجماعية ستمكن لندن من خفض كمية العشوائيات ونقل ساكنيها وإعادة استيطانهم. وقد رفض المقترح في البداية لعدم توفر الأرض لبناء مساكن شعبية ولأسباب أخرى، ولكن بيرسون وآخرون ثابروا وطرحوا مقترحات مبتكرة، مثل بناء وسيلة مواصلات جماعية تحت الطرق التي تستخدم في ذلك الوقت والتي تملكها المدينة. ومن هنا، ولد أندرجراوند (تحت الأرض) في لندن

- (1) Daniel Lewis and Fred Williams (1999). *Policy and Planning as Public Choice Mass Transit in the United States*, Federal Transport Agency, DOT, US Government, Ashgate.
- (2) Lessinger, J (1962). "The Case for scatteration: Some reflections on the national capital region plan for the year 2000". *Journal of the American Institute of Planners*. 28 (3): 159–169.

(London Underground)، وكان للتوسع فيه الفضل في خفض عدد العشوائيات في المدينة^(١)؛ وإلى حد ما التوسع المتواضع الطريق السفلي "سبواي" مدينة نيويورك (New York City Subway)^(٢).

بتوسع المدن وتبعثر حدائق ومراكز الأعمال، بالإضافة إلى عدم فعالية تكاليف الإقامة في المدن، انتقل العاملون في المدن ليعيشوا في الضواحي، وبالتالي انتقلت أعمال البيع بالتجزئة واللوجستيات وصيانة المنازل وأعمال أخرى في أعقاب مواقع الطلب عليها. وقامت حكومات المدينة باستخدام استثمارات البنية التحتية والتخطيط العمراني لتوزيع الأشغال والبيوت والمناطق الخضراء، وحوانيت التجزئة والمدارس والكثافة السكانية. وساعدت وسائل النقل الجماعية العامة التي هي في طوق عامة الناس في مدن مثل نيويورك ولندن وباريس في تمكين الفقير من الوصول إلى مناطق يمكن له كسب العيش فيها. وقامت مشاريع الإسكان العامة والتابعة لمجلس المدينة بإزالة العشوائيات، حيث زودت سكانها بالمزيد من خيارات المساكن الصحية الأفضل مما كانت عليه قبل خمسينيات القرن العشرين^(٣).

وأصبح الخلاص من العشوائيات على رأس سياسة الأولويات في أوروبا بين الخمسينيات والسبعينيات من القرن الماضي وواحد من أضخم البرامج التي تقودها الحكومات. ففي المملكة المتحدة، كان مجهود إزالة العشوائيات أكبر في الحجم من إنشاء السكك الحديدية البريطانية وخدمات الصحة الوطنية وغيرها من البرامج الحكومية. وتعكس بيانات حكومة المملكة المتحدة الإزالات التي تمت في أعقاب (١٩٥٥) بحوالي (١,٥) مليون ملكية عشوائية، مع إعادة توطين (١٥٪) من تعداد سكان المملكة المتحدة من تلك الملكيات^(٤). وبالمثل، وبعد (١٩٥٠)، اتبعت الدنمارك وغيرها مبادرات موازية لإزالة العشوائيات وإعادة توطين نازليها^(٥).

بالإضافة إلى ذلك قامت حكومات الولايات المتحدة وأوروبا بوضع منهجية يمكن من خلالها للفقراء تقديم طلبات إلى الحكومة مباشرة للمساعدات الإسكانية، وبهذا كونا شراكة في تحديد

- (1) *Public transport in Victorian London: Part Two: Underground*. London Transport Museum (2010).
- (2) nycsubway.org—*Historic American Engineering Record: Clifton Hood, IRT and New York City, Subway*.
- (3) Sam Roberts (2005). Before Public Housing, a City Life Cleared Away. *New York Times* (May 8).
- (4) Becky Tunstall and Stuart Lowe (2012). *The impact of post-war slum clearance in the UK*. Social Policy and Social Work, The University of York (November 2012).
- (5) Kristian Buhl Thomsen (2012). Modernism and Urban Renewal in Denmark 1939–1983, Aarhus University, 11th Conference on Urban History, EAUH, Prague.

الاحتياجات السكنية لمواطنيها والإيفاء بها^(١)، وواحدة من الطرق الفعالة تاريخياً للحد من العشوائيات ومنع إنشائها كان إنشاء البنية التحتية للمدن إلى جانب مشاريع النقل الجماعي العام الذي يمكن الاعتماد عليه، والذي هو في مقدور كل مواطن إلى جانب توفير الإسكان العام^(٢).

وفي البرازيل قامت الحكومة في (٢٠١٤) ببناء (٢) مليون مسكناً وشرعت في بناء (٢) مليون مسكن إضافي في أنحاء الدولة للعائلات محدودة الدخل. وسمي برنامج الإسكان العام "منها كاسا، منها فيدا" أي "بيتي، حياتي".



شكل (٥١) مشاريع الإسكان في باهيا، البرازيل.

إعادة استيطان العشوائيات باسم تطوير الحضرة لاقى انتقادات لاقتلاع مجتمعات دون تشاور معها أو اعتبارات لأماكن اكتسابها للرزق. على سبيل المثال، مشروع شاطئ نهر سابارماتي (Sabarmati Riverfront)، وهي منطقة ترفيهية في أحمدأباد بالهند، تم إعادة توطين (١٩,٠٠٠) عائلة من أكشاك على طول النهر إلى (١٣) مجمعاً سكنياً شعبياً، كانت على بعد (٩) كيلومتر عن المساكن الأصلية للعائلة^(٤).

(1) Inter-war Slum Clearance The History of Council Housing; UK.

(2) A New Urban Vision UK's History of Council Housing (2008).

(3) Rogers, D. (2013). Can infrastructure prevent a planet of slums?. Construction Research and Innovation, 4(2), 30–33.

(4) Mathur, Navdeep (December 1, 2012). "On the Sabarmati Riverfront: Urban Planning as Totalitarian Governance in Ahmedabad". *Economic and Political Weekly*. XLVII (47 & 48).

سكان الأزقة في عاصمة الولايات المتحدة

سهولة التنقل

ومع التوسع في صناعة السيارات في عشرينيات القرن العشرين أصبح الانتقال من العمل إلى البيت والعكس متاحًا وميسورًا، فحاول مروجو الإسكان القضاء على عشوائيات واشنطن في الأزقة الخلفية، خاصة وأن الطلب على الأراضي في وسط المدينة ازداد من جانب قطاع الأعمال. أما السكان المقتدرون، خاصة العاملون في الحكومة والشركات الواقعة في العاصمة، فهاجروا أفواجًا إلى ضواحي المدينة في ولايات فيرجينيا وميريلاند. أما الأفارقة الأمريكيون واللاتينيون وسكان الأزقة من الفقراء فلم يكن هناك ما يدفعهم للتخلي عن مأويهم في المدينة، ولم يكن بوسعهم شراء سيارات خاصة. وارتأى المدافعون عن إسكان البيض أن التوسع في الأعمال أفضل في استخدام الأرض من مجتمعات الأزقة، لأنهم اعتقدوا بأن الأزقة غير نظيفة وتولد الفجور^(١).

وحتى عندما أنشئ مترو الأنفاق لاحقًا كوسيلة نقل جماعية سريعة ومتيسرة ومنخفضة التكاليف، فقد صمم وأدير لنقل العاملين في المصالح الحكومية ومؤسسات الأعمال في العاصمة من الضواحي إلى أعمالهم أو قضاء مصالحهم. وشجع ذلك على هجرة السكان البيض إلى الضواحي الجديدة، مما جعل المدينة حكرًا على العاطلين عن العمل والفقراء، بعد فترات الدوام في الأعمال الحكومية وما يتعلق بها من منشآت. فأُست شوارع العاصمة الرئيسة خطرة على زوارها.

ولقد أدرك المصلحون المشاكل الممكن وقوعها من جراء إخلاء سكان المدينة من السود الفقراء من بيوتهم في الأزقة. ولكنهم أكدوا أنه لم يعد هناك أزمة مساكن، ومن الممكن إعادة استيطان سكان الأزقة. وكانت حجتهم في ذلك أن إزاحة السكان السود من وسط المدينة سوف يحسن من طبيعة الناس الذين انتقلوا إلى خارج المدينة، ويفتح الملكيات في قلب المدينة للعاملين في الحكومة الفيدرالية للانتقال قرب أعمالهم. وسرعان ما حصل أولئك المصلحون على دعم الكونجرس الذي أصدر تشريعات جديدة تكونت على إثرها سلطة إسكان الأزقة (Alley Dwelling Authority) في دي سي عام (١٩٣٤)؛ ومنحها صلاحيات واسعة للحكم على بيوت الأزقة بأنها ليست صالحة للسكن ويجب هدمها. لكن التوسع السريع في الحكومة خلال "الصفقة الجديدة" لحل تداعيات الكساد الأكبر والحرب العالمية الثانية، أدت إلى ارتفاع أسعار المساكن، وأدت إلى ضغوط شديدة على المساكن. وبهذا فإن الحراك الداعي لإزالة مساكن الأزقة؛ على الرغم مما تلقاه من ترحيب سلطة إسكان الأزقة في

(1) Howard Gillette, Jr., *Between Justice and Beauty: Race, Planning, and the Failure of Urban Policy in Washington, D.C.* (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1995).

واشنطن دي سي، ضحى بفكرة البيوت التي في متناول اليد لصالح التوسع في مباني الأعمال والحكومة في وسط المدينة.

ولقد ثبت أن دعوى وفرة المساكن التي هي في قدرة الجميع دعوة زائفة خلال نمو الحكومة في ظل الصفقة الكبرى التي أسهمت في أزمة الإسكان في المدينة، وفي سعي واشنطن لإنعاش الحضر، مما رفع من مستوى الصراع العنصري في المدينة؛ فبينما كان مصلحو إسكان البيض يدفعون حركة تطوير وإنعاش وسط المدينة، كان قاطنو الأزقة السود يقاومون من أجل مكافحة التجريد من الملكية والطرد من المنازل المؤجرة لهم.

مناقب اقتران المساكن الشعبية والبنية التحتية

المزايا

المساكن الشعبية

المساكن الشعبية حل سريع لإجلاء سكان العشوائيات خارج قلب المدن، حيث إن المساكن في مقدور الفقراء، سواء كانت مدعومة من الحكومة المركزية أو غير مدعومة. على أقل تقدير إن إيجار تلك المساكن أقل بكثير من إيجارات المساكن في المدينة، مما يتيح الفرصة لبحوحة في المعيشة.

كما أن المساكن الشعبية مصممة كمبانٍ سكنية ضخمة على طراز واحد يوفر حاجات السكان من المأوى وفق تعداد العائلة، بينما يمكن الاستفادة من كل شبر من مساحة الأرض؛ بالإضافة إلى أن سعر الأراضي خارج حدود المدينة أو على أطرافها أقل بكثير من سعر الأراضي في المدينة.

ومن الممكن للقطاع الخاص تشييد المباني السكنية العامة كاستثمار ربحي دون دعم من الحكومة أو بلدية المدينة، إذا ما توفرت الخدمات البلدية من توصيل المياه والكهرباء والصرف الصحي وشق الطرقات وجمع القمامة.

ومن مميزات المساكن العامة أنها تؤدي إلى تكوين مجتمع متجانس في مستوى المعيشة، مما يقلل من حدة الصراع بين الطبقات. كما أن الشعور بالأمن من التهديد بالإخلاء أو هدم المسكن يعطي السكان دوافع لحماية مجتمعهم من المنحرفين والمخربين.

والفائدة التي تعود على المدينة من بناء مساكن عامة هو إضفاء نواحٍ جمالية على أنحاء المدينة، والحفاظ على رونقها وأمن المقيمين فيها، وكذلك أمن زوارها. كما أن إزالة العشوائيات من

قلب المدينة يشجع المستثمرين ورجال الأعمال على إعادة وتجديد تخطيطها العمراني دون عوائق، ويرفع من قيمة ممتلكاتها، ويعوق تحول الأحياء القديمة إلى عشوائيات.

البنية التحتية

إن توصيل الخدمات البلدية، من المياه، والكهرباء، والصرف الصحي، وشق الطرقات في أرض شاغرة، هو عملية سهلة وغير مكلفة ويسهل التخطيط لها وفق الحاجة والتعداد السكاني، مقارنة بمحاولة تجديد أو تحسين الخدمات في منطقة مزدحمة بالمباني وأهلة بالسكان.

كما أن توفير المواصلات الجماعية بأسعار متهاودة في مقدور الجميع، خاصة قاطني المساكن العامة، فهو يمكن سكان المساكن العامة من التواصل مع المدينة للعمل أو سعيًا وراء مصالحهم من الخدمات الاجتماعية والخدمات العامة.

المثالب

المساكن الشعبية

ثقافة العشوائيات

إن نقل سكان العشوائيات في الحضر من المدينة إلى مساكن شعبية على أطراف المدينة، يصحبه نقل ثقافة العشوائيات بما فيها مما اعتاد عليه سكان العشوائيات من نسق حياة وجُبلوا عليه من تقاليد وعادات إلى المساكن الجديدة، مما يشكل خطر تكوين عشوائيات جديدة وبسرعة فائقة على أطراف المدينة، مما يشكل خطرًا على المدينة ذاتها. فالمسألة لا تقتصر على حادثة المباني والطرق ولا على إزالة العشوائية، ولكنها تتطلب الخلاص من ثقافة العشوائيات، وإخراج سكان العشوائيات في موطنهم الجديد عما كان مألوفًا لديهم في العشوائيات التي أخلوها. بل إن البعض منهم الذي كان يلتحف العراء وينام في الطرقات قد يظل على حاله فيملأ الغرف بأغراض المعيشة، وينام على الدرج أو على أعتاب مسكنه. كما كان يفعل المشردون في واشنطن دي سي من الذين تعاقدت الحكومة الفدرالية مع الفنادق الفاخرة على إيوائهم حتى يتسنى لها حل مشكلة أهل الشوارع التي تفاقت بشكل أثار حفيظة الناس رافة أو تقززا.

غياب الجودة

مبدأ بناء مساكن عامة لإسكان أو إيواء المقيمين في العشوائيات والفقراء والمعوزين يؤدي حتمًا إلى غياب جودة التصميم والتخطيط الذي لا يراعي راحة الساكن، بل والغلو في تدني المواصفات؛

والإنشاء بصورة عشوائية، سواءً عن عمد أو كتصرف تلقائي مبني على فرضية أن من اكتوى بنار المعيشة في العشوائية سيرضيه أي شيء، وإن لم يرضَ فهو جاحد للنعمة. وهذا يسري على المباني التي تقوم الحكومة أو البلدية بالإفئاق عليها، والتي تطرح في مناقصات عامة، أو التي يقوم ببنائها مستثمرون. وعادة ما تستخدم في البناء أرواداً المواد وأقلها تكلفة. إلى جانب التهاون في صقلها (التشطيب النهائي).

الإهمال

المساكن العامة الجماعية تتطلب إدارة للإشراف عليها، وصيانتها، وتحصيل الأجرة من السكان. تلك الإدارات لو كانت من القطاع الخاص، عادة ما لا تهتم إلا بتحصيل الإيجار. وسواء كانت الإدارة خاصة أو تابعة للبلدية، فمن المتوقع ألا تبذل جهداً في الصيانة، وتتراخى عن الاستجابة لأي طلب من السكان بإصلاح أي عطل يصيب مرافق الوحدات السكنية، ولا تهتم بأي تهرأ في المباني يتطلب الترميم السريع. ويسهل لوم السكان على ما يحدث من أعطال أو خلل أو قذارة.

ناهيك عن الإهمال في جمع القمامة وتنظيف الطرق والأرصفة والملاحقات العامة في المباني، مثل المداخل والدرج والمناور والجدران الخارجية. ورغم أن الهدف من ذلك هو الرعاية الصحية للتجمع السكاني، فإن إدارة التجمع تتوانى عن بذل الجهد وتفضل أن تنعى باللوم على سكان التجمع.

يضاف إلى ذلك إهمال من جانب السكان الذين ألفوا الحياة في مبان خربة أو أكشاك صفيح وعشش وخيام من أقمشة قديمة وجلود بالية، محاطين بممرات خربة وأكوام قمامة ونفايات. وهناك حلقة مفرغة تدور فيها الأمور، فإهمال السكان يهيب بإدارة المباني أن تلقي اللوم على السكان وتتراخى في مسؤوليتها، فيتمادى السكان في التخريب والتصرفات غير اللائقة، وهكذا. وبدلاً من أن تسلك الإدارة الطريق الشاق وتقوم بمهمتها حتى تغير من سلوكيات السكان، يتبارى الجانبان في تحويل المساكن إلى عشوائيات من جديد.

المشروع

بناء المجمعات السكنية العامة يشكل مصدراً للربح الهائل لشركات الإنشاء والتعمير وإدارة المجمعات السكنية وملاك الأراضي، سواء كانت الحكومة المركزية أو المحلية هي التي تمول المشروع وتعاقد على تنفيذه مع شركات خاصة، أو جاء التمويل من مستثمرين.

إذا كانت الأرض ملكية خاصة، فإن أصحاب الأراضي يتقاضون مبالغ هائلة لأن عملية البيع والشراء عملية اضطرابية وإجبارية، فهي لا تتبع حركة سوق العقار في السوق حين إتمام الصفقة.

وفي بعض الترتيبات الشائعة تقوم شركة عقارات بإنشاء المجمعات السكنية وتتكفل الشركة كصاحبة العقار بجميع نفقات شراء الأرض والتخطيط، بما في ذلك الطرق، وتقسيم الأرض، والإنشاء والإدارة، مقابل تعاقد طويل المدى مع الحكومة على إسكان المهجرين من العشوائيات والفقراء، وتقوم الحكومة بدفع الإيجار أو الشطر الأكبر منه، على حسب الحالة المادية للأسرة المستأجرة. وهذا هو التقليد السائد في الولايات المتحدة، حيث تسمى تلك المجمعات السكنية بالمشروع (The Project). وعادة ما تكون مباني المشروع عالية الجودة، خاصة لو كانت عمارات متعددة الطبقات. والمشاريع التي تتضمن وحدات سكنية للعائلات تحاط بسور حديدي وبوابة مفتوحة لفصلها عن الأحياء المجاورة. وتبدو لمن يدخلها لأول وهلة وكأنها مستوطنة لمن يريد القائمين على الأمن التحفظ عليهم لأسباب جنائية. وإيجارات تلك الوحدات السكنية تضاهي أو تزيد عن إيجارات المباني السكنية الراقية في المنطقة التي يقع فيها المشروع. والسبب في ارتفاع الإيجار هو الدعوى بأن الحكومة هي التي تختار السكان، وأن غالبية السكان من المخربين القذرين وأن تخصيص المساكن لمن لا مسكن له يقلل من قيمة العقار ويضيع فرصا استثمارية أفضل. والفارق أن صاحب المشروع، سواء كان فردًا مستثمرًا أو شركة مستثمرة، يعتبر نفسه محصلاً للإيجار فقط، وقلما اهتم بما يجري في المشروع دون الالتزام بما يلتزم بها أصحاب المباني السكنية عادة من صيانة وإصلاح.

معونات الإسكان

إلى جانب المشروع تقوم الحكومة بإسكان الفقراء في مساكن يتهافت ملاكها على التعاقد مع الحكومة لإسكان من ترشحه لهم لقاء ضمان الحكومة الفدرالية للإيجار الذي تساهم في دفع شطر منه. ويتسابق أصحاب المباني السكنية للحصول على تلك العقود التي تضمن لهم إيرادا متواصلا خاصة لو كانت البيوت قديمة. وإن كانت التزاماتهم أكبر من أصحاب المشروع، وعادة ما تكون تلك المساكن قديمة أو في أحياء الأيدي العاملة. وعادة ما يفضل الفقراء السكنى خارج المشروع للنأي بأنفسهم عن الوصمة النمطية بالإجرام. وتقوم الوكالة المختصة بالتفتيش على تلك المساكن سنويا للتأكد من سلامتها، وتشترط على المستأجر ألا يشاطره في السكن سوى الذين ينص عليهم في طلب السكنى المدعومة.

البنية التحتية

الخدمات

تقوم البلدية أو من تكلفه من القطاع الخاص برصف الطرق في منطقة المساكن العامة، كما تقوم بتوصيل المياه، والكهرباء، والصرف الصحي، وجمع القمامة. لكن استدامة تلك الخدمات وصيانة معداتها عادة ما تكون في آخر قائمة الأولويات في منطقة المساكن العامة، خاصة لو كانت على أطراف المدينة.

المواصلات العامة

بلا شك أن وسائل النقل الجماعي التي في مقدور عامة الناس بما في ذلك الفقراء تسهل إعادة استيطان سكان العشوائيات من قلب العاصمة إلى أطرافها في تجمعات سكنية توفرها الحكومة بأسلوب قد يلعب القطاع الخاص دورًا أو قد يكون بتمويل حكومي وفق خطة تضعها الدولة أو البلديات في الحالتين. ورغم نجاح مدينة باريس في هذا الصدد، وإلى حد ما بعض الدول الأوروبية، فإن كثيرًا من الدول، بما في ذلك الولايات المتحدة وغالبية الدول النامية فشلت في ذلك، إما لانعدام وسائل النقل الجماعي أو رداءته (لا يعتمد عليه وازدحامه) أو لأنه ليس ميسورًا للجميع، حيث إن تكلفته تفوق قدرة الفقراء، بينما تتركز كل الخدمات الاجتماعية والخدمات العامة في وسط البلد.

العوائق

العزلة

إن توفير التجمعات السكنية لإعادة استيطان سكان العشوائيات على أطراف الحضر عادة ما يقترن بعزلتهم عن المجتمع، حتى لو توفرت لهم البنية التحتية، بما في ذلك المواصلات الجماعية اليسيرة التكلفة لمستخدميها. فمجتمع الحضر يواصل معاملته لهم كأذى يجب تجنبه وتفادي التعامل معه. أي أن الصورة النمطية لن تتلاشى في أذهان مجتمع الحضر بمجرد إزالة العشوائيات من قلب المدينة، ونقل أهلها إلى مساكن جديدة وأماكن فسيحة على أطراف المدينة. وكما ينظر أهل الحضر للقاطنين بالمساكن العامة نظرة دونية ولا تتغير تجاههم انطباعات الإجرام والاتجار في المخدرات، فإن سكان التجمعات السكنية تزيد من حدة غضبهم وحقدهم أو تزيدهم إحباطًا، فيتجهون إلى الخمر والمخدرات، وقليل منهم الذي يتحدى الوضع القائم ليصلح من أحواله فيستطيع الخروج من مجبسه في المساكن العامة.

ومما يزيد من عزلة المساكن العامة النائية عن المدينة، الحرمان من التعليم الجيد والرعاية الصحية والحدائق التي يتمتع بها أهالي المدينة. وبينما على سكان التجمعات السكنية استخدام المواصلات لإدارة شؤونهم والعمل في المدينة، فالمواصلات القادمة من المدينة إلى تجمعاتهم تكون خالية تماماً ممن يعيشون في قلب المدينة.

مركزية المصالح العامة والاجتماعية

في بعض المدن، مثل واشنطن دي سي، تنحصر الخدمات الاجتماعية والعامة في وسط المدينة، حيث يسهل الانتقال بينها مشياً، والصبر على التردد عليها في فترات متقاربة للحاجة إليها حتى في البحث عن العمل. هذا لا يعين فيه السفر المتكرر لمسافة طويلة. وفي هذا الصدد؛ يرى عضو في منظمة الملجأ والإسكان والتغيير المحترم (Shelter, Housing, and Respectful Change) المعروفة بشارك (SHARC)، بواشنطن دي سي أن الملاجئ والخدمات للمشردين يجب أن تبقى في الأماكن التي يعيشون فيها؛ أي في مكان مركزي، للعديد من الأسباب، منها:

(١) البنية التحتية متوافرة.

(٢) الأفراد الذين لا مأوى لهم على دراية بمكان الخدمات وكيفية الوصول إليها في وسط المدينة؛ حيث توجد مراكز الخدمات الاجتماعية والعامة.

(٣) دور العبادة ومنظمات المتطوعين تعرف أين يتجمع الذين لا مأوى لهم في وسط المدينة فيمكن لها الوصول إليهم بسهولة.

(٤) يحتاج المقيمون في المدينة ممن لا مأوى لهم القدرة على السير بالأقدام لكل الخدمات المتاحة لهم؛ حيث إن المواصلات العامة للمناطق البعيدة غير متوافرة بصورة منتظمة، كما أن ليس بمقدورهم المادي استخدام المواصلات العامة بصورة متكررة.

وفي حالة واشنطن دي سي والمدن المماثلة لها في الولايات المتحدة يكون قلب المدينة هو المركز التجاري وتجمع الوكالات الحكومية، بينما العاملون في تلك المصالح الحكومية والخاصة يقطنون في الضواحي التي لا مكان فيها لفقر، والتي يتمتع فيها الميسورون بالمواصلات الجماعية التي تربط بين أحياء مساكنهم وأعمالهم في المدينة. كل هذا يجعل من فكرة إنشاء المساكن العامة خارج المدينة - ما دام هناك مواصلات جيدة وبنية تحتية حديثة - فكرة غير عملية؛ خاصة في مدينة مثل واشنطن دي سي، التي تسمى بمدينة المشي.

في قلب واشنطن دي سي، غالبية الخدمات للمقيمين بلا مأوى توجد في الربع الشمالي الشرقي. والتركيز الأكثر كثافة للخدمات يوجد في مكان وسط البلاد إطاره طريق رود أيلاند شمال غرب، وطريق بنسلفانيا شمال غرب، وشارع شمال الكابيتول (موقع الكونجرس) شمال غرب. ويقع ملجأ مجتمع اللا عنف المبتكر (Community for Creative Nonviolence) في الشارع الثاني بين شارع دي شمال غرب وشارع إي شمال غرب، وهو النقطة المحورية التي ينطلق منها بقية الملاجئ والخدمات لمن لا مأوى لهم، حيث تنتشر الملاجئ شمالا وغربا، وتتسع المسافات بين الملاجئ والخدمات كلما ابتعدت عن النقطة المحورية^(١).

وبارتفاع قيمة الممتلكات في وسط المدينة ارتفاعاً باهظاً خلال السنوات الأخيرة؛ أدى ضغط القائمين على التنمية الحضرية إلى نقل جغرافي لمأوى المشردين وخدماتهم، وتم إغلاق بعض المؤسسات في وسط المدينة، مثل ملجأ مدرسة فرانكلين^(٢). وفي نفس الوقت، انبثقت ملاجئ جديدة ووحدات سكنية انتقالية داعمة، ومراكز المأوى المؤقت، والعيادات الصحية للمشردين في أماكن لم توجد فيها من قبل - وبالأساس في شمال شرق وجنوب شرق واشنطن دي سي. ولأسباب متعددة، كانت تلك التغيرات مصدر قلق لكثير من المشردين الذين يعيشون وسط المدينة ويعتمدون كلية على الخدمات الموجودة هناك؛ فأصبح لزاماً على من لا مأوى له أن يتنقل بين مراكز الخدمات الاجتماعية؛ وتعددت المهام اليومية لأولئك، من تناول وجبة، والاستحمام، وإجراء مقابلة للحصول على عمل نتيجة عدم وجود سكن، حيث يمكن للفرد أن يخزن ممتلكاته أو يحصل على دخل ليدفع تكاليف تنقله. تلك المهام البسيطة أصبحت تستغرق وقتاً طويلاً، إذ يلزم على من لا مأوى له لأكثر من مكان في نفس اليوم لإدارة احتياجاته. ولهذا فمن الواضح أن المشردين يحتاجون إلى أن تكون ملاجئ ومراكز الخدمات الضرورية متجمعة في أماكن متقاربة. لهذا أنشئ ملجأ مجتمع اللا عنف المبتكر في مكان مركزي. وأصر مؤسسو الملجأ على أن يكون ملجأ نموذجياً، حيث تجتمع خدمات المأوى والخدمات في مكان واحد^(٣). لهذا أغلق أعضاء الملجأ مواقع الملاجئ الأخرى لاعتقادهم أن موقع ملجأ مجتمع اللا عنف المبتكر في مبني كلية المدينة الفدرالية (Federal City College) أفضل، كما أنه يحتوي على عدد أكبر من الأسرة، وفيه عيادة صحية وعيادة لإعادة تأهيل مدمني المخدرات. وخلال النظر في قضية إغلاق ملجأ مجتمع اللا عنف المبتكر في (١٩٨٥)

- (1) The Walking City: The Geography of Homelessness in Washington, D.C. Whose Downtown? Displacement, Resistance, and the Future of the Community for Creative Non-Violence (CCNV) Shelter in Washington, DC; 2017.
- (2) Silverman, Elissa. "As Shelter's Closing Nears, A Traffic-Halting March." The Washington Post. September 26, 2008.
- (3) Forgey, Benjamin. "Model Havens for the Homeless; CCNV's Spruced-Up Shelter and a House for 12 Women." The Washington Post. December 26, 1987.

كتب الداعمون للملجأ والمدافعون عنه لفريق العمل الفدرالي لمن لا مأوى لهم (Federal Task Force on the Homeless) ليقنعوهم بأن الملجأ يشكل وصلة مهمة وموردًا مركزيًا لكل من لا مأوى له^(١).

وكما كان الحال عليه في ثمانينيات القرن العشرين، ما زال المقيمون في واشنطن دي سي ممن لا مأوى لهم يناضلون للبقاء في وسط المدينة، حيث يمكنهم النوم ويسهل عليهم الوصول إلى الخدمات الاجتماعية والخدمات العامة، مثل المكتبات والمواصلات العامة والحدائق. هذا علمًا بأن حياة التشرد التي يعيشها من لا مأوى لهم، ليست نتيجة الفقر وحده، فمنهم من فقد عمله ومأواه، وكثير منهم من الذين عادوا من الحرب بإصابات نفسية أو عاهات جسدية، وأصبح من المحال إعادة انخراطهم في المجتمع، ومنهم المصابون بخلل عقلي ولفظته المصححات، ومنهم المدمنون على المخدرات أو على الخمر، ومنهم عاهرات كبرن في السن ولم يعد بمقدورهن مزاولة مهنتهن، ومن هرم وليس لديه من يراعيه، ومنهم أميون ليس لهم حرف، ومنهم من تشرد لعدم مقدرة على دفع إيجار مسكن فأخلي عن سكنه، ومنهم من قام البنك بالاستيلاء على منزله لعجزه عن سداد الأقساط، ومنهم المعوقون؛ كما أن من بينهم المصابون بحالات نفسية نتيجة العجز عن مواجهة ضغوط الحياة فدفعتهم إلى التخلي عن عائلاتهم وأموالهم والعيش في الشوارع، بل قد يوجد بينهم حاملو الشهادات العالية والفنانون وعارضات أزياء بارت تجارتهن بجمال أجسادهن، ... الخ. كذلك فإن من لا مأوى بينهم يكونون مجتمعًا يجتمع فيه الأبيض والأسود والشيوخ والشباب والأطفال من الجنسين، بل إنه المجتمع الوحيد الخالي من العصبية للون أو جنس أو سن أو أصول عرقية أو إثنية.

المواصلات

غالبية المواصلات الجماعية في الكثير من الدول لا تتوافر بصورة تربط جميع أطراف المناطق الحضرية أو تربط الحضر بالريف؛ إلا إذا كانت جزءًا من القطاع العام، حيث تعتبر المواصلات من الخدمات العامة، مثل الكهرباء والمياه والصرف الصحي؛ والتي تقدم للمواطن بصرف النظر عن الدافع الربحي. ولقد انتشرت الكهرباء في الولايات المتحدة بفضل وكالة كهربة الريف التابعة للحكومة الفدرالية. أما القطاع الخاص فينظر إلى المواصلات كاستثمار يدر أرباحًا، على سبيل المثال شركات الحافلات قد تمد خطًا تجريبيًا يربط مدينة صغيرة بمدينة كبيرة، فإذا لم يحقق ذلك الخط الربح المتوقع في فترة قصيرة قد لا تزيد عن شهر يتم إلغاؤه فورًا. وبعض شركات الحافلات تطلق كامل

(1) Helzner, David. Personal letter to Mr. Harvey Vieth. July 22, 1985. Carol Fennelly Papers. George Washington University, Special Collections, Washington, D.C.

أسطولها في أوقات الازدحام وتكاد تتوقف في الأوقات الأخرى. في حين أن غالبية الناس سيلجؤون إلى استخدام المواصلات العامة بدلاً من السيارات لو استطاعوا الاعتماد عليها طوال اليوم والنهار.

التجديد العمراني

التجديد العمراني (renewal) الذي يسمى بالإحياء العمراني (regeneration) في المملكة المتحدة، والتنشيط العمراني (revitalization) في الولايات المتحدة وفق وزارة الإسكان والتطوير العمراني (The United States Department of Housing and Urban Development) المعروفة بهض (HUD)، هو برنامج تنمية الأراضي في المناطق الحضرية المتوسطة والغزيرة الاستغلال لأراضي العمران. ولقد لقيت مشاريع التجديد العمراني نجاحات وإخفاقات متعددة. ولعل الاستدساخ الحديث لها بدأ في نهاية القرن التاسع عشر في الدول الناهضة صناعيًا واقتصاديًا، ومرحلة مكثفة في أواخر العقد الرابع من القرن العشرين تحت عنوان إعادة البناء (خاصة في أعقاب الحرب الثانية العالمية). وكان لعملية أثر كبير على العديد من المظاهر الجمالية الحضرية، ولقد لعب ذلك دورًا مهمًا في تاريخ وديموغرافية المدن حول العالم.

التجديد العمراني يتضمن إعادة تحديد مواقع الأعمال، وهدم المباني وإعادة مواقع الإسكان، واستخدام حق الامتلاك (قيام الحكومة بشراء ملكية للمصلحة العامة) كآلية قانونية لانتزاع ملكية خاصة لمشاريع تنمية تبادرها المدينة. وتجري هذه العملية كذلك في المناطق الريفية، تحت اسم تجديد الريف، رغم أن الممارسة ليست متطابقة تمامًا⁽¹⁾.

وفي بعض الحالات قد يؤدي التجديد إلى توسع العمران مع فرجة في كثافة السكان عندما تنشأ طرق سريعة في بعض مناطق المدن⁽²⁾.

وبالنسبة لمروجي التجديد العمراني فهم يرون التجديد العمراني كوسيلة دفع اقتصادي وآلية إصلاحية؛ ولكنها من منظور المنتقدين تعتبر آلية للتحكم في المناطق الحضرية؛ حيث إنها قد تعزز بعض المجتمعات القائمة، ولكنها في بعض الحالات قد تهدم جوارًا بأكمله.

وكثير من المدن تربط بين إنعاش المنطقة المركزية للأعمال، والاستطباق في الجوار السكاني، وبرامج تجديد العمران السابقة. ولكن بمرور الوقت تطور التجديد العمراني ليصبح سياسة قائمة

(1) Chigbu, Uchendu Eugene (2012). "Village renewal as an instrument of rural development: evidence from Weyarn, Germany". *Community Development*. 43 (2): 209–224.

(2) Lobbia, J.A., "Bowery Bummer: Downtown Plan Will Make and Break History", *The Village Voice*, March 17, 1999.

على القليل من الهدم والكم الكبير من الترميم والاستثمار، واليوم أصبح جزءًا متكاملًا من العديد من الحكومات المحلية ويجمع بين حوافز الأعمال الصغيرة والكبيرة.

وفي الواقع إن كل أساليب التخلص من العشوائيات أو إحلالها أو تحسين أحوالها يمكن أن تدرج تحت عنوان التجديد العمراني، حيث إن كلاً منها أو الجمع بينها ينتهي بالتجديد العمراني.

تجربة الإحياء العمراني في إنجلترا

دور الخيرات

فكرة التجديد العمراني كطريقة للإصلاح الاجتماعي انبثقت في إنجلترا كرد فعل للأحوال التي يتزايد فيها الحضر الفقير ازدحاما وقذارة غير صحية في المدن التي أسرع إلى التصنيع في القرن التاسع عشر. والأجندة التي ظهرت عندئذ كانت العقيدة التقدمية التي افترضت أن أحوال إسكان أفضل ستصلح من يقيم فيها أخلاقياً واقتصادياً. ولون آخر من الإصلاح - قامت به الدولة لأسباب جمالية وفعالية - بدأ في عام (١٨٥٣)، باستقطاب لويس نابوليون (Louis Napoleon) لبارون هاوسمان (Baron Haussmann) لإعادة تنمية باريس.

بداية من العقد الخامس في القرن التاسع عشر قديماً بدأت أحوال فقر أهل الحضر المزرية في عشوائيات لندن تجتذب الاهتمام من قبل المصلحين الاجتماعيين وأهل الخير، الذين بدؤوا حراك المنازل الاجتماعية. ولعل أول ما اتجهت إليه الأنظار عشوائية فدان الشيطان (Devil's Acre) القريبة من حي وستمينستر (Westminster) والسيئة السمعة. تلك الحركة الجديدة آنذاك دعمها جورج بيبدي (George Peabody) وأمانة بيبدي (Peabody Trust)، وقد كان للحركة تأثير مستدام على ملامح ويستمنستر العمراني^(١). وقد تمت إزالة ما تبقى من على الجانب الآخر من شارع فيكتوريا، وحل محلها عقارات بيبدي التي بنيت وفق قانون كروس لعام (١٨٧٥) (Cross Act)^(٢). ولقد بدأت إزالة العشوائيات ليحل محلها مباني روتشستر (Rochester Buildings) التي بناها التاجر ويليام جيبس (William Gibbs) فاعل الخير، في عام (١٩٦٢)؛ وكانت المباني واحدة من عمليات الإسكان الخيرية التي أنشئت على نطاق واسع، وقد بيعت أمانة بيبدي في عام (١٨٧٧) وعرفت بعدها ببلوكات (A) إلى (D) من ممتلكات أولد بركينز للتأجير (Old Perkin's Rents Estate). كما مولت البارونة أنجلا بردت-كورتس (Angela Burdett-

- (1) "Proposed Designation of Peabody Estates: South Westminster Conservation Area". City of Westminster, Planning & City Development. 2006.
- (2) Palliser, David Michael; Clark, Peter; Daunt, Martin J. (2000). *The Cambridge Urban History of Britain: 1840–1950*. Cambridge University Press. p. 112.

(Courtts) عقارت مساكن اجتماعية تجريبية، بين المساكن الأولى من نوعها (قد تمت إزالتها حالياً). وفي عام (١٨٦٩) بنت أمانة بيبي أول عقارات إسكان في برورز جرين (Brewer's Green) بين شارع فيكتوريا وحديقة سانت جيمس.

وقد أنشأت أمانة بيبي في عام (١٨٨٢) عقارات أورشارد (حدائق) أبيي (Abbey Orchard Estate) على أنقاض المستنقعات الواقعة على تقاطع شارع أولد أبيي وشارع أبيي أورشارد. وكمثيلاتها من عقارات المساكن الاجتماعية بنيت عقارات أورشارد أبيي على أساس خطة المربعات؛ أي أنشئت كتل من الشقق حول فناء، لتوفر مساحة شبه خاصة داخل العقارات لتستخدم كمساحة للترويح عن النفس. والهدف من الفناء أو الساحة هو خلق بيئة مجتمع، بينما صممت بلوكات الشقق بحيث تسمح لضوء الشمس أن يغمر الفناء. وقد بنيت بلوكات الشقق من الطوب العالي الجودة، بما في ذلك سمات معمارية، مثل نقش الحروف، والزجاج، والتركيبات والتجهيزات التي كانت تعتبر آنذاك مساكن نموذجية. وقد بنيت العقارات في وقت كانت نماذج المباني السكنية تشارك في مغسلة الملابس والمرافق الصحية، مما كان ابتكاراً في حينها، إلى جانب مواقد للتدفئة في غرف النوم. وتكرر هذا التصميم في عدة ملكيات عقاري في لندن.

التدخل الحكومي

أول تدخل حكومي في حل إشكالية العشوائيات بدأ بإصدار البرلمان لتشريع الصحة العامة في (١٨٧٥)، حيث ركز مرسوم التشريع على مكافحة الأحوال المعيشية القذرة التي كانت سبباً في انتشار الأوبئة^(١)؛ حيث ألزم القائمين على بناء مساكن جديدة بأن يحتوي التصميم والتنفيذ المياه الجارية والصرف الداخلي، كما منعت مقاولي البناء من إنشاء مساكن غير مطابقة للمواصفات.

وكون مجلس محافظة لندن في (١٨٨٩) السلطة البلدية في محافظة لندن، وفي عام (١٨٩٠) أعلن أن حي أولد نيكل في شرق لنجن منطقة عشوائية، وصدق المجلس على إزالتها وإعادة بناء مساحة (٦١,٠٠٠) متر مربع. وبدأت إزالة العشوائية في عام (١٨٩١) بما في ذلك (٧٣٠) منزلاً يعيش فيها (٥,٧١٩) نسمة. وقام معماريو المجلس بتصميم (٢١) كتلة سكنية من مجموع (٢٣) بلوكاً تحتوي كل منها على ما بين (١٠) إلى (٨٥) شقة. وصمم الاثنين الباقيين المعماري الشهير رولاند بلامب (Rowland Plumble). وبلغ عدد الشقق (١,٠٦٩)؛ غالبيتها تحتوي على (٢) إلى (٣) غرف لإسكان (٥,٥٢٤) نسمة. وقد لاقى المشروع ترحيباً كبيراً، حيث إنه وضع معايير جديدة لجمال مساكن الطبقات العاملة؛ وقد

(1) "A Cellar dwelling in Nichol Street", illustration for "More Revelations of Bethnal Green", *The Builder*, vol. XXI, no. 1082 (31 October 1863).

شمل (١٨٨) محلاً تجاريًا، ومغسلاً جديداً، و(٧٧) ورشة عمل. وتم ترميم الكنائس والمدارس. وقد بدأ بناء المشروع في عام (١٨٩٣) وانتهي في (١٩٠٠)^(١).

وتلا ذلك مخططات مماثلة في العقد الثامن من القرن التاسع عشر، حيث تمت إزالة مساحات كبيرة، وبيعت المواقع لشركات التعمير، بما في ذلك وايتشابل، وشارع وايلد، وشارع وايتكروس وكليركنول.

ما بين الحربين

وقد كلف برلمان المملكة المتحدة لجنة تيودور والترز (Tudor Walters Committee) في عام (١٩١٧)، بدراسة الإسكان وإعادة البناء فيما بعد الحرب، ردًا على عدم اللياقة البدنية لعدد كبير من المجندين خلال الحرب العالمية الأولى؛ حيث إن تقرير اللجنة أوعز ذلك إلى أحوال المعيشة المتدنية التي يعيشونها، وتلخصت الدراسة في كلمات عبرت عن تلك الحقبة: "لا تتوقع أن تجد سكانا ذوي جودة عالية من مساكن متدنية إلى أبعد الحدود"^(٢).

اقترنت توصيات اللجنة مع نقص حاد في الإسكان عقب الحرب العالمية الأولى، مما حدا بالحكومة إلى وضع برنامج لبناء مساكن يتصدرها شعار الحكومة "بيوتا للأبطال". وتولى كريستوفر أديسون (Christopher Addison)، وزير الإسكان في تلك الآونة، وضع مسودة تشريع (١٩١٩) للإسكان وتخطيط المدن، والذي أدخل فكرة المساكن التي تملكها الحكومة، والذي ظل تقليدًا يعمل به خلال معظم القرن العشرين، والذي تحول في وقت لاحق إلى ملكيات مجلس المدينة. والقانون وفر دعمًا للسلطات المحلية يساعدها على تمويل نصف مليون وحدة سكنية خلال ثلاث سنوات. كما صرح لمجلس محافظة لندن ببناء منازل خارج محافظة لندن، وقد استخدمت هذه الرخصة في بناء ملكيات خارج حدود لندن مثل بكونتري (Becontree). غير أن الدعم لم يتوفر لغير (٢١٣,٠٠٠) منزل تحت هذه الخطة.

الكساد الأكبر

ومع بداية الكساد الأكبر في عام (١٩٢٩)، كان الارتفاع في بناء المنازل وزيادة إنفاق الحكومة من الأدوات الفعالة لإنقاذ الدولة من الكساد، وأعطى قانون (١٩٣٠) للإسكان المجالس المحلية نطاقا

(1) Baker, TFT (1998). "A History of the County of Middlesex: Volume 11: Stepney, Bethnal Green". British History Online.

(2) Paul Oliver, Ian Davis, Ian Bentley, Dunroamin The Suburban Semi and its Enemies p31 (1918, Bodleian Library original).

واسعاً من السلطات لهدم ملكيات لا تلائم المعيشة الإنسانية أو التي تعرض الصحة للخطر، وألزمهم بإعادة إسكان أولئك الذين جرى إعادة استيطانهم، نظراً للعدد الضخم من برامج إزالة العشوائيات. والمدن التي عجت بقدر كبير من المساكن الفيكتورية المدرجة المتميزة – وهو إسكان لم يعد قائماً على معايير كافية لمطالب الحياة المعاصرة – تم إدخال التغييرات الأكبر عليها. وفي مدينة بريستول وحدها تم تحديد (٥) آلاف منزل يشغلهم (٢٥) ألف ساكن للهدم لإعادة إعمار المنطقة في (١٩٣٣)، ورغم أن جهوداً بذلت لإعادة إسكان ضحايا الهدم في نفس المنطقة، إلا أن ذلك كان صعباً في الأمر الواقع، وتم إسكان عدد منهم في مناطق أخرى، بل خارج المدينة كلية. وقد بذلت جهود لإسكان أكثر السكان فقراً الذين تأثروا بإعادة الإعمار، فكان لزاماً خفض الإيجارات بصورة اصطناعية؛ غير أن تلك السياسة واجهت بعض الفشل.



شكل (٥٢) بيوت فيكتورية تقليدية متلاصقة.

البيوت الفيكتورية في الولايات المتحدة

تتميز المنازل التي أنشئت على الطراز الفيكتوري بأنها مبنية بالطوب أو الحجارة وسماعة الجدران التي تشكل عازلاً صوتياً ضد الضوضاء خارج البيت. كما أن الأسقف مرتفعة جداً، وقد يصل ارتفاعها ضعف الأسقف في البيوت الحديثة، وتوجد المرافق في بعضها خارج المنزل من مطبخ ودورة مياه وحمامات، عادة خلف المبنى. والطابق السفلي قبولاختران الفحم المستخدم في التدفئة في المناطق الباردة. والبيوت مبنية على مدرجات وغير متلاصقة.

في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين؛ وخاصة في المناطق ذات الطقس المعتدل، كان الفقراء والطلبة ومن لا مأوى لهم يعيشون في تلك البيوت التي هجرها أهلها لعدم ملائمتها للحياة

الحديثة حتى يتمكنوا من إعادة بنائها أو بيعها. واستخدمها بعضهم كبيت ثانٍ يقضون فيه العطلات. وبحلول العقد الثامن بدأ الإقبال على شراء البيوت على الطراز الفيكتوري يزداد لما تتميز به من متانة البناء مقارنة بالبنائات الخشبية ولشكلها المتميز. وأدخل على تصميمها بعض التعديلات الطفيفة التي تسهل المعيشة فيها.

التنشيط العمراني في الولايات المتحدة الأمريكية

التنشيط العمراني

بدأت مشاريع تجديد العمران على نطاق واسع في الولايات المتحدة في الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وتضمنت مشاريع نماذج التجديد العمراني:

- تصميم وإنشاء سنترال بارك في مدينة نيويورك.
- خطة دانيال برنهام (Daniel Burnham) لشيكاجو في عام (١٩٠٩).
- جهود جاكوب ريبس (Jacob Riis) في الترويج لهدم المناطق المتهترئة في مدينة نيويورك في نهايات القرن التاسع عشر، والتي كان لها تأثير كبير.
- إعادة تطوير أجزاء كبيرة من مدينة نيويورك وولاية نيويورك في الفترة ما بين العقد الثالث والعقد السابع، والتي كانت مثالا لإعادة تنمية عمرانية، والتي قام بها روبرت موسي (Robert Moses) الذي وجه بإنشاء جسور جديدة وطرق سريعة ومشاريع إسكان، وحدات عامة.

وبدأت مدن أخرى عبر الولايات المتحدة وضع برامج لإعادة التطوير في العقدين الثالث والرابع. وقد ركزت تلك المشاريع على إزالة العشوائيات التي نفذتها السلطات المحلية للإسكان العام، والتي كانت مسؤولة عن إزالة العشوائيات وبناء مساكن جديدة في مقدور الجميع. وفي عام (١٩٤٤)، ضمن قانون إعادة تأهيل أعضاء القوات العسكرية (Serviceman's Readjustment Act) المشهورة بقانون العساكر (GI Bill) قروضًا تضمنها إدارة قدامى المحاربين (Veterans Administration) بشروط مقبولة. تلك القروض أشعلت شرارة بناء الأحياء في نهاية الحرب العالمية الثانية، مثل ليفيتاون في نيويورك، ووارن في ميتشيجان، وسان فرناندوفالي في لوس أنجلوس، حيث تحولت الأراضي الزراعية إلى مدن شغلها عشرات الآلاف من العائلات على مدى عدة أعوام.

ولقد بدأ قانون (١٩٤٩) للإسكان برنامج التجديد العمراني الذي أعاد تشكيل المدن الأمريكية؛ والذي وفر تمويل المدن لتغطية تكاليف امتلاك أماكن في المدن ينظر إليها على أنها عشوائية. تلك المواقع أعطيت لشركات تعمير خاصة لإنشاء منازل جديدة. ولهذا سمي البرنامج آنذاك ببرنامج إعادة التنمية العمرانية. واستخدم تعبير التجديد العمراني عقب إصدار قانون الإسكان لعام (١٩٥٤)، الذي جعل مشاريع التجديد العمراني مغرية لشركات التعمير لأسباب عديدة، منها منح قروض مضمونة من جانب سلطة الإسكان الفدرالية (FHA).

وتحت نفوذ قدرات ريتشارد كينج ملون (Richard King Mellon) صاحب الثراء الضخم والأعمال الخيرية الكبرى أصبحت بتسبرج بولاية بنسلفانيا أول مدينة كبرى تأخذ على عاتقها برنامج تجديد عمراني حديث في مايو (١٩٥٠). ولقد اشتهرت مدينة بتسبرج حول العالم على أنها أقدر المدن وأكثرها كسادًا اقتصاديًا، وبهذا كانت جاهزة للتجديد العمراني. وبهذا تمت إزالة جزء كبير من قلب المدينة وتحويله إلى متزهات ومبانٍ ومكاتب أعمال وحلبة رياضة؛ وسميت المنطقة المثلث الذهبي (Golden Triangle) والذي يعتبر نجاحًا كبيرًا. لكن الإنجازات في الجوارات الأخرى في التجديد العمراني كانت مختلطة ما بين نجاح وفشل. فبينما بعض المواقع مثل إيست ليبرتي (East Liberty) وهيل دستريكت (Hill District) تدهورت عقب مشاريع طموحة تضمنت تعديل نمط المرور وإغلاق شوارع لممر الحافلات، وعزل أو تقسيم أماكن جوار بطرق سريعة؛ إلى جانب إزالة عدد من المساكن الإثنية ومساكن أقليات^{(١)(٢)}. كما تم هدم جوار كامل (ليحل محله ساحة مدنية)، مما شرد (٨) آلاف مقيم؛ غالبيتهم سود وفقراء^(٣). وبسبب استهداف القطاع الأكثر حرمانًا من الأمريكيين، سمي القصاص جيمس بالدوين (James Baldwin) عملية التجديد العمراني في العقد السادس بعملية إزالة النجرو^{(٤)(٥)}.

- (1) "The Story of Urban Renewal," Pittsburgh Post-Gazette, May 21, 2000.
- (2) Urban Louisville Courier-Journal, "With Urban Renewal a Community Vanishes" December 31, 1999.
- (3) Glasco, Laurence (1989). "Double Burden: The Black Experience in Pittsburgh". In Samuel P. Hays. *City at the Point: Essays on the Social History of Pittsburgh*. Pittsburgh: University of Pittsburgh. p. 89.
- (4) The story of urban renewal: In East Liberty and elsewhere, Pittsburgh's dominant public policy tool didn't work out as planned Sunday, May 21, 2000, By Dan Fitzpatrick, Post-Gazette Staff Writer.
- (5) "Harsh urban renewal in New Orleans: Poor, black residents cannot afford to return, worry city will exclude them". MSNBC.

أعطى قانون المساعدة الفدرالية للطرق السريعة (Federal-Aid Highway Act) في (١٩٥٦)، الحكومة الفدرالية وحكومات الولايات السيطرة الكلية على الطرق السريعة الجديدة؛ التي كثيرًا ما تشق مباشرة خلال جوارات عمرانية نابضة بالحياة فتعزل أو تحطم العديد منها؛ حيث إن تركيز البرنامج جله هو على تيسير وسرعة المرور في الدخول والخروج من القلب المركزي للمدن؛ كما أن تسعة من عشرة دولارات تنفق على الطرق السريعة تأتي من الحكومة الفدرالية. وقد نجم عن ذلك تدهور خطير في قواعد الضرائب في عديد من المدن وعزل جوارات وأحياء كاملة^(١)؛ بصورة تحتم ركاب السيارات المتنقلين أن يتفادوا مناطق تجارية قائمة^(٢). كما أن التمييز العنصري واصل في التزايد نتيجة أن إعادة الاستيطان أرغمت الأفريقيين الأمريكيين واللاتينيين على الانتقال إلى مساكن عامة، بينما انتقل بعض البيض إلى الضواحي^(٣).

وفي بوسطن، واحدة من أقدم المدن في الولايات المتحدة، تم هدم قرابة ثلث المدينة؛ بما في ذلك منطقة وست إند (West End) التاريخية؛ لشق طريق سريع جديد؛ وبناء أبراج فارهة لأصحاب الدخل المحدود والمتوسط (والتي تحولت إلى مساكن فخمة في الواقع)، ومبانٍ حكومية وتجارية. هذا النموذج يمثل كارثة بالنسبة للمواطنين وكثير من مخططي العمران كما أن مركز الحكومة وهو واحد من شواهد إعادة التطوير المركزية يعتبر مثالاً حيًا للإسراف في التجديد العمراني.

رد فعل التجديد العمراني

في عام (١٩٦١)، نشر جين جاكوبس (Jane Jacobs) كتابًا عن وفاة وحياة المدن الأمريكية الكبرى. وكان أول وأشد الانتقادات للتجديد العمراني الذي يجري على نطاق واسع^(٤)؛ غير أن ذلك سبق ببضع سنوات تبلور حركات منظمة تعارض التجديد العمراني. فقد دمر جوار روندأوت (Rondout) في مدينة كنجستون بنيويورك على نهر الهudson بالإسراف بمساعدة برنامج ممول فيدراليًا لتجديد العمراني في العقد السادس، حيث تم هدم ٤٠٠ مبنى قديم، غالبيتها منشآت تاريخية من الطوب أنشئت في القرن التاسع عشر. وبالمثل فإن برامج تجديد عمراني غير مدروسة بحكمة أدت إلى هدم مراكز تاريخية في مدن أخرى عبر أمريكا في العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين؛ على

(1) Race, Place, and Opportunity," The American Prospect, September 22, 2008.

(2) Interstate Highways," The Economist, June 22, 2006.

(3) Bullard, Robert. The Black Metropolis in the Twenty-First Century: Race, Power, and Politics of Place. Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2007. p. 52.

(4) Jane Jacobs(1961). The Death and Life of Great American Cities. New York: Random House.

سبيل المثال جواروست إند في بوسطن، ووسط مدينة نورفولك بولاية فيرجينيا، وكذلك مناطق واجهة البحر التاريخية في مدينتي ناراجانست ونيوبورت في ولاية رود أيلاند.

وبحلول العقد السابع من القرن العشرين كونت عدة مدن كبرى معارضة لخطط التجديد العمراني التي تجتاح مدنها:

◆ في بوسطن بولاية ماسشوستس أوقف نشطاء المجتمع عملية إنشاء الطريق السريع جنوب غرب (Southwest Expressway) المقترح، ولكن بعد إعداد امتداد من الأرض طوله ثلاثة أميال.

◆ في سان فرانسيسكو، كان جوزيف اليوتو (Joseph Alioto) أول عمدة يرفض علناً سياسة التجديد العمراني، وبدعم من مجموعات من المجتمع أجبر ولاية كاليفورنيا على وقف إنشاء طرق سريعة تمر عبر قلب المدينة.

◆ فقدت مدينة أتلانتا بولاية جورجيا ما يزيد عن (٦٠) ألف نسمة من عام (١٩٦٠) إلى عام (١٩٧٠) نتيجة التجديد العمراني وإنشاء طريق سريع^(١)، ولكن انتعاش المباني وسط المدينة جعلها معرض الجنوب الجديد في حقبة العقدين السابع والثامن.

◆ وفي بدايات العقد السابع في تورنتو بكندا شارك جين جاكوبس بقوة فريقا استطاع إيقاف طريق سبادينا السريع وغير سياسة المدينة للنقل.

ولقد بدأت سياسات التجديد العمراني تتغير في عهد الرئيس ليندون جونسون والحرب على الفقر، وذلك عام (١٩٦٨) ضمن قانون الإسكان وتنمية الحضر وقانون المجتمعات الجديدة التمويل الخاص لرواد الأعمال للقيام بالتخطيط وتنمية مجتمعات جديدة. وبناء على ذلك أسس قانون الإسكان وتنمية المجتمع لعام (١٩٧٤) برنامج منح تنمية المجتمع المحلي (Community Development Block Grant) الذي بدأ التركيز على إعادة تنمية الجوارات والممتلكات بدلا من هدم المساكن التي دون المستوى المطلوب في مناطق محبطة اقتصاديا.

وما زالت عملية الاستطباقي التي تتضمن إنشاء بناء فاخر في وسط حي فقير عملية مثيرة للجدل، وكثيراً ما تؤدي إلى أنماط مألوفة، حيث ترتفع الأسعار على المقيمين الفقراء في المناطق الحضرية، فتدفع بهم إلى الضواحي أو إلى مناطق أكثر ضنكا في المدن.

(1) Lewyn, Michael. How City Hall Causes Sprawl," p. 3, Ecology Law Quarterly, Vol. 30, No. 189, 2003.

وهناك برامج تحاول تنمية المجتمعات المحلية، بينما تجمع في نفس الوقت بين برامج قروض مرضية ومريحة وبرامج تعليمية لمحو الأمية المالية، بحيث تمكن المقيمين الأكثر فقرًا من القدرة على الاحتفاظ بجوارهم الذي تم تجديده. هذه البرامج تشمل الكهنوت الطازج (Fresh Ministries)، وعملية الأمل الجديد (Operation New Hope) في جاكسونفيل بفلوريدا؛ وشركة مجتمع تنمية التل (Hill Community Development Corporation) في حي هيل (Hill District) التاريخي ببيتسبرج.

جنوب غرب واشنطن دي سي



شكل (٥٣) جنوب غرب العاصمة دي سي (١٩٣٩).

قبل العقد الخامس من القرن العشرين كانت منطقة جنوب غرب واشنطن دي سي مأوى مجتمع أفريقي أمريكي منتعش؛ حيث كان الأفريقيون الأمريكيون في الحي يملكون أعمالا ومساكن في تلك المنطقة. ولكن بحلول عام (١٩٥٢) بدأ قادة البيض للأعمال وأعضاء من الحكومة الفدرالية يدفعون للقيام بعملية تطهير واسعة النطاق لتلك الجوارات للإفساح لتطويع جديد لقلب العاصمة^(١).

وكونت الحكومة الفدرالية وكالة إعادة تعمير الأرض (Redevelopment Land Agency) والوكالة الوطنية لتخطيط العاصمة (National Capital Planning Commission) لتصميم ومراقبة واستكمال إعادة تعمير وفق قانون إعادة تعمير مقاطعة كولومبيا لعام (١٩٥٠) (District of Columbia Redevelopment Act). وكان الأساس المنطقي لمشروع التجديد العمراني يتضمن مخاوف عن الازدحام وسط المدينة، والتخوف من أحوال العشوائية غير الصحية، ومناظر المباني المتداخلة المقزز^(٢). وكان التوسع الكبير للحكومة الفدرالية خلال فترة الصفقة الجديدة والحرب العالمية الثانية، حيث تزايد الضغط لتخصيص مكان للعاملين في الحكومة في وسط المدينة. كما أن البند الأول من قانون الإسكان الوطني لعام (١٩٤٩) نص على أن المدن الحضرية ستلتقى تمويلًا لتجديد المناطق البائسة، بما في ذلك

- (1) Jaffe, Harry and Tom Sherwood. *Dream City: Race, Power, and the Decline of Washington, D.C.* New York: Simon and Schuster, 1994. Page 29.
- (2) Urban Renewal: The Story of Southwest D.C. Whose Downtown? Displacement, Resistance, and the Future of the Community for Creative Non-Violence (CCNV) Shelter in Washington, DC; 2017.

الأحياء المصنفة كعشوائيات أو مبانٍ غير آمنة وغير لائقة بالسكن. تلك التشريعات لقيت دعمًا قضائيًا عندما قامت محكمة الولايات المتحدة العليا بإصدار حكم في عام (١٩٥٤) يعطي الحكومة الفدرالية حق الحكم بعدم صلاحية الملكية والاستيلاء عليها لتجميل المجتمع فقط لمنفعة عامة الناس^(١).

ولقد أدى تنفيذ مشروع التجديد العمراني إلى تشريد عدد كبير من الأفارقة الأمريكيين في جنوب غرب دي سي؛ حيث تمت إزالة (٩٩٪) من المباني في ربع جنوب غرب المدينة، مما أجبر (٤,٥٠٠) عائلة أفريقية أمريكية من الذين يعيشون في جنوب غرب دي سي إلى النزوح إلى مناطق أخرى، وبالأخص شمال شرق وجنوب شرق دي سي. ومن بين (٥,٩٠٠) مبنى جديد في المنطقة كان هناك (٣١٠) مبنى فقط مصنفة كوحدات سكنية معتدلة السعر^(٢). وبهذا مزق المشروع ثقافة وتاريخ جوارات الأفارقة الأمريكيين التاريخية. وعقب إعادة الاستيطان في أماكن أخرى من المدينة؛ (٢٥٪) من المقيمين أشاروا إلى أنهم لم يستطيعوا تكوين صداقة واحدة في جوارهم الجديد. وبينما اعتبر نقاد البرنامج برنامج التجديد المعماري أنه في الواقع "برنامج إخلاء النجرو" إلا أن المشروع كان له تأثير واسع على الدولة بأسرها، حيث أصبح نموذجًا يُحتذى به في كل المدن الكبرى^(٣).

وبالإضافة إلى هدم البيوت، فإن مشروع التجديد العمراني للحي الجنوبي الغربي من دي سي حطم عددًا كبيرًا من أعمال يملكها السود.

ثم إن مشروع التجديد العمراني الذي استهدف الجنوب الغربي من دي سي في خمسينيات وستينيات القرن الماضي ما هو إلا مواصلة لعملية إزالة الأتربة التي جرت في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي. كما أن لها صدى في التوجهات الأخيرة في تطوير واستطابق وسط المدينة. ومثل جوارات وعشوائيات الأفارقة الأمريكيين في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، كانت مجتمعات الأتربة هي بؤرة تركيز الإصلاح الاجتماعي - حيث نُظِرَ إليهم كغير أصحاب، ولا أخلاق لهم، ومصدر تهديد لأن سكان الأتربة في المقام الأول لم يكونوا من البيض. ونفس اللغة التي استخدمت في تطهير الأتربة هي التي استخدمت لإلهم تشريد الأفارقة الأمريكيين من وسط المدينة في مشروع التجديد العمراني.

ومن المهم النظر إلى تشييد وتشريد من لا مأوى لهم من المقيمين في المدينة من خلال التعصب التاريخي ضد الأفارقة الأمريكيين؛ حيث إن حوالي (٨٢٪) من سكان واشنطن دي سي

(1) Berman V. Parker, 348 U.S. 26, 75 S. Ct. 98, 99 L. Ed. 27.

(2) Gillette, Howard. *Between Justice and Beauty: Race, Planning, and the Failure of Urban Policy in Washington, D.C.* Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1995. Page 163.

(3) Farrar, Margaret. *Building the Body Politic: Power and Urban Space in Washington, D.C.* Chicago: University of Illinois Press, 2008.

المشردين من أصول أفريقية أمريكية^(١). وعند الأخذ في الاعتبار التاريخ الطويل لمجتمعات أزقة دي سي وإزاحة مجتمعات الأفارقة الأمريكيين من أحيائهم في الجنوب الشرقي من المدينة، يصبح جلياً أن أفارقة مقاطعة كولومبيا الأمريكيين لهم حقوق تاريخية قوية في وسط المدينة.



شكل (٥٤) منطقة جنوب غرب واشنطن دي سي في ١٩٦٥.

لم تحقق خطط التجديد العمراني نجاحاً كاملاً في الجنوب الغربي لواشنطن دي سي للعديد من الأسباب التي تصيب جهود التجديد الذي يقوم بها دعاة الحداثة. حيث بقيت أماكن في الجوار متداعية، دخلها متدنٍ وخطيرة إلى حد ما. ولقد احتدمت الأحوال في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، حيث إن واشنطن دي سي من بين المدن الأقل دخلاً للفرد والأعلى في نسبة الجريمة.

كندا

في الوقت الحاضر، هناك مزيج من الترميم، والهدم الانتقائي، والتنمية التجارية، والحوافز الضريبية التي تنشط في غالب الأحوال في الجوارات العمرانية. مثال لاجتثاث كلي لمجتمع كما حدث في "أفريقفيل" أو "مدينة الأفريقيين" (Africville) في هاليفاكس بنوفا سكوتشيا، كندا.

التجديد العمراني في سنغافورة

يعود تاريخ التجديد العمراني في سنغافورة إلى الفترة المحيطة بالحرب العالمية الثانية؛ فقبل الحرب كانت بيئة الإسكان في سنغافورة مشكلة عويصة. وقد ازداد التوتر سوءاً بين أحوال البنية

(1) Washington Legal Clinic for the Homeless. Facts on Homeless in Washington, D.C. Overview.

التحتية والإسكان نتيجة الزيادة السريعة في تعداد سكان سنغافورة في العقد الثالث من القرن العشرين. واستمرت حالة تدهور الإسكان نتيجة تداعيات الحرب وانعدام التنمية الاقتصادية في الحقبة ما بين الأربعينيات والخمسينيات؛ حيث يوجد في سنغافورة (٢٤٠,٠٠٠) متشرد واضعي اليد على بعض الأراضي. وكان ذلك بسبب حركة المهاجرين، خاصة من شبه جزيرة ماليزيا والانفجار السكاني الذي أعقب الحرب^(١). وفي منتصف (١٩٥٩)، كانت العشوائيات المكتظة بالبشر يسكنها أعداد كبيرة من واضعي اليد، حيث كانت تلك الأماكن خالية من مرافق الخدمات مثل الصرف الصحي^(٢).

وقد تضمنت سياسة الإصلاح القومية التي جرى تنفيذها على وجه العجلة منذ إنشاء جمهورية سنغافورة عملية التجديد العمراني. ولقد وضعت الخطة الرئيسية في عام (١٩٥٨) لحل مشاكل المدينة، غير أن غياب خبراء التخطيط العمراني نتيجة نقص في المهنيين أدى إلى انتقادات للعديد من ممارسي التخطيط العمراني. وقد كلفت الحكومة الفريق المهني الذي رشحته الأمم المتحدة للاطلاع على شؤون التجديد العمراني وخطة إعادة التنمية في عام (١٩٦١). وبناءً على تقرير مساعدة الأمم المتحدة، قامت الحكومة بالمبادرة في مشروع تنموي رائدين في نهاية عام (١٩٦٤). وقد أسفرت إعادة التنمية إلى نجاح التجديد العمراني، حيث قدمت الحكومة عددًا كبيرًا من مناطق السكن العام ومناطق الأعمال. ولقد واجهت حكومة حزب العمل الشعبي (الحزب السياسي الحاكم في سنغافورة منذ عام ١٩٥٩) وهو الحزب الحاكم لأطول مدة في البلاد) بعض المصاعب في وضع برامج التجديد العمراني. تلك المصاعب توعز إلى مقاومة الذين كانوا يعيشون في العشوائيات وأماكن وضع اليد. فقد سجلت جرائد سنغافورة أن أولئك السكان كانوا ممانعين عن التخلي عما هم فيه، وهذه كانت أكبر مشكلة تواجه خطط إعادة التنمية في العقد السادس^(٣). ومن الإشكاليات الأخرى أن قيمة الأرض أصبحت في طوق الكثيرين؛ كما أن الحكومة اضطرت لشراء الأراضي الخاصة التي تملكها القطاعات المتوسطة والعليا لتستخدم الأراضي الشاغرة في إعادة التنمية.

إن سياسة التجديد العمراني تعتمد في كثير من الأحيان على تسلط الدولة على الحوار بشأن القضاء على ملاعج محاور المدن القديمة وبنيتها التحتية، وإحلالها بما يتطلبه السوق القائم والناخبون الراغبون في التجديد. وفي هذا الموضوع يقول البروفيسور كينيث بول تان، الأستاذ في جامعة سنغافورة

- (1) Dale, O.J., *Urban Planning in Singapore: The Transformation of a City*. 1999, New York: Oxford University Press.
- (2) Lim, W.S.W., *Cities for People: Reflections of a Southeast Asian Architect*. 1990, Singapore: Select Books Pte Ltd.
- (3) Bishop, R., J. Phillips, and W.-W. Yeo, eds. *Beyond Description: Singapore Space Historicity*. 2004, Routledge: New York.

الوطنية^(١): إن الصورة الذاتية لسنغافورة لما نجحت في إنجازه ضد كل المصاعب يضع عبئًا ضخماً على الحكومة والناس للحفاظ على ذلك النجاح وتخطيه. والدفع القوي للتقدم والتطوير يحطم في طريقه الكثير من الأشياء، وعادة دون تمييز، وفي الغالب دون قصد. ولمواجهة تلك الخسائر نفسياً فإن ثقافة سنغافورة القائمة على الراحة والثراء أمكن تحصيلها عن طريق إتقان وسائل قمعية. فالرغبة قائمة في التقدم الاقتصادي، والحركة إلى أعلى، وأساليب حياة مرفهة وسهلة، إلى جانب مدينة تضاهي أفخم مدن العالم. وفي سبيل ذلك على مواطني سنغافورة أن يقيموا فقدان مشاعرهم للمكان والمجتمع، والعلاقات العائلية، والعاطفة والرحمة، والعادات والقيم الأسبوية، والانفتاح على سائر العالم، بل أيضاً الانضباط والعمل الشاق والتدبير الذي صاحب سلوكات الرأسمالية الصناعية السابقة. لكنه لا توجد جهود قمعية كاملة، متناسقة وناجحة تماماً، حتى تحت ظل سيطرة الهيمنة. وبهذا فإن الحاضر دائماً معقد وعالم محطم لقيم وسلوكات ومثاليات انفصالية.

جمهورية التشيك

لقد تمت إزالة جوار جوزيفوف (Josefov) أو الربع اليهودي القديم في مدينة براغ وأعيد بناؤه كجزء من التجديد العمراني في حقبة (١٨٩٠-١٩١٣).

الأرجنتين

قام برنامج التجديد العمراني في ميناء ماديرو (Puerto Madero) في بونس أيرس بالأرجنتين بتحويل حوض سفن كبير يساء استخدامه إلى حي إسكاني وتجاري راقٍ، ويعتبر واحداً من أغلى الأحياء في أمريكا اللاتينية وأكثرها خصوصية. ولقد تم تشييد (٥٠) ناطحة سحاب في ميناء ماديرو في العشرين سنة السابقة.

البرازيل

هناك مشروع عمراني كبير لإنعاش شاطئ ميناء مارافيلها (Porto Maravilha) بربو دي جانيرو بالبرازيل يغطي مساحة خمسة ملايين متر مربع في موقع مركزي. ويهدف المشروع إلى إعادة تنمية منطقة الميناء، وزيادة جاذبية وسط المدينة ككل، وتعزيز تنافسية المدينة في الاقتصاد العالمي. ويشمل التجديد العمراني:

(1) Tan, Kenneth Paul (1 January 2011). "Violence and the supernatural in Singapore cinema". *New Cinemas: Journal of Contemporary Film*. 8 (3): 213–223.

- ◆ (٧٠٠) كيلومتر من الشبكات العامة لتوزيع المياه، والصرف الصحي، والكهرباء، والغاز، والاتصالات الهاتفية.
- ◆ ٥ كيلومترات من الأنفاق.
- ◆ ٧٠ كيلومترًا من الطرق.
- ◆ ٦٥٠ كيلومترًا مربع من أرصفة المشاة.
- ◆ ١٧ كيلومترًا من طرق العجلات.
- ◆ ١٥,٠٠٠ شجرة.
- ◆ ٣ محطات لمعالجة المجاري.

مناقب التجديد العمراني

أحيانًا ما تثمر جهود التجديد العمراني عما يتوقعه المروجون لها، ووفق تقييم الساسة، والمخططين العمرانيين وقادة المجتمع والمقيمين في المدن، فإن التجديد العمراني لعب دورًا مهمًا لا مرأ فيه لتحسين الحياة في المدن. بالإضافة إلى ذلك، فإنه من الممكن أن يؤدي التجديد العمراني إلى تأثيرات إيجابية عديدة. فتعويض المستهلك من رصيد الإسكان يمكن أن يتم عن طريق:

- ◆ تحسن في الجودة.
- ◆ زيادة في الكثافة وتخفيض في التمدد الأفقي (فعالية استخدام الأرض).
- ◆ عوائد اقتصادية مثل تطوير أحواض السفن في لندن زادت من عوائد الضرائب على الحكومة.
- ◆ تحسن في التنافسية الاقتصادية العالمية لوسط المدينة.
- ◆ تحسن في الإضافات الثقافية والاجتماعية المرغوبة؛ في بعض الأحوال.
- ◆ تحسن في فرص الأمن والمراقبة.

في عام (١٩٦٤) عبر المعلق البريطاني نيل واطس (Neil Wates) عن رأيه في التجديد العمراني في الولايات المتحدة بأنها أثبتت عمليا أن برامج التجديد العمراني لها فوائد جمة يمكن أن يجنمها

المجتمع؛ مثل علاج المشاكل الشخصية للفقير، وخلق أو تجديد رصيد الإسكان وفرص تعليمية وثقافية^(١).

والأمثلة التي سبقت تظهر خصائص التجديد العمراني المسؤول عن:

- ◆ إعادة تأهيل المجتمعات المحلية - وكذلك إزاحة المجتمعات المحلية.
 - ◆ إحلال المساكن - خاصة بأبراج سكنية - مما يجعل من الصعب تأمينها فيؤدي إلى زيادة في الجريمة؛ كما أن تلك الإنشاءات في حد ذاتها تتدنى بإنسانية سكانها.
 - ◆ ليست استشارية إلا في حالات نادرة؛ ففي برامج أخرى للتجديد العمراني مثل كاستلفورد في المملكة المتحدة، والمعروف بمشروع كاستلفورد (The Castleford Project)^(٢)، يسعى إلى تأسيس عملية تجديد عمراني تمكن المواطنين المحليين من أن يكون لهم تحكم أكبر وملكية لتوجه مجتمعهم والأسلوب الذي يتغلب به على فشل السوق. هذا يدعم مواضيع مهمة في التجديد العمراني اليوم، مثل المشاركة، والديمومة والثقة - وقيام الحكومة بدور المعضد بدلا من أن تكون آلية للأمر والتحكم.
 - ◆ تطور باستمرار نتيجة أخذ العبر من النجاح والإخفاق واختبار نماذج جديدة للتنمية وإعادة التنمية وتنفيذها.
- وخلال العقد التاسع من القرن العشرين اكتسبت فكرة التجديد الذي تقوده الثقافة أرضية للانطلاق. ومن الأمثلة التي تدرج في سياق نجاحات تلك الفكرة:
- ◆ بار المعبد (Temple Bar) في دبلن، حيث اجتذبت السياحة إلى الربع الثقافي البوهيمي.
 - ◆ برشلونة حيث وفر أولمبياد (١٩٩٢) المحفز لإصلاح البنية التحتية وإعادة تنمية منطقة الشاطئ.
 - ◆ بلباو (Bilbao) مدينة في شمال أسبانيا، حيث كان بناء متحف فنون جديد البوصلة لحي أعمال جديد أنشئ حول منطقة أحواض السفن المهجورة في المدينة.

(1) Neil Wates, 'Urban renewal: US and UK' New Society 31 December 1964, p. 15.

(2) "Kevin McCloud and the Big Town Plan-All 4" Channel Four Television Corporation 2017.

وصول متحف تيت مودرن (Tate Modern)، معرض الفن الحديث إلى مركز ساوثوارك (Southwark) بلندن كان بشري كحافز لإحياء الاقتصاد في الجوار المحيط به.

هذه الطريقة لاقت إقبالا كبيرا في المملكة المتحدة نتيجة التمويل من ريع اللوتاريا التي وفرت رأسمال المشاريع إلى جانب حيوية الثقافة والقطاعات المبتكرة.

وكمثال لعملية تجديد عمراني تؤول بالفشل وسط مدينة شلالات نياجرا (Niagara Falls)، الجانب الأمريكي بولاية نيويورك؛ حيث تم هدم غالبية وسط البلد الأصلي في العقد السادس من القرن الماضي، وتنفيذ عدة مشاريع (التي أغلق بعضها بعد مرور عشرين إلى ثلاثين سنة من إنشائها) لتحل محل المنشآت القديمة منها:

مركز رينبو (قوس قزح) لفوائض المصانع (Rainbow Centre Factory Outlet) الذي يبيع فوائض المصانع لحساب المصانع مباشرة بتخفيض.

مركز نياجرا فوولز للمؤتمرات والأنشطة المدنية (Niagara Falls Convention and Civic Center).

مركز الأمريكيين الأصليين الثقافي (Native American Cultural Center).

مبنى المقر الرئيس لشركة هووكر الكيماوية (Hooker Chemical) والتي تغير اسمها لاحقا إلى شركة أوكسيدنتال للنفط (Occidental Petroleum).

حديقة الشتاء (Wintergarden).

منتزه فوولسفيل سبلاش (Fallsville Splash Park)، مع مرفأ كبير منحدر لوقوف السيارات، وممر مغلق للمشاة.

تجمعات شارع فوولز فير (Falls Street Faire) ومحطة شارع فوولز (Falls Street Station) للترفيه.

طريق روبرت موسز السريع المفتوح للولاية (Robert Moses State Parkway)

ساحة العمدة إي دينت لاي (Mayor E. Dent Lackey Plaza).

وبعض الكتل المعمارية التي هدمت لم يحل محلها أية بناية إلى الآن. وفي نهاية المطاف تحطمت منطقة السياح السابقة في المدينة على طول شارع فوولز. كل ذلك لم يتسق مع مبادئ

العديد من فلاسفة العمران، مثل جين جيكوبس، الذي يرى أن هناك حاجة للأحياء المختلطة الاستعمال (على عكس ما عليه وسط المدينة الجديد) كما أن شرايين الحي يجب أن تبقى مفتوحة، والمباني الأصغر إما أن يتم بنائها أو تترك على حالها. كما أن مبنى المؤتمرات في مدينة شلالات نياجرا أوقف المرور داخل المدينة، حيث إنه يقع في وسط شارع فوولز (الشريان الرئيس)، كما أن حديقة وينترجاردن سدت هي الأخرى المرور من مركز المؤتمرات إلى شلالات نياجرا. أما مركز رينبو فقد قطع شبكة الشوارع، حيث احتل ثلاثة بلوكات وعزلت نزلات مرفأ السيارات المدينة من قلبها، مما أدى إلى تداعي مناطق الجوار القريبة. وقد أجبر السياح على المشي حول مركز رينبو التجاري، وحديقة وينترجاردن وفندق كواليتي إن (Quality Inn) المتجاورة بعضها لبعض، في مجموعة خمسة بلوكات، مما يحبط محاولات الأعمال الصغيرة من التواجد في المدينة.

عقب حقبة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا برزت حركات اجتماعية شعبية مثل حملة غرب الخليج لمكافحة الإخلاء، وأباهلالي بيزمجوندولو لتقاوم برامج التجديد العمراني التي قامت بإخلاء المدن من الفقراء.

إن برامج التجديد العمراني للمدن الكبرى ومناطق الحضر أو إنعاشها أمر ضروري للحفاظ على رونق الحضر وحيويته؛ حيث إنه يشكل القلب النابض للدول، والذي يعكس حالتها الاقتصادية والتنموية، ويعكس التطورات الاجتماعية والأحوال الثقافية للبلاد، وكثيراً ما ينبئ عن مدى الاستقرار السياسي لها.

كما أن برامج التجديد العمراني سلاح ذو حدين، فقد يفتت من عروة المجتمع ويأتي بنتائج عكسية لما يراد به من إصلاح، بينما يضيفي على المناطق الحضرية مسحة من جمال زائفة؛ وبالمقابل قد يرق بحال المجتمع ويوفر لعامة الناس المأوى اللائق بإنسانيته وطموحاته. وقد ينتهي بزيادة عدد المشردين ومن لا مأوى لهم، وارتفاع في معدل الجرائم والتدهور البيئي والصحي في المدن؛ وبالمقابل قد يستوعب عددًا كبيرًا ويزودهم بمنافع حياة الحضر من سهولة المواصلات والخدمات الصحية والبلدية والأمن والأمان.

ومن مثالب بعض برامج التجديد العمراني أن بعضها يتم رسم معاملته من صور جوية من طائرة تحلق فوق المدينة دون الأخذ بالحسبان حاجيات وخصوصيات الذين يعيشون على الأرض. المهم هو التناسق الفني في منظر المدينة من أعلى. مثال لذلك مد طرق سريعة للسيارات يشق منطقة تضح بالمشاة ليل نهار، مثل سوق كبير أو حرم جامعي يتنقل فيه الطلاب بين المباني المختلفة.

سياحة العشوائيات

سياحة العشوائيات أو سياحة الجيتوهي نوع من السياحة التي تتضمن زيارة مناطق الفقر. وفي البداية ركزت السياحة على عشوائيات لندن في إنجلترا ومانهاتان في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، ولكن سياحة العشوائيات أصبحت في الوقت الحالي بارزة على نحو متزايد في كثير من الأماكن بما في ذلك جنوب أفريقيا، والهند، والبرازيل، وكينيا، وإندونيسيا، وأماكن أخرى^(١)، إلى جانب الجولات بالدراجات في ديترويت (Slow Roll Detroit).

والتعلق بالعشوائيات آخر صيحة من السلوكات الخصوصية في لندن^(٢)؛ والتي بدأت كظاهرة اجتماعية في الطبقة العليا مع تصاعد انشغال الفيكتوريين (بالنسبة لعادات من عاصروا الملكة فيكتوريا الأولى ومن نهجوا على نهجهم، ومنها العزلة الطبقية، وترفع الطبقة العليا على الطبقة الدنيا) بالخلط بين الأعمال الخيرية والوسوسة الاجتماعية ولذة رؤية آخرين في حالة كآبة وألم وضيق. وبهذا كانت تنظم جولات مجموعات من السيدات والسادة من أعضاء الطبقة الراقية والمتوسطة في العشوائيات للمدينة الكبرى للفرجة - كما تمارس بشكل معتدل من قبل الزائرين الأجانب، وتتضمن زيارات العشوائيات والأحياء السيئة السمعة والمزوية في لندن، مثل الكنيس الأبيض "وايت تشابل" (Whitechapel) أو مصرف الشاطئ "شورديتش" (Shoreditch) حيث يتفقد الناس كيفية العيش في تلك الأحوال. وتنتهي الجولة بزيارة غرزة أفيون أو مكان تدربه الفكاهي البريطاني هاري هيل (Harry Hill). وبدأ الأغنياء في مدينة نيويورك في عام ١٨٨٤، بجولات في البواري (Bowery) وتنتهي بزيارة غرزة أفيون. والبواري منطقة في جنوب جزيرة مانهاتان بنيويورك هاجر إليها الهولنديون وأطلقوا عليها هذا الاسم الهولندي الذي يعني المزرعة^(٣)، وهي تتضمن المدينة الصينية (Chinatown)، وإيطاليا الصغرى (Little Italy)، وشرق القرية أو "إيست فيليج" (East Village) البوهيمية. كما كان أثرياء نيويورك يزورون منطقة فايف بوينتس (Five Points) في الجانب الشرقي الأدنى (Lower East Side) من المدينة، حيث توجد جوارات المهاجرين الفقراء للفرجة على كيف يعيش النصف الآخر من البشر^(٤).

- (1) Ma, Bob. (2010). "A Trip into the Controversy: A Study of Slum Tourism Travel Motivations." 2009-2010 Penn Humanities Forum on Connections.
- (2) "Slumming In This Town. A Fashionable London Mania Reaches New-York. Slumming Parties To Be The Rage This Winter. Good Districts To Visit. Mrs. Langtry As A Slummer". *New York Times*. September 14, 1884.
- (3) Jackson, Kenneth L. "Bowery" in Jackson, Kenneth T., ed. (2010), *The Encyclopedia of New York City*, New Haven: Yale University Press.
- (4) Marc Saint-Upéry (October 21, 2010). "Left at the Crossroads: Ogling the poor". *RIA Novosti*.

المرحلة الحديثة في سياحة العشوائيات

وفي العقد الثامن من القرن الماضي نظم المقيمون السود في جنوب أفريقيا جولات منظمة للمدن لتعليم البيض في الحكومات المحلية عن كيفية معيشة السكان السود. وقد اجتذبت تلك الجولات سياحًا دوليين أرادوا معرفة المزيد عن التمييز العنصري^(١).

وفي منتصف العقد التاسع من القرن العشرين، بدأ تنظيم جولات دولية مقصدها المناطق الأكثر حرمانًا من العشوائيات في الدول النامية. تلك الرحلات السياحية ازداد الإقبال عليها، وعادة ما تنظمها وتعلن عنها شركات سياحة مهنية. ولقد وصل عدد السياح الذين يزورون كيب تاون (Cape Town) في جنوب أفريقيا؛ على سبيل المثال يزيد عن (٣٠٠,٠٠٠) سائح سنويًا قادمين خصيصًا لمشاهدة العشوائيات^(٢).

وقبل عرض الفيلم الأمريكي سلمدوج مليونير (Slumdog Millionaire) في عام (٢٠٠٨)، كانت بمباي بالهند هي مقصد سياح العشوائيات. وقد راجت فكرة سياحة العشوائيات مؤخرًا بين الإعلاميين والأكاديميين. وفي ديسمبر (٢٠١٠) عقد أول مؤتمر دولي تحت عنوان "الوجهة عشوائية" (Destination Slum) في بريستول، المملكة المتحدة، حيث اجتمع الباحثون في سياحة العشوائيات وتناولوا على وجه التحديد الأبعاد الجمالية، والاقتصادية، والتاريخية، والسياسية، والاجتماعية لسياحة العشوائيات. وفي (١٤-١٦ مايو ٢٠١٤) عقد المؤتمر الثاني "الوجهة عشوائية ٢" في جامعة بوستدام، حيث حضر المؤتمر أكثر من ستين مشاركًا من (١٥) جنسية ناقشوا التطورات في مجال سياحة العشوائيات. وقد سجل فيديو يعكس روح المؤتمر، نشر على موقع الشبكة الاجتماعية للعاملين في أومع سياحة العشوائيات (Slumtourism.net).

- (1) Dondolo, L., 2002. *The Construction of Public History and Tourism Destinations in Cape Town's Townships: A Study of Routes, Sites and Heritage*, Cape Town: University of the Western Cape.
- (2) Manfred Rolfes, *Poverty tourism: theoretical reflections and empirical findings regarding an extraordinary form of tourism*, in *GeoJournal*, (Springer Science and Business Media, 26 September 2009), 421.



شكل (٥٥) إعلان مؤتمر "الوجهة عشوائية ٢".

يمكن وضع تعريف جديد لسياحة العشوائيات، وهو أنها زيارات سياحية إلى مناطق حضر تعاني من الفقر النسبي، ورغم أن التعريف البديل لا يتضمن النشوة من مشاهد حياة الطبقة الدنيا كما كان عليه الحال في الماضي، إلا أنه ظل موضع خلاف. ولكن الخلاف حول مفهوم سياحة العشوائيات لم يمنع الارتفاع العالمي في عدد السائحين إلى مقاصد العشوائيات، سواء في الدول النامية أو المتقدمة. وبهذا انضمت وجهات جديدة إلى قائمة طويلة من المواقع التي يقصدها سياح العشوائيات، بينما بعض المواقع القديمة التي يرتادها السياح أصبحت ناضجة ومشبعة بمستويات أعلى من التنوع والتدخل السياسي، بما في ذلك دمج سياحة العشوائيات إلى استراتيجيات إعادة الحياة إلى الحضر وسياحة المناطق الحضرية.

الدوافع

خلصت دراسة قامت بها جامعة بنسلفانيا في عام (٢٠١٠) إلى أن دافع السياح في عشوائية دهارافي في مدينة بمباي كان مجرد حب استطلاع مقارنة بالدوافع الأخرى مثل المقارنة الاجتماعية أو الترفيه أو التعليم أو تحقيق الذات. بالإضافة إلى ذلك وجدت الدراسة أن مشاعر معظم سكان العشوائية كانت متضاربة بالنسبة للجولات السياحية، بينما مشاعر غالبية السياح كانت إيجابية تعبر عن الاهتمام والانبهار؛ وكثير من السياح يزورون العشوائيات لوضع حياتهم في منظور واقعي.

والفنانون الذين يسافرون إلى مواقع حضرية مختلفة عادة ما يزورون العشوائيات بهدف تعلم وتبني أساليب جديدة للكتابة على الجدران (الجرافيتي).

تسهيلات سياحة العشوائيات

ورغم إقبال الناس على المساكن الحديثة وتفضيل الغالبية في كثير من الدول على المعيشة في الضواحي الجديدة النشأة التي تتميز باتساع شوارعها والسعة في المسكن عن الحياة في المدن القديمة

بشوارعها الضيقة ومبانيها المتهالكة وتكدس السكان وإزدحام الطرق والضحيج: فإن هناك فريقًا ليس بالقليل يفضل المعيشة في الحضر والأحياء القديمة من المدينة لما تحوي بين جدرانها من تاريخ، ومعالم وذكريات شخصية، وقيم ثقافية متجذرة في نفوس سكانها. وعادة ما تغص تلك الأحياء بالفنانين والكتاب والفلاسفة. كما يتزايد الطلب على المباني القديمة وترميمها وإعادة نضارتها والعيش فيها.

وهناك من تجذبه المدن القديمة مثل المدن التي كانت منتعشة في عنفوان صناعة الحديد الصلب، منازل تلك المدن التي لم تلق ترميمًا ولا تجديدًا لفترة طويلة، والمبينة من الرخام بدأت تتآكل وتصدأ من الخارج، وإن ظلت على حالها مبان قوية يصعب نقضها. هناك كثير من أهل المدن يتمنون الإقامة في تلك المباني الصدئة، حيث يرون في صدئها إنباء عن عهد رخاء وتاريخ لأبائهم وأجدادهم.

بل إن بعض مجالس المدن تصنف بعض المباني القديمة بصرف النظر عن إحاطتها بمساكن عشوائية بأنها معالم تاريخية وتحظر على ملاكها هدمها أو تغيير هيكلها الإنشائي، وقد تساهم في ترميمها والإنفاق على صيانتها والحفاظ عليها. ومن تلك المنشآت منازل البندقية (shotgun) كناية على أنها بيوت على شكل مستطيل طوله أضعاف عرضه ويتوسطها صالة طويلة إذا أطلقت أعيرة نارية من بندقية من مدخل البيت تصل إلى مؤخرته دون الاصطدام بأي عائق. ومثل هذه البيوت منتشرة في نيواورليز. وكذلك المحافظة في ولايات جنوب الولايات المتحدة الأمريكية على قصور الإقطاعيين القدامى التي تقع على رأس إقطاعياتهم (plantation) بما في ذلك مساكن العبيد. وفي كثير من الأحيان توجد تلك البيوت في وسط عشوائيات تحيط بها من كل مكان. وكثير من تلك البيوت تحولت إلى مكان لمبيت الزوار في غرف تحتوي على أسرة وتجهيزات من طراز قديم ومطاعم.

ولتشجيع سياحة العشوائيات المتواصلة من خارج المدينة وداخلها تنشأ في قلب العشوائية مطاعم تقدم فيها وجبات محلية ومقاهٍ ومنتديات. وقد يستفيد بعض المستثمرين من سمعة العشوائية السيئة فينشؤون فيها ملاهي ليلية صاخبة.

الجانب الأكاديمي لسياحة العشوائيات

سياحة العشوائيات كأني ظاهرة تنمية تلقت اهتمام البحوث الأكاديمية المتزايد الذي يشهد له العدد الكبير من دراسة حالات العشوائيات وسياحة العشوائيات من وجهات نظر تخصصات متباينة. وقد انتقل تركيز البحوث العلمية نقلة كبيرة من طرح الأسئلة المتعلقة بالعشوائيات عن الأخلاقيات وتأثير سياحة العشوائيات ودوافعها إلى تناول كثير من القضايا التي تجمع بين سياحة العشوائيات والصور الأخرى من السياحة، مثل: التطوع، والسياحة المستدامة والسياحة القائمة على

المجتمع، والسياحة المعنية بشؤون الفقراء، وغيرها، وكذلك ما يسمى بالسياحة السوداء أو السياحة الظلامية (زيارة أماكن القتل والدمار والخراب)^{(١)٠(٢)}.

كما أن الباحثين توجهوا إلى نقاش ما يمكن أن تقدمه بحوث سياحة العشوائيات للإجابة على أسئلة تتولد من دراسة الظاهرة العالمية، وأسئلة مثل الحركة البشرية، والحراك الاجتماعي والتظاهرات، وتجديد الحضر، والأمن، والأحداث الكبرى، أو التخفيف من عناء الفقر.

مواقع سياحة العشوائيات

غالبية سياحة العشوائيات الشائعة تتضمن الحضر في بعض الدول النامية؛ مثل:

- سياحة مدينة: سياحة في مدن جنوب أفريقيا وناميبيا عقب حقبة التمييز العنصري. ومستوطنات جنوب أفريقيا ما زالت مقسمة بشكل واضح إلى مدن غنية، وضواحي بيضاء تاريخيًا، وفقيرة، ومدن سوداء تاريخيًا، نتيجة تأثيرات التمييز العنصري والطبقي.
 - سياحة فافيل (Favela): فافيل تعني عشوائية بالبرتغالية، البرازيل^(٣).
 - الهند: العديد من الأماكن بما في ذلك دهارافي (Dharavi) في بمباي، كما صورت في فيلم سلمدوج مليونير (Slumdog Millionaire)^(٤).
 - جولات جاكارتا الخفية: جاكارتا عاصمة إندونيسيا^(٥).
 - الأقسام الاجتماعية والدينية: مدينة نيويورك وبلفاست في شمال أيرلندا^(٦).
- وسياحة الجيتو تركز على زيارات العشوائيات التي يعيش فيها أقليات دينية أو عرقية والمعروفة بالجيتو، والموجودة في الدول المتقدمة. وسياحة الجيتو تشمل العديد من أنواع الترفيه، منها

(1) Foley, Malcolm; J. John Lennon (1996). "JFK and dark tourism: A fascination with assassination". *International Journal of Heritage Studies*. Taylor & Francis. 2 (4): 198–211.
(2) Rami Khalil Isaac; Erdiņ Çakmak (2013). "Understanding visitor's motivation at sites of death and disaster: the case of former transit camp Westerbork, the Netherlands". *Current Issues in Tourism*. Taylor and Francis: 1–16.
(3) "Different from what visitors expect", Interview with Oberdan Basilio Chagas who guides visitors through his favela. In: *D+C* Vol.42.2015:4.
(4) *Slum tourism: Patronising or social enlightenment?*. BBC News.
(5) "Jakarta Hidden Tours". Realjakarta.blogspot.com. 2004-02-27.
(6) Amelia Gentleman. ""Slum tours: a day trip too far? – The Observer, Sunday 7 May 2006". *Guardian*.

السياحة الافتراضية؛ مثل راب العصابات، وألعاب الفيديو، مثل "السرقة الكبرى للسيارات" (Grand Theft Auto)، والأفلام السينمائية وعروض التلفزيون، مثل أوزي (OZ)، وكل الوسائل التي تتيح للسياح التنقل في قلب المدينة دون مغادرة البيت⁽¹⁾. ولقد أتاحت الميديا الرقمية الفرص لتمثيل الواقع بتفاصيل أدق مما تراه عين السياح خلال جولتهم في العشوائيات. فالرغبة في الإثارة يمكن أن تتحول إلى رغبة، ليس لتشهد أضخم وأفضل انفجارات، ولكن يمكن تخطي حدود الطبقة والعنصرية لاكتساب خبرة الإحساس بأساليب حياة الآخرين.

ومن المواقع التي تجذب السياح الدوليين والمحليين:

- طفرة كبيرة ناجحة في السياحة في حي هارلم (Harlem) في مدينة نيويورك (حي الأفارقة الأمريكيين في نيويورك) في العقد الثامن من القرن العشرين نتيجة تهافت السياح الدوليين على الحي (جيتو السود)، ومما يجتذب السياح، دور الملاهي والثقافة الخاصة بالسود.
- بداية من عام (٢٠٠٢)، بدأت مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا تنظيم جولات خلال أحياء المدينة الداخلية المهدامة.
- في أعقاب إعصار كاترينا، تم تنظيم جولات في الدائرة التاسعة المنخفضة التي دمرتها الفيضانات؛ والدائرة مشهورة كمعقل العنف والفقر في مدينة نيو أورلينز⁽²⁾.
- منطقة جين-فينش (Jane-Finch) في تورونتو بكندا اكتسبت شهرة سياحية كم منطقة في مرحلة انتقال.
- تشارليروي (Charleroi) في بلجيكا مثال لاجتذاب السياح⁽³⁾.
- مدينة الصين (China Town)، بمدينة نيويورك، وسان فرانسيسكو، وبعض المدن الأخرى حيث تقدم أفضل الأطباق الصينية في جو صيني أصيل.
- حي شرق القرية (East Village) في شرق جزيرة مانهاتان بمدينة نيويورك، حيث يعيش الفنانون والبوهيميون وأقطاب الغناء واليهيى والبتيكس، ... الخ.

(1) Michael Stephens (2005). White Ghetto Tourism. *PopMatters* (cultural-criticism journal).

(2) Amelia Gentleman. "Slum Tours: A day trip too far? – The Observer, Sunday 7 May 2006". *Guardian*.

(3) "Wallonia: Eight things you didn't know about Belgium's French-speaking region". *BBC News*. October 24, 2016.

- حي سوهو الشهير بلندن، والذي يرتاده السياح لما فيه من مطاعم ونوادٍ ليلية.

وسياحة الجيتو أو الحضر عادة ما تتضمن رحلة إلى مقاصد أصبحت شهيرة بذكرها مباشرة أو غير مباشرة على لسان فنانيين شعبيين. فالرحلات إلى أجزاء معينة من مدينة ديترويت بولاية ميتشجان تتضمن شارع ٨ ميل (8 Mile Road) الذي عرف لأنه ظهر في فيلم يحمل اسم الشارع. وطريق كرنشو (Crenshaw Boulevard) في جنوب لوس أنجلوس، منطقة حضرية ألهمت جيلا كاملا من رواد التأثير الموسيقي، يمكن أن تدرج في قائمة سياحة الحضر.



شكل (٥٦) مدخل بيراميد كلوب في إيست فيليج.

مناقب سياحة العشوائيات

الجولات السياحية في العشوائيات توفر عملاً ودخلاً لمرشدي الجولات من أهل العشوائية، كما أنها تشكل فرصة للعمال الحرفيين لبيع الهدايا التذكارية من صنع أيديهم، وربما استثمار هؤلاء في مجتمعهم مثل تنظيف قلب العشوائية وترميم بعض المباني أو في مشاريع تجذب المزيد من السياح؛ مثل عرض لبعض الفنون والأعمال الترفيهية الخاصة بأهل العشوائية؛ مثل عروض للرقصات والأغاني الشعبية تؤديها فرقة منتقاة من سكان العشوائية أو فعاليات ثقافية تجذب إليهم المزيد من السياح.

والجولات السياحية بلا شك ستساعد على زوال حواجز الخوف وظلال الشك التي تخيم على أهل العشوائيات، والتي تحول بينهم وبين أهل الخير ممن يعيشون خارجها، خاصة أولئك الذين يعيشون على مشارف خط الفقر في أحياء الطبقات المتوسطة، فعزلة أهل العشوائيات تزيد في تدهور

أحوالهم وتقود بالأجيال الجديدة إلى التشرّد والارتقاء في أحضان أهل السوء الذين يفسدون عليهم حياتهم.

فالسياحة تتيح لسكان العشوائيات فرص تعاطف الميسورين حالاً مع قضاياهم، مما يجلب إليهم مساعدات ترقى بحالهم، وقد تصلح من أحوالهم. بل قد يستقطبون رجال أعمال يقومون بمبادرات أعمال مربحة، مثل إنشاء مقاهٍ ومنتديات ومطاعم على مستوى راق يتهافت عليه السياح ليتذوقوا كيفية المعيشة دون الاكتفاء بالنظر إلى سكان العشوائية من بعد، وكأنهم يزورون حديقة الحيوانات. بل من المستثمرين من قد يذهب إلى أبعد من ذلك ويرى الاستفادة من الأيدي العاملة في مشروع صناعي أو تجاري.

بالمقابل هناك من قد يستثمر في مشاريع تزيد من حجم السياحة في العشوائيات ليغنم منها دون أن يعود على العشوائية أية مكاسب، بل إن مرشدي الجولات يأتون من خارج العشوائية حتى يضيفوا على الجولات عنصراً من الإثارة والهدايا التذكارية كلها تصنع خارج العشوائية، وتباع في مركز مكتب السياحة وليس في العشوائية ذاتها.

وهناك انتقادات عديدة لسياحة العشوائيات من أهمها أن معارضها يرون فيها تحويلاً للمأساة الفقر إلى عامل للترفيه؛ حيث يمكن للسائح المعيشة للحظات في كنف الفقر ثم الفرار منه إلى الأبد. وكما أشار كينيدي أوديدي (Kennedy Odede) الكيني في مقالة رأي في النيويورك تايمز إن "السياح يلتقطون صوراً لنا فنفقد جزءاً من كرامتنا"^(١).

والبعض ينظر إلى جولات سياحة العشوائيات على أنها استغلال للفقراء والمهمشين في إشباع رغبات السياح غير السوية للتمتع بالاطلاع على عورات قوم مغلوب على أمرهم^(٢).

كما أن هناك من يلاحظ أن الأوقات الشائعة لسياحة العشوائيات دائماً ما تكون في عطلة عيد الميلاد وفي عيد الحب (Valentine's Day)، مما يؤيد الاعتقاد بأن الغربيين يزورون العشوائيات لمجرد كسب إحساس أفضل بالرضى عن أنفسهم" بينما يقضي معظم الناس تلك المناسبات مع أهلهم والأقربين لهم^(٣).

(1) Slumdog Tourism, Kennedy Odede, *New York Times*, August 9, 2010.

(2) Eric Weiner, *Slum Visits: Tourism or Voyeurism?*, *New York Times*, March 9, 2008.

(3) Hanrahan, Mark (May 8, 2013). "Your Next Vacation Destination: A Slum?". *Huffington Post*.

ويتواصل الجدل حول أخلاقيات سياحة العشوائيات، هناك العديد من الدراسات وندوات الحوار للتقدم بالقضية وتوفير معلومات كافية يعتمد عليها^(١).

وفي عام (٢٠١٣)، أعلنت شركة جولات برونز الواقعية "ريال برونز تورز" (Real Bronx Tours) عن جولات في حي البرونز بنيويورك، ونص الإعلان عن أن الرحلة "جولة في جيتو مدينة نيويورك الواقعية ... وأن برونز مشهورة بالمخدرات والعصابات والجريمة وجرائم القتل". أغضب ذلك الإعلان رئيس الحي وعضوة في مجلس المنطقة، وخاصة أن وصف المنطقة بأسرها على أنها جيتو يعتبر إهانة كبرى. وبهذا توقفت الجولات^(٢).

ورغم أن تلك الواقعة (في الدعاية لجولة سياحية في البرونز)، قد أغضبت الحكومة المحلية في المنطقة نتيجة فجاجة وصف المنطقة؛ فإنها حملة ذكية مدروسة من قبل الشركة التي روجت إليها، وإن كان قد جفاها التوفيق في اختيار الكلمات التي جرت مشاعر سكان البرونز، التي نشأ فيها العديد من نجوم الفن ومن مشاهير الولايات المتحدة. هذا لأن الشركات السياحية تحاول أن تقدم للمستهلك ألواناً متنوعة من الجولات والرحلات تجذب إليها عدداً غفيراً من السياح، فبعضها يروج: على سبيل المثال، لمغامرات في أدغال أفريقيا لما يسمى بالسفاري لقضاء وقت بين الحيوانات المفترسة ومواطني تلك البلاد بعيداً عن كل معالم المدنية. وهناك رحلات تنظمها شركة في ولاية أركنساس للمتزوجين الجدد لقضاء شهر العسل في غابة أنشئت فيها بيوت على فروع الشجر الضخم.

وهذا يميز بين دعايات الشركات السياحية في الدول الأوروبية والأمريكية التي تروج للأماكن الفريدة فيها لجذب السياح؛ ودعايات الشركات السياحية في الدول النامية التي تروج عالمياً للزول على فنادقها الفخمة وتناول الطعام في مطاعمها الراقية التي تضاهي ما يوجد في أوروبا والولايات المتحدة. وكأن السياح سيتهافتون على قطع آلاف الأميال للإقامة في أماكن لديهم منها العشرات على بعد أمتار من بيوتهم؛ خاصة أن الفنادق والمطاعم المعلن عنها ما هي إلا فروع لما في متناول أيديهم.

وفي الواقع، إن الفارق بين أهل الحضر في الدول المتقدمة اقتصادياً وغيرها من الدول أنهم يعتزون حتى بعشوائياتها غير الآمنة التي تتأذى منها العين. فالسياح الأجانب والمحليون يتهافتون على زيارة متاحف واشنطن دي سي ويغامرون بقضاء الفترات الأولى من الليل حولها رغم أنها منطقة محاطة بالعشوائيات التي هي معقل للقتلة وتجار المخدرات، كما يقبلون على زيارة ماديسون سكوير

(1) University of the West of England. "Does slum tourism make us better people?" *ScienceDaily*, 28 Jan. 2010. Web. 6 Dec. 2011.
(2) Rande Iaboni, 'Ghetto' tours of Bronx ended after outrage. CNN; Thu May 23, 2013.

بارك (Madison Square Park) في مدينة نيويورك، الشهيرة بكونها مسرحًا للجرائم خاصة عند غروب الشمس. كل ذلك مع العزوف عن النزول في الفنادق الفخمة وريادة المطاعم الفاخرة التي قد يقبل عليها أهل المدينة

الباب الرابع: وسائل علاج العشوائيات ووقف انتشارها

وقف الترح من العشوائيات

لعل من أهم علاجات قضايا العشوائيات سواء إزالة القوائم منها أو منع تكوين عشوائيات جديدة هو القضاء على الترح من وجودها وتحقيق أرباح هائلة من عمليات إعادة استيطان سكانها. وما دام عامل الربح قائمًا فإن المتوقع تكاثر العشوائيات بدلا من القضاء عليها.

لوردات العشوائيات

إلى جانب ملاك تجمعات المباني العامة الذين يقومون ببنائها وتأجيرها لمن أعيد استيطانه من سكان العشوائيات أو للمشردين من غير مأوى بدعم وضمانات حكومية، هناك من تجار العقارات من يشتري البيوت القديمة والمتهاكلة، والتي تطرحها البنوك في المزادات لعجز أصحابها عن دفع ضرائب العقارات أو أقساط الدين الذي عليهم، ثم يرمونها لتستوفي بالكاد شروط مكتب إسكان الفقراء الحكومي، ويخصصونها للسكان الفقراء الذين تدعمهم الحكومة بدفع نسبة كبيرة من الإيجار. والفقراء الذين يعملون بعض الوقت يفضلون تلك المساكن، حيث إن الدعم الحكومي يتغير وفق دخل الأسرة، فإذا زاد الدخل إلى حد معين يتوقف الدعم حتى يعود للانخفاض، عندئذ يمكن لمستأجري المكان إسكان عدد أكبر يشاركون في الأجر بعلم صاحب المسكن، الذي لا يبالي ما دام استمر دخله. ويكني أصحاب المشروع وملاك تلك المساكن بملاك العشوائيات أو لوردات العشوائيات.

استغلال أهل العشوائيات

نتيجة لما يعانيه سكان العشوائيات من عزلة عن بقية مجتمعات الحضر، أتاحت الفرصة لبعض التجار بفتح حوانيت لبيع الطعام والحاجيات المنزلية الرديئة بأسعار تفوق بكثير الأسعار التي تباع بها البضائع الأعلى جودة في المدينة. ولما كان غالبية أهل العشوائيات من الفقراء والعاطلين عن العمل الذين لم يلقوا حظًا كافيًا من التعليم، فإنه تعوزهم الحصانة التي تحميهم من الوقوع في شرك المستغلين الذين يسعون للتكسب من السيطرة على المستضعفين واستعمالهم في القيام بخدمات تعود عليهم بالربح المادي بكل الوسائل التي إن لم تكن خارجة على القانون فهي موضع شبهات. والضحاي من أهل العشوائيات عادة ما يكونون من المحيطين الذين يحسون بأن مجتمع المدينة يلفظهم ويضيق الخناق عليهم وينظر إليهم نظرة دونية، هذا إلى جانب تخوف عامة الناس منهم وتوجسهم من تصرفاتهم وبعثهم بأوصاف.

إلى جانب تجنيد فريق من البلطجية أو الشبيحة منهم في جمع الإيجارات والإتاوات، فهناك من قد يجند بعضهم في تجارة الممنوعات والمخدرات بصورة تحميه هو من طائلة القانون. بل قد يذهب بهم الأمر إلى إغراء الفتيات بمزاولة الرذيلة لحساب رجال أعمال. وهذا أمر شائع في الولايات المتحدة وأوروبا، خاصة في دول شرق أوروبا التي تعاني من العشوائيات التي يعيش فيها العجز. ومؤخرًا، اكتشفت عصابة تسخر الأطفال في أعمال النشل في باريس، وتعمل بتمويل من أحد الأثرياء.

بل إن بعض الأثرياء يعيشون داخل العشوائيات ليديروا أعمالهم من الداخل بتجنيد الشباب الفقراء العاطلين عن العمل. ومنهم المرابون الذين يقرضون المحتاجين من أهل العشوائية قروضًا بأسعار فائدة خيالية. وهذا ينعكس في الأدب الإنجليزي. بل إن عشوائيات ستيني (Stepney) بمدينة لندن كانت تتحكم في الاقتصاد البريطاني على مدى قرن من الزمن.

عمال التراحيل، الولايات المتحدة

ومن الوقائع الموثقة في هذا المجال؛ ما يحدث في الولايات المتحدة مع عمال التراحيل الذين يستأجرهم أصحاب مزارع الفواكه والخضروات لجني المحاصيل. أولئك غالبيتهم مهاجرون غير شرعيين قادمون من أمريكا اللاتينية دون تراخيص عمل، ولهذا فملاك الأراضي الزراعية ليسوا ملزمين بالالتزام بالقانون فيما يدفعونه لهم من أجور أو ما يوفره لهم من مأوى أو رعاية اجتماعية أو صحية. إلى جانب ذلك، فإن أصحاب الإقطاعيات هم أصحاب المحلات التجارية التي تباع لهم الطعام والملبس والمشرب بأسعار مرتفعة؛ حيث إنهم لا يجسرون الخروج خارج الإقطاعية فيقعون تحت طائلة القانون. كما أن صاحب الإقطاعية يوفر لهم مباني متهاكمة يتكدسون فيها ولا يعفون من دفع إيجارات لها. أولئك العمال يحاولون بذل أقصى جهد لتوفير حصة ضئيلة من دخلهم لإرسالها لذويهم المعوزين عبر الحدود، ولهذا فهم يتحملون مصاعب الحياة في عشوائيات أنشئت خاصة لإيوائهم.

وفي الواقع، إن سكان العشوائيات من المهاجرين غير الشرعيين ومن المواطنين ورقة رابحة يلعب بها السياسيون في الولايات المتحدة وأوروبا لمكاسب سياسية في الحملات الانتخابية. فالمطالبون بطرد المهاجرين غير الشرعيين وإزالة العشوائيات والمطالبون بحماية حقوق أولئك الذين يعيشون على هامش المجتمع سواء؛ فكلهما يستخدمونهم لخدمة مصالحهما الشخصية ومكاسبهما السياسية والمادية. وكلا الطرفين يتفقان على أن مشكلات العشوائيات وأهلها هي مشكلة أمنية بالمقام الأول. فمنهم من يتهم أهل العشوائيات بأنهم قوم جبلوا على العنف والإجرام وهتك الأعراض، ومنهم من يلوم التسبب الأمني على ما يرتكب من جرائم في العشوائيات وخارجها من قبل سكان العشوائيات. وليس

من لائم واحد يلقي باللوم على الأيادي المحركة لكل تلك المهازل في الخفاء، والتي تستغل الفقراء والمغلوبين على أمرهم في تحقيق مآرب مالية خارجة عن القانون.

مثال آخر للمحلات التجارية التي ينشئها المستثمرون في العشوائيات وعلى مقربة من المساكن الشعبية الخاصة بالأفارقة الأمريكيين؛ فرغم أنها مرخصة لتوفير حاجات الناس من خضروات وفاكهة ولحوم وأدوات منزلية وحاجيات أخرى، إلا أن رفوفها مكتظة بكميات هائلة من الخمور الرخيصة، وما يباع فيها من حاجيات ضرورية للمعيشة تباع بأسعار باهظة. ولما كان غالبية سكان تلك العشوائيات والمساكن الشعبية لا يقدرون على شراء سيارات، مع غياب المواصلات العامة، فليس بمقدورهم التسوق في أنحاء أخرى من المدينة.

باريس

وفي باريس يعيش الفرنسيون أحفاد العرب الذين استقدموا من المغرب العربي عقب الحرب العالمية الثانية لإعمار فرنسا فاستقروا في عشوائيات يعيشون فيها على هامش المجتمع دون تلقي تعليم يؤهلهم لعمل مربح، ولا رعاية تخرجهم من حلقة الفقر، وبهذا يقعون فريسة لأصحاب المنافع يدفعونهم إلى أعمال التخريب والجريمة، ثم يتهمونهم بالإجرام والشغب. والكل ينسى أن فرنسا أحضرت عددًا كبيرًا من المغرب العربي وبنت لهم مأوي مؤقتة، سرعان ما تحولت إلى عشوائيات؛ وعقب الانتهاء من عملية التعمير أصبحوا عالة على المجتمع.

سلا، المغرب

لقد اهتمت السلطات المغربية بإشكالية السكن غير اللائق منذ الاستقلال، حيث وضعت أول برنامج للسكن الجماعي للقضاء على العشوائيات. ومنذ ذلك الحين نهجت مجموعة من السياسات في المجال السكني والتعمير فشلت في القضاء على ظاهرة السكن العشوائي أو حتى الحد منها، بسبب تركيزها على الهاجس الأمني وتوفير بعض الخدمات الأساسية كالماء والكهرباء^(١).

في تحقيق صحفي على محطة الجديد التلفازية^(٢) يسرد المحرر أن هناك جرائم عمرانية جرت ولا زالت تمارس في حق مدينة سلا بالمغرب التي كادت تتحول إلى حي شعبي كبير، وباتت معظم أحيائها

(١) رجاء الكتّاب (٢٠١٢). العشوائيات بالمغرب... أو انتهاك الحق في السكن. شبكة حقوق الإسكان والأرضي.
(٢) نعيم بوسلهام (12 يناير، ٢٠١٧). مافيا البناء العشوائي بسلا تجعل من حي الانبعاث الشعبي "أرخبيل العشوائيات". الجديد تي في، سلا.

تجسد قبح الصورة العمرانية، عدا بعض الواجهات حول أطراف المدينة هنا وهناك، مما يكشف عن تنافر في المجال وتشوه في البنية الجمالية للمدينة.

كل ذلك كان من جراء سنوات طويلة من عطب التدبير والتسيير، وشريط طويل من الخروقات والكسل في تصحيح وضع عمراني يجمع الكل على أنه معتل، ولأن الزحف العمراني والمد الحضري لا يتم الإعداد والتخطيط له بشكل محكم ومنظم، فإنه عادة ما يحول المدن إلى بؤر سوداء في السكن من خلال استنبات مجموعة من الدور العشوائية ومجموعة من التجمعات السكانية التي تحبل بكل مظاهر الاقصاء الاجتماعي والمجالي.

ويعد حي الانبعاث أحد أكبر الأحياء الشعبية على صعيد جهة الرباط - سلا - القنيطرة وأبرز نموذج للأحياء العشوائية المهمشة بفعل تفاقم الاختلالات العمرانية، جراء تواطؤ العديد من الأطراف ومساهمتهم جميعاً في استدامة هذا الوضع مقابل إتاوات ورشاوي وتدخلات غير قانونية بسبب تفشي الزبونية والمحسوبية والفساد بمعناه العميق.

ما جرى لحي الانبعاث خلال عقد من الزمن - على سبيل المثال لا الحصر - جريمة عمرانية بامتياز، ساهم فيها أصحاب المصالح الذين جعلوا من أرخبيل البناء العشوائي الذي طوق المدينة مصدرًا للثراء الفاحش دون حسيب أو رقيب، حيث إن البناء العشوائي في عهده شهد ولا يزال توسعاً مهولاً. ويرجع ذلك إلى فساد مراقبة البناء التي تعيث في الأرض فساداً بمعوية بعض رجال الأعمال بالمدينة الذين باتوا يتصرفون كسماسرة، حيث تتحدث بعض المصادر المحلية أن الإتاوة (الرشوة) قد بلغت (٣٠٠٠) ألف درهم مقابل التغاضي عن إضافة الطابق الثالث. الحقيقة الماثلة اليوم هي أن حكايات خروقات التعمير بهذا الحي بالذات تحتاج لشجاعة في التدبير وعقلانية في تصحيح، وأولى خطوات التصحيح تبدأ بازاحة هاته الشلة من المفسدين والمتواطئين معهم والمتسترين عليهم لإيقاف أرخبيل العشوائيات.

تداعيات التريح من العشوائيات

لوردات العشوائيات

هناك من يلوم لوردات العشوائيات على أنهم المسؤولون بالمقام الأول عن تدهور قيمة الملكيات المحلية لقيامهم في نهاية المطاف بإنشاء أحياء كاملة من مباني الأكواخ المتهرئة. ويرى البعض أن لوردات العشوائيات يمتصون ثروة الفقير دون الأخذ في الاعتبار الأجيال القادمة أو مصالح سكانهم الحاليين. ومن ناحية التأثير، فإن أفعال لوردات العشوائيات صورة عكسية تمامًا لعملية الاستطباق

أو إصلاح المباني ورفع قيمتها السوقية. فعملية الاستطباق تشير إلى نتائج إصرار ملاك المساكن المحلية على تحسين الممتلكات الإسكانية التي تضيف قيمة على وحدات الإيجار التي يملكونها بما يبرر لهم رفع الإيجارات، والتخلص من المستأجرين الأقل ثراءً، وعمومًا زيادة قيمة الملكيات في الجوار. هذا بينما يقوم لوردات العشوائيات بالعمل على التدهور التدريجي للأحوال المعيشية، والأمن العام، ومكانة الحي، وفي النهاية تدهور قيمة العقارات.

وبالمقابل يرى البعض أن لوردات العشوائيات الذين يملكون مباني سكنية لا تلقى صيانة كافية وتدهور قيمتها يقدمون خدمة عظيمة لأولئك الذين يهتمهم الإيجار المنخفض أكثر من جودة المسكن؛ أي أن لوردات العشوائيات؛ بصرف النظر عن نواياهم يساعدون الفقير على تحقيق أكبر ما يمكنهم تحقيقه في ظل أحوالهم البائسة⁽¹⁾.

استغلال سكان العشوائيات

إن الذين يستغلون أهل العشوائيات في تحقيق مكاسب مادية دانية وسهلة بمنأى عن يد القانون يساعدون على تكاثر العشوائيات وعلى الكسب من المقيمين فيها. وإذا أزيلت عشوائية واستبدلت بمساكن عامة، فسرعان ما يسعون إلى تحويل المساكن الجديدة إلى عشوائيات لحماية مصالحهم؛ إلى جانب الاستفادة من تنفيذ مشاريع الإسكان الجديدة. واللوم في كلتا الحالتين يقع على سكان العشوائيات وسكان التجمعات السكنية العامة.

وبالمقابل يمكن القول بأن أولئك الذين يستغلون ضعف أهل العشوائيات أمام إغراءات انتشالهم من مخالب الفقر، يقومون بإمدادهم بالطعام والملبس ويوفرون دخلاً مالياً لفريق منهم، إما بتشغيلهم كعمال تراحيل في المزارع أو في الجزارات وتقطيع اللحوم، وإما عن طريق التجارة في الممنوعات. وإن كان ذلك عن طرق غير مشروعة، فهو أفضل من حياة العدم.

خلاصة

إن علاج استغلال لوردات العشوائيات وغيرهم من العلاقات التي تعيش على مص دماء المغلوب على أمره واستهانتهم بحاجيات الفقراء، ومنع استغلال أهل العشوائيات لا يتأتى بالقوة مثل ما يقوم به مجلس مدينة جوهانسبرج الذي ينادي بنزع الملكيات التي يهملها أصحابها، ولا باتخاذ إجراءات قضائية ضدهم، ولا بسن لوائح وقوانين جديدة تحد من أنشطتهم. ولكن العلاج في هذه

(1) Osterfield, David (1 Nov. 1980). "The Government, the Market and the Poor" Foundation for Economic Education (FEE).

المواضيع هو محاولة الحد من العامل الربحي في عملية مكافحة العشوائيات، وتوفير المساكن العامة. فإن عامل التريح من مآسي الآخرين هو ما يكمن وراء أزمة الإسكان للطبقة الفقيرة، كما أنه أهم الأسباب لنشأة العشوائيات وتفشيها في المدن الكبرى. لهذا فإن القضاء على العامل الربحي في عمليات الاستغلال غير المشروع لأهل العشوائيات، والحد من الغلو في التريح أو تنسيقه في الأعمال المشروعة التي تتعلق بالعشوائيات، يساعد على تسهيل معالجة إشكاليات العشوائيات والوقاية منها في المستقبل. وهذا لا يتحقق إلا بإعادة النظر في الإشكاليات برمتها؛ فالعشوائيات ليست مشكلة إسكان، وتجديد عمراني، وإزالة وبناء، وتجميل حضري وإعادة استيطان؛ كما أنها ليست قضية اقتصادية بحتة؛ بل هي قضية إنسانية متشعبة من الأساس؛ تتضمن أوجها اجتماعية، وثقافية، ونفسية، وتحتاج إلى معالجة قبل تجميل المظهر الحضري. وإذا صلح المخبر صلح المظهر.

الباب الخامس: عشوائيات منطقة مكة المكرمة

- أساليب معالجة قضية العشوائيات
- تجارب عربية وعالمية لعلاج العشوائيات
- أهم أسباب نشأة العشوائيات في منطقة مكة المكرمة ونموها

أساليب معالجة قضية العشوائيات

إزالة العشوائيات

إزالة العشوائيات عملية ناجعة لمعالجة إشكاليات العشوائيات؛ إذا تمت بصورة إنسانية، يراعى فيها الضوابط الشرعية، ووفق خطة استراتيجية محكمة يؤخذ فيها بعين الاعتبار أن سكان العشوائيات وأصحاب الملكيات هم من أصحاب المصالح في عملية الإزالة. وبهذا فيلزم التراضي معهم والتعامل معهم بشفافية والإفصاح عن مقاصد إزالة المنطقة.

ومن العوامل التي تساعد على نجاح عملية الإزالة كأسلوب للتعامل مع العشوائيات، ما يلي:

١. عدم ربط عملية الإزالة بمشاريع إنشاء مساكن بديلة، سواء مساكن عامة أو خاصة.
 ٢. تقديم عرض مجزئ لملاك الأراضي والعقارات في المنطقة العشوائية وفق نوع الملكية وحالتها، ووفق سوق العقارات في ذلك الحين؛ وتفعيل حق الامتلاك الحكومي للصالح العام في حالة رفض العرض بصورة قاطعة.
 ٣. دفع تعويضات معقولة لسكان المنطقة العشوائية نظير إخلاء مساكنهم، سواء كانوا مستأجرين متعاقدين أو غير متعاقدين تكفي حاجاتهم الإيوائية لفترة لا تقل عن ستة أشهر، حتى يجدوا مأوى مناسباً لهم. ويعتمد التعويض على حجم العائلة ومن يعولهم.
 ٤. وضع خطة للتعامل مع واضعي اليد والدخلاء على العشوائيات والأجانب.
 ٥. تتبع أحوال سكان المنطقة العشوائية قبل تنفيذ عملية الهدم وبعده، ومن الممكن إنشاء مكتب استشاري يحتوي على موجهين اجتماعيين ومتخصصين نفسانيين، يعاونهم على ما قد يعرض لهم من مصاعب، ومحاولة البحث عن عمل للقادرين منهم على العمل، والرعاية الصحية لمن يحتاجها، والتوجيه الاجتماعي والنفسي لمن يرغب في ذلك.
- عقب عملية الهدم والإزالة وتأهيل المنطقة للتعمير يمكن التخطيط لإعمار المنطقة، وحبذا لو لم تستبدل المساكن العشوائية المتداعية بمبانٍ جديدة للإسكان، وإنشاء منتزه أو متحف أو تجمع تجاري. فهذا له تأثير حميد على نفسية سكان المنطقة العشوائية وعلى سائر المجتمع المتاخم للمنطقة.

نقل العشوائيات

يمكن القيام بإعادة الاستيطان بأسلوب يضمن الحرص على مميزات العملية وتلافي سلبياتها؛ وذلك عن طريق وضع خطة استراتيجية تأخذ في الاعتبار الغاية من المشروع وأهدافه قصيرة المدى وبعيدة المدى، وتفصيل للخطوات المطلوبة، وكيفية تمويلها، وضمان دعمها ماليًا وسياسيًا واجتماعيًا، إلى جانب جدول تنفيذي. وبناءً على ذلك يمكن القيام بما يلي:

١. وضوح رؤية دوافع إعادة الاستيطان والإفصاح عنها.
٢. التخلي عن فكرة أن يكون الاستيطان البديل في تجمع سكني واحد، حتى لو كان ذلك أقل تكلفة أو حرصاً على مراعاة سكان العشوائية.
٣. تكوين فرق عمل من أخصائيين اجتماعيين ونفسيين لتفقد أحوال سكان العشوائيات والتعرف على أوضاع كل منهم المالية والشخصية والاجتماعية والنفسية، ووضع توصيات خاصة بكل عائلة أو فرد توضح احتياجاته المعيشية والحيوية وما يواجهه من إشكاليات وما لديه من تطلعات بما في ذلك متطلباته إذا انتقل إلى مسكن جديد.
٤. تكوين فرق عمل لمعالجة المشاكل الماثلة لكل من مستوطني العشوائية في ذلك الحين، والمساعدة في الحصول على عمل أو علاج أو خدمات خاصة، إلى جانب تحديد متطلبات ومواصفات المسكن الملائم للعائلة أو الفرد.
٥. توزيع مستوطني العشوائية على مساكن متفرقة كل على حسب مقدرته ومتطلباته. بعضهم قد يستأجر مسكناً أو يشتري مسكناً كأبي مواطن. وإذا اقتضي الأمر يمكن بناء مباني سكنية لكنها تكون مفتوحة لجميع المواطنين، ويخصص فيها نسبة لمستوطني العشوائيات. ويمكن دعم الإيجار أو الشراء شريطة ألا يُؤجر أي من المساكن من الباطن لأشخاص غير أصحاب عقد الإيجار أو الشراء؛ أو إيواء أشخاص غرباء لفترات طويلة.

الترقي بمستوى العشوائيات

نجاح الترقى بمستوى عشوائية يتطلب خطة استراتيجية تصمم وتوضع وتنفذ بحكمة وتؤددة على مراحل، وتتضمن رؤية متعمقة مبنية على بيانات دقيقة وإحاطة بالواقع، وتستهدف المستقبل البعيد. كما يتحتم أن يسبق عمليات التخطيط والتصميم والتنفيذ تفقد لأحوال العشوائية وجمع

البيانات المستفيضة عن السكان، من تعداد وأعمار، وأحوال صحية، وأعمال يقومون بها، ومصادر كسبهم،... الخ؛ وحصر المكونات من مباني، وأكشاك، وعشش، وأكوخ، وأزقة، وممرات، وطرق،... الخ. ولا يتوقف مشروع الإصلاح على التنفيذ بل يأتي بعد ذلك الصيانة والمتابعة المتواصلة.

وأهم أبعاد عملية الإصلاح:

(١) يقوم متخصصون في الإحصاء بتصميم استبيان إحصائي يتضمن تعداد السكان، والأحوال الصحية والمعيشية والشخصية والاجتماعية؛ وتكوين فريق من الشباب بالإحصاء وجمع البيانات. والأفضل أن يكون الشباب من المتطوعين أو فرق الكشف لضمان تعاون الأهالي معهم؛ حيث إن الناس في العادة تخشى من الإدلاء ببيانات لمندوبي الحكومة، خوفا من المخالفات والشبهات الطبيعية التي قد تنتاب المواطنين عن أهداف جمع الإحصاءات. ومن المفضل أن يتلقى جامعو الإحصاءات تدريباً عن كيفية المعاملة وملاء نماذج جمع البيانات. ويتبع ذلك قيام المختصين بالتحليل الإحصائي وتدوين النتائج في جداول يسهل إدخالها على قاعدة بيانات، ويسهل على المخططين استخدامها.

(٢) تكوين فريق من الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين بزيارة سكان المنطقة العشوائية والتعرف على أحوال الناس ومشاكلهم وتطلعاتهم واحتياجاتهم؛ والأفضل أن يكون من بين أعضاء الفريق نساء متخصصات للتواصل مع الأمهات والفتيات والأطفال.

(٣) تكوين فريق من المهندسين (الإنشاء، والبناء، والمساحة، والطرق والكباري، والمواصلات) والمعماريين، ومخططي التعمير، والفنيين لتفقد المنطقة وتكوين رؤية عن احتياجات المنطقة، وعمل مسح هندسي لها.

(٤) قيام فريق من المسؤولين في بلدية المدينة بعقد اجتماعات عامة مع السكان في العشوائية، سواء على شكل مجموعات كبيرة أو صغيرة. ويقوم المسؤولون بطرح رؤية ورسالة وغايات مشروع الإصلاح ببساطة ودون مبالغة أو إصدار وعود ترضي المجتمعين. وتتضمن مهمة الفريق تسجيل رغبات ومطالب واقتراحات وتطلعات أهل العشوائية. والتعرف على ما قد يقدمه الأهالي من مساعدة أو مشاركة، ورصد المتطوعين منهم في المشاركة في عمليات التعمير والإنشاء.

٥) القيام بوضع خطة استراتيجية لعملية الإصلاح، تستخدم البيانات والمعلومات التي تتضمنها تقارير فرق الإحصاء والاستطلاع، ويشارك فيها أصحاب المصالح من البلدية، ومندوبين عن العشوائية، وممثلين للقطاع الخاص، ... الخ.

٦) رصد ميزانية المشروع واختيار الجهة القائمة بالتنفيذ، مع إشراك مجتمع العشوائية في عملية التنفيذ.

٧) تكليف لجنة للإشراف على التنفيذ من البلدية والعشوائية، قد تتولى تلك اللجنة مهمة المتابعة أو تشارك فيها بعد إكمال المشروع.

٨) بدء تنفيذ الخطة الاستراتيجية بإصلاح شطر من العشوائية كنموذج تجريبي؛ قبل الشروع في تنفيذ خطوات المشروع الشامل. ويمكن الاستفادة من النموذج في نشر روح الطمأنينة في نفوس أهل العشوائية والحصول على ثقتهم وإثارة رغبتهم في المزيد من التعاون. كما يستخدم المشروع في استسقاء المزيد من البيانات والمعلومات التي تستخدم في مراجعة الخطة وتعديلها إذا اقتضى الأمر.

يلي كل ذلك التنفيذ النهائي والمتابعة المستمرة والقيام بالصيانة اللازمة، من صيانة وقائية، وترميم، وتصليح.

ونجاح مشروع الرقي بمستوى العشوائية يتطلب الالتزام بما يلي:

- إشراك جميع سكان العشوائية في جميع المراحل، كل حسب قدرته وكفاءته؛ وتفادي خطأ انتقاء ممثلين عنهم لأسباب سياسية أو شخصية.
- التعامل مع سكان العشوائية كأدبيين على قدم المساواة مع سائر المواطنين دون تمييز.
- الاهتمام بالمعاقين وأصحاب العاهات والمسنين والأطفال.
- على جميع المشاركين القناعة التي لا تشوبها شائبة من أن المشروع الإصلاحي إنما هو لصالح بشر لهم كل حقوق المواطنين وعليهم الواجبات التي على الجميع الالتزام بها.

الإحلال التدريجي

يمكن لاستراتيجية الإحلال تحقيق نجاح كبير إذا تزامن في التخطيط لها وتنفيذها ومتابعتها جهات متعددة؛ أهمها: رجال الأعمال، وخاصة أصحاب الأراضي والعقارات في المنطقة العشوائية، والحكومة المحلية (بلدية المدينة)، والحكومة المركزية، وشركات الإنشاء والتعمير، وشركات أعمال

الأراضي والعقارات، وخبراء في التخطيط العمراني والحضري، والمجتمع المدني ممثلاً في الجمعيات الخيرية والمنظمات غير الحكومية، والجامعة. وتتضمن عملية الإحلال مراحل مختلفة منها، ويمكن إنجاز بعضها بالتوالي، وبعضها الآخر في زمن واحد.

الاستكشاف

تتضمن عملية الاستكشاف:

١. تحديد الأهداف القريبة المدى والبعيدة المدى التي تساعد على تحقيق غاية عملية الخلاص من العشوائية.
٢. دراسة تفصيلية عن العشوائية وجمع بيانات عنها من تعداد السكان وتوزيعهم، وأعمارهم ونسبة البطالة بينهم، ... الخ.
٣. وضع معايير لاختيار نوعية المنشآت التي يمكن إنشاؤها في العشوائية، مثل سرعة التنفيذ والتأثير الفعال على العشوائيات والتكلفة. ووضع معايير لاختيار المواقع المناسب لنوعية المنشأة مثل سهولة حيازة الموقع، وقربه من طريق عام وملاءمته لوظيفة المجمع.
٤. ترشيح قائمة بطبيعة المبنى أو المجمع الذي يمكن إنشاؤه في العشوائية. والقيام بتقييم كل فئة من المقترحات الواردة في القائمة وفق المعايير التي تم وضعها، وترتيب الاختيارات، حسب درجة توافقها مع المعايير.
٥. استكشاف المواقع الملائمة لبناء المجمع الجديد، وتقييمها وترتيبها وفق معايير الأفضلية.
٦. جمع بيانات عن ملاك الأراضي، وطبيعة الملكية وسعرها في السوق العقاري، خاصة تلك المرشحة لإنشاء المجمع.

التخطيط

بناءً على عملية الاستكشاف يجري وضع خطة استراتيجية تحقق أهداف عملية الإحلال ويشارك في وضعها أصحاب المصالح، وتحدد خطوات التنفيذ الآتية والمرجأة. وعلى الخطة أن تنطلق من افتراضية عدة سيناريوهات للتنفيذ، حتى إذا لم ينجح إحداها يمكن الرجوع إلى بدائل. كما يلزم تحديد موارد التمويل، والجهات المشاركة في التنفيذ، ومعايير النجاح.

التنفيذ

القيام بتنفيذ المشروع الذي له الأولوية على الموقع الملائم الذي تم اختياره وفق الخطة الاستراتيجية.

المتابعة

متابعة المشروع وتقييمه وفق جدول محدد، والقدرة على تعديل سيناريو التنفيذ إذا لم تنجح الخطة التنفيذية في تحقيق الغاية من المشروع.

اقتران المساكن الشعبية والبنية التحتية

إن تلاشي ظاهرة العشوائيات التي تنجم عن خمود وخمول وتراخي شرائح اجتماعية مهمشة في المناطق الحضرية، يتطلب إدراك بعض جوانب الإنعاش الاجتماعي والاقتصادي المهمة في المناطق الحضرية، مثل:

(١) ربط جميع أرجاء المدينة بشبكة من الطرق المعبدة الفسيحة والشوارع الرئيسة التي تتسع لوسائل النقل الجماعي، مع عدم التعدي على حق المشاة وعبور الطرق داخل المدينة.

(٢) تعددية وسائل النقل الجماعي من مواصلات تحت الأرض ومعلقة، وقطارات سريعة وحافلات للتنقل لمسافات قصيرة بما يناسب المدينة.

(٣) الاهتمام بالمواصلات الجماعية على أنها جزء من الخدمات البلدية، مثل الكهرباء والمياه والصرف الصحي، وجمع القمامة؛ وبهذا يلزم أن تكون متاحة للجميع وفي استطاعة الجميع تحمل تكاليفها، وتوفيرها على مدار الساعة دون انقطاع، بحيث يمكن للناس الاعتماد الكلي عليها في التنقل داخل المدينة وإلى الضواحي وأطراف المدينة، والاستغناء عن وسائل المواصلات الشخصية في الوصول إلى العمل وفي قضاء المصالح التي تتطلب الوجود في وسط المدينة.

(٤) تشجيع استخدام المواصلات العامة الجماعية بتوفير مرافق للسيارات الخاصة عند محطات القطار والمحطات الرئيسة للحافلات.

(٥) توفير جميع الخدمات البلدية إلى أنحاء المدينة وأطرافها، بحيث يتوسع العمران أفقيًا وليس رأسيًا، خاصة على أطراف المدينة لتخفيف الكثافة السكانية.

٦) العمل على إيجاد حوافز مالية ومعنوية ونفسية واجتماعية لسكان العشوائيات، ومحاربة روح الإحباط بينهم بكل السبل المتاحة من إعلام وتعليم وتدريب وعظات؛ بحيث يكون الخروج من قبضة العشوائيات رغبة جماعية وشخصية والطموح سمات فردية لدى الشباب والشيوخ.

وهذا يتطلب جهودًا واستثمارًا تتكاتف فيها مجالس البلدية، والحكومة المركزية، والجمعيات الخيرية، والجامعات، ومراحل التعليم المختلفة، والمنظمات اللاربحية، والشركات خاصة تلك التي تعمل في قطاع التعمير والعقارات والطرق والمواصلات.

وبالنسبة لتوفير الإسكان البديل للعشوائيات، فمن الأفضل عدم تهجير سكان العشوائية كمجموعة إلى تجمع إسكان عام، بل يجري تزويد كل عائلة أو فرد سواء من العشوائية، أو من خارجها، بمسكن أو مأوى يتلاءم مع احتياجاته وحالته المادية والصحية كحق مكتسب لأي مقيم في المدينة ولأي مواطن. هذا يتطلب:

١. إنشاء قسم أو مكتب في البلدية التي تتبع لها العشوائيات للقيام بالمهام التالية:

أ. تكليف شركات خاصة للمقاولات بإنشاء مباني ووحدات سكنية متباينة السعة ومنخفضة التكاليف، في مواقع مختلفة على أطراف المدينة، حيثما يمكن الحصول على الأراضي بأدنى سعر ممكن.

ب. تقديم ضمانات لقروض الراغبين في امتلاك وحدة سكنية من محدودي الدخل.

ج. إنشاء ملجأ للأطفال اليتامى الذين لا عائل لهم والمشردين من سكان العشوائيات، أو تحويلهم لملاجئ قائمة.

د. إنشاء دار للمسنين الذين لا عائل لهم من سكان العشوائيات أو تحويلهم لملاجئ قائمة.

هـ. تحويل المختلين عقلياً إلى المستشفيات ومراكز رعاية الصحة النفسية.

و. تحويل أصحاب العاهات والمعاقين إلى دور التأهيل.

٢. إنشاء مكتب إسكان حكومي، يعمل فيه أخصائيون اجتماعيون وفنيون في العمارة والمباني والإسكان، ومهمته تشمل:

أ. وضع مواصفات المساكن والمباني الخاصة بالإسكان المدعوم من قبل الدولة.

- ب. تلقي طلبات الإسكان من محدودى الدخل والفقراء والمعدومين والبت فيها.
- ج. توفير المأوى الملائم لكل حالة، بما في ذلك التجمعات السكنية التابعة للبلدية.
- د. التعاقد المباشر مع الجهات التي توفر الخدمات الإسكانية.
- هـ. تقرير مقدار الدعم المالي الشهري الذي تقدمه الحكومة لكل حالة، ودفع شطر الإيجار الذي تقدمه الحكومة مباشرة لصاحب العقار.
- و. الإشراف على المساكن التي تدعم الحكومة إيجارها والتفتيش الدوري عليه.
- ويفضل أن يتضمن الإسكان البديل بعض الخيارات، منها:
- (١) مسكن شاغريد رجه صاحبه في قائمة المساكن التي يقوم مكتب الإسكان بتأجيرها للمتقدمين بطلب إسكان.
- (٢) وحدة سكنية من منشآت البلدية للإسكان العام.
- (٣) ملاجئ سكنية لمن لا عائل لهم.
- هذا على ألا يكون الإسكان العام في منطقة منعزلة ومسورة، حتى لا يحس قاطنوها أنهم منبوذون من المجتمع، ويفضل التخلي عن فكرة التجمعات الكبيرة للإسكان العام، وإنشاء تجمعات أصغر، لا تختلف كثيراً عن منشآت الطبقات العاملة التي تجاورها.
- ولضمان إخلاء العشوائيات تماماً دون إجبار المقيمين فيها على الإخلاء يفضل أن تنشئ البلدية مكتب توظيف يساعد القادرين على العمل للبحث عن عمل دائم أو مؤقت.

التجديد المعماري

- إن وضع أي تصور للتجديد المعماري في أي مدينة يجب أن يسبقه:
١. دراسة للوضع القائم وتحديد المشاكل المعمارية والإنشائية والتخطيطية القائمة على أرض الواقع.
٢. دراسة لوائح وقوانين الإسكان والتجارة والصناعة ومتطلبات تصاريح البلدية الخاصة بالمباني، والمتاجر، والمصانع، ومكاتب رجال الأعمال. ودراسة مدى صلاحية تلك اللوائح والقوانين في حالة القيام بأي تجديد عمراني.

٣. فحص مواضع العوار العمراني في المدينة التي يجب أن تزال أو تتحسن أو تستبدل ومدى ملائمة تلك المواقع مع اللوائح والقوانين المعمول بها.
٤. وضع أولويات لعمليات التجديد العمراني وتحديد أهدافها القريبة والمتوسطة والبعيدة؛ وكذلك وضع بدائل لتحقيق تلك الأهداف.
٥. دراسة مدى استجابة المجتمع بأطيافه المختلفة للتعديلات أو التجديدات؛ مع الأخذ في الاعتبار مصالح عامة الناس وخاصتهم في تحديد تلك التعديلات أو التجديدات.
٦. التشاور مع إخصائيين اجتماعيين ونفسيين واقتصاديين.
٧. تقديم مقترحات بتعديلات اللوائح الخاصة بتقسيم المناطق إلى تجارية وصناعية وسكنية، والحصول على موافقة مبدئية عليها من مجلس البلدية أو الجهات الأخرى المختصة.

سياحة العشوائيات

من الممكن الاستفادة من الجوانب الإيجابية لسياحة العشوائيات مع تلافي سلبياتها على قدر الإمكان؛ حيث إنها وسيلة غير مباشرة لتحسين أحوال العشوائيات وإنعاشها وتجديد مظهرها وإعادة إعمارها دون إزاحة سكانها. ولتفعيل عملية السياحة في عشوائية ما، يلزم اتخاذ الخطوات التالية (بعض الخطوات ضرورية لعلاج مشكلة العشوائية بصرف النظر عن طبيعة الوسائل العلاجية):

- ١) تقصي تاريخ العشوائية ومراحل تدهور المنطقة حتى وصولها إلى الحال التي هي عليه في الوقت الحاضر. حيث إن كثيرًا من العشوائيات قامت على ركام منطقة كانت متحضرة قديماً. ولهذا يلزم تدوين المعالم التاريخية فيها (إذا وجدت) وأصولها وأسباب وجودها وتطورها، أو بالأحرى تدهورها.
- ٢) حصر بعض الإحصائيات المتصلة بالسكان، مثل كثافة السكان، الأعمال التي يرتزقون منها، والتعليم، والصحة، والأحوال الاجتماعية، ... الخ.
- ٣) مسح جغرافي للمنطقة، والطرق والمسالك التي تتخلل العشوائية.
- ٤) وضع قائمة بالأماكن والمعالم الرئيسة، وخاصة الشهيرة منها تاريخياً أو حديثاً.

- (٥) بناءً على المعلومات المستقاة عن العشوائية وأهلها وثقافتهم، توضع أهداف لتنشيط السياحة والقيام بجولات سياحية في العشوائية، ومنها التعرف على العشوائيات والأحوال المعيشية لأهلها كشركاء في الوطن، وإيقاظ روح التعاطف مع الفقراء والمساكين وأبناء السبيل منهم، والإحساس بأحاسيسهم ولو لساعة من الزمن.
- (٦) القيام بحملة إعلامية توعوية عن العشوائيات في المدينة على أنها جزء من المدينة، سواء رضي الناس عن أهلها أم لم يرضوا، والتركيز على مشاكل سكان العشوائية والعمل على علاجها. ومحاولة درء ما توصف به العشوائية من سلبيات أو التغافل عن النقائص. فسكان العشوائيات ليسوا أقل شأنًا من أي إنسان آخر، حتى ينظر إليهم نظرة دونية. والتركيز على أن في استطلاع أحوال الفقراء فيه ترقيق للقلوب وإرهاق للمشاعر نحو البشر وتحفيز لمد يد العون إلى الفقراء، أو على أقل تقدير التعاطف معهم، وفي زيارة مأوى الفقراء والمعوذين عبرات كثيرة للبشر.
- (٧) تكليف شركة خاصة برسم مسار جولة استكشافية للمنطقة العشوائية تمر بمعالم مهمة؛ ووضع قائمة بالمعوقات التي قد تواجه الجولة إلى جانب تحديد ما يمكن لأهل العشوائيات من تقديمه من تسهيلات أو إرشادات للجولات السياحية أو لقاءات مع نخب من سكان العشوائيات.
- (٨) تنظيم رحلات استكشافية وتعليمية لطلبة المدارس والجامعات للتجول في العشوائية بالحافلات، ويفضل أن يسبق الرحلة أو أن يتخللها قيام باحث أو معلم بتوعية الطلاب عن العشوائية التي هم بصدد زيارتها. وإذا أمكن يصحب الرحلات دليل من أهل العشوائية ليوجه أنظارهم إلى بعض المعالم التي يمكن التوقف عندها. كل ذلك مع تلافي التركيز على السلبيات والعوار الذي يسبب الناس في الحديث عنه بخصوص العشوائية، والتركيز على الأمور الإيجابية أو الصورة المشرفة للعشوائية.
- (٩) تكلفة شركات سياحية خاصة بتنظيم جولات في العشوائية كجزء من الرحلات السياحية في المدينة أو كرحلات مستقلة. هذا على أن تقوم الشركة بالترويج لتلك الرحلات بأسلوب راقٍ لا يسيء إلى مشاعر أهل العشوائيات، إلى جانب إجراء الترتيبات اللازمة مع نخبة من سكان العشوائية لتحديد محطات لتوقف السياح والتعامل مع أهلها؛ قد تشمل تلك المحطات مسجدًا أو مدرسة. ومن الممكن ترتيب إنشاء أكشاك لبيع المرطبات والأطعمة الخفيفة.

١٠. مع تكرار الجولات على شركة السياحة التي تنظم الجولات (أو شركات أخرى) يمكن إنشاء استراحات صغيرة فيها مطاعم أو منتديات متميزة يقبل عليها السياح. وكذلك بذل الشركات السياحية جهودًا لإشراك أهل العشوائية في النشاط السياحي.
١١. تشجيع هيئات الأعمال الخيرية والمستثمرين على إنشاء صناعات يدوية بسيطة يقوم بها النساء في منازلهن، وصناعات لأصحاب المهارات من الرجال والشباب، على أن تحمل المنتجات سمات خاصة بالعشوائية، مثل السجاجيد والمفارش والأغراض والهدايا التذكارية. على أن يقوم أهل العشوائية ببيعها للسياح. وتدريب من لا مهارة له على صنعة سهلة يمكن أن يستثمرها في إنتاج ما يروق للسياح من مقتنيات أو تقديم خدمات لهم.

الحد من التبرج

- ترشيد الدافع التبرجي والتجاري في التعامل مع قضايا العشوائيات والإسكان العام يتطلب:
١. فتح قنوات التواصل بين مجتمعات العشوائيات والمجتمعات المحيطة بها، والقضاء على كل الحواجز التي تعزل العشوائية عن سائر مجتمع المدينة. وذلك بزيارات دورية من طلاب المدارس والجامعات للعشوائيات، وتكليف بعض العاملين في الحكومة في مهمات داخل العشوائيات، بما في ذلك الوعاظ والأئمة.
 ٢. قيام لجنة من مجلس البلدية باللقاءات الدورية مع أهل العشوائية في العشوائية وخارجها بصورة تبادلية.
 ٣. القيام بحملة إعلامية وتوعوية لمحو الصورة النمطية عن سكان العشوائيات؛ فكل مجتمع مغلق على نفسه في الخير والشرير، كما أن وسائل الإعلام كثيرًا ما تضخم أي حدث في العشوائية، بينما تغض الطرف عن أحداث مشابهة في سائر المدينة.
 ٤. إنشاء منظمات مدنية غير حكومية لتجميل المدينة تكون عينًا ساهرة على المباني السكنية التي يهملها ملاكها، سواء في العشوائية أو خارجها، تلاحقهم بالطرق المشروعة حتى يهتموا بتلك المباني.
 ٥. فتح فرص عمل تكون فيها الأولوية للمقيمين في العشوائية، سواء داخلها أو خارجها.

٦. قيام الجمعيات الخيرية والإرشادية بافتتاح نوادٍ ثقافية ورياضية ودينية للشباب في العشوائيات؛ إلى جانب مقرلها.
٧. قيام القطاع الخاص بفتح محلات تجارية في العشوائية يعمل فيها أفراد من سكان العشوائية.
٨. فتح مدارس داخل العشوائية، وحبذا لو افتتحت إحدى الجامعات مبنى تابع لها في العشوائية متخصص في العلوم الإنسانية.
٩. قيام الكشافة الوطنية بتكوين فرق أشبال وكشافة وجوالة في العشوائيات، وتنظيم مخيم سنوي في كل منها.
١٠. تكوين مجموعة شبابية تطوعية لحراسة العشوائية وتفقد أحوالها.

الأساليب المختلفة لعلاج العشوائيات

نظرًا لاختلاف المشكلات التي أدت إلى ظهور العشوائيات من دولة لأخرى، لذلك تختلف طرق معالجتها من مكان لآخر، وفقًا للظروف السياسية والاقتصادية والأمنية لكل دولة، والاتفاق على برنامج تصوري للحل يستدعي دراسة التجارب الأخرى ومقارنتها بالوضع السعودي لانتقاء ما هو مناسب ويصلح للتطبيق في المملكة، وخاصة في المدن الثلاث التي تشملها هذه الدراسة، على أن تشمل هذه الدراسة النهوض بالإنسان والمكان.

تعتمد الحلول على مفهومين حديثين للمواجهة:

- تأهيل المناطق العشوائية - بتزويدها بخدمات بالبنية التحتية والخدمات الاجتماعية اللازمة، أي اتباع سياسة الإحياء والتجديد.
- الارتقاء الحضري - ويتطلب إعادة التخطيط ليشمل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية - أي اتباع سياسة الإزالة والإحلال.

وتتطلب الحلول الأساسية للمناطق العشوائية "حسب نوعها" التعامل مع النواحي الاجتماعية والبيئية والاقتصادية، وغالبًا ما يتم اختيار قرار التطوير إذا كانت المنطقة العشوائية كبيرة، وبها كثافة سكانية عالية وحالة المباني جيدة، بينما يتم اختيار البديل الآخر بالإزالة والإحلال إذا كانت المنطقة صغيرة المساحة، وتنفذ بها الكثافة السكانية، وأغلب المساكن من العشش، أو المباني

المهالكة، أو هي عبارة عن متخللات داخل المدينة، حيث قيمة الأرض مرتفعة ومن أملاك الدولة، فينقل السكان لمناطق أخرى.

تأهيل المناطق العشوائية

تطوير العشوائيات في مكانها لتصبح قيمة مضافة إلى المجتمع، بحيث يشمل السكن والتعليم وفرص العمل، وتعتمد على إشراك سكان المناطق العشوائية في عملية التطوير. ويتم التعامل مع المناطق العشوائية كواقع قائم يتم معالجته بحيث يضاف إلى النسيج العام للمجتمع، وهذا يتطلب علاجاً للمشكلات الاجتماعية والبيئية والاقتصادية.

المشكلات الاجتماعية

غياب الخدمات الاجتماعية للمناطق العشوائية ينعكس على سلوك الأفراد وعلاقتهم مع بعضهم البعض ومع الغير، نتيجة لارتفاع نسبة الأمية والطلاق لغياب الوازع الديني والعلاقات الإنسانية، وغالبًا ما يطغى على هذه التجمعات المتاجرة بالمنتجات وانتشار الجرائم، إلا إذا تولت مجموعة من الناس داخل العشوائيات تنظيم المنطقة لاحترام الحقوق الشرعية والعرفية والعائلية.

وتصف الدكتورة عزة كريم أستاذة علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المناطق العشوائية بأنها «قنبلة موقوتة» تشمل «جميع الأنماط السلبية والمتدنية في المجتمع أخلاقياً واجتماعياً، وهي النماذج المحرومة من الرعاية ومن حقوقها في المأكل والمشرب والسكن والتعليم والصحة».

والخصوصية مستباحة في المساكن العشوائية، وخاصة العشش التي تأخذ شكل الصفوف، فانتقال الأصوات بينها بسهولة كما أن الرؤية أيضاً ميسورة، وقد تعود سكانها على ذلك، ولكنه انطبع على السلوك العام، وخاصة للأطفال فانعدم الحياء بينهم.

الثقافة الدينية تكاد تكون منعدمة، فالمساجد إن وجدت فهي لاستخدام دورات المياه أو قضاء الحاجة، والسمة العامة للمجتمع هي لغة التخاطب الفجة والإباحية وقسوة التعامل، ورغم ذلك فهي أماكن تراحم ومصارف للزكاة والصدقات من أهل المدينة.

ورغم هذه الظروف القاسية للمعيشة من الأعمال المتدنية، فأغلبهم عمال باليومية للحصول على المال، فزيادة الإنجاب مرتفعة والطلاق مرتفع، والمرأة في هذه المناطق عليها حمل كبير في إعالة الأسرة.

المشكلات البيئية

غياب خدمات الصرف الصحي لنقل المخلفات الإنسانية السائلة والصلبة لأماكن بعيدة، حيث إن البديل، وغالبًا ما يعتمد على استخدام حفر الامتصاص، يساهم في تلوث البيئة والمياه الجوفية، بالإضافة للتلوث الجوي، وتزداد خطورتها لتراكمها دون إيجاد حل أو تشخيص سليم للمشكلة، ويرجع ذلك إلى تدني مستوى الوعي لسكان العشوائيات، مما يؤثر بالسلب على النظافة الشخصية، ومن تداخل المناطق الصناعية والورش مع السكنية، وقد تكون مخلفات شركات صناعية تلقى بها في الترع والمصارف الباقية من معالم الأرض الزراعية، فانتشرت بين السكان أمراض سوء التغذية والأمراض الناتجة عن التلوث البيئي، سواء للإنسان أو الحيوان أو النبات.

مشاكل اقتصادية

غالبًا ما تكون مشاكل متعلقة بابتعاد العشوائيات عن أماكن العمل واحتياجها إلى طرق ومواصلات للنقل، فأغلب سكان العشوائيات من العمال والموظفين العاملين في المدينة، ولم يجدوا السكن المناسب للدخل المتدني بالقرب من مكان عملهم، وهي في نفس الوقت فرصة اقتصادية لخلق عمل جديد يعتمد على توفير وسائل نقل بالنفـر لسكان العشوائيات، من خلال عربات لا تصلح لاستخراج رخص لها في المدينة، فتعمل بعيدًا عن قوانين المرور، ويعمل على هذه العربات غالبًا سائقون من ساكني العشش أو العشوائيات أو هم من عليهم أحكام في المدينة وتحت المراقبة.

وتطوير العشوائيات في مكانها لتصبح قيمة مضافة إلى المجتمع، نجحت في تطبيق هذه السياسة دول كثيرة، مثل تجربة البرازيل في سباقها مع الزمن لاستقبال الألعاب الأولمبية، والهند التي اعتمدت على القطاع الخاص وتشجيعه للإحلال والتجديد بإزالة جزء من المناطق العشوائية لإقامة أبراج سكنية بها وعدد من المشروعات الاقتصادية للقطاع الخاص، أو بناء منازل جديدة متطورة بخامات البيئة مثل استخدام الخشب وأكياس الرمل كما في جنوب أفريقيا، أو تجربة تركيا بتشجيع السكان على الاستثمار في مكانهم وتطوير المنطقة السكنية والخدمات عن طريق مجلس للحي ينتخب من سكان المنطقة.

الارتقاء الحضري – نظام الإزالة والإحلال

وتنحصر في عدة نظم تشمل إعادة تخطيط هذه المناطق لإنعاش المنطقة والمجتمع بدمج التجمعات السكنية والإنتاجية والثقافية في تجمعات تشمل كل الخدمات الممكنة في منظومة واحدة بشكل فعال، ومن هذه الطرق:

- تدخل الدولة لبناء وحدات سكنية جديدة رخيصة التكاليف في مناطق جديدة، وتتوقف على إمكانيات الدولة، كما حدث في مصر خلال السبعينيات والثمانينيات بإنشاء مدن جديدة تشمل كل الخدمات والمدارس والمستشفيات والمواصلات، وبمستوى اقتصادي قليل التكاليف (مدينة السادات، ومدينة (٦) أكتوبر، ومدينة العبور، وبرج العرب الجديدة) في المناطق الصحراوية. وقد نجحت هذه التجربة بنسبة كبيرة في تقليص أزمات السكن، حيث تم تقليص تكلفة البنية التحتية بصورة كبيرة واستغلال الأراضي الصحراوية.
- توفير أراضي عن طريق الدولة والبنية التحتية لها والحد الأدنى من الخدمات، وتمليك مساحات من الأراضي لبنائها بمعرفة سكان العشوائيات بأسعار رمزية، وبالتقسيم، وتدير هذه التجمعات جمعيات إسكان، كما في مصر، والأردن، والهند، وباكستان (سكن قابل للتطور) وقد توقفت هذه التجربة في بعض الدول، مثل الأردن ومصر نظرًا لارتفاع ثمن الأرض.
- هدم كامل للتجمعات العشوائية وإعادة بنائها بتكلفة أقل تعتمد على التقسيط البسيط، وتتوقف أيضًا على توافر المناطق البديلة للمناطق العشوائية، وتوفير الإسكان المؤقت لسكان العشوائيات، وقد يشترك القطاع الخاص من رجال الأعمال من خلال التبرعات لإنشاء مساكن جديدة بوحدات اقتصادية، على أن توفر الدولة الأرض والبنية التحتية لينقل إليها سكان العشوائيات الأكثر تضررًا، كما في مؤسسة معًا لتطوير العشوائيات بمصر.

تجارب عربية وعالمية لعلاج العشوائيات

التجارب العالمية

وفيما يلي أساليب المعالجة التي تنتهجها بعض الدول بما يناسب كل حالة للمناطق العشوائية.

التجربة التركية

استطاعت تركيا خلال فترة وجيزة حل مشاكل الإسكان في المدن التركية بشقيه الاقتصادي والفاخر، والتغلب على ظاهرة العشوائيات باستبدالها بمدن صحية ولائقة، وذلك من خلال ثلاث تجارب ناجحة بعضها يعتمد على تطوير العشوائيات والتخطيط الحضري لها بإشراك السكان في عملية التطوير، أو تطويرها لتصبح مزارًا سياحيًا للجذب السياحي، والحل الثالث لا يعتمد على الدولة في التغلب على أسباب تكون العشوائيات وذلك بإنشاء شركة خاصة تتولى البناء بالتمويل الذاتي، وفي

جميع الحالات يعتبر نجاح التجربة التركية في التغلب على العشوائيات هو نتيجة الالتزام بالقواعد الآتية قبل تنفيذ التجارب:

- محاربة الفساد بشكل جاد، سواء بين الموظفين أو رجال الأعمال وتجار الأراضي، أو رجال الدولة "الجهات التنفيذية"، أو الجهات السيادية التي لها دور في اقتناء الأراضي للعمل على رفع قيمتها وزيادة في العائد الشخصي.
- العمل المؤسسي بالتنسيق التام بين القطاع الحكومي والقطاع الخاص والقطاع الخيري.
- ضخ أموال كبيرة مع القطاع الخاص، فتقوم الحكومة مع البنوك بتمويل وإقراض المواطنين قروضًا طويلة الأمد للسكن الاقتصادي.

تطوير العشوائيات

أصدرت الحكومة القوانين التي تمنح سكان العشوائيات حقوقًا قانونية وسياسية تشجعهم على الاستثمار في المكان الذي يعيشون فيه وتطويره، وهي المباني التي يتم بناؤها في الخفاء وبعيدًا عن القوانين المنظمة، حيث يمنع القانون الحكومة من هدم أي منزل عشوائي، وعندما يزداد عدد المباني العشوائية في منطقة ما ليصل إلى ألفي منزل يتقدم أصحاب البيوت العشوائية بطلب إلى الحكومة لتشكيل مجلس بلدي للحي لتقنين أوضاع السكان وتوفير الخدمات من خلال تبرعات السكان أنفسهم الذين يشعرون بالأمان، ويبدوون في تنظيف الحي الذي يسكنون به، وتمهيد شوارعه وإقامة المحال التجارية، والمتزهات، ومحطات الأتوبيس، إلى غير ذلك، ثم ينتخبون عمدة لهم ويصبح مسؤولاً عن كل ما يخصهم، ويربط بينهم وبين مؤسسات الدولة، وتعتبر منطقة سلطان باي من المناطق التي بدأت كعشوائيات ثم تحولت إلى واحد من أشهر أحياء الجزء الآسيوي في تركيا.

تطوير العشوائيات للجذب السياحي

بدأت التجربة في عام (٢٠٠٦) بتطوير المناطق العشوائية وتحويلها إلى مواقع سياحية، وذلك من خلال تطوير المنازل المهدمة، وتجميل الحي، وفتح كثير من متاجر الحرفيين، بما يتضمن التحف الفنية والمزخرفات والمخطوطات العربية التي تشتهر بها هذه المناطق، مما يوفر سوقًا فنية خاصة بالمنطقة، والترويج لها من خلال الفعاليات الثقافية والفنية، ويتم الاتفاق مع ملاك المنازل العشوائية على ترميمها واستغلالها بواسطة الدولة لمدة عشر سنوات، ثم إعادتها إلى أصحابها ليواصلوا النشاط الذي قام في دارهم، أو التحول نحو نشاط اقتصادي أو سياحي آخر.



شكل (٥٧) تطوير المناطق العشوائية التركية.

وغالبا ما يتم اختيار المناطق العشوائية التي لها تاريخ ضارب في القدم ولها دور تاريخي للبلاد.

إنشاء شركة خاصة تتولى البناء بالتمويل الذاتي

تأسيس الإدارة العامة للإسكان التركية "طوكي" لحل مشكلة الإسكان الاقتصادي للدخل المحدود في المدن، ولكن بأسلوب مخطط ومنظم، وفي نفس الوقت تعمل على إنشاء مدن سكنية ضخمة وفاخرة على حدود المدن الرئيسية.

يتم التمويل الذاتي من خلال صندوق خاص منفصل عن الدولة حيث تُغطى التكاليف الاستثمارية عن طريق التجارة العقارية وشراء أراضي أو مناطق سياحية وتأجيرها، أو من خلال القروض البنكية، حتى يمكنها من القيام بوظيفتها الرسمية، وهي توفير مساكن لمحدودي الدخل بالتقسيط، ولكن مصدر التمويل يكون طويل الأمد قليلاً.



شكل (٥٨) إنشاءات طوكي لحل مشكلة الإسكان الاقتصادي.

الاستراتيجية المتبعة لهذه التجربة هي عملية المشاركة بين طبقات المجتمع بالمشروعات ذات العائد المجزي وبيعها للطبقة الغنية واستخدام الأرباح في بناء الإسكان الاقتصادي وتمليكها لأصحاب الدخل المحدودة، وفي نفس الوقت تقوم بشراء الأراضي التي سيتم البناء عليها الإسكان الاقتصادي وتسلمها للمقاولين للبناء، ولكنها لا تدفع مقابلًا ماديًا بل يتم المشاركة في عدد من الوحدات مقابل التكاليف.

يتم تمليك الوحدات الاقتصادية عن طريق وضع معايير خاصة للملك، بحيث لا تكون إلا للمواطن التركي متدني الدخل، أو من قاطني العشوائيات التي يتم إزالتها ولا يملك وحدة أخرى، أو من الأشخاص الذين يتلقون المساعدات.

والاستثمار في مشاريع طوكي يعتبر من الاستثمارات الناجحة، لأنها من أفضل الأسعار عند مقارنتها بالشركات الأخرى، وعند بيعها تباع بأسعار مرتفعة.

المقارنة بين تركيا والمملكة

بمقارنة التجارب التركية مع الوضع السعودي نلاحظ الآتي:

يختلف التطبيق من منطقة لأخرى حسب الدراسات.

الجانب الأمني: الاختلاف في الجانب الأمني، حيث تعتبر تركيا من المناطق المتداخلة مع حروب الشرق الأوسط ومحاربة داعش، ولذلك فهي تعمل من خلال المdahمات وفرض الأمن لمنع بؤر الإرهاب من التواجد.

أما في السعودية فالأمن مرتبط بالهجرة غير الشرعية، أو ممن لا يحملون الجنسية، أو تجار الممنوعات وانتشار الجريمة والسرقه، وتكوين مجتمعات لا تعترف بالنظام، وهذه تتطلب وضع استراتيجية للحلول الجذرية لمشكلة الجنسية، وباقي الحالات يتم حلها في مرحلة الدمج الاجتماعي.

سكان العشوائيات التركية يحملون الجنسية التركية، وفي السعودية يحملون الجنسية السعودية وجنسيات أخرى وبدون جنسية، وهذه الحالات يمكن تقنينها في مرحلة الدمج الاجتماعي.

سياسة الإقراض: تعمل الحكومة التركية مع البنوك بتمويل وإقراض المواطنين الأتراك قروضًا طويلة الأمد، و(٩٥٪) من المساكن لايد أن تبنيها المؤسسات وليس المواطنون، كما تعطي الحكومة الأراضي بالمجان لبناء الوحدات السكنية لتكون الأسعار في متناول الأشخاص المعدمين.

في السعودية يتولى الصندوق العقاري تمويل قروضٍ للمطورين، وذلك للأفراد لبناء منازل خاصة لا تساعد في حل مشكلة العشوائيات، كما أن سعر الأراضي مرتفع جدًا، فتكلفة الأرض (٤٠٪) من قيمة البناء.

المشاركة مع القطاع الخاص: حيث قامت الحكومة التركية ببناء (٦) مليون وحدة سكنية، تتبعها تسهيلات حكومية للبناء والتملك بإشراك القطاع الخاص حتى قضت على مشكلة السكن في تركيا.

في السعودية ومثال بشركة جدة للتنمية والتطوير العمراني (جدرک) والمملوكة بالكامل للدولة لتأخذ على عاتقها تنفيذ السياسات المقررة سلفاً عن طريق الاعتماد على موازنات الدولة لمعالجة ظاهرة العشوائيات، مما يؤدي إلى زيادة العشوائيات والتأخر في الإصلاح.

تتولى شركة طوكي الخاصة بتلبية الإسكان بنوعيه لأصحاب الدخل المرتفع ولأصحاب الدخل المحدود، عن طريق إنشاء صندوق نقدي خاص بها لتحقيق ماليتها عن طريق الاكتفاء الذاتي، وبعيداً عن تمويل الدولة، فيما عدا توفير الأراضي بأسعار مخفضة "وتوفير السكن الكريم"، على ألا تزيد تكلفته عن (٣٠٪) من الدخل الشهري، وأن يكون آمناً، ولا يستطيع أحد أن يخرج منه.

بينما ترتبط كل المشاريع السعودية بالدولة والقطاع الخاص، ويوجد في منطقة مكة المكرمة مجموعة من شركات التطوير، هي: شركة البلد الأمين للتنمية والتطوير العمراني، وشركة جدة للتنمية والتطوير العمراني، وشركة المصيف للتنمية والتطوير العمراني، وجميع هذه الشركات ستعمل كأدع استثمارية وتنفيذية لأمانات المدن.

التجربة الصينية

تقوم الدولة من خلال المحافظات وعلى ثلاث مراحل وبشراكة مع البنوك العامة والخاصة بإقامة مجتمعات عمرانية في أطراف المدن، تضم كل المرافق من وسائل نقل ووحدات صحية ومتنزهات، ويقوم بعمل دراسة اجتماعية، وشراء أرض المناطق العشوائية من السكان وتعويضهم بسعر السوق من خلال فترة زمنية دقيقة ومحددة. وتضم مكان هذه المناطق العشوائية التي تقع غالباً في وسط المدن أماكن ووحدات تجارية غالية الثمن يقوم بشرائها رجال الأعمال والتجار حتى لا تتكلف الدولة شيئاً.

وفي المرحلة الثانية من الخطة، ومع توافر بدائل خاصة من بنايات على أطراف المدينة لبنايات متعددة الطوابق ذات تخطيط منظم ومزودة بالمرافق من ماء وكهرباء ومدارس ومستشفيات

ومواصلات، تم نقل شاغلي العشوائيات بسهولة حسب إمكانياتهم، فهي تشمل ثلاثة أنواع من الوحدات السكنية مساحتها أربعون، وستون، وثمانون مترًا مربعًا.

ومن خلال المرحلة الثالثة، تقوم بإعادة تنظيم وتخطيط المناطق العشوائية من خلال ميزانية لمشروعات تجديد وإصلاح العشوائيات.

وقد ساهم في نجاح التجربة الصينية تكاتف الجميع من أجل التخلص من العشوائيات قبل استضافة دورة الألعاب الأولمبية عام (٢٠٠٨)، وكان هذا بمثابة تحدٍ وحافز للدولة، وقد استفاد من هذه الخطة حوالي مليون وتسعمائة ألف مواطن في المناطق العشوائية في أنحاء الصين.

التجربة البرازيلية

لم يكن أي سائح يستطيع دخول عشوائيات مدن البرازيل، التي يسمونها «فافيلا» والتي تعني باللغة البرتغالية «الحي القصديري»، لما عرف عليها من إجرام وقتل ونهب وتخصيص في بيع المخدرات وحروب العصابات، وأخطر هذه العصابات هي "فرق الموت" والفافيلا، أو مدن الصفيح الموجودة في البرازيل، وهي عبارة عن مناطق عشوائية كثيفة السكان، "يعيش في مدينة ريو دي جانيرو فقط نحو (١٥) مليون نسمة" تتميز بنقص البنى التحتية الملائمة لمعيشة الفرد وانخفاض الدخول بين سكانها. ويعد أغلب سكان فافيلا فقراء أو تحت خط الفقر، ولم يكن من السهل التغلب على كل هذه المشاكل في سنوات قليلة بدون تكاتف الجميع بما فيهم سكان العشوائيات لتتحول إلى مدن تستقبل الفرق الرياضية لكأس العالم لكرة القدم في (٢٠١٤م) والأولمبية في عام (٢٠١٦م) وتصبح مدناً سياحية، بل تحولت أثناء المونديال إلى سكن لعدد من محبي كرة القدم القادمين من الأرجنتين والشيلي وكولومبيا، لمتابعة مباريات منتخبات بلادهم، مع ثمن إقامة بسيط لا يتجاوز (٢٠٠) درهم للسيرير الواحد. وقد حدث ذلك عن طريق:



شكل (٥٩) العشوائيات في البرازيل.

- قام الجيش بنشر (٢,٧٠٠) جندي مسلح من قواته النظامية للقبض على عصابات المخدرات ومواجهة "فرق الموت" عن طريق الشرطة الفدرالية والمولين لها من الضباط لمصالحهم الشخصية.
- انطلاق برنامج "القضاء على عمل الأطفال" باعطائهم إعانات مالية لهؤلاء الأطفال لإبعادهم عن الاستغلال والعنف.
- توفير نظام تعليمي غير رسمي ومبتكر تحت اسم منارة المعرفة، وهي مراكز مجانية بها مكتبات وإنترنت ومراكز للتعليم المهني ومصدر للثقافة.
- بناء مركز خيري "مراكز للشباب" يقدم برامج التدريب المتخصص والأنشطة الرياضية والفنون وبرامج التوعية الاجتماعية، وتعمل تحت إشراف الأمن بالمنطقة لتوفير الأمن لشباب الجامعات المتطوعين لنشر المعرفة في العشوائيات، وتقديم حوافز مالية لكل من يكمل دراسته ويساعد في توظيف غيره من السكان ويعمل على التواصل مع طبقات المجتمع الأخرى.
- تقديم حوافز اقتصادية مثل الأراضي بأسعار مخفضة للشركات المختلفة لتدريب وتوظيف سكان العشوائيات.
- تنظيم وتقنين نظام التملك للأراضي والمساكن.

- إمداد العشوائيات بوسائل النقل الحديثة وتطوير المباني والطرق داخل الحي وبناء ملاعب وقاعات موسيقى ومساحات خضراء.
- قامت الحكومة بالتواصل مع سكان العشوائيات للتعرف على أوليات السكان، وأفضل تنظيم وتخطيط للمكان، ليكون مناسباً لهم، وبحيث يلي احتياجاتهم.
- البنية التحتية من توصيل الخدمات مثل الكهرباء والمياه النظيفة والصرف الصحي.
- والمحافظة على نظافة المكان بعد تطويره من خلال السكان، بإعطاء كل شخص كيس قمامة جديد مقابل كل كيس يضع فيه مخلفاته.
- تمليك السكان للأراضي التي يقيمون عليها بأسعار مخفضة ومساعدتهم في البناء عليها بتوفير مهندس معماري للاستشارة.

المقارنة بين البرازيل والمملكة

- الأمن: بدأت البرازيل بمشكلة الأمن، لأنها كانت مستفحلة، ويمكن أن يحول بين تنفيذ أي مراحل أخرى، ويعتبر حجر الزاوية للتطبيق في المملكة هو حل المشاكل الأمنية، مثل:
- توطين السكان الذين لا يحملون الجنسية.
 - وضع الحلول للهجرة غير الشرعية.

الوضع في مدينة مكة يتطلب التدخل الأمني لكثرة وجود المخالفات الأمنية بوضع خطة أمنية لتمشيط أماكن الاختباء التي يحتوي فيها المخالفون وأصحاب السوابق ومعتادو الإجرام، وتتضمن الخطة الأمنية الإعلام والتوعية، فمن يصدر في حقه جريمة يعاقب عليها، بينما يتولى الجانب الإعلامي التوعية واستقطاب الباقي لتوفير الظروف المناسبة لهم، والعمل المناسب للدمج الاجتماعي لهم.

طبيعة السكان: اختلاف طبيعتهم عن البرازيل، فسكان العشوائيات في مدن مكة وجدة والطائف هو خليط من جنسيات مختلفة وبدون جنسيات، وكل هذه المشاكل يجب تسوية الوضع القانوني لها، وخاصة في مدينتي جدة ومكة، كما تحتاج إلى تقنين للسكان بحصر كل من تم تسوية حالاتهم، ليكون لدى الحي والمنطقة قاعدة بيانات تشمل طبيعة السكان والسكن والأعداد للرجوع إليها.

سياسة الإقراض: التي تتبعها البنوك من خلال المصارف المتعددة يجب أن تكون في اتجاه واحد بعيداً عن السكن الشخصي والاتجاه إلى الوحدات السكنية المجمعة الاقتصادية داخل العشوائيات، بحيث تحتوي على كل الخدمات، وأهمها نظام المراكز الاجتماعية لتعمل على خلق السكن الملائم، وخلق الإنسان، وإعداده للعمل المناسب.

المناطق العشوائية التي يتم إخلاؤها "بصفة مؤقتة"، والتي لا تصلح للتطوير لكثرة التضاريس والحرارات الضيقة، كما في مدينة مكة، تتطلب توزيعها للشركات التي يمكنها المساهمة بتوفير العمل لسكان العشوائيات بأسعار اقتصادية لإقامة المشروعات الاستثمارية، مثل الفنادق والأسواق، كما في مدينتي مكة وجدة، لوجودهما داخل الأحياء السكنية الفاخرة "التجربة التركية والصينية والهندية والبرازيلية".

المشاركة مع القطاع الخاص: يجب أن يكون الدور الرسمي للدولة في توفير الأرض والتمويل، وأن يكون التنفيذ بعيداً عنها لتجنب الروتين والبيروقراطية، فالروتين والبيروقراطية والتعفن الحكومي، تقوض أية عملية نجاح، وتخدم الهمم في وقت نصارع فيه الزمن للحقاق بركاب التقدم، ويتم مشاركة القطاع الخاص في تولي الإسكان الاقتصادي "التجربة التركية".

التجربة البرازيلية الناجحة في استقطاب الأطفال في العشوائيات عن طريق برامج للإعانات الاجتماعية، حيث وصل عدد المستفيدين له بعد سنوات قليلة إلى (١١) مليون أسرة، وهي إعانات مشروطة بإرسال الأطفال للمدرسة، وبهذه الطريقة لخلق جيل جديد متعلم والحد من زيادة عدد الأطفال الذين يعملون في الشارع، وتهدف أيضاً إلى تحسين الوضع الاجتماعي وفرص التواصل مع شرائح المجتمع الأخرى القاطنة خارج العشوائيات.

بناء مركز خيرى "مراكز للشباب" يقدم برامج التدريب المتخصصة والأنشطة الرياضية والفنون وبرامج التوعية الاجتماعية، وتقديم حوافز مالية لكل من يكمل دراسته، ويساعد في توظيف غيره من السكان ويعمل على التواصل مع طبقات المجتمع الأخرى.

اشترك الوحدات المحلية والأجهزة الشعبية في دراسة احتياجات سكان العشوائيات.

التجارب العربية

مصر

تعتبر مصر من أكبر الدول العربية التي عانت من العشوائيات، حيث انتشرت في مناطق كثيرة تشمل معظم المحافظات، ليصل عدد سكانها ما يقرب من (١٦) مليون مواطن بخلاف سكان المقابر، وبعض العشوائيات المقتنة، وتشمل المباني العشوائية المخالفة والمباني المقامة في أحضان الجبال؛ جريدة الوفد بوابة الوفد الخميس؛ (٣١) ديسمبر (٢٠١٥).



شكل (٦٠) عشوائيات داخل المقابر.

تأهيل وتطوير العشوائيات المصرية

التجربة المصرية بدأت في السبعينيات والثمانينيات بإنشاء المدن الجديدة التي ساعدت في تقليص المناطق العشوائية، ومع زيادة الكثافة السكانية زاد معدل نمو المناطق العشوائية بصورة كبيرة، وبدأت عملية تطوير العشوائيات من الثمانينيات في محاولات وقتية بدون دراسة، واتبعت سياسة التجاهل في البداية فغضت الطرف عن المحافظة على أملاك الدولة والتعدي على الأرض الزراعية لقلة الإمكانات، وسوء الإدارة في المحليات، مما أدى لترك كل من يبحث عن حل لسكنه يتصرف بالطريقة المخالفة للقانون بمساعدة من بعض المسؤولين المحليين، ومع اتساع المنطقة العشوائية لتصبح تحت الأمر الواقع، فتتجاوز الدولة عن المخالفات وتمدها بالمرافق والخدمات.

والمحاولة الثانية التي اتبعتها وفشلت هي إزالة الأحياء العشوائية وإيجاد مساكن بديلة في مناطق بعيدة عن أماكن عمل سكان العشوائيات، مما كلف سكانها معاناة اقتصادية في تنقلهم بما لا يناسب الدخل المتدني لبعدهم عن أماكن عملهم وعودة بعضهم للسكن في العشوائيات والتصرف

بالبيع في المساكن البديلة بالبيع، بالإضافة إلى أن الإزالة لم تحافظ على الأرض الزراعية ولم توقف نمو العشوائيات، وتزايدها أصبح أسرع مع زيادة السكان وعدم وجود بدائل للسكن.

والمحاولة الثالثة هي توفير الأرض والخدمات كمدخل لتطوير الأحياء العشوائية، بحيث لا تكلف الدولة أعباء مالية غير متاحة مع مساعدة الأسرة بالقروض الميسرة في السداد، ولكنها لم تؤد الغرض منها نتيجة سوء الإدارة والفساد الحكومي.

والمحاولة الأخيرة هي اتباع سياسة التطوير والارتقاء أو الإزالة للمناطق غير الآمنة، وذلك من خلال إنشاء صندوق مالي خاص بالتعامل مع المناطق العشوائية ودوره:

- حصر وتصنيف الأراضي العشوائية.
 - إعطاء الأولوية للمناطق غير الآمنة.
 - وضع خطة قومية للتعامل مع المناطق العشوائية.
- وهي التجربة الناجحة التي طبقت في كثير من الدول، مثل: الهند، وتركيا، والبرازيل.
- وتصنف العشوائيات القائمة في مصر إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى هي العشوائيات الآمنة "المناطق غير المخططة"، وهي مناطق يتوفر فيها الحد الأدنى من السكن الآمن، ولكنها لم تنشأ باستخدام أدوات التخطيط العمراني، وهي مناطق ذات كثافة عالية، ولا تحتاج إلى التدخل الفوري، ويطبق عليها برنامج "خلطة وتطوير هذه المناطق".

المجموعة الثانية هي العشوائيات غير الآمنة، حيث لا يتوفر بها الحد الأدنى من السكن الآمن، وهذه يتم التعامل معها حسب درجة خطورتها، فيتم تطبيق برامج إزالة وبرامج إحلال مع إعادة التطوير "مواجهة قضية عشوائيات العمران هبة الله الفولي".

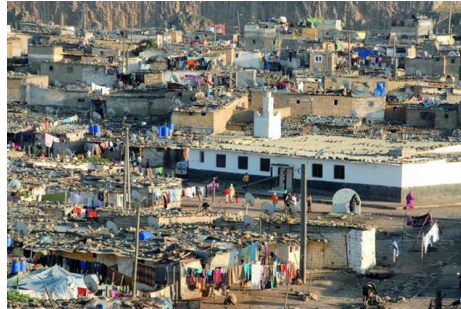
خطة التطوير

اتجهت الدولة إلى استغلال أماكن الفراغ في العشوائيات، والتي غالبًا ما تكون مستخدمة للتخلص من المخلفات أو إزالة بعض المساكن بعد ترحيل سكانها بصفة مؤقتة حتى يتم تعمير وتطوير المكان وإمداده بالأنشطة التجارية والتصنيعية المناسبة للمنطقة، وذلك من خلال مشاركة من قيادات من الحي العشوائي، ومن خلال البرنامج القومي لتطوير العشوائيات، وتحديد مدة زمنية لكل مرحلة "خمس سنوات" ومتابعتها، وقد سبق هذا العمل دراسات، ووضع خطة للعمل شملت الآتي:

- اشتراك الوحدات المحلية والأجهزة الشعبية في دراسة احتياجات سكان العشوائيات.
- حصر عدد المباني والمنازل والأسر في كل منزل.
- وضع خطة من إدارة التخطيط العمراني لتوصيل الكهرباء، ومياه الشرب، والصرف الصحي، ورصف الطرق، وتوفير أماكن المسجد والمدارس، والوحدات الصحية والمساحات الخضراء.
- توظيف أنشطة علمية وبحثية تسهم في تنمية شاملة ومستدامة، ودراسة الممارسات المحلية والعالمية في التعامل مع المناطق العشوائية عن طريق البحث العلمي.
- تأسيس مراكز اجتماعية ومراكز للشباب داخل الأحياء العشوائية لتنمية المهارات الحرفية والمهنية والفنية والرياضية "إيمان مرعى، والأهرام، وأحوال مصرية".
- الاهتمام الأمني بالمنطقة بمساعدة الأجهزة الشعبية والعمل التطوعي والإرشادي لتغيير السلوكات للأفضل، وخلق فرص عمل للمرأة.
- وتعتبر هذه البنود صالحة للتطبيق في المملكة.

التجربة المغربية

مرت المغرب بمرحلة تضخمت فيها المصالح الإدارية وعدم إدارة الشؤون المحلية – الاقتصادية والاجتماعية – مع التوازن بين الإمكانات والمتطلبات، فأدى ذلك إلى زيادة النمو الإنشائي المتحضر للمدينة وضواحي المدن، حيث ينشط السوق العقاري غير الرسمي مع المضاربة وارتفاع الأسعار، فيسمح بظهور الأحياء العشوائية والسرية وأحياء الصفيح التي تناسب الأكثر فقراً.



شكل (٦١) حي باشكوفي الدار البيضاء حيث يوجد (٤٣) حياً ليسوا كلهم من صفيح لكنهم نُقِدُوا بلا تخطيط أوبنى تحتية (منير أمحيمدات).

وتشير الإحصائيات إلى أن هناك (٥٤٠) ألف أسرة تقطن مساكن عشوائية، و(١٠٠) ألف أسرة تقطن في مساكن آيلة للسقوط، و(٢٣٠) ألف أسرة تقطن في أحياء من الصفيح، وكانت النتيجة:

- الفقر والبطالة واللامبالاة والتمهيش.
 - العمل بالقطاع غير المهيكل.
 - نظرتهم للتعليم بأنه اقتصاديًا غير مجدٍ.
 - مناطق تعج بالمشكلات الأمنية والاجتماعية والبيئية والصحية.
- ومع زيادة التمدد الحضري تزداد الهوة وتزداد الصعوبة في مواجهة هذه الحالة بالمرافق والتجهيزات المطلوبة لعجز الإمكانات، وتتدخل السلطات المركزية والمحلية لتلبية هذه الاحتياجات، وفي حقيقة الأمر تزداد التكاليف للحلول الفردية على حساب التنظيم الحضري، والنتيجة تعود أيضًا على المدينة بما يلي:
- زيادة أعداد الباعة الجائلين في شوارع وأزقة المدن العمومية، وانتشار الأسواق في كل مكان.
 - النقل السري بالنفربديلاً عن وسائل النقل المريحة واللائقة.
 - انتشار القمامة المنزلية في الشوارع وأزقة المدن وتحميل الدولة المسؤولية.
 - انتشار السلوك الانتقامي والعدواني للشباب العاطل نتيجة للتجاهل الحادث لهم، مما يزيد من أعباء المجالس المحلية.
- وضع سياسة للحلول تعتمد على:
١. تدخل كل الأجهزة بصورة شاملة في المنطقة لرفع مستواها، وتصبح مركزاً لخلق الثروات وتوزيعها العادل، وتتحول إلى التنمية الحضرية والتعايش.
 ٢. وضع سياسة شمولية للقرارات والتنفيذ من أجهزة الدولة، لا تشمل العشوائيات فقط، ولكن استراتيجية متكاملة لتعمل على اندماج المدن والعشوائيات.

٣. سياسة شاملة بالمشاركة لحل المشاكل الاجتماعية المتمركزة في بعض الأحياء التي تعيش صعوبات مختلفة، وعلاج هذه المعضلات الاجتماعية - إطار عمل جماعي بمشاركة كل الجهات، ويكون التدخل من خلال ثلاثة محاور، هي:

أ. تكوين مدن منتجة.

ب. الاهتمام بالتراث التاريخي وترميمه.

ج. التركيز على إصلاح الخلل في العشوائيات، والتي تشمل السكن والنقل والصحة والعمل والتعليم والثقافة.

وقد تم بناء (٥٠) ألف وحدة سكنية مع بداية عام (٢٠١٠) منها (٤١) ألف وحدة بالشراكة مع القطاع الخاص تحت شعار "مدن بدون صفيح"، وقد حقق الآتي:

- إيواء أكثر من مليون و(١٥) ألف نسمة "بتكلفة (٢٥) مليار درهم".
- إزالة عشوائيات من (٣٧) مدينة من أصل (٨٢) مدينة "بها (١٤٢,٤٠٠) من دور الصفيح.
- برنامج السكن منخفض التكاليف "(١٤٠) ألف درهم" وهو مشروع حكومي للدخل المحدود، وذلك بدعم العقار العمومي بإعفائه من الضريبة، وهو يخدم حوالي (١٣٠) ألف أسرة.
- الحصول على قروض بنكية بكفالة حكومية من خلال صندوق الضمان للسكن "فوغاريم".
- تعاون فعال بين الحكومة وقطاع الأعمال الخاص ومؤسسات التمويل.

وفي النهاية: فإن حل مشكلة السكن تتطلب تعاوناً فعالاً وقوياً بين الحكومة وقطاع الأعمال الخاص ومؤسسات التمويل، والذي ساعد في نجاح التجربة المغربية، من بينها إرادة الحكومة والتزامها السياسي، ووضع سياسة متماسكة ومتكاملة مع غيرها من السياسات التي تؤثر على القضايا الحضرية، فقد مكنت من جعل برنامج "مدن بدون صفيح" فرصة لخلق فرص العمل وخلق الثروة.

التجربة الأردنية

مرت الأردن بمراحل للتطوير بعدة أساليب، الأول والذي طرحته دائرة التطوير الحضري في الأردن، وهو أسلوب فكرة (المسكن النواة)، وهو المسكن الصغير الذي يلبي الاحتياجات الأساسية

للأسرة الناشئة، ويكون قابلاً للنمو والانتساع أفقياً ورأسياً مع مرور الوقت وفقاً لاحتياج الأسرة، وتخصص قطع أراضٍ صغيرة بمساحات تراوح بين (١٥٠ - ٣٥٠) متراً مربعاً ليقيموا عليها مساكن صغيرة. بمساعدة المكاتب الهندسية، حيث تمت إعادة تخطيط تجمع سكني عشوائي مساحته (٩,١) هكتار عام (١٩٨٥)، يسكنه ٥٠٣٠ شخص، والذي كان مكوناً من ٥٢٤ قسيمة كانت مبنية من الزينكو، وغيرها من المواد المتردية التي لا تصلح للسكن الصحي، غير أنها توقفت في عام (١٩٩٢) حيث تم دمجها مع مؤسسة الإسكان، وقامت بطرح مشروع تنظيم الموقع والخدمات، والذي أدى إلى ارتفاع قيمة الأرض، مما أدى إلى انتفاع الطبقة المتوسطة، وليست الفقيرة من هذه المشاريع. ثم قامت الأردن بالتوسع في تجربة المناطق الاقتصادية التنموية الاستثمارية والمعفاة من الجمارك، وبناء مدن سكنية ضخمة، مع توافر فرص العمل للابتعاد عن السكن العشوائي، وإيجاد البديل.

أسباب وجود التجمعات العشوائية في الأردن

القصور في القوانين الخاصة بالتخطيط العمراني

أدى قصور القوانين إلى التعدّي على الأراضي الزراعية وتحولت إلى أراضٍ للبناء مع التطور الكبير والسريع في عمليات الإنشاء والبناء، وقد أدت بعض الثغرات في القانون إلى الإضرار وليس وقف التعدّي، كما حدث في مصر مع قانون التنظيم لأعمال البناء وتقسيم الأراضي الفضاء لسنة (١٩٨٢) (أحمد سليمان) وهو قانون عام على جميع أنواع الأراضي، سواء المميّزة أو العشوائية، فلجأ بعض المستثمرين للبناء في المناطق السكنية غير الرسمية، وذلك لتحقيق هدفين هما - عدم دفع الرسوم المطلوبة، وهي (١٠٪) من تكلفة البناء - وثانياً، البعد عن الأراضي المرتفعة السعر لتحقيق أكبر عائد، واتبعت الدولة خلال تلك الفترة سياسة اللامبالاة لعدم مقدرة الدولة على التوسع في البناء الاقتصادي، واكتفت بسياسة الإزالة والإحلال، والتي لم توقف البناء واتساع العشوائيات.

وأخيراً لجأت إلى سياسة الإحياء والتجديد، لأنها أصبحت واقعاً ولا بد من التعامل معه، وتحويل هذه العشوائيات إلى مناطق سكنية آدمية، وتوصيل الخدمات والمرافق بعد أن كانت تمتنع حتى لا تعمل على تشجيع نمو المناطق العشوائية.

وفي الأردن يعتبر قانون تنظيم المدن والقرى رقم (٧٩) لسنة (١٩٦٦) هو الذي يحدد عمليات البناء والتراخيص، ولكنه لم يتعرض للتجمعات العشوائية، وعندما تم تعديل القانون، فإنه تعامل مع المناطق العشوائية أيضاً بأسلوب الإزالة أكثر من التعامل بطريقة الإحياء والتجديد "المصدر نحو استراتيجية معالجة السكن العشوائي - أحمد حسين أبو الهجاء"

طبيعة الوضع الإسكاني ومتطلباته

تزداد الحاجة السنوية للإسكان إلى ما يزيد عن (٣٠) ألف شقة سنويًا، حيث يتولى القطاع العام عملية البناء للإسكان الاقتصادي، ولم يستطع ملاحقة الحاجة للإسكان لدوره المحدود يساهم بـ (١٢٪)، بينما في حالة المساعدة من المؤسسات الاستثمارية والجمعيات التعاونية الخاصة، والتي يمكن أن تكون بديلاً عن القطاع العام في تطبيق السياسات الإسكانية الرامية إلى حل مشكلة السكن لذوي الدخول المتدنية، غير أنها وفرت في الإسكان ولكن للفئة المتوسطة والمرتفعة.

ضعف الإمكانيات المادية

لا تتناسب قيمة السكن المتوسط مع قيمة الدخل أو معدل الدخل السنوي للأفراد، ومؤسسات التمويل لها دور محدود في تمويل الإسكان (٢٠٪) والفئات الفقيرة التي تحتاج للتمويل القرضي لا تستطيع الاقتراض للشروط التي لا تتوافق مع الأفراد الفقراء.

المشكلة والحل للعشوائيات في الأردن

التدخل الرسمي في حل المشكلة ببناء وحدات سكنية اقتصادية (كما في مصر وإنشاء المدن الجديدة) يظل محدوداً، غير أنه يساهم في تقليل الفجوة بين الإسكان الاقتصادي والمتوسط والفاخر، رغم التكلفة الباهظة لتكلفة الوحدات السكنية بما يناسب دخل الأسرة، سواء لمقدم الوحدة المرتفع القيمة أو لأقسطها.

توفير البنية التحتية والحد الأدنى من الخدمات لمواقع تحددها الدولة (مصر والهند) أو الاستعانة بفكرة السكن النواة التي طبقت في الأردن، ولكنها توقفت لارتفاع ثمن الأراضي.

نظام الإحياء والتجديد، والتي تتطلب دراسات ومشاركة من المجتمع ليتم التغيير في اتجاه المكان والإنسان.

التجربة الأردنية الناجحة في وقف العشوائيات

لقد نجحت دائرة التطوير الحضري في مشروع شرق الوحدات لحل مشكلة السكن العشوائي للأسباب التالية:

- تمت إعادة تخطيط تجمع سكني عشوائي مساحته (٩٠١) هكتار عام (١٩٨٥) ويسكنه (٥٠٣٠) شخصاً، والمسكن العشوائي عبارة عن قسيمة - مساحة المبنى - مبنية من ألواح الزنكو وغيرها من المواد، مثل الكرتون والصفائح، التي لا تصلح للسكن الصحي والأمن.

- مشاركة شعبية كبيرة في تملكهم للأرض وتطوير السكن الذي يملكونه عليها.
- نظام تقسيط مريح ومناسب حيث يدفع الشخص (٥٪) من قيمة الأرض وتقسيط باقي المبلغ بما يعادل (٢٥٪) من دخل الأسرة الشهري، والذي يساوي حوالي (١٤٥) دينارًا.
- تمت إعادة تنظيم الموقع وتخطيطه من خلال الطرق والممرات والقوائم للمكيات صغيرة مناسبة للمنتفعين بمساحات (٨٠-١٢٠ مترًا مربعًا) وتحديد أماكن الصرف الصحي، ووصلات الكهرباء والمياه، لكل وحدة من خلال مساقط أفقية للمساعدة في تصميم المبنى.
- توفير الخدمات العامة من البنية التحتية الضرورية.
- استفادت الدولة من المشروع ماديًا بما يغطي مصاريف البنية التحتية والتكاليف، حيث تم بيع الأرض بقيمة مضاعفة لسعر الأرض مقابل التقسيط على فترة طويلة؛ غير أن المشكلة كانت في تحمل الدولة لعملية إخلاء الناس من مساكنهم إلى أماكن بديلة حتى تتم إعادة البناء، وقد كانت تلجأ غالبًا لإنشاء مساكن في أماكن قريبة من المشروع.

أساليب علاج ظاهرة العشوائيات

العشوائيات ليست مشكلة سكن فقط بقدر ما هي مشكلة بشر، وعلى ذلك فهي ليست سياسة الإسكان فقط، بل هي مشكلة متشعبة ناتجة من عجز أداء مفاصل الدولة في السياسة والاقتصاد، وافتقار الدولة لسياسة عادلة تحقق عدالة اجتماعية واقتصادية وتشريعية، بالإضافة لعجز في أسواق الأراضي والتمويل لتلبية حاجات الفقراء. ولذلك يشير الخبراء إلى حتمية معالجة قضية العشوائيات في إطار التنمية الشاملة التي تخاطب جذور المشكلة، وتعالج الأسباب الحقيقية لنمو العشوائيات. كما ينظر للبرامج والمشروعات باعتبارها وسيلة لتحقيق أهداف الاستراتيجية على أرض الواقع، حيث لم تعد الحلول المنفردة والجزئية تصلح لعلاج العشوائيات.

استراتيجية التنمية ومكافحة الفقر وكيفية التعامل معها دوليًا

استراتيجية البنك الدولي والصندوق الدولي:

وهي الشروط التي يضعها كل منهما للحصول على القروض بتحسين أوضاع الفقر بالدول المتعاملة معهما، وتقديم ورقة استراتيجية للحد من الفقر، وتحتوي على مجموعة من سياسات وبرامج محلية للحد من الفقر.

استراتيجية البنك الآسيوي للتنمية

تبنى البنك الآسيوي سياسة استراتيجية للحد من الفقر بعد الأزمة الاقتصادية التي مرت بها دول آسيا عام (١٧٧٩)، وفي محاولة للتعافي من آثارها كمحور أساسى لأعمال البنك، وتقوم هذه الاستراتيجية على ثلاث دعائم رئيسة. وهي: النمو الاقتصادي المستدام الموجه للفقراء، والحكم الجيد، والتنمية الاجتماعية.

استراتيجية تحسين الأحوال المعيشية

وهي التي تعنى بتحديد جميع العوامل التي تؤثر على تحسين الظروف المعيشية للفقراء، وتسمح بتحديد أولويات العمل بناءً على احتياجاتهم وأولوياتهم.

استراتيجية التنمية ومكافحة الفقر محليًا

تنمية القدرات وتأهيل الفقراء

وهي عملية تأهيل قدرات الفقراء وتنميتها وتأهيلهم للاستجابة للفرص المتاحة لهم، سواء في مجال السكن أو العمل، ويتفرع من هذا المحور عدة سياسات أهمها:

تنمية القدرات الذاتية

وذلك بتوفير الخدمات الاجتماعية الموجهة للفقراء، مثل التعليم، والصحة، والتدريب، والتأهيل المهني، بما يتناسب مع احتياجات ومتطلبات السوق.

تنمية القدرات الاجتماعية

وذلك بإشراكهم وتعزيز تواجدهم كطرف أساسي في عملية اتخاذ القرار من خلال تطوير أدائهم في العمل الاجتماعي.

تعزيز الحماية والأمن الاجتماعي

وذلك من خلال توفير شبكات للأمان الاجتماعي للفئات التي لديها إعاقة، أو مرض، أو أزمة اقتصادية، من خلال برامج البطالة والدعم الاجتماعي.

إتاحة الفرص أمام الفقراء:

- وتعمل على إتاحة الفرص أمام الفقراء وتوفير البدائل المناسبة لهم:
- من خلال تطوير السياسات المعنية بإدارة النمو العمراني بتوفير بدائل ملائمة للفقراء، سواء في السكن أو الأراضي، والتي تغنيهم عن سكن العشوائيات.
- وتطوير الإجراءات والمعايير الخاصة بسوق الإسكان والعمل من خلال مساندة المشروعات الصغيرة ومتناهية الصغر، والتوجيه ناحية العمل الذاتي في إطار آليات السوق الحر.
- بالإضافة لتطوير النظم التمويلية الموجهة للفقراء بتوفير أساليب مبتكرة للقروض، بحيث تكون متناسبة مع الأوضاع الاقتصادية واحتياجاتهم المتواضعة، بالإضافة للمساعدات الفنية وعمل هذه المكونات معاً لتحقيق الرؤية العامة لاستراتيجية التنمية.
- وقد أثبتت التجربة العملية أن سكان العشوائيات يبحثون عن فرصة العمل قبل السكن؛ فإذا ما توفرت فرصة عمل في مكان ما، فإنه يعد المكان الملائم لهم، بصرف النظر عن ملائمة المسكن. ولكن إذا ما توفر المسكن الملائم ولم تتوافر معه فرصة العمل فإن هذا المسكن الذي يعتبر "ملائماً" يصبح غير مناسب للأسرة التي ستفقد فرصة عملها بالانتقال إليه "الكردى، (٢٠٠٣)، ص ٥٢".

المبادئ المميزة لاستراتيجية التنمية

الشمولية والتكامل

لحدوث التنمية يتطلب التعامل معها بشكل مترابط ومتناسق في إطار استراتيجية شاملة موحدة، وهي تعمل بشكل أفضل عندما يتم تطويرها بشيء من التكامل والشمولية، مع حدوث توازن بين الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والبيئية، ومراعاة ذلك في:

- التوازن بين الأولويات المحلية والإقليمية والقومية.
- التوازن بين الأهداف قصيرة المدى والمتوسطة المدى وطويلة المدى.

- التوازن بين الخطط القطاعية المختلفة مثل الصحة والتعليم والاسكان و..
- ربط الأولويات الاستراتيجية بالموازنات.

ولا يتم معالجة جميع القضايا دفعة واحدة، أو التركيز على بعضها على حساب الأخرى، والعمل في النهاية على تحسين جودة الحياة بشكل تدريجي، مع الأخذ في الاعتبار جميع القضايا المسببة للفقر.

التركيز على قضايا الفقر

وتبنى سياسات مدعمة للفقراء في جميع المجالات والقطاعات ومشاركتهم في صناعة القرار (مكافحة الفقر وليس محاربة الفقراء).

وضع رؤية عامة لتوجهات التنمية

فقد أثبتت التجربة العملية خلال الخمسين عامًا الأخيرة على قصور التخطيط المركزي وعدم قدرته على تلبية الاحتياجات المحلية، ويجب التوجه لتدعيم اللامركزية في التخطيط، ويكون دور المستوى المركزي وضع السياسات والاستراتيجيات العامة، بينما يتم تفعيل جميع المؤسسات وتمكينها من تأدية أدوارها بكفاءة وفعالية على جميع المستويات.

استراتيجية التعامل مع العشوائيات والحد من نموها

عند اختيار استراتيجية شاملة للتنمية ومكافحة الفقر والحد من العشوائيات، فإنها تكون وفق عدة عوامل مهمة:

- متناغمة ومتسقة مع الرؤية العامة لتوجهات الدولة.
- حق المواطنين في المأوى والحصول على الخدمات مثل المياه النظيفة والصرف الصحي والتعليم والرعاية الصحية الأساسية.
- قدرة الدولة على استرداد التكلفة من خلال تشجيع وتحفيز الأفراد على استثمار مدخراتهم في اتجاه تدعيم التمويل الذاتي.

ولا يوجد في هذا المجال اتفاق شامل عالميًا عن هذه الاستراتيجية للتعامل مع العشوائيات، ولكن هناك اتجاهين هما:

١- العشوائيات نتاج طبيعي ولا يمكن تفاديها، ولكن دور الدولة هو وضع منهج استباقي لعمليات النمو الحضري المستقبلي والتخطيط لها، حتى لا تنشأ عشوائيات جديدة مع الارتقاء بالعشوائيات القائمة.

٢- يجب المساواة بين عمليات تنمية المناطق الريفية والمناطق المتاخمة للمدن والمناطق الحضرية، والعمل على توجيه النمو، بدلاً من الاستجابة لعمليات النمو الحضري القائم ويجب التعامل مع العشوائيات القائمة بحساسية شديدة، ما بين تحسين الأوضاع بشكل نسبي، يضمن كرامة الإنسان، وفي نفس الوقت، عدم المبالغة في التحسينات حتى لا تشكل عناصر جذب في حد ذاتها، ومن الأهمية أن تكون البرامج والمشروعات معبرة عن أهداف هذه الاستراتيجية، وقادرة على تحقيقها "قضية العشوائيات والتنمية".

التعامل مع العشوائيات القائمة

يتم تعامل الدولة مع العشوائيات القائمة برفع مستوى معيشة سكان العشوائيات من خلال تحقيق التنمية المتكاملة لهذه المناطق، ومن خلال الثوابت التالية:

١- ربط عملية تقنين حيازة الأراضي بتوصيل المرافق والبنية الأساسية للحفاظ على حق الدولة، ويمكن الناس من استثمار أموالهم في المنازل والمشروعات.

٢- تشجيع القطاع الخاص على المساهمة في تنمية المناطق العشوائية بمنحهم حوافز وتسهيلات مقابل ذلك مثل منحهم نسب من الأراضي المتميزة.

٣- العمل على التنمية المتكاملة من خلال برامج لتنمية الاقتصاد المحلي، وتطوير المرافق، والتدريب الحرفي، والقروض للمشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر لرفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي.

٤- استعادة تكلفة مشروعات التنمية المقترحة لتقليل العبء عن الدولة، ولضمان الاستمرارية.

وتقسم العشوائيات القائمة إلى:

(١) العشوائيات الآمنة "المناطق غير المخططة" وهي المناطق التي توفر الحد الأدنى من السكن الآمن، وهي التي نشأت بعيداً عن التخطيط العمراني، ولذلك فهي ذات كثافة عالية ولا تحتاج إلى التدخل الفوري، ويطبق عليها برنامج خلخلة وتطوير هذه المناطق.

(٢) العشوائيات غير الآمنة، وهي التي لا يتوفر فيها الحد الأدنى من السكن الآمن وتصنف بناءً على درجة الخطورة، حيث تعامل حسب درجة الخطورة ما بين برامج إزالة وبرامج إحلال مع إعادة التطوير.

كيف تحد الدولة من نمو المزيد من العشوائيات؟

وتهدف الخطة إلى تحقيق التوازن بين الحفاظ على الأرض، وبين تحقيق طموح المواطن المشروع في السكن الملائم، وذلك من خلال ثلاثة اتجاهات:

(١) تحجيم الامتداد المستمر للمناطق العشوائية "تحريم العشوائيات"، وذلك بوضع تخطيط تفصيلي للمناطق المحيطة وتطويقها، بحيث يتم في اتجاهات مرغوبة ومتفق عليها من الجهات المعنية.

(٢) التخطيط العمراني الشامل لكافة المدن الثلاثة بالمملكة لتحديد الأحيزة العمرانية لها، والخدمات اللازمة للمستقبل، مع تنفيذ التخطيط التفصيلي للمناطق التي تم ضمها للحيز العمراني.

(٣) التوسع في تخطيط وتنفيذ مشروعات عمرانية، لتوفير أراضٍ لمحدود الدخل بأسعار تناسب الدخل وتسهيلات في السداد.

مدينة مكة المكرمة

تُعاني مدينة مكة المكرمة من ظاهرة العشوائيات، إذ تنتشر في حوالي (٦٦) حيًا من أحياء العاصمة المقدسة العشوائيات، وهو ما تسبب في ظهور كثير من السلبيات الاجتماعية والأمنية، وهي عبارة عن مجموعة من الأحياء الفقيرة والمعدمة اقتصاديًا، حيث ينتشر فيها التسول، ولا تملك لها أية صكوك للملكية، وتنتشر بها الجريمة، ويسكن بها حوالي (١,٢٢) مليون نسمة.

وقد نشأت هذه العشوائيات كأماكن عامة أو خاصة عن طريق الأفراد بعضها بتراخيص وبعضها من غير تراخيص، ولا تخضع للتخطيط العمراني، وتتوزع بصورة عشوائية وبأزقة ترابية، وهي مصدر خصب لإقامة مخالفات الإقامة والعمل بما يقلق الأمن.

حالة السكن

تتصف مدينة مكة بأنها منطقة جبلية غالباً، وقامت عليها مناطق بدون تخطيط أو ترخيص، ومبانيها غير مستوفاة للاشتراطات الصحية والهندسية، ومقامة على أرض غير مقسمة وغير مملوكة (غير قانونية) مما خلق صورة غير حضارية، مناطق فقدت هويتها وليس لها انتماء تقليدي أو حداثي متميز، ومزيج من العمارة التقليدية والعشوائية، واستخدمت مواد بناء حديثة مثل الأسمنت، ولكنها لم تستجب للتطور العمراني لسرعة زيادة السكان والهجرة إلى المدن مع زيادة الاقتصاد، وكانت النتيجة تكون أحياء متدهورة ومتخلفة بنسج عمراني متراص ومتراكم بأزقة ضيقة، وزادت حتى وصلت إلى (١٦) حيًا عشوائيًا متاخمة للمنطقة المركزية، وتنتشر في الأودية والشعاب وعلى حافة الكتل العمرانية والأحياء الحديثة، وبعض الجيوب في الأودية والشعاب المحيطة بالأحياء المخططة، ويقطنها ما يقارب نصف سكان مكة المكرمة حاليًا، وتشمل أحياء مثل: قوز النكاسة، والملاوي، والخانسة، والمعابدة، وحي الزهارين، وشارع المنصور، والعتيبية، والسليمانية، وحارة غراب، والطنطباوي، وشارع الحج، ووادي جليل، ودحلة الرشيد، وأم قضيب، وشرق المسفلة، وغرب الزاهر.



شكل (٦٢) مباني جبل الشراشف بمكة.

كلها تقع في داخل البنية العمرانية وتأخذ شكل الجبال في تعرجها، وأكثر هذه المباني حالتها سيئة، وبها تصدعات وتسريب للمياه، وغير مكتملة التشطيب، ومبنية من دور إلى اثنين غالبًا. والمنحدرات الجبلية والميول الواضحة تشكل خطرًا أثناء سقوط الأمطار من الصخور الجبلية، وهذه المناطق تفتقر إلى الخدمات التعليمية والصحية والإدارية، والبنية التحتية متوفرة، ولكن بصورة متدنية ومساحات المباني تتراوح من (٥-١٠ م^٢).



شكل (٦٣) منطقة "فوز النكاسة" العشوائية.



شكل (٦٤) إزالة عدد من العقارات لصالح الطريق الدائري بمكة.

أهم أسباب نشأة العشوائيات في مكة المكرمة ونموها

- ١- مع حركة التعمير الكبيرة التي شهدتها مكة بزيادة عائدات البترول، وتوفرت الأموال للبناء والإنشاءات، مما أدى إلى زيادة الطلب على العمالة الأجنبية لمكة.
- ٢- زيادة الهجرة الداخلية من القرى السعودية بحثا عن العمل والخدمات والرفاهية الحضرية.
- ٣- ارتفاع أسعار الإيجار وأسعار الأراضي بما يفوق قدرة هذه الفئات العاملة وعدم توفر السكن المناسب لهم.
- ٤- وضع مكة الديني مع كثرة الأجانب المتخلفين من العمرة والحج.

- ٥- الوضع السياسي العالمي لاضطهاد الأقليات المسلمة في بعض البلدان، مثل بورما فقد وصل أعداد البرماويين منذ عام (١٩٥٠) إلى حوالي ربع مليون مواطن.
- ٦- غياب الرقابة الإدارية وضعف الجهاز الإداري حتى عام (١٣٩٥هـ) (١٩٧٥م).
- ٧- غياب التخطيط العمراني عن المنطقة والبناء بدون تصريح.
- ٨- نشأت هذه العشوائيات كأماكن عامة أو خاصة غير واضحة عن طريق الأفراد، بعضها بتراخيص وبعضها من غير تراخيص، والحصول على مسكن بأقل التكاليف حتى استقرار الحالة في بحثه عن عمل أو وظيفة، وأغلب المهن ما بين عمال (٦٨٪) ونسبة أقل موظفين وأعمال حرة، وهم من ذوي الدخل المنخفض جداً وتدني مستوى التعليم.
- ٩- معظم سكان العشوائيات من غير السعوديين (نسبتهم ٧٤٪ - ٨٤٪ من عدد السكان) وغالبيتهم من بورما وبنجلاديش وأفريقيا.

خطة العلاج

تعتبر المناطق العشوائية في مكة المكرمة من المناطق التي لا يصلح لتحديثها غير نظام الإزالة والإحلال للعديد من أحيائها القديمة المحيطة بالحرم المكي لكثرة التضاريس، والطرق غير الصالحة، والمسكن المتهاكلة، ولقربها من المنطقة المقدسة، ومع زيادة أعداد الزوار للبيت الحرام وحاجة المنطقة للتوسعات والطرق والمجاور اللازمة للتحرك، والنقل من الوسائل الحديثة مثل مترو الأنفاق وسيارات النقل، وبأعداد كبيرة للحرم المكي يتطلب الآتي:

١. اختيار المناطق العشوائية القريبة من الحرم كمناطق للسكان والمعتمرين والحجاج، كم منطقة الكدوة العشوائية، وهي مناطق استثمارية لها مردود اقتصادي وديني كبير.
٢. تأمين بدائل إسكانية لسكان العقارات ضمن المناطق الخاضعة للتطوير، بحيث تناسب دخولهم المتدنية.
٣. تعويض ملاك العقارات بالمقابل المادي المناسب أو مشاركتهم بالقيمة في مشروع التطوير.
٤. ضرورة مشاركة هيئة تطوير منطقة مكة المكرمة مع القطاع الخاص والشركات العاملة في المشروع، وتوفير البيانات والخرائط والنماذج والمعلومات الفنية للمشروعات، وبناء نظام معلومات جغرافي بالتفاصيل.

الأسلوب المقترح للتطوير

تحتوي المناطق العشوائية على مئات الآلاف من القاطنين بدون هوية وبدون عمل، ويجب قبل توطین السكان الذين لا يحملون الجنسية عمل إحصاء للجنسيات التي تسكن هذه الأحياء ودراسة مشاكلهم، ودراسة الحلول لها، وإصلاح وضعهم وتصحيح إقامتهم، وإيجاد العمل المناسب، أو التدريب والتأهيل للشباب، وذلك من خلال مشاركة رجال الأعمال، وأهل الخير، وأصحاب الشركات الاستثمارية الداخلة في عمليات التطوير.

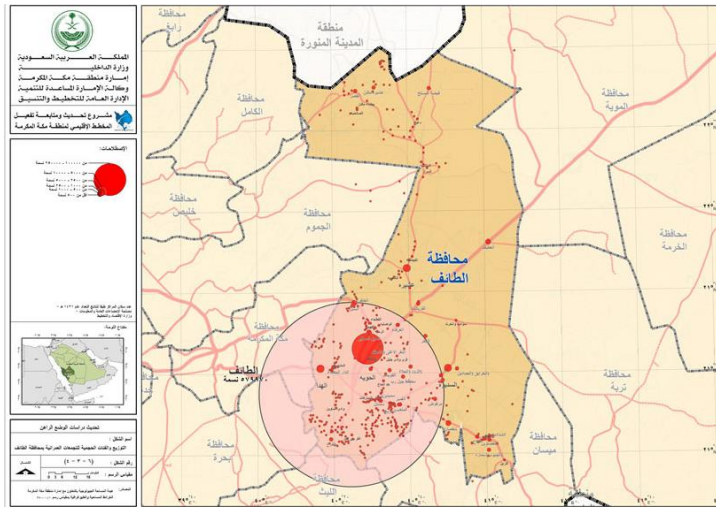
ومن المقترحات التي نراها مناسبة:

- (١) تصحيح وضع السكان الذين لا يحملون الجنسية، ووضع استراتيجية للحلول الجذرية لمشكلة الجنسية، وباقي الحالات يتم حلها في مرحلة الدمج الاجتماعي.
- (٢) وضع الحلول للهجرة غير الشرعية من خلال اللجان الأمنية، ومهمتها معالجة أوضاع المتخلفين والمخالفين لأنظمة العمل والإقامة.
- (٣) حل مشكلة ملكية الأراضي في المناطق العشوائية بتعويض ملاك العقارات بالمقابل المادي المناسب أو مشاركتهم بالقيمة في مشروع التطوير، أو استبدال الأرض بأرض مماثلة في منطقة أخرى تحت التنظيم، أو عن طريق الإيجار السنوي للمالك لقاء الاستفادة.
- (٤) تشجيع المستثمرين لإقامة وحدات سكنية اقتصادية لقاطني العشوائيات وتنظيم لقاءات للتمويل بين رجال الأعمال والبنوك والبلديات، وعرض وصف تفصيلي للعشوائيات مع شرح لطريقة المنح التي يحصلون عليها للتمويل والتطوير "كما في التجربة الهندية والبرازيلية".
- (٥) المشاركة مع القطاع الخاص: يجب أن يكون الدور الرسمي للدولة في توفير الأرض والتمويل، وأن يكون التنفيذ بعيداً عنها لتجنب الروتين والبيروقراطية، فالروتين والبيروقراطية، تقوض أية عملية نجاح، وتخمد الهمم في وقت تسابق فيه الزمن للحقاق بركاب التقدم، ويتم مشاركة القطاع الخاص في تولي الإسكان الاقتصادي "التجربة التركية".

- (٦) ضرورة أن تحدد المخططات العمرانية الحضرية مناطق السكن والإنتاج والخدمات بشكل دقيق، ومتابعتها لمنع العشوائية، والتنسيق والتوازن بين استعمالات الأراضي لتشجيع ربط التنمية الاقتصادية بالمناطق السكنية.
- (٧) المناطق العشوائية التي يتم إخلاؤها "بصفة مؤقتة" والتي لا تصلح للتطوير لكثرة التضاريس والحرارات الضيقة، كما تتطلب توزيعها للشركات لإقامة المشروعات الاستثمارية، مثل الفنادق والأسواق لوجودهم داخل الأحياء السكنية الفاخرة "التجربة التركية والصينية والهندية والبرازيلية"، بالإضافة إلى تجربة جبل عمر في مكة المكرمة، على أن تساهم في توفير العمل لسكان العشوائيات بأسعار اقتصادية، وإلزام كل وحدة اقتصادية "تجارية أو فنادق" بتوفير الإقامة للعاملين بها لصالحهم وللعاملين معهم.
- (٨) سياسة الإقراض التي تتبعها البنوك من خلال المصارف المتعددة يجب أن تكون في اتجاه واحد بعيداً عن السكن الشخصي والاتجاه إلى الوحدات السكنية المجمعة الاقتصادية لتتيح للعاملين في الوظائف الخدمية وأصحاب الدخل المتدني للسكن بالقرب من عملهم، دون تكبد تكاليف التنقل بابتعادهم خارج المناطق السكنية، بحيث تحتوي على كل الخدمات، وأهمها نظام المراكز الاجتماعية لتعمل على خلق السكن الملائم، وخلق الإنسان وإعداده للعمل المناسب.
- (٩) من التجارب السابقة، والتي أدت إلى فشل الكثير من البرامج هو تضارب الاختصاصات والجهات التنفيذية، ولذلك يقترح تشكيل وحدة إدارية متخصصة لها ذمة مالية مستقلة (التجربة التركية الناجحة) بإشراف إمارة منطقة مكة وعضوية هيئة تطوير منطقة مكة المكرمة وأمانة العاصمة، ومسؤولي الدراسات الاجتماعية، والاقتصاديين، والممولين.
- (١٠) تتحمل أمانة العاصمة جميع التكلفة المتعلقة بالطرق.
- (١١) تشكيل جهاز خاص بالصيانة بعد انتهاء الشركة المسؤولة عن المشروع، وتسليمها إلى الأمانات والإدارات الخدمية لتكون مسؤولة عن المتابعة والاتصال بالإدارات، والمطالبة بالخدمات المطلوبة.

مدينة الطائف

تعتبر الطائف من المناطق التي توغلت المناطق العشوائية داخل أحيائها، وذلك ببناء الأفراد لمساكنهم باجتهادات فردية، بعضها مرخص والآخر غير مرخص لمقابلة زيادة النمو السكاني والعمراني المتسارع. وتبلغ مساحة الطائف (٥٠٠) كيلو متر مربع، وبها (٢٠) حيًّا عشوائيًا تشغل (١١,٢٪) من إجمالي مساحة الكتلة العمرانية للطائف، وتضم بعض الأحياء العشوائية مثل الشهداء الشمالية والجنوبية، ونخب، وعودة والثقافة، ووادي النمل، والباطنية، والبخارية، وبني سويلم، والسلامة ما يزيد على (٤٠٪) من سكان المحافظة. وتبلغ مساحة المحافظة نحو (١٣٨٤٠) كم مربع تمثل نحو (٩,٧٢٪) من مساحة الطائف.



شكل (٦٥) مناطق مدينة الطائف ومحافظة الطائف (أمانة الطائف).

جدول (٣) عشوائيات الطائف (أمانة الطائف).

رقم	المنطقة	الموقع
١	سلطانة	الحوية
٢	الخضيرة	الحوية
٣	شمال معشى	الطائف
٤	وادي النمل	الطائف
٥	بن سويلم	الطائف
٦	الملز	الحوية

رقم	المنطقة	الموقع
٧	المعترض	الحوية
٨	المليساء ٢,١	الطائف
٩	الثقافة	الطائف
١٠	مسرة ٢,١	الطائف
١٢	السلامة	الطائف
١٣	مثملة	الطائف
١٤	عشوائيات جنوب غرب	الطائف
١٥	رحاب- ريحة - الواسط	شمال ٨٧



شكل (٦٦) عشوائيات الطائف.

محافظة الطائف من المحافظات السعودية الكبيرة، والتي تحتوي على العديد من الآثار، مثل مقلع طمية من حفر كشب، والتي وجدت بفعل جرم سماوي، وكذلك بها حوالي سبعين سدًا، والأماكن الطبيعية ذات النقوش والرسوم الصخرية، مثل جبل العرفاء.

ورغم ذلك، فقد توغلت المناطق العشوائية داخل أحياء الطائف ببناء الأفراد مساكنهم باجتهادات فردية بعضها مرخص والآخر غير مرخص. والطائف تحتاج إلى مزيد من العناية والاهتمام للحد من ظاهرة انتشار العشوائيات، والتخطيط لضبط التنمية المستدامة، مع إعداد مخطط عام لضبط التنمية وتحديد اتجاهاتها واستعمالات الأراضي والمرافق والخدمات وشبكة الطرق وأنظمة البناء.

وتتولى شركة المصيف للتطوير العمراني عملية التنمية.

وتشمل عملية التطوير العديد من الإجراءات، مثل نزع الملكية، والتنظيم، وتشديد شبكة الطرق، والمرافق العامة، وقد تم وضع توزيع المواقع لمناطق مختلفة كمناطق لها مقومات استثمارية، ومناطق ليس لها مقومات استثمارية، مناطق ذات إمكانية ذاتية للتحسين والتطوير، ومناطق تحتاج إلى معالجة جزئية، بالإضافة إلى وجود تجمعات سكانية من قبائل محددة في بعض المواقع.

أهم أسباب تكوين العشوائيات في الطائف ونموها

- ١- كثرة المتخلفين من جميع الجنسيات.
- ٢- الاستيلاء على أراضي الدولة والبناء عليها.
- ٣- غياب التخطيط العمراني عن المنطقة والبناء بدون تصريح.
- ٤- ارتفاع أسعار الأراضي في المدن، فيلجأ المواطنون ذوو الدخل المنخفض إلى العشوائيات.

حالة السكن

بناء المنازل يتم بالحجر أو الطين أو بهما معا، وتشتهر الأحياء العشوائية بضيق الأحياء والأزقة التي تنتهي إلى برحات. وأغلب السكان من العمالة الوافدة والمقيمين غير الشرعيين، والمتخلفين من الحج والعمرة، بالإضافة إلى ذوي الدخل المنخفض من السعوديين وغيرهم.

نظام الملكية

الافتقار إلى ملكية واضحة للأراضي والمباني، وأغلب المقيمين يستأجرون مساكنهم من الملاك، وبعضهم من واضي اليد على الأراضي.

الحالة الاقتصادية لسكاني المناطق العشوائية في الطائف

نشاط اقتصادي محدود والأغلبية ليس لها مصدر ثابت للدخل، وأغلب العاملين يتكسبون من أعمال خارج المناطق العشوائية، بالإضافة للتجارة الممنوعة داخل العشوائيات.

خطة العلاج

- معالجة وضع السكان المقيمين الذين لا يحملون الجنسية، ووضع استراتيجية للحلول الجذرية لمشكلة الجنسية، وباقي الحالات يتم حلها في مرحلة الدمج الاجتماعي.

- وضع الحلول للهجرة غير الشرعية من خلال اللجان الأمنية ومهمتها معالجة أوضاع المتخلفين والمخالفين لأنظمة العمل والإقامة.
- وتتولى اللجان الاجتماعية إصلاح الأوضاع الاجتماعية لسكان الأحياء في المنطقة وتنميتها.
- الطائف تحتاج إلى مزيد من العناية والاهتمام للحد من ظاهرة العشوائيات والتخطيط لضبط التنمية المستدامة مع إعداد مخطط عام لضبط التنمية وتحديد اتجاهاتها وتحديد استعمالات الأراضي والمرافق والخدمات وشبكة الطرق وأنظمة البناء، وتشمل عملية التطوير العديد من الإجراءات، مثل نزع الملكية والتنظيم وتشديد شبكة الطرق والمرافق.

ولذلك نوصي بالآتي لمعالجة عشوائيات محافظة الطائف:

- ١- تطوير المناطق العشوائية التي لها تاريخ ضارب في القدم، حيث إن الغالب على مدينة الطائف المناطق السياحية التي تشتهر بها، وتحويلها إلى مواقع سياحية، وذلك من خلال تطوير المنازل المهدامة، وتجميل الحي، ودعم إنشاء متاجر الحرفيين، لإنتاج التحف الفنية والمزخرفات ونشر المخطوطات العربية التي تشتهر بها هذه المناطق، مما يوفر سوقاً فنية خاصة بالمنطقة، والترويج لها من خلال الفعاليات الثقافية والفنية.
- ٢- الاتفاق مع ملاك المنازل العشوائية على ترميمها واستغلالها بواسطة الدولة لمدة عشر سنوات، ثم إعادتها إلى أصحابها ليواصلوا النشاط الذي قام في دارهم، أو التحول نحو نشاط اقتصادي أو سياحي آخر (التجربة التركية) أو تطبيق التجربة البرازيلية، وتشمل تحسين وتجميل المداخل، ويتم ذلك بمشاركة سكان العشوائيات في الوجهة السياحية، كما هو في الواجهة السياحية بين الهدا والطائف لتحقيق التنمية الشاملة وجذب الاستثمارات.
- ٣- المناطق المعرضة للسيول تحتاج إلى إعادة التخطيط لتجنب أخطار السيول، وتصريف مياه الأمطار، وإنشاء جسور وأنفاق بالتقاطعات، وتحويل المناطق السكنية من مسار السيول في الشعاب لحمايتهم من خطر السيول.

٤- إقامة مجمعات سياحية واستثمارية في المناطق ذات الجذب السياحي، مثل منطقتي الهدا والشفا، مما يسهم في زيادة معدل النمو الاقتصادي في هذه المناطق ويزيد فرص العمل.

٥- تتم عملية تنمية القرى من خلال اتجاهين، ويتمثل الاتجاه الأول في إعداد الدراسات التخطيطية للقرى المستهدفة، وتنفيذ خطط التنمية العمرانية الشاملة للحد من الهجرة المستمرة إلى مدينة الطائف، والحفاظ على البيئة الزراعية والطبيعة الخاصة لهذه القرى، بما يجعلها جاذبة للسكان والسائحين، والاتجاه الثاني يتمثل في ربط القرى بمدينة الطائف بشبكة من الطرق التي تسهل التنقل.

٦- تنفيذ مشروعات لتوطين سكان القرى والهجر من خلال توفير الخدمات اللازمة، وشبكات البنية الأساسية في قراهم وأماكن سكنهم وجعلها مناطق جذب سياحي لاستيعاب النمو السكاني وزيادة فرص العمل.

مدينة جدة

عشوائيات مدينة جدة

تكونت الأحياء العشوائية في مدينة جدة مع بداية السبعينيات مع الهجرة من المناطق الريفية للمدينة، ولم تكن قدرتهم المالية توفر لهم السكن في المدينة، فلجأ بعض الأفراد للاستيلاء على بعض الأراضي في مدينة جدة، أو بشرائها بثمن رخيص والبناء عليها، فكان انتشار العشوائيات في مناطق متفرقة من أنحاء المدينة. وقد نشأت أول أحياء عشوائية في جدة في غليل، والسبيل، والكويت، والثعالبة، وتأخرت عمليات الإصلاح حتى أصبحت أمرًا واقعيًا، بينما اتجهت التنمية إلى المناطق المنظمة، حتى زادت العشوائيات مع مرور الزمن إلى أن تعدت أعدادها إلى نصف أعداد أحياء المدينة " يوجد (٥٥) حيًا عشوائيًا من (١٠٦) حيًا ".



شكل (٦٧) عشوائيات جدة.

وتصنف عشوائيات جدة إلى:

١- عشوائيات داخلية نشأت في محيط المدينة، وبالتوسع أصبحت تقع داخل المدينة، وهي من أقدم المناطق العشوائية، وهي مناطق شديدة الفقر، والمباني كثيرة الانهيارات لقدمها، ومبنية بأسلوب الحوائط الحاملة وبدون أساسات غالبًا، وأسقف خشبية ضعيفة، مما يجعلها سهلة الانهيار، ويصعب تحديثها.

٢- أحياء عشوائية تقع بين الأحياء الداخلية وبين الخط السريع.

٣- أحياء تقع شمال وشرق الخط السريع.

ويسكن هذه العشوائيات أكثر من (٤٣٪) من سكان جدة، وتبلغ هذه العشوائيات (٥٢) منطقة موزعة على شمال وجنوب وشرق ووسط جدة.

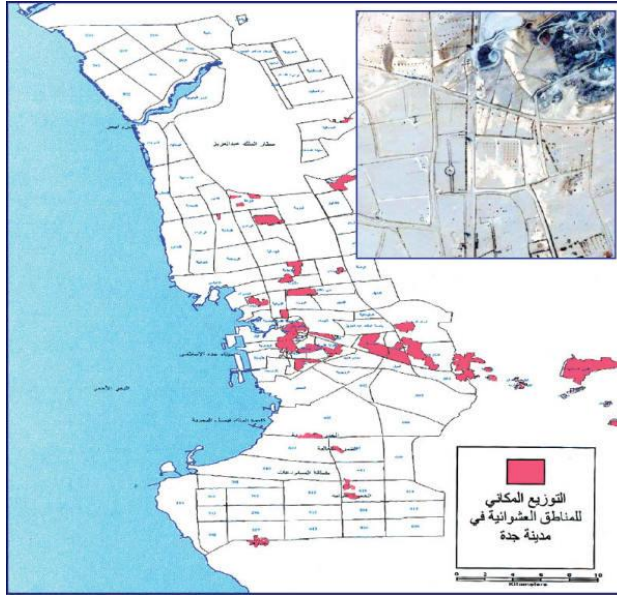
حالة السكن

١- عشوائيات لها مردود استثماري، وهذه يمكن طرحها للشراكة مع القطاع الخاص، مثل منطقة قصر خزام، وحي البلد، والنزلة اليمانية، والقريات، وحي السبيل، وقد تم تأسيس شركة جدة للتنمية والتطوير العمراني (جدرك)، وهي شركة مملوكة للدولة بالشراكة مع القطاع الخاص من خلال عروض للشركات المطورة "شركة دار الأركان للتطوير العمراني مع شركة جدة للتنمية والتطوير العمراني".

٢- عشوائيات غير مخططة وتنخفض فيها الجدوى الاقتصادية وغير جاذبة للقطاع الخاص، وهذه تتطلب مشاركة ملاك المباني في الحي، وكذلك أصحاب الأعمال مع مساعدة مالية وفنية من الأمانة، وشركة جدة للتنمية، والمجتمع المحلي، وعملية تضافر هذه المجموعة في عملية التطوير التي تشمل كل الجوانب للمكان والإنسان ضرورية لنجاح عملية التطوير مع تقديم حوافز لتشجيع القطاع الخاص، مثل منحه قطعة أرض مجانية مقابل التطوير أو بسعر رمزي.

٣- عشوائيات يمكن تطويرها عن طريق مواردها الخاصة.

٤- عشوائيات تتطلب أعمال الصيانة والتجديد الفوري، وتعتمد على الأمانة.



شكل (٦٨) التوزيع السكاني لعشوائيات جدة.

أهم أسباب تكون عشوائيات جدة

- ١- كثرة المتخلفين من العمرة والحج.
- ٢- ارتفاع أسعار الإيجار وأسعار الأراضي بما يفوق قدرة ذوي الدخل المحدود، وعدم توفر السكن المناسب لهم.
- ٣- عدم ترميم المساكن القديمة والانتقال لمنازل جديدة.

- ٤- غياب التخطيط العمراني عن المنطقة والبناء بدون تصريح.
- ٥- الهجرة من المدن أو القرى إلى المدينة للتعليم الجامعي أو البحث عن فرص عمل.

نتائجها:

- ١- تشوه الصورة الحضارية لجدة التي تعتبر المنتجع السياحي الساحلي الأول في المملكة، ومن أهم المعالم السياحية.
- ٢- انتشار الجريمة والتسول والسرقه، وقد يرتكب بعض سكان العشوائيات جرائم داخل المدينة كالسرقة وترويج المخدرات وغيرها، ثم يعودون إلى مخابئهم في المناطق العشوائية.
- ٣- تكوين تجمعات داخلية فيها لا تعترف بالنظام لتعدد الجنسيات وكثرة مخالفي أنظمة الإقامة.

مقترحات العلاج

- ١- معالجة وضع السكان الذين لا يحملون الجنسية، ووضع استراتيجية للحلول الجذرية لمشكلة الجنسية، وباقي الحالات يتم حلها في مرحلة الدمج الاجتماعي.
- ٢- وضع الحلول للهجرة غير الشرعية من خلال اللجان الأمنية، ومهمتها معالجة أوضاع المتخلفين والمخالفين لأنظمة العمل والإقامة.
- ٣- اعتماد آلية تعويض الملاك في المناطق العشوائية المراد تطويرها من خلال لجنة لتقدير التعويضات بعد تقييم جميع الوحدات العقارية، سواء أراض أو إنشاءات، وهناك ثلاثة خيارات لتعويض الملاك، إما بالمساهمة أو التعويض النقدي المناسب، أو بيع للغير والحصول على إيجار يماثل قيمة التعويض "للمناطق التي سيتم فيها الإحلال".
- ٤- تعزيز الشراكة الثلاثية بين الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني لتحسين المرافق الأساسية في المناطق العشوائية.
- ٥- مدخل اللامركزية المالية من المداخل الحديثة التي تستهدف الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة، وتخفيف القيود الحكومية في التمويل وإعطاء صلاحيات أوسع للأمارات ومجالس المناطق والبلديات لتحديد النفقات وتمويل المشروعات. ونجاح هذا المدخل يتحقق بشكل أوسع في مدينة جدة ذات الإمكانيات الكبيرة.

- ٦- إشراك القطاع الخاص في استثمار هذه المناطق ليكون هناك مردود استثماري.
- ٧- مشروعات صيانة وتحسين شبكة تصريف الأمطار من أهم المشروعات التي يجب الاهتمام بها قبل أية أعمال، وخاصة محطات ضخ المياه من المنخفضات والأنفاق.
- ٨- وضع سياسة ملائمة للإسكان لمستويات الدخل المحدود والمتدني بإنشاء هيئة عامة لخدمة هذه الفئة من المجتمع.
- ٩- ضرورة أن تحدد المخططات العمرانية الحضرية مناطق السكن والإنتاج والخدمات بشكل دقيق ومتابعتها لمنع نمو المناطق العشوائية، والتنسيق والتوازن بين استعمالات الأراضي لتشجيع ربط التنمية الاقتصادية بالمناطق السكنية.
- ١٠- سياسة الإقراض التي تتبعها البنوك من خلال المصارف المتعددة يجب أن تكون في اتجاه إلى بناء الوحدات السكنية المجمعلة الاقتصادية داخل العشوائيات بعد تطويرها لتتيح للعاملين في الوظائف الخدمية، وأصحاب الدخل المتدني للسكن بالقرب من عملهم دون تكبد تكاليف التنقل.
- ١١- تشكيل جهاز خاص بالصيانة بعد انتهاء الشركة المسؤولة عن المشروع وتسليمها إلى الأمانات والوزارات لتكون مسؤولة عن المتابعة والاتصال بالإدارات، والمطالبة بالخدمات المطلوبة.

الباب السادس: تجارب ناجحة في تطوير العشوائيات (في مكة المكرمة)

- شركة مكة للإنشاء والتعمير

- مشروع تطوير جبل عمر

مرجع: (لمحات من حياتي، سيرة ذاتية).

الشيخ عبد الرحمن عبد القادر فقيه، ١٤٣٧هـ، ط ٢

شركة مكة للإنشاء والتعمير

وصف العشوائية وموقعها

لم يكن حال المنطقة المطلة على الحرم الشريف على ما يرام، فقد كانت تعاني من ازدحام شديد وشح كبير في الخدمات ونسيج مشوه وغير متناسق. وكان تصميمها غير لائق بمنطقة تطل على أشرف بقاع الأرض. لدرجة أن بعض البيوت لم تكن لها مداخل إلا عن طريق بيوت أخرى يملكها أشخاص آخرون!، ويتعذر في بعض المنازل إخراج الجنائز من أبوابها بل كان يتم إخراجها عن طريق الشبائيك، وكذلك الأزقة الضيقة التي لم تكن تتسع لشخصين يمران معاً.



شكل (٦٩) صورة جوية للمنطقة قبل تطويرها

فكرة التطوير

كانت الفكرة هي دمج العقارات (الوقف، والمملك، وأملاك وزارة المالية، وعقارات الغُيب) في كيان واحد. وكانت الفكرة التي عرضها المطور (الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر فقيه) هي هدم المنطقة برمتها وإعادة إعمارها بشكل حضاري، وإيجاد نسيج عمراني أفضل يترتب عليه زيادة الاستيعاب للسكان

والحجاج والمعتمرين والزوار. وفي نفس الوقت زيادة دخل أصحاب الدور القديمة وذلك بإنشاء مجمع سكني عصري يليق بهذا الموقع الشريف.

من أجل تحقيق تلك الفكرة، ولدت فكرة تأسيس شركة يشترك فيها جميع من يملك العقارات في الحي العشوائي تقوم بإعادة بناء ذلك الحي بأكمله، ثم تستثمره بأسلوب تجاري وتوزع الأرباح على المساهمين حسب نسبة مساهمتهم. وسيحصل كل مالك على وثيقة تثبت حقه. وإذا لم يرد المساهمة في التطوير تُقدر أملاكه من قبل لجنة متخصصة مشكلة من أطراف حكومية وأهلية محايدة. كان المشروع في نفس الوقت لا يؤثر إطلاقاً على ملكية أصحاب الدور بما في ذلك الأوقاف. فدخل الأوقاف كشريك أساسي في المشروع لن يؤثر على مصلحته النهائية التي وُجد من أجلها، بل على العكس سيزيد من ريعها وفائدتها بأضعاف ما كانت تحصل عليه في حلها القديمة.

المنهجية والآلية

كانت المنهجية التي اعتمدها المطور هي أن يدخل جميع مُلاك العقارات بعقاراتهم في الشركة كمساهمين بأصولهم العينية، بعد تقدير أثمانها عبر لجنة تقدير للعقارات مُعتمدة من الجهات الرسمية الحكومية. وقد تم وضع خيارات أمام ملاك العقارات، وهي أن يساهموا بنصف قيمة عقاراتهم عيناً ويستلموا النصف الثاني نقداً، وفي حالة عدم رغبتهم المساهمة بكامل عقاراتهم أو نصفها فإن الشركة تشتري منهم كامل العقار وتدفع لهم قيمته نقداً، وبهذا يعم الخير للجميع.

الدعم الرسمي

تم عرض الفكرة على خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (يرحمه الله) فكان متحمساً للفكرة وداعماً لها. ثم توجه المطور بعريضة للمشروع إلى خادم الحرمين الشريفين، فقرأها ووافق عليها وأبدى استعداده لدعمها. بعد ذلك صدر الأمر السامي عام ١٤٠٨هـ بالموافقة على تأسيس الشركة. وصدر توجيه كريم يلزم المعارضين على تسليم أملاكهم للمطور بعد أن زيدت تقديرات أملاكهم ١٠٪.



شكل (٧٠) أثناء وضع الملك فهد (يرحمه الله) لحجر الأساس لشركة مكة للإنشاء والتعمير

المعوقات والتحديات

كانت هنالك معركة بين الفرقاء على مستوى المشائخ والجمهور والقانونيين، وكان أهم تساؤل: هل يجوز نزع الملكية من المعارضين الذين لا يريدون أن يساهموا في الشركة ولا يريدون البيع، أم لا يجوز؟ فبعض المشائخ كانوا متعاطفين مع جمهور المعارضين بأن ذلك لا يجوز شرعا باعتبار أن المشروع يخدم أغراضا لشركة تجارية. لكنهم بهذا لم يفرقوا بين شركة يملكها شخص واحد، وبين شركة سيملكها كل من له عقار في تلك المنطقة.

صعوبات ومعوقات اجتماعية:

- مطامع شخصية
- محاولة اثبات الوجود من البعض
- مطامع انتهازية
- كانت المصلحة العامة هي الورقة اليتيمة الضائعة التي يدعيها كل الأطراف!

أعذار المعارضين في البداية:

كانت فكرة التطوير ودمج الأملاك ببعضها وبالوقف، وبالتالي هدم كل المنازل الموجودة في المنطقة العشوائية تلك، ثم إعادة إنشائها، كانت فكرة غريبة وغير مسبوقة ليس على مجتمع مكة فحسب بل على المجتمع السعودي والعربي.

أسلوب الشركة:

كان أسلوب الشركة التطويري مخالفاً للمفهوم التقليدي للتطوير عند الناس، فمفهوم الناس التقليدي للتطوير كان عبارة عن فتح شارع جديد وإعمار الزوائد التنظيمية التي تنشأ من شق هذا الشارع أو ذاك، لهذا كان أسلوب الشركة غريباً على المجتمع، (والناس أعداء ما جهلوا).

أثر فكر الشركة وأسلوبها الجديد

امتد أثر الشركة الغير تقليدي إلى مناطق أخرى في المملكة مثل الرياض والمدينة المنورة والقصيم، كما امتد أثره الفكري إلى لبنان، حيث قامت شركة "سولدير" بتطوير قلب بيروت بنفس الطريقة.

الإزالة وإرضاء الملاك

بصدور توجيه ملكي بإلزام أصحاب العقارات بتسليم أملاكهم، تم الإسراع في عملية إزالة ١٧٩ منزلاً في ٤٨ ساعة فقط. تم إرضاء الملاك بالطريقة المناسبة لكل منهم، فمن قال إنه دفع إيجاراً لمنزله دُفع له الإيجار، ومن قال إنه عمل ديكور لمحلّه تم تقدير التكاليف ودُفعت له، ومن قال إنه اشترى بضاعة ولا يستطيع بيعها في غير هذا المكان اشتراها المطور منه ولو غالى في ثمنها.



شكل (٧١) صورة للمباني التي تمت إزالتها في ٤٨ ساعة

احصائيات

اندثرت عشوائيات منطقة غرب الحرم المكي الشريف التي يقرب عددها من ٤٠٠ عقار تتراوح مساحتها بين ٢٠ و ١٠٠ متر مربع لكل عقار.

جدول (٤) مقارنة رقمية لما قبل وبعد التطوير

وجه المقارنة			بيان
الموقع حالياً	الموقع سابقاً	م	
٢٤٢,٠٣٧م	٢٥,٦٠٠م	١	مساحات تجارية للتأجير
٢١,٢٢١م	-	٢	مكاتب وعيادات
٢١٤٦,٠٨٣م	٢٢٧,٤٠٠م	٣	مساحات سكنية للتأجير شاملة المساحات الفندقية
٢٢٣,٣٩٥م	٢٣٦٤م	٤	مواقف سيارات
٢٢٠,٩٣١م	٢٤,٥٠٠م	٥	الشوارع والممرات الداخلية
٢١٤,٧٦٤م	٢١٦٥م	٦	مصلى
٣٧٨ وحدة	١٠ وحدات	٧	دورات مياه عامة
٢١٠,٨٢٠م	-	٨	خدمات عامة
٢١١,٩٣٢م	٢٢٥٠م	٩	خدمات صيانة
٢٤,٨٠٣م	-	١٠	إدارة المشروع
(نسبة السكن الصالح منها ٥٠٪)			ملاحظة هامة: في المساحات السكنية ما قبل المشروع

العوائد

تحولت المنطقة العشوائية إلى منطقة عمرانية حديثة استوعبت عشرات الآلاف من المصلين. فتحوّلت الإيرادات التي كانت موسمية ضئيلة إلى ملايين الريالات وتضاعفت سنوياً. فبلغت الأرقام بلغ حجم أرباح الملاك حتى عام ١٤٣٥هـ ما يعادل ٢٨١٪ من رأس المال الذي شاركوا به عن طريق عقاراتهم التي نُزعت لصالح المشروع.



شكل (٧٢) شركة مكة للإنشاء والتعمير



شكل (٧٣) أبراج مطلة على الحرم الشريف



شكل (٧٤) أبراج فندق ميلينيوم

كيف اقتنع المعارضون؟

إضافة إلى ما ذكر سابقا من عوائد مالية وأرباح كبيرة، فإنهم أيضا بهذا يقدمون خدمة جليلة للحجاج والمعتمرين وقاصدي بيت الله الحرام، وهو ما لم يكن ليتحقق بوجود تلك الأبنية القديمة والمتهدمة والعشوائية. فأمنوا بأن التطوير هو الاستثمار الحقيقي المؤدي إلى النجاح في تحقيق مصلحة عامة للوطن والمواطنين.

جوائز الشركة

تم اختيار الشركة، من قبل لجنة تحكيم دولية متخصصة ومحايدة، كأفضل شركة بين ٦٥٠ شركة عالمية، كأفضل الممارسات في تحسين ظروف المعيشة وتطوير المناطق العشوائية وترشيد استهلاك المياه.

مشروع تطوير جبل عمر

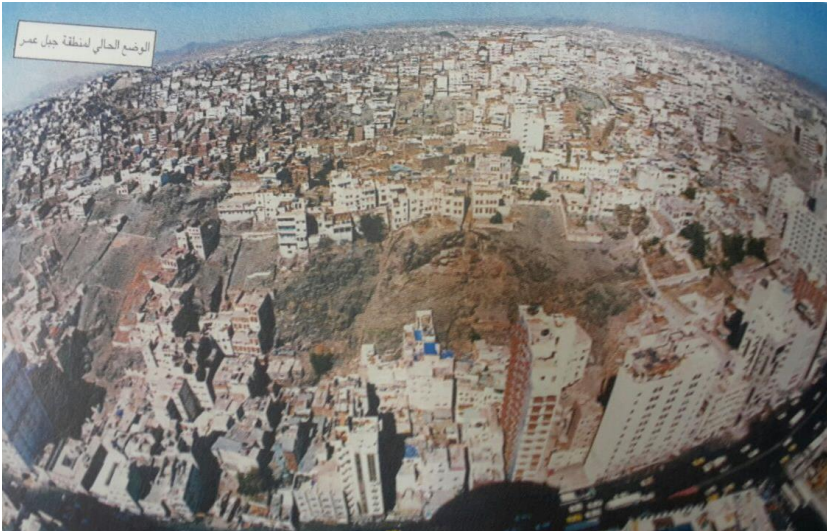
أولا تأسيس الشركة

الوصف والموقع

مشروع تطوير منطقة جبل عمر، التي تقع في الناحية الجنوبية الغربية من الحرم المكي الشريف، كانت المنطقة تتكون من ١٢٢٥ عقارا عشوائى التنظيم والتخطيط ويفتقر إلى أبسط متطلبات السكن الصحي والمثالي في منطقة مجاورة للحرم.

الفكرة

بدأت الفكرة في عام ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩م بمبادرة من شركة مكة للإنشاء والتعمير، وقامت شركة مكة بإجراء دراسات عن تطوير منطقة جبل عمر، استمرت ما يقارب العشر سنوات. بارك الملك فهد (يرحمه الله) قيام الشركة بالبدء في العمل، وبعد اطلاعه على الدراسات الخاصة بالمشروع وذلك في رمضان ١٤٠٩هـ.



شكل (٧٥) صورة للمنطقة قبل التطوير

الخيارات الثلاثة لملاك العقارات

- في عام ١٤١٧هـ بدأت الاتصالات بملاك العقارات في جبل عمر لتطبيق ما تم مع ملاك عقارات شركة مكة للإنشاء والتعمير، وتم إعطاؤهم ثلاثة خيارات:
- ١- دخولهم بقيمة كامل عقاراتهم في شركة التطوير
 - ٢- بيع نصفها والدخول في النصف الآخر
 - ٣- بيع العقار كاملاً بسعر التثمين الذي تقوم به جهات محايدة من أصحاب الخبرة بإشراف حكومي وشرعي.

وخلافاً لما كان عليه في شركة مكة، لم يكن هنالك من معارضة لمبدأ التطوير في جبل عمر، حيث أثبت المبدأ نجاحه وأصبح واقعاً ملموساً على الأرض يحقق لأصحابه ومساهميهِ أرباحاً مجدية، ولضيوف الرحمن وأهل مكة خدمات حضارية متميزة.

معوقات التطوير

غابت المعارضة لمبدأ التطوير كما تم ذكره آنفاً، لكن هذه المرة لم تسلم شركة جبل عمر من المضايقات على مستوى أعلى. حيث أن أصحاب الأملاك الأخرى القائمة لم يسرهم أن تجاورهم هذه الشركة العملاقة التي تتكون من ٣٨ برجاً سكنياً بها ٢٤ فندقاً بكامل خدماتها ومرافقها.

تثمين العقارات: كانت المشكلة التي يرفعها بعض أصحاب العقارات في وجه أي مشروع تطويري تتمثل في تقدير قيمتها التي تذهب كمساهمة في رأس مال الشركة أو لصاحب العقار الذي يريد بيعه كاملاً أو بيع جزء منه والدخول بالجزء الآخر كمساهمة في الشركة.

عقبة وزارة التجارة: بعد أن قامت الشركة بالحصول على توكيلات شرعية من أصحاب العقارات للدخول في الشركة كمؤسسين، تم عمل عقد التأسيس وأُرسل إلى وزارة التجارة لمراجعته وإعادته إلى فرعها في مكة. لكن تأخر العقد من الوزارة حوالي السنة دون أي تفسير مقنع. عملت الوزارة أيضاً على وضع عراقيل أخرى، ففي الوقت الذي دعت فيه الشركة لعقد الجمعية التأسيسية، فوجئ المطورون بإصرار الوزارة على عدم قبول تصويت أصحاب العقارات الذين اشتروا من الملاك السابقين. والأغرب أنها أصرت على حضور الملاك الذين باعوا عقاراتهم للتصويت في الاجتماع.

تجاوز تلك المعوقات

تصدى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (يرحمه الله) لتلك المضايقات التي كانت تأتي من المستويات العليا، فتصدى لهم على غير علم ولا مراجعة من المطورين.

بخصوص تامين العقارات، تم ترشيح لجنة لتقدير العقارات، ولم يكن للمطور أي تدخل في اختيار أعضائها أو عملها، ولذلك سارت عمليات التقدير على نحو عادل ومقنن ولم ينشأ عنه إلا قلة من الاعتراضات التي تم فضها بين اللجنة والملاك.

تجاوز المطور عقبة وزارة التجارة بعد أخذ ورد لمدة شهر، ووافقت الوزارة على كل ما طلبته شركة جبل عمر للتطوير، ما عدا أن تقوم شركة مكة للإنشاء والتعمير بالتصويت بموجب حصتها النقدية التي أودعتها بالبنك استكمالاً لرأس مال الشركة لحين قيام ملاك العقارات باستكمال أوراقهم الثبوتية والشرعية التي تثبت تملكهم للعقارات. تم اتخاذ هذه الخطوة محافظة على حقوق الملاك في المساهمة مستقبلاً في الشركة بعد استكمال إجراءات صكوكهم، حيث الحل الآخر كان يعني حرمانهم من المساهمة والاكتفاء بتعويضهم عن قيمة عقاراتهم. وقد كانت تضحية مشكورة من شركة مكة، حيث قامت بإيداع ٦٠٠ مليون ريال نقداً في أحد البنوك لتكملة رأس مال الشركة الذي يشمل حصص هؤلاء الملاك.

ثم انعقدت الجمعية التأسيسية في ١٧/٩/١٤٢٨هـ، وصدر قرار معالي وزير التجارة بإعلان تأسيس الشركة بتاريخ ١٦/١٠/١٤٢٨هـ.

منعطف خطير

- أرادت هيئة تطوير مكة أن تحل محل شركة مكة للإنشاء والتعمير في كل الأمور، فقد طرحت الهيئة منهجية التطوير ولم تشمل هذه المنهجية مقترحات شركة مكة للإنشاء والتعمير التي ساهمت بها، لما لها من خبرة طويلة بالمنطقة.
- أصرت الهيئة أيضاً على أن تقوم هي بتكوين المجلس التأسيسي لجبل عمر، حيث نصت منهجيتها على أن تكون هي مجلساً تأسيسياً من ملاك العقارات الحاليين.

بدء التنفيذ

قامت الشركة في عام ١٤٢٨هـ بعمل عقد مقابولة مع شركتي سعودي أوجيه وبن لادن، حيث تقوم الشركتان بالتنفيذ فوراً، وينتهي العقد بعد ٣ سنوات من تاريخ توقيع خطاب العزم (خطاب بالاتفاق على بدء المقاولين العمل تمهيداً لتوقيع العقد معهما فيما بعد)، على أساس أن يكون هامش الربح لهما ١٠٪ من إجمالي التكاليف.

تحديات

فجأة فُتر حماس الشركتين بعد حصولهما على عقود إنشائية أخرى! وبدأت الشركتان بالنكول في العقد واحتجاً بأنهما لن يقبلا بتقرير خبير التكلفة (شركة كورد روي)، وهي الشركة التي رضيا بها عند توقيع خطاب العزم، بأن تكون حكماً أساسياً في تحديد الأسعار للمستخلصات الخاصة بهما. وكانت فروقات الأسعار بين سعرهما وسعر خبير التكلفة مرتفعة جداً بحيث تصل الزيادة إلى ١٠٠٪ أحياناً.

الحلول

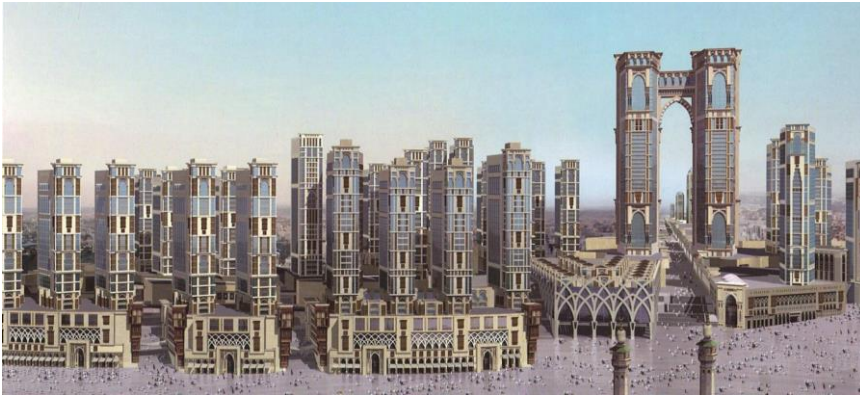
طرح المطور المشروع بعد تجزئته إلى مراحل في مناقصة جديدة، وتقدم المتنافسون، واختلفت نظرة المطور هذه المرة، إذ لم يعد يهمه اعتماد السعر الأرخص، بقدر معيار أخلاقيات المقاول وخبرته والتزامه بالأعمال التي ينفذها.

مكونات المشروع

السعة/المساحة	
٢٣٠,٠٠٠ م ^٢	مساحة الأرض
٣٦,٠٠٠ شخص	الطاقة الاستيعابية
١١٩,٥٠٠ م ^٢	المساحات المستغلة لقطع الأراضي، وتمثل ٥٢٪ من المساحة الإجمالية للأرض
١١٠,٥٠٠ م ^٢ =	المساحات المخصصة للشوارع والمرافق العامة والخدمات، وتمثل ٤٨٪ من المساحة الإجمالية للأرض.



شكل (٧٦) منظر للمشروع يطل على الحرم الشريف



شكل (٧٧) مشروع جبل عمر الذي يضم ٣٨ برج بارتفاع ٢٠ الى ٤٠ طابق

- روعي في المخطط استحداث طريق للمشاة بعرض (٤٠م) وبطول حوالي (٣٠٠م) يمتد من نهاية طريق الملك عبد العزيز ويخترق المشروع إلى الساحة الغربية للمسجد الحرام بمسمى (طريق الملك عبد العزيز للمشاة).

- سيتم تنفيذ نفق للسيارات بشارع ابراهيم الخليل لفصل حركة المشاة عن السيارات بعرض ٢٥ م، مع استغلال سطح الشارع الحالي كامتداد للساحة الغربية للمسجد الحرام. سيضيف هذا حوالي ٣٦,٠٠٠ م^٢ للساحة الغربية لتستوعب حوالي ٤٠ ألف مصلي إضافي، وسيوفر المشروع حوالي ٣ آلاف موقف سيارة.
- سيتمكن المشروع عند اكتماله بإذن الله من استيعاب ما يقارب من ١٥٠,٠٠٠ مصلي، منهم ٦٥,٠٠٠ مصلي بالمصلى العام و ٨٥,٠٠٠ بمصليات الأبراج والساحات المخصصة لذلك.
- تم تنفيذ محطة كهرباء بالموقع على نفقة الشركة بقدرة ٢٤٠ ميغا فولت أمبير، ستغطي كامل احتياجات المشروع من الكهرباء.
- يؤمن المشروع كافة مرافق البنية التحتية والأماكن والساحات العامة والخدمات اللازمة للمشروع، وأيضاً تم تنفيذ محطة تبريد مركزية بقدرة ٥٥٠٠٠ طن لتبريد كامل مكونات المشروع بالتكييف عن طريق المياه المبردة بدلاً من استخدام وحدات تبريد منفصلة لكل مبنى التي تعمل بالفريون الضار بالبيئة.
- تم تنفيذ نظام مراقبة مركزي لإدارة الحشود مرتبط بمركز القيادة والتحكم التابع لإدارة الدفاع المدني للمحافظة على سلامة الحجاج والمعتمرين والزوار.
- تم تنفيذ نظام لتجميع مياه الأمطار من على أسطح المنازل وإعادة حقنها إلى باطن الأرض بعد معالجتها.

استراتيجية التنفيذ

- اعتمدت الاستراتيجية الأساسية لتنفيذ المشروع على تنفيذ كامل مكونات المشروع على مرحلة واحدة في يناير ٢٠٠٨ م وتنتهي في يناير ٢٠١١ م، لكن لم تفي شركتنا بن لادن وسعودي أوجيه بالعقد كما تم توضيحه سابقاً.
- ثم تم الانتقال الى مرحلة أخرى، بناء على توصيات الاستشاري المالي (شركة الراجحي المالية)، حيث قام المطور بتغيير استراتيجية تنفيذ المشروع وذلك بتنفيذه على مراحل.

القيمة التقديرية للمشروع

وصلت تكلفة المشروع إلى ١٨,٥ مليار ريال ما عدا قيمة الأرض التي تم تقديرها بـ ٤,٧ مليار ريال حسب تقدير لجنة التقدير، وتقدر في الوقت الحالي بحوالي ١٤,٦ مليار ريال وبهذا تقدر كامل قيمة المشروع بـ ٣٣,١ مليار ريال.

مراحل التنفيذ

- المرحلة الأولى: تتكون من ٤ منصات تجارية وعدد (١٠) أبراج فندقية و ٨٦ فيلا وشقق سكنية مسطحاتها البنائية حوالي ٤٧٣ ألف متر، ومن المتوقع الانتهاء من هذه المرحلة قريباً بإذن الله.
- المرحلة الثانية: تتكون من منصة تجارية واحدة وعدد (٤) أبراج فندقية مطلة على شارع إبراهيم الخليل ومسطحاتها البنائية حوالي ٢٠٠ ألف متر مربع.
- المرحلة الثالثة: تتكون من منصتين تجاريتين وعدد (٤) أبراج فندقية من ضمنها البرجين التوأمين المطلين على طريق الملك عبد العزيز، وكذلك السوق التجاري الرئيسي وتبلغ مسطحاتها البنائية حوالي ٤٠٠ ألف متر مربع.
- المرحلة الرابعة: تتكون من ثلاث منصات بناء و (٧) أبراج فندقية، وتقع وسط المشروع وتبلغ مسطحاتها البنائية حوالي ٣٢٠ ألف متر مربع.
- المرحلة الخامسة: تتكون من ثلاث منصات بناء وعدد (٥) أبراج فندقية، وتقع بالمنطقة الخلفية المطلة على دخلة الرشد، وبلغت المسطحات البنائية حوالي ١٧٥ ألف متر مربع.
- المرحلة السادسة: تتكون من (٣) منصات بناء وعدد (٨) أبراج فندقية وتقع بالمنطقة الخلفية للمشروع وتبلغ مسطحاتها البنائية حوالي ٢٤٥ ألف متر مربع.



شكل (٧٨) منظر عام للمشروع

الاتفاقيات مع البنوك

تم الاتفاق بين الشركة ومجموعة من البنوك المحلية لتمويل المرحلة الأولى من المشروع وذلك بقيمة ٥ مليارات ريال وتم توقيع الاتفاقية بتاريخ ١٤٣٣/٧/٢٧هـ.

الآثار المترتبة

رغم أن زيادة مدة تنفيذ الأعمال تؤثر سلباً على المشروع إلا أن الأثر الإيجابي في ذلك هو إمكانية تنفيذ المشروع بأسعار مناسبة بدلاً من الأسعار التي كان يطلبها المقاولان السابقان. كما أن البنوك تصر على تنفيذ المشروع بنظام عقود السعر المقطوع، الذي يبين مقدار التكلفة، والعائد الذي يوفر لها استعادة ما تم إقراضه. والجدير بالذكر أن هذه التطورات والإجراءات لن تؤثر على حقوق المساهمين، بل هي لحفظها أولاً وأخيراً.

جائزة (ميد)

ما أن انتهت الشركة من أعمال المرحلة الأولى من المشروع إلا وكان بانتظارها فوزاً مستحقاً من بين مئات المشاريع العمرانية، حيث فازت بجائزة (ميد) لأفضل مشروع بناء لعام ٢٠١٥م على مستوى المملكة ومنطقة الخليج.

مراجع

المراجع العربية

- الشعلان، فهد. مواجهة الأزمات الأمنية: منظور إداري. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب- الرياض.
- القاضي، أحمد. المعايير التي تحكم سير العمل بغرفة العمليات الرئيسة أوقات الطوارئ والأسلوب العلمي في إدارة غرف العمليات الميدانية. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض.
- الطيب، حسن أيشر. إدارة الكوارث. الإدارة العامة، العدد ٦٥ رجب ١٤١٠هـ- يناير ١٩٩٠م.
- أورفلي، على. الأمن الصناعي المعاصر. دار الهاشم للنشر. بيروت- لبنان.
- إبراهيم، عبد الباقي. "كيف يقوم الساكن باستكمال مسكنه بنفسه" مجلة عالم البناء العدد ٢- أبريل ١٩٨٠.
- حواس، سهير زكي. "احتياجات السكان ومدى تأثيرها على المشروعات السكنية القائمة" رسالة ماجستير.
- محرم، ليلي أحمد. "مؤشرات ومظاهر النمو العشوائي للمجتمعات العمرانية" ندوة حماية البيئة والسكن القانوني ١٩٩٠.
- حنا، ميلاد. "الإسكان والمصيدة - المشكلة والحل" دار المستقبل العربي - القاهرة.
- الولي، ممدوح. "سكان العشش والعشوائيات - دراسة أعدتها نقابة المهندسين - مصر" مطابع روز اليوسف.
- علي، محمد. "المرونة في الأسكان - النظرية والتطبيق" رسالة دكتوراة.
- التجربة السعودية لمعالجة العشوائيات متميزة عالميًا لارتكازها على الإنسان - أخبار السعودية / صحيفة عكاظ.
- موقع أحوال مصر - ملف العشوائيات.
- هسبريس. جريدة اليكترونية مغربية.
- الفولي، هبة الله عاصم علي. مواجهة قضية عشوائيات العمران في إطار سياسات التنمية الشاملة. رسالة دكتوراه، قسم التصميم العمراني - جامعة القاهرة.
- المسكن النواة لتمكين الأسر الفقيرة - الاقتصادية جريدة العرب الاقتصادية الدولية.
- الأشرف، حسن. العشوائيات العربية "أزمة الفقر" تنشر التطرف في المغرب، الرباط - العربي الجديد ١٦/١١/١٠.
- تقرير تطوير المنطق العشوائية - منتدى الشباب السعودي البرازيلي "هيئة تطوير مكة المكرمة والمشاعر.

- أبو الهيجاء، أحمد حسين. نحو استراتيجية شمولية لمعالجة السكن العشوائي – الأردن، مجلة الجامعة الإسلامية -المجلد التاسع -العدد الأول - كلية الهندسة الجامعة الإسلامية – غزة.
- يوسف، محمد محمود، العشوائيات والتجارب العربية والعالمية - المدرس المساعد بكلية التخطيط العمراني، جامعة القاهرة.
- الغامدي، نوف (تحقيق) تطوير قوز النكاسة بمكة المكرمة.
- الوسائل التكنولوجية في البناء كمحدد أساسي للارتقاء بالمناطق العشوائية بمصر.
- عفيفي، أيمن محمد نور. كلية الهندسة بالمطرية قسم الهندسة المعمارية . جامعة حلوان.
- سليمان، محمد. الجوانب الإيجابية في نمو المناطق العشوائية للتطوير من نهج، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة - جامعة الزقازيق فرع بنها.

المراجع الاجنبية

- "2006 Population By-Census Summary results" . Population By-Census Office & Census and Statistics Department. 2006.
- "A Cellar dwelling in Nichol Street", illustration for "More Revelations of Bethnal Green", *The Builder*, vol. XXI, no. 1082 (31 October 1863).
- "African Moonshine: Kill Me Quickly". *The Economist*. 2010-04-29.
- "Ariel Rios Building, Washington, D.C.". (General Services Administration official site).
- "Caloocan councilor pushes for the division of Barangay Bagong Silang". *Philippine Information Agency*. 19 September 2013.
- "China's Migrant Workers: No Place to Call Home." *The Economist*. 7 June 2007.
- "China's Migrant Workers: No Place to Call Home." *The Economist*. 7 June 2007.
- "Cités de transit": the urban treatment of poverty during decolonisation Muriel Cohen & Cédric David, *Metro Politiques* (March 28, 2012).
- "Different from what visitors expect", Interview with Oberdan Basilio Chagas who guides visitors through his favela. In: *D+C Vol.42*.2015:4.
- "Geographical Record." *Geographical Review* 63.1 (1973): 106–17.
- "Green Credentials: Housing in Brighton by Architype.," *RIBA Journal* 106, no. 5 (1999).
- "History Battle of the Bogside". *The Museum of Free Derry*. 2015-07-31.
- "In the slums of Manila, inequality is so bad that the worst off have no chance to protest", Paul Roy, *The New Statesman*, 18 September, 2014.
- "Informality: Re-Viewing Latin American Cities". Retrieved 23 July 2015.
- "Interstate Highways," *The Economist*, June 22, 2006.
- "ISUH home".
- "IT for schools, Schools, Education, Technology, UK news, Online learning e-learning (Education)". *The Guardian*. London. May 8, 2001.
- "Jakarta Hidden Tours". *Realjakarta.blogspot.com*. 2004-02-27.
- "Kevin McCloud and the Big Town Plan-All 4" *Channel Four Television Corporation* 2017.
- "New Jersey town claims Orthodox Jews are trying to bully them to sell". *Mail Online*.

- "People's Daily Online -- "Slums" sting Chinese cities, hamper building of harmonious society". Retrieved 23 July 2015.
- "Proposed Designation of Peabody Estates: South Westminster Conservation Area" . City of Westminster, Planning & City Development. 2006.
- "Shelter Upgrading In Agadir Morocco". *Most Clearing House*.
- "Slumming In This Town. A Fashionable London Mania Reaches New-York. Slumming Parties To Be The Rage This Winter. Good Districts To Visit. Mrs. Langtry As A Slummer". *New York Times*. September 14, 1884.
- "State of the World's Cities Report 2012/2013: Prosperity of Cities". UNHABITAT.
- "State of the World's Cities Report 2012/2013: Prosperity of Cities" . UNHABITAT.
- "State of the World's Cities Report 2012/2013: Prosperity of Cities". UNHABITAT. p. 127.
- "Statement from Detective Chief Superintendent Sue Williams, Borough Commander and Chair of the Community Safety Partnership" (Press release). London Borough of Redbridge. 2012-01-20.
- "Story of Murder Bay." *Washington Post*. July 8, 1888.
- "The Informal Economy: Fact Finding Study". Department for Infrastructure and Economic Cooperation.
- "The story of integrated slum upgrading in Salvador (Bahia), Brazil". *Cities Alliance*.
- "The Story of Urban Renewal," *Pittsburgh Post-Gazette*, May 21, 2000.
- "Them and Them". *NYMag.com*.
- "UN study says wealth gap in Latin America increases- A study by the United Nations suggests the gap between the rich and the poor in much of Latin America is widening.". *BBC News*. August 21, 2012.
- "United Nations Millennium Development Goals." *United Nations*.
- "United Nations Millennium Development Goals." *United Nations*.
- "UPA's Target: A Slum-free India in 5 Years." *The Times of India*. 5 June 2009.
- "UPA's Target: A Slum-free India in 5 Years." *The Times of India*. 5 June 2009. Web. 17 November 2010.
- "Wallonia: Eight things you didn't know about Belgium's French-speaking region".*BBC News*. October 24, 2016.
- "What Is Urban Upgrading?" *MIT*.
- "Youth Bring Low-Cost Solar Panels to Kenyan Slum". Retrieved 23 July 2015.
- "Zimbabwe slum evictions 'a crime'". *BBC*. 2007-05-23.
- 'The State of Resistance: Popular struggles in the Global South' edited by Francois Polet pp.139–140, McMillian 2007.
- "2011 Greater Los Angeles Homeless Count (page 38 -- Skid Row section)". Los Angeles Homeless Services Authority.
- 2008. *City & Community*. 7(4): 305-407.
- 2011 may be the year that civil society rises as an opposition force, Mandy Rossouw, *Mail & Guardian*, 7 Jan 2011.
- 5 Biggest Slums in the World, *International Business Times*, Daniel Tovrov, *IB Times* (December 9, 2011).
- A New Urban Vision UK's History of Council Housing (2008).
- Adam Parsons (2010), *The Seven Myths of Slums: Challenging popular prejudices about the world's urban poor*. London: Share the World's Resources.

- Adam Parsons (2010), *The Seven Myths of Slums: Challenging popular prejudices about the world's urban poor*. London: Share the World's Resources.
- Adult mortality in slums of Karachi, Pakistan David Marsh, JPMA (2010)
- affe, Harry and Tom Sherwood. *Dream City: Race, Power, and the Decline of Washington, D.C.* New York: Simon and Schuster, 1994. Page 29.
- Africa: Improved infrastructure key to slum upgrading – UN Official IRIN, United Nations News Service (11 June 2009).
- Agbola, Tunde; Elijah M. Agunbiade (2009). "Urbanization, Slum Development and Security of Tenure- The Challenges of Meeting Millennium Development Goal 7 in Metropolitan Lagos, Nigeria.". Urban Population–Development–Environment Dynamics in the Developing World- Case Studies and Lessons Learned: 77–106.
- Ali, Mohammed Akhter; Kavita Toran (2004). "Migration, Slums and Urban Squalor – A case study of Gandhinagar Slum". *Proceedings of the Third International Conference on Environment and Health: 1–10*.
- Alirol E. et al. (2011). Urbanisation and infectious diseases in a globalised world, *The Lancet infectious diseases*, 11(2), 131–141.
- Alley Dwellings in Downtown D.C. Whose Downtown? Displacement, Resistance, and the Future of the Community for Creative Non-Violence (CCNV) Shelter in Washington, DC; 2017.
- Alonso-Villar, Olga (2001). "Large Metropolises in the Third World: An Explanation.". *Urban Studies*. 38 (8): 1368.
- Alzahrani, A.G. et al. (2013). Geographical distribution and spatio-temporal patterns of dengue cases in Jeddah Governorate from 2006–2008. *Transactions of The Royal Society of Tropical Medicine and Hygiene*, 107(1), 23–29
- Amelia Gentleman. "'Slum tours: a day trip too far? – The Observer, Sunday 7 May 2006". *Guardian*.
- Amelia Gentleman. "Slum Tours: A day trip too far? – The Observer, Sunday 7 May 2006". *Guardian*.
- American FactFinder, United States Census Bureau. "941 3-Digit ZCTA by 5-digit ZIP Code Tabulation Area – GCT-PH1. Population, Housing Units, Area, and Density: 2000". Factfinder.census.gov.
- An Inventory of the Slums in Nairobi Irene Wangari Karanja and Jack Makau, *IRIN*, United Nations News Service (2010); page 10-14.
- Anderson, Elijah (1990). *Streetwise: Race, Class, and Change in an Urban Community*. The University of Chicago Press. p. 2.
- Andrew T. Carswell (2012). *The Encyclopedia of Housing, Second Edition*. SAGE. p. 302.
- Angel, S. (1983). "Upgrading Slum Infrastructure: Divergent Objectives in Search of a Consensus". *Third World Planning Review*, Vol. 5, No. 1: 5-22.
- Angel, S. (1983). "Upgrading Slum Infrastructure: Divergent Objectives in Search of a Consensus". *Third World Planning Review*, Vol. 5, No. 1: 5-22.
- Angel, S. (1983). "Upgrading Slum Infrastructure: Divergent Objectives in Search of a Consensus". *Third World Planning Review*, Vol. 5, No. 1: 5-22.
- Angel, S. (1983). "Upgrading Slum Infrastructure: Divergent Objectives in Search of a Consensus". *Third World Planning Review*, Vol. 5, No. 1: 5-22.
- Anon (2013) Slum dwellers refuse to vacate railway land, *The Dawn*, Rawalpindi, Pakistan (August 24, 2013).

- Anon (2013). Homeless laborers protest razing of slums *The Hindustan Times*, Gurgaon, India (April 21, 2013).
- Anson, Brian, *I'll Fight You For It! Behind the Struggle for Covent Garden*. (London: Jonathon Cape, 1981).
- Arandel, C., & Wetterberg, A. (2013). Between "Authoritarian" and "Empowered" slum relocation: Social mediation in the case of Ennakhil, Morocco. *Cities*, 30, pages 140–148.
- Arimah, Ben C. (2010). "The face of urban poverty: Explaining the prevalence of slums in developing countries, Working paper". *World Institute for Development Economics Research*. 30.
- Arimah, Ben C. (2010). "The face of urban poverty: Explaining the prevalence of slums in developing countries, Working paper". *World Institute for Development Economics Research*. 30.
- Aris Teon (4 May 2013). "Skyscrapers and skyslums-Hong Kong's rooftop houses". My new life in Asia - Blogspot.
- Asher, "President Sets Up New Avenue Unit," *Washington Post*, March 26, 1965.
- *Assessing Slums in the Development Context*. United Nations Habitat Group (2011).
- *Assessing Slums in the Development Context* United Nations Habitat Group (2011)
- Association of Community Technical Aid Centres, *Working with Local Communities: National Directory of Community and Technical Aid Centres*. (1985).
- August Wilson (1984). *Ma Rainey's Black Bottom: A Play*. Plume.
- August Wilson (1987). *Fences*. Plume.
- Averbach, Alvin. 1973. "San Francisco's South of Market District, 1858-1958: The Emergence of a Skid Row." *California Historical Quarterly* 52(3):196223.
- Baker, TFT (1998). "A History of the County of Middlesex: Volume 11: Stepney, Bethnal Green". British History Online.
- Banerji, M. (2009), Provision of basic services in the slums and resettlement colonies of Delhi, Institute of Social Studies Trust.
- Banerji, M. (2009), Provision of basic services in the slums and resettlement colonies of Delhi, Institute of Social Studies Trust.
- Bangladesh cyclone: Rebuilding after Cyclone Sidr Habitat for Humanity International (May 6, 2009).
- Bannerjee, T. and Chakrovorty, S. (1994) Transfer of planning technology and local political economy: a retrospective analysis of Calcutta, *Journal of the American Planning Association*, 60, pages 71–82.
- Barnett, Helen (April 2, 2015). "Squatters occupy building near Buckingham Palace to 'stick two fingers up to Queen'". express.co.uk.
- Bartone, C., Bernstein, J., Leitmann, J. and Eigen, J. (1994) *Toward Environmental Strategies for Cities*. Washington, DC: World Bank.
- Bauman, John F (1987), *Public Housing, Race, and Renewal: Urban Planning in Philadelphia, 1920–1974*, Philadelphia, Temple University Press.
- Bearak, Barry (May–June 1994), "Turf Wars", *National Housing Institute*, pp. Issue 75.
- Becky Tunstall and Stuart Lowe (2012). *The impact of post-war slum clearance in the UK*. Social Policy and Social Work, The University of York (November 2012).
- Beinart, W., & Dubow, S. (Eds.), (2013), *Segregation and apartheid in twentieth century South Africa*, Routledge, pages 25–35.
- Berman V. Parker, 348 U.S. 26, 75 S. Ct. 98, 99 L. Ed. 27.
- Bev Parker. *Municipal Housing Schemes*. Wednesbury.

- Bhattacharya, S. K., Sur, D., Dutta, S., Kanungo, S., Ochiai, R. L., Kim, D. R., ... & Deen, J. (2013). Vivax malaria and bacteraemia: a prospective study in Kolkata, India. *Malaria journal*, 12(1), 176–178.
- Bid to develop Indian slum draws opposition Philip Reeves, *National Public Radio* (Washington DC), May 9, 2007.
- Bishop, R., J. Phillips, and W.-W. Yeo, eds. Beyond Description: Singapore Space Historicity. 2004, Routledge: New York.
- Bolay, Jean-Claude (2006). "Slums and urban development: questions on society and globalisation". *The European Journal of Development Research*. **18** (2): 284–298.
- Brazil: The Challenges in Becoming an Agricultural Superpower Geraldo Barros, Brookings Institution (2008).
- Breman, J. (2003). *The labouring poor in India: Patterns of exploitation, subordination, and exclusion*. New Delhi: Oxford University Press.
- Brett L. Walker, *The conquest of Ainu Lands: Ecology and Culture in Japanese Expansion 1590–1800*, University of California Press, 2001.
- Bright City Lights and Slums of Dhaka city Ahsan Ullah, City University of Hong Kong (2002)
- Bringing the State to the Slum: Confronting Organized Crime and Urban Violence in Latin America Vanda Felbab-Brown (2011), Brookings Institution.
- British Society for Population Studies, POR.2.01, London School of Economics.
- Browne, Anthony (May 5, 2004). "We can't run away from it white flight is here too". *The Times*. London.
- Brueckner, Jan K.; Harris Selod (2009). "A theory of urban squatting and land-tenure formalization in developing countries". *American Economic Journal: Economic Policy*: 28–51.
- Bryant, J. 2008, 'Towards delivery and dignity: Community struggle from Kennedy Road', *Journal of Asian and African Studies*, Vol. 43, No. 1, pp. 41–61.
- Bullard, Robert. The Black Metropolis in the Twenty-First Century: Race, Power, and Politics of Place. Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2007. p. 52.
- Buntin, John (2015-01-14). "*The gentrification myth: It's rare and not as bad for the poor as people think*". Slate.com.
- Burnett, John (1986). *A social history of housing, 1815-1985*. London: Methuen. p. 243.
- Burns, P. A., & Snow, R. C. (2012). The built environment & the impact of neighborhood characteristics on youth sexual risk behavior in Cape Town, South Africa. *Health & Place*, 18(5), 1088–1100.
- Calimani, Riccardo (1987) *The Ghetto of Venice*. New York: M. Evans & Co.
- Cape Town Administration Violates the Rights of the Poor, Carmen Ludwig, All Africa, 27 October 2011.
- Centre des Nations Unies pour les Etablissements Humains (CNUEH). (1981). Amélioration physique des taudis et des bidonvilles, Nairobi.
- Charles F. Weller (1909). *Neglected Neighbors*. Philadelphia.
- Charles W. Cushman Along Skid row - 505/7 North Clark Chgo. Photograph Collection Indiana University Archives / Digital Library Program Sep. 14, 1948.
- Cheru, F (2005). *Globalization and uneven development in Africa: The limits to effective urban governance in the provision of basic services*. UCLA Globalization Research Center-Africa.
- Chigbu, Uchendu Eugene (2012). "Village renewal as an instrument of rural development: evidence from Weyarn, Germany". *Community Development*. **43** (2): 209–224.

- Choguill, Charles L. (2007). "The search for policies to support sustainable housing". *Habitat International*. **31** (1): 143–149.
- *Cholera epidemic envelops coastal slums in West Africa*, Africa Health, page 10 (September 2012).
- Christian Arandel, Anna Wetterberg (2013). Between “Authoritarian” and “Empowered” slum relocation: Social mediation in the case of Ennakhil, Morocco. *Cities* 30:140–148.
- Christopher DeWolf (27 September 2011). "Slums in the sky: Hong Kong rooftop squatters.". *CNN*.
- Clare Cooper Marcus, 'Site planning, building design and a sense of community: an analysis of six cohousing schemes in Denmark, Sweden, and the Netherlands', *Journal of architectural and planning research*, 17 (2000): 146-163.
- Clare V. McKanna, Jr. Prostitutes, Progressives, and Police: The Viability of Vice in San Diego 1900-1930. *The Journal of San Diego History*, Winter 1989, 35:1.
- Clarke, Felicity (May 16, 2011). "Favela Tourism Provides Entrepreneurial Opportunities in Rio". *Forbes*.
- Clonts, Howard A. (1970). "Influence of urbanization on land values at the urban periphery". *Land Economics*. **46** (4): 489–497.
- Colin Ward, "Homing in on Sleeping Out," *Architects Journal* 187, no. 28 (1988).
- Collins, William J.; Shester, Katharine L. (September 2011). "Slum Clearance and Urban Renewal in the United States". NBER Working Paper Series.
- Colman McCarthy. "Empty Houses and the Homeless Poor." *The Washington Post* (1976, Dec 8) A27.
- Community for Creative Non-Violence. "History of the CCNV." (2009).
- Connerly, Charles E., "From Racial Zoning to Community Empowerment: The Interstate Highway System and the African American Community in Birmingham, Alabama". *Journal of Planning Education and Research*, Vol. 22, No. 2, 99–114 (2002).
- Corner, R. J., Dewan, A. M., & Hashizume, M. (2013). Modelling typhoid risk in Dhaka Metropolitan Area of Bangladesh: the role of socio-economic and environmental factors. *International journal of health geographics*, 12(1), 13.
- Courgey (1908), Recherche et classement des anormaux: enquête sur les enfants des Écoles de la ville d'Ivry-sur-Seine, *International Magazine of School Hygiene*, Ed: Sir Lauder Brunton, 395–418.
- Craig Glenday (Editor), *Guinness World Records 2013*, Bantam; see page 277.
- Craster, Charles V (1944). "American Journal of Public Health and the Nations Health". Slum Clearance. *The Newark Plan*. **34** (9): 935–940.
- *Criminological Theory: Context and Consequences*, J. Robert Lilly, Francis T. Cullen, Richard A. Ball (2010), SAGE, pages 41-69.
- Cutler, David M., Edward L. Glaeser, and Jacob L. Vigdor, "The Rise and Decline of the American Ghetto". *The Journal of Political Economy*, Vol. 107, No. 3 (Jun., 1999), pp. 455–506.
- Dale, O.J., *Urban Planning in Singapore: The Transformation of a City*. 1999, New York: Oxford University Press.
- Daniel Lewis and Fred Williams (1999). *Policy and Planning as Public Choice Mass Transit in the United States*, Federal Transport Agency, DOT, US Government, Ashgate.
- Daniel Tovrov, 5 biggest slums in the world , *IB Times* (December 9, 2011).

- Darity, William A., Jr., ed. "Ghetto." *International Encyclopedia of the Social Sciences* 3.2 (2008): 311–14. Gale Virtual Reference Library. Web. 25 Oct. 2012.
- Dasra. "Nourishing our Future: Tackling Child Malnutrition in Urban Slums".
- David Witter (11-8-2010). Bummed Out: How Skid Row went from "The Land of the Living Dead" to cappuccinos and condos. New City.
- Davis, M (2006). "Planet of slums". *New Perspectives Quarterly*. 23 (2): 6–11.
- Davis, Mike (2006). *Planet of Slums*. Verso.
- Davis, Mike (2006). *Planet of Slums*. Verso.
- Davis, Mike. *Planet of Slums*. London: Verso, 2006.
- Davy, Ben; Sony Pellissery (2013). "The citizenship promise (un) fulfilled: The right to housing in informal settings." *International Journal of Social Welfare*. 22 (S1): 68–84.
- Deen, Jacqueline L.; et al. (2008). "The high burden of cholera in children: comparison of incidence from endemic areas in Asia and Africa". *PLoS neglected tropical diseases*. 2 (2): 173.
- 'Delivery and Dignity' by Jacob Byrant, Journal of Asian & African Studies, 2007.
- Demolish City's Skid Road, Murder Protest Demands. Vancouver Sun. April 6, 1962. p. 1.
- Demolitions limit slum villages to city outskirts.
- Desai, V.K.; et al. (2003). "Study of measles incidence and vaccination coverage in slums of Surat city". *Indian Journal of Community Medicine*. 28 (1).
- DeSalvo, Joseph (July 1971). "Reforming Rent Control in New York City: Analysis of Housing Expenditures and Market Rentals". RAND Corp.
- Destroying Makoko *The Economist* (August 18, 2012).
- Dilley, M. (2005). Natural disaster hotspots: a global risk analysis (Vol. 5). World Bank Publications.
- Dispatches, *Landlords from Hell*, Channel 4, 5 December 2011.
- Dmitri Mehlhorn (December 1998). "A Requiem for Blockbusting: Law, Economics, and Race-Based Real Estate Speculation". *Fordham Law Review*. 67: 1145–1161.
- Dondolo, L., 2002. *The Construction of Public History and Tourism Destinations in Cape Town's Townships: A Study of Routes, Sites and Heritage*, Cape Town: University of the Western Cape.
- Dorit Fromm, 'American cohousing: the first five years', Journal of architectural and planning research, 17 (2000): 94-109.
- Dylan Welch (18 Jul 2014). "Slumlords cramming 14 people into two-bedroom flats in illegal accommodation network". *Australian Broadcasting Corporation*.
- Eaves, Elisabeth. "Two Billion Slum Dwellers." Forbes. 11 June 2007.
- Ed Glaeser (March 3, 1997). *Ghettos: The Changing Consequences of Ethnic Isolation*. Regional Review, Volume 7; Spring 1997. Federal Reserve Bank of Boston.
- Ed Glaeser (March 3, 1997). *Ghettos: The Changing Consequences of Ethnic Isolation*. Regional Review, Volume 7; Spring 1997. Federal Reserve Bank of Boston.
- Ed. Wates and Wolmar (1980) *Squatting: The Real Story* (Bay Leaf Books).
- 'Egalitarian' Stockholm rents feed black market, *The Local*, 30 Aug 2010.
- Elizabeth C. MacPhail (Spring, 1974). WHEN THE RED LIGHTS WENT OUT IN SAN DIEGO, The Little Known Story of San Diego's 'Restricted' District, *The Journal of San Diego History*: Spring 1974, 20:2.
- Elizabeth Perl (Spring, 1977). San Diego's Chinese Mission, *The Journal of San Diego History*: Spring 1977, 23:2.

- Elms, Robert (November 22, 2011). "Squatting: The need for shelter versus property rights". BBC.
- Eric Weiner, *Slum Visits: Tourism or Voyeurism?*, *New York Times*, March 9, 2008.
- Eviction and the Struggle over Fairmont House in Columbia Heights. Whose Downtown? Displacement, Resistance, and the Future of the Community for Creative Non-Violence (CCNV) Shelter in Washington, DC; 2017.
- Ezech, A., Oyeboode, O., Satterthwaite, D., Chen, Y., Ndugwa, R., Sartori, J., et al. (2017), The history, geography, and sociology of slums and the health problems of people who live in slums *The Lancet*, 389(10068): 547-558.
- Farrar, Margaret. *Building the Body Politic: Power and Urban Space in Washington, D.C.* Chicago: University of Illinois Press, 2008.
- Federal Housing Administration, *Underwriting Manual: Underwriting and Valuation Procedure Under Title II of the National Housing Act with Revisions to February, 1938* (Washington, D.C.), Part II, Section 9, Rating of Location.
- Fernando Patino, Urban Safety through Slum Upgrading United Nations Habitat (2011); pages 7–19.
- Field E. and M. Kremer. 2006. "Impact Evaluation for Slum Upgrading Interventions", *Doing Impact Evaluation Series No.3*, World Bank Thematic Group on Poverty Analysis, Monitoring and Impact Evaluation.
- Field, E (2005). "Property rights and investment in urban slums". *Journal of the European Economic Association*. 3 (2–3): 279–290.
- Firdaus, Ghuncha (2012). "Urbanization, emerging slums and increasing health problems: a challenge before the nation: an empirical study with reference to state of uttar pradesh in India". *Journal of Environmental Research and Management*. 3 (9): 146–152.
- Fischer, Claude S., Gretchen Stockmayer, Jon Stiles, and Michael Hout. "Distinguishing the Geographical Levels and Social Dimensions of U.S. Metropolitan Segregation, 1960–2000." *Demography* 41.7 (2004): 37–59.
- Fischer, Claude S., Gretchen Stockmayer, Jon Stiles, and Michael Hout. "Distinguishing the Geographical Levels and Social Dimensions of U.S. Metropolitan Segregation, 1960–2000." *Demography* 41.7 (2004): 37–59.
- Fleeing war, finding misery The plight of the internally displaced in Afghanistan Amnesty International (February 2012); page 9-12.
- Flood, Joe (2006). "Secure Tenure Survey Final Report". *Urban Growth Management Initiative*.
- Fogarty, Philippa (June 6, 2008). "Recognition at last for Japan's Ainu". *BBC News*. BBC.
- Foley, Malcolm; J. John Lennon (1996). "JFK and dark tourism: A fascination with assassination". *International Journal of Heritage Studies*. Taylor & Francis. 2 (4): 198–211.
- For Russia's Migrants, Economic Despair Douses Flickers of Hope MICHAEL SCHWIRTZ, *New York Times* (February 9, 2009).
- Forgey, Benjamin. "Model Havens for the Homeless; CCNV's Spruced-Up Shelter and a House for 12 Women." *The Washington Post*. December 26, 1987.
- Fotheringham, Alasdair (November 27, 2011). "In Spain's heart, a slum to shame Europe". *The Independent*. London.
- Frederick Gutheim and Antoinette J. Lee, *Worthy of the Nation: Washington, DC, From L'Enfant to the National Capital Planning Commission*, 2006, Johns Hopkins University Press p. 73.

- Freeman, L. (2005). Displacement or Succession? Residential Mobility in Gentrifying Neighborhoods. *Urban Affairs Review*, 40(4), 463-491.
- Frey, William H. "Central City White Flight: Racial and Nonracial Causes". *American Sociological Review*, Vol. 44, No. 3 (Jun., 1979), pp. 425-448.
- Friedman, Milton; Block, Walter; Hayek, Friedrich A. (1981). "3". *Rent Control: Myths and Realities—International Evidence of the Effects of Rent Control in Six Countries*. Vancouver: The Fraser Institute. pp. 55-65.
- Gaillard, J. C., & Cadag, J. R. D. (2009). From Marginality to Further Marginalization: Experiences from the Victims of the July 2000 Payatas Trashslide in the Philippines. *JAMBA: Journal of Disaster Risk Studies*, 2, 197-215.
- Gardiner, B. (1997), Squatters' Rights and Adverse Possession: A Search for Equitable Application of Property Laws. *Ind. Int'l & Comp. L. Rev.*, 8:119.
- *Geographical Review* 107.
- Georg Gerster, *Flights of Discovery: The Earth from Above*, 1978, London: Paddington, p. 116.
- Gerald Suttles (1970), *The Social Order of the Slum: Ethnicity and Territory in the Inner City*, ISBN 978-0226781921, University of Chicago Press, see Chapter 1.
- Ghosh, Jayati; et al. (2009). "Vulnerability to HIV/AIDS among women of reproductive age in the slums of Delhi and Hyderabad, India". *Social Science & Medicine*. **68** (4): 638-642.
- Ghosh, S.; Shah D. (2004). "Nutritional problems in urban slum children". *Indian Pediatr.* **41** (7): 682-96.
- Gilbert, Daniel (1990), *Barriada Haute-Espérance : Récit d'une coopération au Pérou*. Paris: Éditions Karthala.
- Gillette, Howard. *Between Justice and Beauty: Race, Planning, and the Failure of Urban Policy in Washington, D.C.* Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1995. Page 163.
- Glasco, Laurence (1989). "Double Burden: The Black Experience in Pittsburgh". In Samuel P. Hays. *City at the Point: Essays on the Social History of Pittsburgh*. Pittsburgh: University of Pittsburgh. p. 89.
- Global: Urban conflict - fighting for resources in the slums IRIN, *United Nations News Service* (October 8, 2007).
- Global: Urban conflict – fighting for resources in the slums IRIN, *United Nations News Service* (October 8, 2007).
- Go, Vivian F.; et al. (2003). "When HIV-prevention messages and gender norms clash: the impact of domestic violence on women's HIV risk in slums of Chennai, India". *AIDS and Behavior*. **7** (3): 263-272.
- Gomber, Sunil; et al. (2003). "Prevalence & etiology of nutritional anaemia among school children of urban slums". *Indian J Med Res.* **118**: 167-171.
- Goodman, Robert, *After the Planners* (Harmondsworth: Penguin, 1972).
- Greek immigration crisis spawns shanty towns and squats Nick Squires and Paul Anast, *The Telegraph*, (September 7, 2009).
- Griffin, E., and Ford, L. (1980), A model of Latin American city structure, *Geographical Review*, pages 397-422.
- Growing out of poverty: Urban job Creation and the Millennium Development Goals Marja Kuiper and Kees van der Ree, *Global Urban Development Magazine*, Vol 2, Issue 1, March 2006.
- Guillaume Benoit and Aline Comeau (2005). *A Sustainable Future for the Mediterranean*. Routledge.

- Gupta, Indrani; Arup Mitra (2002). "Rural migrants and labour segmentation: Micro-level evidence from Delhi slums.". *Economic and Political Weekly*: 163–168.
- Gwendolyn Mink and Alice O'Connor (2004). *Poverty in the United States: A – K*. ABC-CLIO. p. 371.
- Habitat for Humanity Shelter Report. 2008.
- Habitat International Coalition, Bertha Turner, John Turner (eds.), *Building Community: A Third World Case Book* (London: Building Community Books, 1988).
- Habraken, N. J, *Supports: An Alternative to Mass Housing*, trans. by B. Valkenburg (London: Architectural Press, 1972).
- Hammel, Eugene A. (1964). "Some characteristics of rural village and urban slum populations on the coast of Peru". *Southwestern Journal of Anthropology*: 346–358.
- Hamza, M., & Zetter, R. (1998). Structural adjustment, urban systems, and disaster vulnerability in developing countries. *Cities*, 15(4), pages 291–299.
- Hanrahan, Mark (May 8, 2013). "Your Next Vacation Destination: A Slum?". *Huffington Post*.
- Hans Skifter Andersen (2003). *Urban Sores: On the Interaction Between Segregation, Urban Decay, and Deprived Neighbourhoods*. Ashgate Pub.
- *Harsh urban renewal in New Orleans: Poor, black residents cannot afford to return, worry city will exclude them*". MSNBC.
- Hartman, Chester. 1984. *The Transformation of San Francisco*. Totowa, NJ: Rowman & Allanheld.
- Helzner, David. Personal letter to Mr. Harvey Vieth. July 22, 1985. Carol Fennelly Papers. George Washington University, Special Collections, Washington, D.C.
- How New York City Sold Public Housing Mark Byrnes, *The Atlantic* (November 2, 2011).
- Howard Gillette, Jr., *Between Justice and Beauty: Race, Planning, and the Failure of Urban Policy in Washington, D.C.* (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1995).
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9_%D8%B9%D8%B4%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9
- In a Liberian slum swarming with Ebola, a race against time to save two little girls The Washington Post.
- In nairobi's slums, problems and potential as big as Africa itself Sam Sturgis, Rockefeller Foundation, (January 3, 2013)
- In one slum, misery, work, politics and hope Jim Yardley, *New York Times* (December 28, 2011)
- In poor health: Supermarket redlining and urban nutrition, Elizabeth Eisenhauer, *GeoJournal* Volume 53, Number 2 / February, 2001.
- *In the Violent Favelas of Brazil* S Mehta, The New York Review of Books (August 2013).
- India: Battling TB in India's slums The World bank (May 9, 2013).
- Inter-war Slum Clearance The History of Council Housing; UK.
- Istanbul's Gecekondu Orhan Esen, London School of Economics and Political Science (2009)
- Istanbul's Gecekondu Orhan Esen, London School of Economics and Political Science (2009).
- J., Greene, Solomon (2014-01-01). "Staged Cities: Mega-events, Slum Clearance, and Global Capital". *Yale Human Rights and Development Journal*. 6 (1).
- J.R. Ashton (2006). Back to back housing, courts, and privies: the slums of 19th century England, *Journal Epidemiol Community Health*; Volume 60, Issue 8, pages 654.
- Jackson, Kenneth L. "Bowery" in Jackson, Kenneth T., ed. (2010), *The Encyclopedia of New York City*, New Haven: Yale University Press.

- Jackson, Kenneth L. "Bowery" in Jackson, Kenneth T., ed. (2010), *The Encyclopedia of New York City*, New Haven: Yale University Press.
- Jackson, Kenneth T. (1985), *Crabgrass Frontier: The Suburbanization of the United States*, New York: Oxford University Press.
- Jackson, Kenneth T. (1985), *Crabgrass Frontier: The Suburbanization of the United States*, New York: Oxford University Press.
- Jacob L. Vigdor; Douglas S. Massey; Alice M. Rivlin (2002). "Does Gentrification Harm the Poor? [with Comments]". Brookings-Wharton Papers on Urban Affairs. Brookings Institution Press. pp. 133–182.
- James Borchert, *Alley Life in Washington: Family, Community, Religion, and Folklife in the City, 1850-1970* (Chicago: University of Illinois Press, 1980).
- James M Rubenstein (2014). *[The Cultural Landscape: An Introduction to Human Geography, Tenth Edition, James M. Rubenstein, Pearson Prentice Hall.*
- Jan Nijman, A Study Of Space In Mumbai's Slums, *Tijdschrift voor economische en sociale geografie* Volume 101, Issue 1, pages 4–17, February 2010.
- Jane Jacobs(1961). *The Death and Life of Great American Cities*. New York: Random House.
- Janelle Vandergrift. "Gentrification and Displacement". Calvin.edu.
- Jenkins, Paul, and Leslie Forsyth, eds., *Architecture, Participation and Society*(London: Routledge, 2009).
- Jesse McKinley (2002-10-13). "Along the Bowery, Skid Row Is on the Skids". *The New York Times*.
- Jim Kemeny, 'Community-based home and neighbourhood building: An interview with John Turner', *Housing, Theory and Society*, 6 (1989), 157-164.
- Jo Williams, 'Designing Neighbourhoods for Social Interaction: The Case of Cohousing', *Journal of Urban Design*, 10 (2005): 195.
- Joel Kovel, 'The Enemy of Nature', 2007 Zed Books, New York, p. 251.
- John McKean, *Learning from Segal: Walter Segal's Life, Work and Influence* (Basel: Birkhäuser, 1989).
- John Morton Blum (1981) *The National Experience: A History of the United States Since 1865*. Harcourt Brace Jovanovich.
- John Turner and et al., 'The Architecture of Democracy', *Architectural Design*, 38 (1968).
- John Turner and et al., 'The Architecture of Democracy', *Architectural Design*, 38 (1968).
- John Turner, 'Architecture that Works', *Ekistics (Special Issue: Housing by the people for the people)*, 27 (1969).
- John Turner, *Housing by People: Towards Autonomy in Building Environments, Ideas in progress* (London: Marion Boyars, 1976).
- Jon Broome, "Segal Method Revisited," *Architects Journal* 202, no. 20 (1995).
- Jonathan Clayton, 'Stench of shanties puts ANC on wrong side of new divide' *The Times*. 25 February 2006.
- Jonathan Steele, *Why 2010 Could Be An Own Goal for the Rainbow Nation*, *The Guardian*, 30 December 2009.
- Jorge Hernández. "Sólo tres unidades de bomberos atienden 2 mil barrios de Petare" (in Spanish).
- Josephine Slater (2009), *Naked C.*
- Josephine Slater (2009), *Naked Cities - Struggle in the Global Slums, Mute, Volume 2, Issue 3.*

- Joyce Pangco Pañares (2010-03-10). *Lupang Arenda off limits to squatters*, Manila Standard Today
- Juan Williams. "3 Are Arrested In New Effort to Occupy House." *The Washington Post* (1976, Aug 17).
- Juan Williams. "D.C. Rejects Plan To Shelter Evictees." *The Washington Post* (1976, Aug 5);
- Juan Williams. "Street People Sleep on Steam-Heated Beds: Steam Vents Are Beds For the Street People." *The Washington Post* (1977, Feb 3) C1.
- Kabiru, C. W.; et al. (2012). ""Making It": understanding adolescent resilience in two informal settlements (Slums) in Nairobi, Kenya". *Child & Youth Services*. **33** (1): 12–32.
- Kalache, Stefan (January 12, 2007). "*The Poorest Postal Code Vancouver's Downtown Eastside in Photos*". *The Dominion*.
- Karim, Md Rezaul (11 Jan 2012). "*Children suffering malnutrition in a slum*". *Wikinut-guides-activism*.
- Kate Wharton, "A Man on His Own [Interview]," *Architects Journal*, 187 (18)(1988): 78-80.
- Keating, William Dennis. *The Suburban Racial Dilemma: Housing and Neighborhoods*. Temple University Press. 1994.
- Kelefa, Sanneh (July 18, 2016). "There Goes the Neighborhood". *The New Yorker*.
- Keniston-Longrie, Joy (2009). *Seattle's Pioneer Square*. Chicago, San Francisco, & Charleston, SC: Arcadia Publishing. p. 128.
- Kerr, J., Gibson, A. and Seaborne, M. (2003) *London from Punk to Blair*. Reaktion Books.
- Khadija Patel, Shack dwellers take the fight to eThekwin – and the ANC takes note, *The Daily Maverick*, 16 September 2013.
- Kirk Savage, *Monument Wars: Washington, D.C., the National Mall, and the Transformation of the Memorial Landscape*, 2009, p. 100-101; Gutheim and Lee, p. 73; Lowry, p. 61-65; Evelyn, Dickson, and Ackerman, p. 63-64. University of California Press.
- Kristian Buhl Thomsen (2012), Modernism and Urban Renewal in Denmark 1939–1983, Aarhus University, 11th Conference on Urban History, EAUH, Prague.
- Kristian Buhl Thomsen (2012). Modernism and Urban Renewal in Denmark 1939–1983, Aarhus University, 11th Conference on Urban History, EAUH, Prague.
- Kross, E. (1992). Spontaneous settlements in Lima: urbanization processes in a Latin American metropolis. Ferdinand Schoningh.
- Kyobutungi, Catherine; et al. (2008). "The burden of disease profile of residents of Nairobi's slums: Results from a Demographic Surveillance System". *Population Health Metrics*. **6** (1).
- Lance Freeman & Frank Braconi (2004) Gentrification and Displacement New York City in the 1990s, *Journal of the American Planning Association*.
- Langston Hughes (1995). *The Collected Poems of Langston Hughes*. Vintage Classics (Includes "Negro Ghetto" (1931) and "The Heart of Harlem" (1945)).
- Larry Whiteaker (1997), *Seduction, Prostitution, and Moral Reform in New York, 1830–1860*, Routledge, page 29.
- Latin American Slum Upgrading Efforts Elisa Silva, Arthur Wheelwright Traveling Fellowship 2011, Harvard University.
- Lawrence Vale (2007). *From the Puritans to the Projects: Public Housing and Public Neighbors*. Harvard University Press.
- Le dernier bidonville de Nice Pierre Espagne, Reperes Mediterraneens (1976).

- Le droit au développement au Maroc. Entre Pacte International relatif aux Droits Economiques, Sociaux et Culturels et Objectifs du Millénaire pour le Développement ». CCDH - PNUD, juillet 2010.
- Le droit au développement au Maroc. Entre Pacte International relatif aux Droits Economiques, Sociaux et Culturels et Objectifs du Millénaire pour le Développement ». CCDH - PNUD, juillet 2010.
- LeBas, A. (2013), Violence and urban order in Nairobi, Kenya and Lagos, Nigeria, *Studies in Comparative International Development*, 48(3), pp 240-262.
- Lees, Loretta, Tom Slater, and Elvin K. Wyly. *Gentrification*. New York: Routledge/Taylor & Francis Group, 2008.
- Lepoutre, David. *Coeur de banlieue: codes, rites, et langages*. Odile Jacob, 1997.
- Lessinger, J (1962). "The Case for scatteration: Some reflections on the national capital region plan for the year 2000". *Journal of the American Institute of Planners*. 28 (3): 159-169.
- Lessons from the Demise of Thabo Mbeki, Jane Duncan, SACSIS, 16 September 2013.
- Lewyn, Michael. How City Hall Causes Sprawl," p. 3, Ecology Law Quarterly, Vol. 30, No. 189, 2003.
- **Liberian Slum Takes Ebola Treatment Into Its Own Hands** The Wall Street Journal
- Lilford, R.J., Oyebode, O., Satterthwaite, D., Melendez-Torres, G.J., Chen, Y., Mberu, B., et al. (2017), *Improving the health and welfare of people who live in slums* The Lancet, 389(10068): 559-70.
- Lim, W.S.W., Cities for People: Reflections of a Southeast Asian Architect. 1990, Singapore: Select Books Pte Ltd.
- Liora Bigon, Between Local and Colonial Perceptions: The History of Slum Clearances in Lagos (Nigeria), 1924-1960, *African and Asian Studies*, Volume 7, Number 1, 2008, pages 49-76 (28).
- Lloyd, P. (1979), *Slums of Hope: shanty towns of the Third World*, Manchester University Press.
- Lobbia, J.A., "Bowery Bummer: Downtown Plan Will Make and Break History", *The Village Voice*, March 17, 1999.
- Logan, John, and Harvey Molotch. 1987. "Urban fortunes." *The Political Economy of Place*. Berkeley, University of California.
- London County Council, *Housing: The Post-War Work of the London County Council*. [Three Articles by Walter Segal.] (London: St. Margaret's Technical Press, 1949).
- Loretta Lees, Tom Slater, and Elvin Wyly, *Gentrification Reader*, p. 196. 2008 Routledge.
- Lucien Kroll, 'Animal Town Planning and Homeopathic Architecture', in Peter Blundell-Jones, Doina Petrescu and Jeremy Till (eds.), *Architecture and Participation*(London: Routledge, 2005), p. 186.
- Lucien Kroll, *Architecture of Complexity*, trans. by Peter Blundell Jones (Cambridge, MA: MIT Press, 1987).
- Luna, E. M., Ferrer, O. P. and Ignacio, JR., U. (1994) Participatory Action Planning for the Development of Two PSF Projects. Manila: University of Philippines.
- Ma, Bob. (2010). "A Trip into the Controversy: A Study of Slum Tourism Travel Motivations." 2009-2010 Penn Humanities Forum on Connections.
- Madise, NJ; Ziraba, AK; Inungu, J; Khamadi, SA; Ezeh, A; Zulu, EM; Kebaso, J; Okoth, V; Mwau, M. "Are slum dwellers at heightened risk of HIV infection than other urban residents?"

Evidence from population-based HIV prevalence surveys in Kenya". *Health Place*. **18**: 1144–52.

- Magar, Veronica (November–December 2003). "Empowerment approaches to gender-based violence: women's courts in Delhi slums". *Women's Studies International Forum*. Elsevier. **26** (6): 509–523.
- Maharaj, B. 2002, 'Segregation, Desegregation and De-racialisation: Racial Politics and the City of Durban', in B. Freund & V. Padayachee (eds), *(D)Urban vortex: A South African City in Transition*, University of Natal Press, Pietermaritzburg.
- Manfred Rolfes, *Poverty tourism: theoretical reflections and empirical findings regarding an extraordinary form of tourism*, in *GeoJournal*, (Springer Science and Business Media, 26 September 2009), 421.
- Marc Saint-Upéry (October 21, 2010). "*Left at the Crossroads: Ogling the poor*". *RIA Novosti*.
- Marcuse, Peter (2001), *Enclaves yes, ghettos, no: Segregation and the state*, Lincoln Institute of Land Policy Conference Paper, Columbia University.
- Marie Huchzermeyer and Aly Karam, *Informal settlements: A perpetual challenge?* Cape Town, SA: University of Cape Town Press.
- Marie Huchzermeyer, (2011). *Cities with 'Slums': From Informal Settlement Eradication to a Right To The City In Africa* University of Cape Town Press, Cape Town.
- Martijn Koster, and Monique Nuijten (2012), From Preamble to Post-project Frustrations: The Shaping of a Slum Upgrading Project in Recife, Brazil. *Antipode*, 44 (1), pages 175–196.
- Martin Field, *CoHousing in Britain* (London: Diggers & Dreamers, 2011).
- Martin Field, *Thinking about CoHousing. The creation of intentional neighbourhoods* (London: Diggers & Dreamers, 2004)
- Massey, Douglas S. (2004) "Segregation and Stratification: A Biosocial Perspective". *Du Bois Review* / Volume 1 / Issue 01 / March 2004, pp 7-25.
- Mathur, Navdeep (December 1, 2012). "On the Sabarmati Riverfront: Urban Planning as Totalitarian Governance in Ahmedabad". *Economic and Political Weekly*. XLVII (47 & 48).
- Mats Egeliuss and Charles Jencks, 'Ralph Erskine', *Architectural Design*, 47 (1977): 750-852.
- Mats Egeliuss and Charles Jencks, 'Ralph Erskine', *Architectural Design*, 47 (1977): 750-852.
- McAuslan, Patrick. (1986). *Les mal logés du Tiers-Monde*. Paris: Éditions L'Harmattan.
- Measles Outbreak – A Study In Migrant Population In Aligarh Najam Khalique et al, *Indian J. Prev. Soc. Med.* Vol. 39 No.3& 4 2008.
- Medina, Martin (2007). *The world's scavengers: salvaging for sustainable consumption and production*. Lanham, MD [u.a.]: AltaMira Press. p. 189.
- Mehta, Varshil; Bhat, Anusha (2015). "Health awareness and behavior among adolescent students in a rural school: a cross sectional observational study". *International Journal of Research in Medical Sciences*: 3499–3502.
- Mehta, Varshil; Mehta, Sonali (2016). "Assessment of HIV knowledge and awareness in adults of a slum area of Mumbai, India: a cross-sectional study". *International Journal of Community Medicine and Public Health*: 314–318.
- Melican, Nathaniel (16 September 2014). "*Largest barangay in PH can't live up to 'new hope' image; split pushed*". *Philippine Daily Inquirer*.
- Michael Stephens (2005). *White Ghetto Tourism*. *PopMatters* (cultural-criticism journal).
- Mike Davis, Kelly Mayhew, Jim Miller. *Under the Perfect Sun*. The New Press: New York, 2005.

- Mike Davis, Planet of Slums [« Le pire des mondes possibles : de l'explosion urbaine au bidonville global »], La Découverte, Paris, (2006).
- Miles Godfrey (5 July 2014). "Sydney's slum dodge landlords: Inside our city's worst accommodation rentals". *Daily Telegraph*.
- Minnery et al., Slum upgrading and urban governance: Case studies in three South East Asian cities, *Habitat International*, Volume 39, July 2013, Pages 162–169
- Mohamed Anis, 2010 . L'habitat Insalubre Au Maroc Á La Fin Du XX ème Siècle. University of Craiova. Series: Geography. Vol. 13 (new series) – 2010. P. 11 9.
- Mona Serageldin, Elda Solloso, and Luis Valenzuela (March 2006). Local Government Actions to Reduce Poverty and Achieve The Millennium Development Goals. *Global Urban Development Magazine*, Vol 2, Issue 1.
- More Slums Equals More Violence Robert Muggah and Anna Alvazzi del Frate, Geneva Declaration on Armed Violence and Development & UNDP (October 2007).
- Morrison, Patt (1987-03-24). "Original 'Skid Road': Homeless Add a Sad Note to Gentrified Seattle Area". *Los Angeles Times*.
- Moscow's Muslim Slums Now Breeding Grounds for Despair Moscow Times (2010).
- Nan Ellin, 'Participatory Architecture on the Parisian Periphery: Lucien Kroll's Vignes Blanches', *Journal of Architectural Education*, 53 (2000): 178-183.
- Neil Wates, 'Urban renewal: US and UK' New Society 31 December 1964, p. 15.
- Neuwirth, R. (2004), *Shadow Cities: A Billion Squatters, A New Urban World*, Routledge.
- Newar, Rachel (14 June 2013). "In Kenya, Where One in Four Women has Been Raped, Self Defense Training Makes a Difference". *Smithsonian Magazine*.
- Newar, Rachel (14 June 2013). "In Kenya, Where One in Four Women has Been Raped, Self Defense Training Makes a Difference". *Smithsonian Magazine*.
- Norris Vitchev as told to Alfred Balk (1962). Confessions of a Block-Buster: A Chicago real-estate agent who moves Negro families into all-white blocks reveals how he reaps enormous profits from racial prejudice. *The Saturday Evening Post*.
- Nossiter, Adam. "*Cholera Epidemic Envelops Coastal Slums in West Africa*". *New York Times*.
- Nyametso, J. K. (2012, September). Resettlement of slum dwellers, land tenure security and improved housing, living and environmental conditions at Madina Estate, Accra, Ghana, In Urban Forum (Vol. 23, No. 3, pages 343–365). Springer Netherlands.
- nycsubway.org—*Historic American Engineering Record: Clifton Hood, IRT and New York City, Subway*.
- Obudho, R. A.; G. O. Aduwo (1989). "Slum and squatter settlements in urban centres of Kenya: Towards a planning strategy". *Journal of Housing and the Built Environment*. 4 (1): 17–30.
- Ochako, Rhouné Adhiambo; et al. (2011). "*Gender-Based Violence in the Context of Urban Poverty: Experiences of Men from the Slums of Nairobi, Kenya*". Population Association of America 2011 Annual Meeting Program.
- Odek, Willis Omondi; et al. (2009). "Effects of micro-enterprise services on HIV risk behaviour among female sex workers in Kenya's urban slums". *AIDS and Behavior*. 13 (3): 449–461.
- On the Quality of Electioneering in South Africa, Frank Meintjies, *All Africa*, 25 July 2013.
- Ooi, Giok Ling; Kai Hong Phua (2007). "*Urbanization and slum formation*". *Journal of Urban Health* (1): 27–34.
- Osterfield, David (1 Nov. 1980). "The Government, the Market and the Poor" Foundation for Economic Education (FEE).

- Outwater, A.; et al. (2005). "Homicide Death in Sub-Saharan Africa: A Review 1970–2004". *African Safety Promotion*. 8.
- Pacione, Michael (2006), Mumbai, *Cities*, 23(3), pages 229–238.
- Palliser, David Michael; Clark, Peter; Daunton, Martin J. (2000). *The Cambridge Urban History of Britain: 1840–1950*. Cambridge University Press. p. 112.
- Palus, Nancy (15 May 2013). "Humanitarian intervention in violence-hit slums – from whether to how". *IRIN*.
- Parkinson-Bailey, John J. (2000). *Manchester: an Architectural History*. Manchester: Manchester University Press.
- Partido ng Manggagawa (Labor Party) - Philippines (July 25, 2009). Tondo urban poor hold noise barrage as build up for SONA protests. Press Release.
- Patel, Ronak B.; Thomas F. Burke (2009). "Urbanization—an emerging humanitarian disaster". *New England Journal of Medicine*. 361 (8): 741–743.
- Patton, C. (1988). *Spontaneous shelter: International perspectives and prospects*, Philadelphia: Temple University Press.
- Paul Dickson, and Douglas Evelyn, *On This Spot: Pinpointing the Past in Washington, D.C.*, Capital Books; 2008, p. 63-64.
- Paul Oliver, Ian Davis, Ian Bentley, Dunroamin The Suburban Semi and its Enemies p31 (1918, Bodleian Library original).
- Paul S. Grogan, Tony Proscio (2002). *Comeback Cities: A Blueprint for Urban Neighborhood Revival*. Basic Books.
- Paul W. Valentine. "Officials Back Visitor Center Use as Shelter: Visitor Center Use as Shelter Is Planned." *The Washington Post* (1978, Nov 30) B1.
- Peirce, Neal. "On Rent Control". Cato Institute. Regulation, May/June 1978 *AEI Journal On Government And Society* pp.45-46.
- Pelling, M., & Wisner, B. (Eds.). (2009), *Disaster risk reduction: Cases from urban Africa*, Earthscan Publishers (UK).
- Penalver, Eduardo (March 25, 2009), "Homesteaders in the Hood: Squatters are multiplying in the recession – what should cities do?", *Slate.com*.
- Peñalver, Eduardo M. (March 25, 2009). "Homesteaders in the Hood". *Slate Magazine*.
- Peter Blundell-Jones, "Walter Segal: 1907-85 [Obituary]," *Architectural Review* 178, no. 1066 (1985).
- Peter Blundell-Jones, Doina Petrescu and Jeremy Till (eds.), *Architecture and Participation* (London: Routledge, 2005).
- Peter Blundell-Jones, 'Sixty-eight and After', in *Architecture and Participation*, pp. 127-139.
- Peter Blundell-Jones, 'Urbane Participation', *Architectural Review*, 193 (1993): 45-49.
- Peter Malpass, 'A Reappraisal of Byker. Part 1: Magic, myth and the architect', *Architects Journal*, 169 (1979), 961-969.
- Peter Shadbolt (2 November 2011). "Slums with penthouse views highlight Hong Kong's wealth divide". CNN.
- Peter Vale – Insight into history of SA an imperative 2010/04/09 Daily Dispatch. Dispatch.co.za Archived 6 February 2012 at the Wayback Machine.
- Philip Frankel (October 11, 2001). *An Ordinary Atrocity: Sharpeville and Its Massacre*. Yale University Press.
- Piot, P. (2001). "A gendered epidemic: Women and the risks and burdens of HIV". *Journal of the American Medical Women's Association*. 56: 90–91.

- Poisson, B. 2002, *The Ainu of Japan*, Lerner Publications, Minneapolis.
- Political tolerance on the wane in South Africa, Imraan Buccus, *SA Reconciliation Barometer*, September 2010.
- Pruijt, Hans (2011). "Squatting in Europe". *International Journal of Urban and Regional Research*.
- *Public transport in Victorian London: Part Two: Underground*. London Transport Museum (2010).
- Pulido, Laura, "Rethinking Environmental Racism: White Privilege and Urban Development in Southern California". *Annals of the Association of American Geographers*, Vol. 90, No. 1 (Mar., 2000), pp. 12–40.
- Punwani, Jyoti (Jan 10, 2011). "Malnutrition kills 56,000 children annually in urban slums". *The Times of India*.
- Quinn and John Bartlett, (2010), Global infectious diseases and urbanization, *Urban Health: Global Perspectives*, 18, 105.
- R Merton (1938), Social Structure and anomie, *American Sociological Review*, 3, pages 672-682.
- Race, Place, and Opportunity," *The American Prospect*, September 22, 2008.
- Ralph Erskine, 'Interview: Ralph Erskine.', *Transition*, 4 (1985): 44-48.
- Rami Khalil Isaac; Erdinç Çakmak (2013). "Understanding visitor's motivation at sites of death and disaster: the case of former transit camp Westerbork, the Netherlands". *Current Issues in Tourism*. Taylor and Francis: 1–16.
- Rancich, Michael T. (1970). "Land value changes in an area undergoing urbanization". *Land Economics*. 46 (1): 32–40.
- Rande Iaboni, 'Ghetto' tours of Bronx ended after outrage. CNN; Thu May 23, 2013.
- Rashid, S.F. (2005). "Worried lives, poverty and reproductive health needs of married adolescent women in urban slums of Dhaka city, Bangladesh". Doctoral Dissertation, The Australian National University.
- Ravetz, A. (2013). *The government of space: town planning in modern society*. Routledge.
- Ray Bromley, 'Peru 1957-1977: How time and place influenced John Turner's ideas on housing policy', *Habitat International*, 27 (2003), 271-292.
- Reeve, Kesia, "Squatting Since 1945: The enduring relevance of material need", in Somerville, Peter; Sprigings, Nigel, *Housing and Social Policy*, London: Routledge, pp. 197–216.
- Reiter, P., & Goh, K. T. (1998), *Dengue control in Singapore*, Institute of Environmental Epidemiology pp. 213-242.
- *Résultats de l'Enquête Ménage du Bidonville NAKHIL*, Near East Foundation : Morocco, October 2006 USAID.
- Richard Florida (2015-09-08). "The Complex Relationship Between Gentrification and Displacement". CityLab.com.
- Richard Harris, 'A double irony: the originality and influence of John F.C. Turner', *Habitat International*, 27 (2003), 245-269.
- Richard N. Palmer (2010). *World Environmental and Water Resources Congress 2010: Challenges of Change*. ASCE Publications. p. 826.
- Richard Pithouse, 'Our Struggle is Thought, on the Ground, Running'. *The University of Abahlali baseMjondolo*, UKZN, 2006.
- Richard Pitthouse (2006). *Struggle Is a School: The Rise of a Shack Dwellers' Movement in Durban, South Africa*, , *Monthly Review*.

- Riley, Lee W.; et al. (2007). "Slum health: diseases of neglected populations". *BMC International Health and Human Rights*. 7 (1).
- Rio slum landslide leaves hundreds dead The Guardian (8 April 2010).
- Robert Caro (1974). *The Power Broker: Robert Moses and the Fall of New York*, Knopf.
- Roberts, Chris (2006), *Heavy Words Lightly Thrown: The Reason Behind Rhyme*, Thorndike Press.
- Rochester, Junius; Crowley, Walt (October 17, 2002). "Yesler, Henry L. (1810-1892)". History Link.
- Rod Burgess, 'Petty commodity housing or dweller control? A critique of John Turner's views on housing policy', *World Development*, 6 (1978), 1105-1133.
- Rogers, D. (2013). Can infrastructure prevent a planet of slums?. *Construction Research and Innovation*, 4(2), 30–33.
- Rosa Flores Fernandez (2011), Physical and Spatial Characteristics of Slum Territories Vulnerable to Natural Disasters, *Les Cahiers d'Afrique de l'Est*, n° 44, French Institute for Research in Africa.
- Rosa Flores Fernandez (2011), Physical and Spatial Characteristics of Slum Territories Vulnerable to Natural Disasters, *Les Cahiers d'Afrique de l'Est*, n° 44, French Institute for Research in Africa.
- Rosemary Wakeman, *The Heroic City: Paris, 1945–1958*, University of Chicago Press; see pages 45–61.
- Rowland Atkinson and Gary Bridge, eds., *Gentrification in a Global Context: the New Urban Colonialism*, p. 5. 2005 Routledge.
- S Cohen (1971), *Images of deviance*, Harmondsworth, UK, Penguin.
- Saga MacFarland (23 September 2011). "World's most expensive luxury city is...". CNN.
- Sam Roberts (2005). Before Public Housing, a City Life Cleared Away. *New York Times* (May 8).
- Sampaio *et al*, (2010), Risk factors for death in children with visceral leishmaniasis, *PLoS neglected tropical diseases*, 4(11), e877.
- Sanderson, D. (2000), Cities, disasters and livelihoods, *Environment and Urbanization*, 12(2), pages 93–102
- Satterthwaite and Mitlin - *Reducing Urban Poverty in the Global South*, Routledge 2014.
- Sclar ED, Garau P, Carolini G (2005), The 21st century health challenge of slums and cities, *Lancet*, 365(9462):901-903.
- Scourge of slums *The Economist* (July 14, 2012).
- See the report on shack fires in South Africa by Matt Birkinshaw as well as the wider collection of articles in fires in shanty towns at A Big Devil in the Jondolos: The Politics of Shack Fires Prepared by Matt Birkinshaw, August 2008 Abahlali baseMjondolo Movement SA.
- Sethi, Rajiv; Somanathan, Rohini (2004). "Inequality and Segregation". *Journal of Political Economy*. 112 (6): 1296–1321.
- Sethi, Rajiv; Somanathan, Rohini (2004). "Inequality and Segregation". *Journal of Political Economy*. 112 (6): 1296–1321.
- Sharma, K. (2000). *Rediscovering Dharavi: stories from Asia's largest slum*. Penguin, pages 3–11
- Sharma, Rashmi; et al. (2009). "Assessment of immunization status in the slums of surat by 15 clusters multi indicators cluster survey technique". *Indian Journal of Community Medicine*. 34 (2): 152.

- Shelton, Jason E. "Ghetto." *Encyclopedia of Race, Ethnicity, and Society*. 2008. SAGE Knowledge. Web. 25 Oct. 2012.
- Showdown Looms Over Europe's Largest Shantytown LAUREN FRAYER, National Public Radio (Washington DC), April 27, 2012.
- Silverman, Elissa. "As Shelter's Closing Nears, A Traffic-Halting March." The Washington Post. September 26, 2008.
- Slum banged Joshi and Unnithan, *India Today* (March 7, 2005).
- *Slum Cities and Cities with Slums" States of the World's Cities 2008/2009*. UN-Habitat.
- Slum Dwellers to double by 2030 UN-HABITAT Report, April 2007. Nairobi, Kenya.
- Slum Dwellers to double by 2030 UN-HABITAT report, April 2007. Nairobi, Kenya.
- *Slum Dwellers to double by 2030*. UN-HABITAT report, April 2007.
- Slum eviction plans in Haiti spark protests The Telegraph (United Kingdom), July 25, 2012.
- Slum residence World Heath Organization (2010).
- *Slum tourism: Patronising or social enlightenment?* . BBC News.
- Slum upgrading – Why do slums develop *Cities Alliance* (2011).
- Slumdog Tourism, Kennedy Odede, *New York Times*, August 9, 2010.
- Slums – Summary of City Case Studies UN Habitat, page 203.
- Slums as Expressions of Social Exclusion: Explaining the Prevalence of Slums in African Countries Ben Arimah, United Nations Human Settlements Programme, Nairobi, Kenya.
- Slums as Expressions of Social Exclusion: Explaining the Prevalence of Slums in African Countries Ben Arimah, United Nations Human Settlements Programme, Nairobi, Kenya.
- Slums Of The World: The Face Of Urban Poverty In The New Millennium?, UN-Habitat
- Slums: Past, Present and Future United Nations Habitat (2007).
- *Slums: The case of Beirut, Lebanon*, Mona Fawaz and Isabelle Peillen, Massachusetts Institute of Technology (2003).
- Small, Mario. L., & McDermott, Monica. (2006). The presence of organizational resources in poor urban neighborhoods: An analysis of average and contextual effects. *Social Forces*, 84(3), 1697-1724.
- Smart, Alan. (2006). The Shek Kip Mei Myth: Squatters, Fires And Colonial Rulers in Hong Kong, 1950–1963.
- Smith, Keith (2013). *Environmental hazards: assessing risk and reducing disaster*, Routledge.
- Smitherman, Geneva. *Black Talk: Words and Phrases from the Hood to the Amen Corner*. New York: Houghton Mifflin Company, 2000.
- Smolka, M (2003), Informality, urban poverty, and land market prices. *Land Lines* 15(1).
- Social Movement Media in Post-Apartheid South Africa, by Wendy Willems ,*Encyclopaedia of Social Movement Media* (Ed. John D. H. Downing, Southern Illinois University, Carbondale, 2011).
- Socio-demographic determinants and prevalence of Tuberculosis knowledge in three slum populations of Uganda Ekwaro Obuku et al, *BMC Public Health* 2012, 12:536.
- Squires, Nick; Anast, Paul (September 7, 2009). "Greek immigration crisis spawns shanty towns and squats". *The Daily Telegraph*. London.
- Srinivas, Hari. "Squatting: Defining Squatter Settlements". gdr.org.
- *State of the world population 2007: unleashing the potential of urban growth*. New York: United Nations Population Fund. 2007.
- Stephen Greenberg, "Segal sense: Walter Segal: An Architecture of Understanding [Exhibition Review]," *Architects Journal* 187, no. 22 (1988).

- Stephen K. Mayo, Stephen Malpezzi and David J. Gross (Jul., 1986). Shelter Strategies for the Urban Poor in Developing Countries, *The World Bank Research Observer*, Vol. 1, No. 2, pages 183–203.
- Stephen Metraux (1999). Waiting for the Wrecking Ball: Skid Row in Postindustrial Philadelphia. *Journal of Urban History*, Vol. 25 No. 5, July 1999 690-715.
- Steven L. Danver, *Revolts, protests, riots, demonstrations, and rebellions in American History* (2010) p. 839. ABC-CLIO (December 17, 2010).
- Stewart Brand, "Stewart Brand on New Urbanism and squatter communities", *The New Urban Network*, reprinted from *Whole Earth Discipline*, Penguin.
- Strassmann, W. Paul. 1998. "Third World Housing." *The Encyclopedia of Housing*. Ed. Willem Van Vliet. Thousand Oaks, CA: Sage. 589-92.
- Strassmann, W. Paul. 1998. "Third World Housing." *The Encyclopedia of Housing*. Ed. Willem Van Vliet. Thousand Oaks, CA: Sage. 589-92.
- Strategies to stop slumlords. Official Website Of The City Of Johannesburg. Joburg.org.za 20 April 2011.
- Street Traders: A Bridge Between Trade Unions and Social Movements in Contemporary South Africa], by Ercument Celik, Nomos, Freiburg, 2009.
- Struggle is a School by Richard Pithouse, Monthly Review, 2006.
- Stuart Mackrell, John Turner et al., 'Freedom to build: Squatter settlements, self made communities, mass housing in the developing countries, do it yourself design, participation and the use of power, the profession's role in an explosively divided world', *RIBA Journal*, 81 (1974).
- Sule, R. A. Olu (1990). "Recent slum clearance exercise in Lagos (Nigeria): victims or beneficiaries?". *GeoJournal*. 22 (1): 81–91.
- Sur, Dipika; et al. (2005). "The burden of cholera in the slums of Kolkata, India: data from a prospective, community based study". *Archives of Disease in Childhood*. 90 (11): 1175–1181.
- Swaminathan, M. (1995). Aspects of urban poverty in Bombay. *Environment and Urbanization*, 7(1), pp 133-144.
- Sybil Wendler (27 February 2012), *Public Broadcasting System (PBS) Once Upon a Rooftop*, YouTube
- Tada, Yuko; et al. (2002). "Nutritional status of the preschool children of the Klong Toey slum, Bangkok". *Southeast Asian Journal of Tropical Medicine and Public Health*. 33 (3): 628–637.
- Taj Ganj Slum Housing, Cities Alliance (2012).
- Tan, Kenneth Paul (1 January 2011). "Violence and the supernatural in Singapore cinema". *New Cinemas: Journal of Contemporary Film*. 8 (3): 213–223.
- Taschner, Suzana (2001), *Desenhando os espaços da pobreza*. Faculdade de Arquitetura e Urbanismo, Université de Sao Paulo.
- Tatjana Schneider and Jeremy Till, 'Episodes in Flexible Housing', in *Flexible Housing* (Oxford: Architectural Press, 2007), pp. 9-202.
- Thabit, Walter, *How East New York Became a Ghetto*. Page 42. New York University Press (April 1, 2005).
- The Cape Times, (1960), 'Nine police massacred at Durban', 25 January, pg 1.
- The case of Karachi, Pakistan Urban Slum Reports, A series on Slums of the World (2011); see page 13.
- The case of São Paulo, Brazil – Slums Mariana Fix, Pedro Arantes and Giselle Tanaka, Laboratório de Assentamentos Humanos de FAU-USP, Sao Paolo, pages 15–20.
- The challenge of slums – Global report on Human Settlements, United Nations Habitat (2003).

- The challenge of slums – Global report on Human Settlements, United Nations Habitat (2003).
- The challenge of slums – Global report on Human Settlements, United Nations Habitat (2003).
- The Challenge of Slums: Global Report on Human Settlements (2003), United Nations Human Settlements Programme.
- The hidden role of informal economy Ulla Heinonen, Helsinki University of Technology, Finland (2008).
- The State of the World's Cities 2010/11: Cities for All : Bridging the Urban Divide. London: Earthscan, 2010.
- The State of the World's Cities 2010/11: Cities for All : Bridging the Urban Divide. London: Earthscan, 2010.
- The State of the World's Cities Report 2006/2007: the Millennium Development Goals and Urban Sustainability: 30 Years of Shaping the Habitat Agenda. London: Earthscan, 2006.
- The State of the World's Cities Report 2006/2007: the Millennium Development Goals and Urban Sustainability : 30 Years of Shaping the Habitat Agenda. London: Earthscan, 2006.
- The state of world's cities UN Habitat (2007).
- The story of urban renewal: In East Liberty and elsewhere, Pittsburgh's dominant public policy tool didn't work out as planned Sunday, May 21, 2000, By Dan Fitzpatrick, Post-Gazette Staff Writer.
- The Urban Informal Sector in Nigeria Geoffrey Nwaka, Global Urban Development Magazine, Vol 1, No 1 (May 2005)
- The Walking City: The Geography of Homelessness in Washington, D.C. Whose Downtown? Displacement, Resistance, and the Future of the Community for Creative Non-Violence (CCNV) Shelter in Washington, DC; 2017.
- Thibodeaux, Jarrett, 2016. A Historical Era of Food Deserts Changes in the Correlates of Urban Supermarket Location, 1970–1990. *Social Currents*, 3(2), pp.186-203.
- Thibodeaux, Jarrett. 2016. City racial composition as a predictor of African American food deserts. *Urban Studies*. 53(11): 2238-2252.
- Thomas P. Lowry, *The Story the Soldiers Wouldn't Tell: Sex in the Civil War*, Stackpole Books 1994, p. 61-65.
- Thomson Reuters Foundation. "*Thomson Reuters Foundation*". Retrieved 23 July 2015.
- Three years after Haiti earthquake, loss of hope, desperation Jacqueline Charles, Miami Herald (January 8, 2013).
- Tjiptoherijanto, Prinjono, and Eddy Hasmi. "Urbanization and Urban Growth in Indonesia." *Asian Urbanization in the New Millennium*. Ed. Gayl D. Ness and Prem P. Talwar. Singapore: Marshall Cavendish Academic, 2005., page 162.
- Todaro, Michael P. (1969). "A Model of Labor Migration and Urban Unemployment in Less Developed Countries". *The American Economic Review*. **59** (1): 138–148.
- Ton Van Naerssen, Squatter Access to Land in Metro Manila, *Philippine Studies* vol. 41, no. 1 (1993); pages 3–20.
- Tondo Urban Development Project MIT (2009).
- Towards a better understanding of informal economy Dan Andrews, Aida Caldera Sánchez, and Åsa Johansson, OECD France (30 May 2011).
- Tracking down England's council house sublet cheats, *Panorama*, BBC, 4 May 2011.
- Turner, J. F. C. (1996) Tools for building community: an examination of 13 hypotheses, *HABITAT International*, 20, see pages 339–347.

- Turner, John F. C., and Robert Fichter. *Freedom to Build; Dweller Control of the Housing Process*. New York: Macmillan, 1972.
- Turner, Wallace (December 2, 1986). "A Clash Over Aid Effort on the First 'Skid Row'". *The New York Times*. p. A20.
- Tweed, Chri, and Tom Woolley, 'User Participation in Design: Techniques for Dialogue', *Journal of Architecture and Behaviour*, 8 (1992), 253-264.
- Tweed, Chri, and Tom Woolley, 'User Participation in Design: Techniques for Dialogue', *Journal of Architecture and Behaviour*, 8 (1992), 253-264.
- U.S. House, Committee on Government Operations, *Transfer Jurisdiction of Property for Homeless Shelter* (H. Rpt. 99-616). Washington Government Printing Office, 1986.
- Uganda: slum areas, posh pubs biggest drug hubs. *All Africa News* (January 7, 2013).
- UN-HABITAT (2003) *The Challenge of Slums: Global Report on Human Settlements*. Earthscan, London: UN-Habitat. 2003.
- UN-Habitat (2003). *Slums of the World: The Face of Urban Poverty in the New Millennium?* Page 30.
- UN-HABITAT (2006b) (2006). *State of the World's Cities 2006/2007: The Millennium Development Goals and Urban Sustainability*. London: Earthscan.
- UN-HABITAT (2006b) (2006). *State of the World's Cities 2006/2007: The Millennium Development Goals and Urban Sustainability*. London: Earthscan.
- UN-HABITAT 2007 Press Release on its report, "The Challenge of Slums: Global Report on Human Settlements 2003".
- UN-HABITAT 2007 Press Release on its report, "The Challenge of Slums: Global Report on Human Settlements 2003".
- United Nations (2000). *"United Nations Millennium Declaration" (PDF)*. United nations millennium summit.
- United Nations Human Settlements Programme (2006). *State of the world's cities 2006/7*. London: Earthscan Publications.
- University of the West of England. "Does slum tourism make us better people?" *ScienceDaily*, 28 Jan. 2010. Web. 6 Dec. 2011.
- Upgrading Urban Communities, The World Bank, MIT (2009).
- Urban Land Tenure Policies in Brazil, South Africa, and India: an Assessment of the Issues Donald A. Krueckeberg and Kurt G. Paulsen (2000), Lincoln Institute, Rutgers University.
- Urban Louisville Courier-Journal, "With Urban Renewal a Community Vanishes" December 31, 1999.
- Urban Poverty – An Overview Judy Baker, The World Bank (2008).
- Urban Renewal: The Story of Southwest D.C. Whose Downtown? Displacement, Resistance, and the Future of the Community for Creative Non-Violence (CCNV) Shelter in Washington, DC; 2017.
- Vanda Felbab-Brown, Bringing the State to the Slum: Confronting Organized Crime and Urban Violence in Latin America – Lessons for Law Enforcement and Policymakers Brookings Institution (December 2011).
- *Venezuela's military enters high crime slums* Karl Ritter, Associated Press (May 17, 2013).
- VICE Staff (Jul 21 2015).The Philippines' Cemetery Slums. VICE INTL.
- Victoriano, A. et al. (2009). Leptospirosis in the Asia Pacific region. *BMC Infectious Diseases*, 9(1), 147.

- Walter Segal, *Home and Environment* (S.I.: Leonard Hill, 1948).
- Walter Thabit (2003). *How East New York Became a Ghetto*. New York University Press.
- Walther, James V. (1965). "Cause or Effect of Slums?". *Challenge*. **13** (14): 24–25.
- Ward, Colin, *Tenants Take Over* (London: Architectural Press, 1974).
- Ward, David. "The Ethnic Ghetto in the United States: Past and Present." *Transactions of the Institute of British Geographers* ns 7.3 (1982): 257–75.
- Washington Legal Clinic for the Homeless. Facts on Homeless in Washington, D.C. Overview.
- Wates, Nick, and Charles Kneivitt, *Community Architecture: How People are Creating Their Own Environment* (London: Penguin Books, 1987).
- Weiner, M. (eds) 1997, *Japan's Minorities: The Illusion of Homogeneity*, Routledge, London.
- Wekwete, K. H (2001). "Urban management: The recent experience, in Rakodi, C.". *The Urban Challenge in Africa*.
- Werlin, Herbert (August 1999). "The Slum Upgrading Myth". *Urban Studies*. **36** (9): 1523–1534.
- Werlin, Herbert (August 1999). "The Slum Upgrading Myth". *Urban Studies*. **36** (9): 1523–1534.
- Werlin, Herbert. "The Slum Upgrading Myth." *Urban Studies* 36.9 (1999): 1523-534.
- What America Looked Like: Puerto Rican Slums in the Early 1970s *The Atlantic* (July 17, 2012).
- What are slums and why do they exist? UN-Habitat, Kenya (April 2007).
- What are slums and why do they exist? UN-Habitat, Kenya (April 2007).
- What are slums and why do they exist? UN-Habitat, Kenya (April 2007).
- What are slums and why do they exist? UN-Habitat, Kenya (April 2007).
- What is Urban Upgrading The World Bank Group, MIT (2009).
- William C. Speidel (1997). *Sons of the Profits: There's No Business Like Grow Business; The Seattle Story 1851 to 1901*. Nettle Creek.
- William Mangin (Summer, 1967). Latin American Squatter Settlements: A Problem and a Solution, *Latin American Research Review*, Vol. 2, No. 3, pages 65–98.
- William Tindall, *Standard History of the City of Washington from a Study of the Original Sources*, 1914, Kessinger Publishing, LLC (October 1, 2008) p. 421-422.
- Wilson, William Julius (1987). *The Truly Disadvantaged: The Inner City, the Underclass, and Public Policy*. The University of Chicago Press.
- Wiltshire, Trea. [First published 1987] (republished & reduced 2003). *Old Hong Kong – Volume Three*. Central, Hong Kong: Text Form Asia books Ltd. Page 7.
- Wisner, B. (Ed.). (2004). *At risk: natural hazards, people's vulnerability and disasters*. Psychology Press.
- Women, Slums and Urbanisation: Examining the Causes and Consequences. *Geneva: Centre on Housing Rights and Evictions (COHRE)*. 2008.
- Wood, Roger. *Down in Houston: Bayou City Blues* (Issue 8 of Jack and Doris Smothers series in Texas history, life, and culture). 2003, University of Texas Press.
- World Bank Experience with the Provision of Infrastructure Services for the Urban Poor Christine Kessides] The World Bank (1997).
- World Health Organization (2004). *Water, Sanitation and Hygiene Links to Health: Facts and Figures*.
- Zahra Moloo (February 28, 2008). Machetes, Ethnic Conflict and Reductionism: Racist assumptions mar western media coverage of Kenya. *The Dominion*.

- Zaidi, S.S.; et al. (2006). "Health care utilization for diarrhea and fever in 4 urban slums in Karachi". *Journal of the College of Physicians and Surgeons—Pakistan: JCPSP*. **16** (4).
- Zukin, Sharon. "How 'Bad' Is It?: Institutions and Intentions in the Study of the American Ghetto." *International Journal of Urban and Regional Research* 22.3 (2002): 511–20.
- Zukin, Sharon. "How 'Bad' Is It?: Institutions and Intentions in the Study of the American Ghetto." *International Journal of Urban and Regional Research* 22.3 (2002): 511–20. Wiley Online Library. Web. 28 Oct. 2012.